

مكتبة جامعة دمشق (٢١)

الهندوسية وتأثير بعض الفرق الإسلامية بها

تأليف
أبو بكر محمد زكريا

الجزء الثالث

بجاء الأوقاف الإسلامية

الْهَنْدُوسِيَّةُ

وَتَأْتِي بَعْضُ الْفُرُقِ الْأَسْيَافِيَّةِ بِهَا

الْمَجْلَدُ الثَّالِثُ

(ح) دار الأوراق الثقافية، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

زكريا ، ابو بكر محمد

الهندوسية وتأثير بعض الفرق الاسلامية./

ابوبكر محمد زكريا. - جدة، ١٤٣٧هـ

۱۷۶۵ ص ۱۷ X ۲۴ سم

ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٧٥٥-٦-١

١- الهندوسية ٢- الفرق الاسلامية أ. العنوان

١٤٣٧/١٨٨١ ديوي ٥, ٢٩٤

رقم الإيداع : ١٨٨١ / ١٤٣٧

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٧٥٥-٦-١

حقوق الطبع محفوظة

٧٤٣٧ هـ - ١٦٠٦ م



المملكة العربية السعودية

Box: 15533 Jeddah:21454

ص ب : ١٥٥٣٣ جدة ٢١٤٥٤

Telfax: +966 2 680 300 2

تلیف فاكس: +۹۶۶ ۲ ۶۸۰۳۰۰۲

Management: +966 5 053 1876 7

الإدارة: +٩٦٦ ٥٠٥٣١٨٧٦٧

Jeddah: +966 53 725 493 9

جدة : ٥٣٧٢٥٤٩٣٩

Medina: +966 55 076 207 8

المدينة المنورة : ٠٥٥٠٧٦٢٠٧٨

E:mail:admin@alawraq.net

www.alawraq.net



daralawraq

الهندوسية

وتأثير بعض الفرق الإسلامية فيها

تأليف

أبو بكر محمد زكريا

المجلد الثالث

١٤٣٧ هـ

دار الأوقاف الثقافية



أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه
من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بإشراف الأستاذ الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف
ومناقشة الأستاذ الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي
والأستاذ الدكتور محمود بن عبد الرحمن قدح.
وحصل المؤلف على تقدير ممتاز.

الفصل الرابع

عبادات وتشريعات في الهندوسية

وتحته تمهيد ومبحثان

تمهيد

في بيان أصول الشرع الهندوسي

نحن المسلمين لدينا كتاب الله الثابت بالتواتر، والسنة المطهرة الثابتة بالأسانيد الصحيحة هما مصدر الفقه الإسلامي، وإجماع هذه الأمة، والقياس المستنبط من هذه الثلاثة هي الأصول المتفق عليها للفقه الإسلامي.

أما الهندوس؛ فليس عندهم لشرعهم مصدر موثوق ولا ثابت، وهم يذكرون التشريعات في كتبهم ولا يذكرون لها مصدراً، إلا أن بعض كتبهم ينص على أن أصول شرعهم معتمدة على أصول، وقد ذكر صاحب مَنُوءِ سَمَرْتِي هذه الأصول بعنوان: أسس الشرع، وقال:

١- اسمعوا الآن، وتعلموا القانون المقدس، الذي عمل به عالمو القيادات، واطمأنت به قلوبهم؛ بفضل الصلحاء المجريدين عن الأهواء النفسانية.

٢- لا يحمد العمل؛ إذا لم يعمل رغبة في الجزاء^(١)، وهذه الرغبة شعور طبيعي لا تخلو منه نفس في العالم وهي تدفع الإنسان إلى قراءة الفيد والقيام بالعبادات المذكورة فيه.

(١) هذا مخالف لما عندهم في غيتا، حيث يأمر كريشنا أرجونا بأن يعمل دون رغبة الجزاء.

٣- لا يوجد عمل ترونه هنا: عملاً خالصاً، مجرداً عن الرغبة؛ لأن الرغبة وحدها؛ هي التي تدفع إلى العمل.

٤- إن من يأتي بهذه الأعمال، على وجهها؛ يصل إلى درجة الحياة الأبدية، حتى في هذه الحياة الدنيا، وينال كل مبتغاه.

٥- إن أس القانون المقدس، وأصله الأول: القيدات، ثم يليه أقوال العلماء وأعمالهم، ثم أفعال الصالحاء، وأخيراً؛ الاطمئنان القلبي.

٦- إن كل ما شرعه مُنْجِي، من أحكام، هو من القيد؛ لأن مُنْجِي عالم بكل شيء.

٧- على كل إنسان: أن يعمل بما أمر به، بعد أن يتبصر فيه، بعين العلم.

٨- إن كل من يعمل بالأحكام المشروعة، والقانون المقدس، ينال شهرة عظيمة في دنياه، وسعادة وبركة، غير متناهيتين، بعد موته.

٩- إن الأحكام الشرعية هي القيد، والقانون المقدس هو سُمَرْتِي، ومن هذين الاثنين أخذت الشريعة، ولذا؛ فاحذروا المجادلة فيهما أبداً.

١٠- إن كل مولود ثانيةً (البراهمة والكهشترية وفايشا) يعتمد على علم المنطق، في مناقشة أحكام القيد، والقانون المقدس؛ فهو كافر، وعلى العلماء؛ أن يطرده من حلقتهم.

١١- إن الدين؛ هو ما ذكر في القيد، وفي القانون المقدس (سُمَرْتِي) وثبت بأعمال الصالحاء، ويطمئن إليه قلب الإنسان.

١٢- إن علم القانون المقدس؛ خليقٌ بمن لا يودّ ابتغاء المال من ورائه، ولا هو تابعٌ لأهوائه.

١٣- إن كل أمر، تقضي به الأحكام المقدسة بصورتين؛ يجب اعتبار الصورتين؛ قانوناً؛ لأن كلا منهما؛ صادرة عن تلك الذات العليمة، لتكون قانوناً يتبع^(١).

(١) مُنْجِي سُمَرْتِي، الباب الأول، عنوان: أس الشرع، (١-١٣).

هكذا يقعد الهندوس أصولاً لأحكامهم، فجملة ما ذكروا فيه أن أصولهم في التشريعات:

(١) الفيدات (سُرُوتِي).

(٢) القانون المقدس (سُمَرْتِي).

(٣) أقوال الصلحاء وأعمالهم^(١).

(٤) ما يطمئن إليه قلب الإنسان.

هذه هي الأصول الأربعة للشرع الهندوسي المذكورة في كتابهم المقدس لديهم، ولكننا عند التطبيق لا نرى أثراً لما قرروه هنا، كما سيتضح ذلك لاحقاً.

(١) انظر أيضاً ما جاء في مَنُز سُمَرْتِي (٤٦/٨).

المبحث الأول

أهم عبادات الهندوس

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

أهم العبادات حسب الكتب الهندوسية

إن العبادات في الديانة الهندوسية، سمتها البارزة الاضطراب الهائل في أساليبها ومناهجها وتقاليدها وأحكامها باختلاف الولايات والأقاليم، والأزمنة والعصور، والمذاهب والطوائف، فيجد الباحث نفسه في غابة كثيفة تكثر فيها الوهاد والنجاد، شديدة المرونة والسعة، متشتتة الأساليب والمناهج، غامضة الحدود والشروط، مبهمه في الأوضاع والأشكال، تنقصها الوحدة الشكلية، والجامعة الاعتقادية، لذلك قلما يجد الباحث صورة واضحة كاملة لها في كتاب، أو بحثٍ لكتاب هندوسي من أساطين الفلسفة والشرعة^(١).

ولعل السبب في ذلك أن العبادات الهندوسية مرت في تاريخها بمراحل عديدة، بدءاً من المرحلة القيدية ومروراً بالمرحلة البرهمانية وانتهاءً بالمرحلة الأخيرة الهندوسية اجتمعت لديها أنواع من التجارب، وهم مع انتقائهم لبعضها لا ينكرون على البعض الآخر منها، وربما تنتقي منطقة معينة ألواناً من العبادات، وتنتقي منطقة أخرى غيرها من

(١) راجع ما ذكره الشيخ أبو الحسن علي الندوي: الأركان الأربعة ص (٧١-٧٢).

العبادات، وهي كلها لا تحتاج أن تستند إلى نصوص الكتب المقدسة، وإن كان يفضل ذلك، ولعل من المناسب أن نستعرض أهم الأدوار التي مرت بها العبادات الهندوسية حتى تتضح لنا العبادات التي يمارسونها الآن من أي الأنواع هي:

الأول: شعائر العبادات في زمن الفيدات

ففي زمن الفيدات كان جل عباداتهم الثناء والمدائح والترايم للآلهة، والدعاء والابتهاال للآلهة، وتقديم القرابين للحصول على أنواع من المطالب في هذه الحياة^(١).

سبب تقديم الأضاحي والقرابين:

يظهر من الفيدات أسباب القرابين ما يلي^(٢):

(١) أن الآلهة بحاجةٍ إلى أن تقدم لها الأضاحي، ويحتفل بها بمساعدة النار، ويصب لهم السوما السائل المخلد، وذلك لفرحتهم.

(٢) كما أن التضحية في العقيدة الشيدية تقيم أود الآلهة، وتزيدهم قوة.

(٣) إن التضحية تخلق الآلهة، كما أن التضحية التي خلقت الآلهة وأقامت أودها، تجعل هذه الآلهة تشبع الرغبات الإنسانية، وتحقق مطالب الإنسان في طول العمر والغنى وإنجاب الذكور.

(١) أغلب القصائد في ريگ فید انتهت بالدعاء لأنفسهم بالمال وللأهل والعيال، كما جاء طلب الحياة المديدة في كثير من نصوصها، منها على سبيل المثال ما جاء في ريگ فید (٥/٥٤/١٥)، (٥/٥٤/١٣)، (٥/٥٥/٩)، (٥/٥٧/٧)، (٥/٥٨/٤)، (٧، ٨)، (٥/٦١/٥)، (٥/٦٢/٩)، (٥/٦٤/٢، ٤، ٦)، (٥/٦٥/٣)، (٥/٦٧/٢)، (٥/٦٨/٣)، (٥/٦٩/٣)، (٥/٧٠/٢، ٤)، (٥/٧٤/٦)، (٥/٧٥/٣)، (٥/٧٦/٥)، (٥/٧٧/٥)، (٥/٧٩/١، ٦، ٧)، (٨، ١٠)، (٥/٨٢/١، ٣، ٤)، (٥/٨٧/٣، ٦).

هذه بعض الأمثلة، وإلا فإن ريگ فید مليء بمثل هذه الأدعية.

(٢) هذه الأسباب مأخوذة من عدة من أماكن في ريگفید، انظر على سبيل المثال: ريگفید (١٠/٤٩/١)، و(١٠/٦١/١٠-٢٣).

- (٤) أن أرواح الموتى بحاجة إلى التغذية بالأضحية الجنائزية.
- (٥) تتوحد عناصر الأضحية في القيدية مع أجزاء الكون.
- (٦) كان ينظر إلى التضحية على أنها تمثل فعل الخلق مرة أخرى.
- (٧) تؤدي دورًا لا بد منه في المحافظة على النظام الكوني؛ مما يعني أن الكون بما فيه النظام الأخلاقي يعتمد على شعيرة الأضحية^(١).

كيفية تقديم القرابين:

يبدو من خلال النصوص القيدية أن الديانة الهندوسية في أولى مراحلها لم تكن لها معابد وأصنام، والعبادة الرئيسة في القيدات هي تقديم الأضاحي؛ حيث كانت طقوس العبادة والأضاحي تمارس في منزل الأسرة، أو في أرض الخلاء، وكان يُقدم في هذا الطقس تقدمات نباتية وتقدمات حيوانية، أما النباتية فمنها الحبوب والكعك، وأما الحيوانية فهي الحصان والماعز والثور، في هذه المرحلة تظهر آثار ضئيلة من التضحية بالإنسان، ثم أصبح شراب سوما المقدس هو أهم ألوان ممارسة العبادة والتضحية^(٢).

وكانت مذابح القرابين تنصب من جديد لكل قربان يراد تقديمه، وكان يناط بالنار المقدسة عندهم أن ترفع القرбан إلى السماء، وقد كان يوجد في البيت الآري نارٌ تشتعل منذ بداية إنشائه، أعني خلال حفل الزواج، وهي ليست نارًا عادية، فينبغي ألا تستخدم في إعداد الطعام، أو الأغراض المنزلية الأخرى، وكذلك ينبغي أن يكون إشعالها بأنواع خاصة من الخشب، وبطريقة معينة، هي حِكْمُ العصي بعضها ببعض، وينبغي ألا تترك حتى تخدم، ولا بد أن يتقدم رب الأسرة يوميًا لهذه النار بقرابين للآلهة، بل إنه ملزم بالقيام ثلاث مرات في اليوم بما يسمى (التضحيات الخمس الكبرى): عبادة برهمان، روح العالم، وقوامها تعليم القيدات أو تلاوتها... وعبادة الآباء، بتقديم الطعام والماء

(١) انظر ما ذكره جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص (١٥٢).

(٢) انظر ما ذكره الدكتور محمد عثمان الخشت: مقارنة الأديان: البوذية والبراهمانية والهندوسية ص (٢٣).

لتغذيتهم... وعبادة الآلهة، بإحراق القرابين... وعبادة (بهوتاس Bhutas) الموجودات الحية، أو الأرواح - بنثر الحبوب في الجهات الأربع، والمركز، وفي الهواء، وعلى أواني المنزل، ووضع الطعام على عتبة الدار للمنبوذين والحيوانات والطيور والحشرات، وعبادة الرجال، عن طريق تقديم الضيافة للآري، ويفضل البرهمي العليم بالقيادات.

وعندما يتم إنجاز التضحية على نحو مناسب، تهبط الآلهة متخفية في ميدان التضحية، وتجلس فوق القش المقدس، وتشارك في عملية التضحية، كضيوف شرف، وتتغذى بالقرابين التي أحرقها الإله «أغني».

أقسام العبادة بالتضحية في العهد الفيدي:

تنقسم العبادة بالتضحية في الديانة الفيدية إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: منزلي:

يمارس في نطاق الأسرة بواسطة الأب ومساعدة زوجته، وهي تضحية تتوقف على مقدار الأسرة، وليست ذات تعقيدات شعائرية بالقياس إلى النوع الثاني الذي يمارسه الكهنة أو النوع الثالث الذي يمارسه الكهنة والسلطة الملكية.

النوع الثاني: جماعي:

يمارس في الخلاء بواسطة الكهنة، وكان عددهم غير ثابت؛ حيث كان يزداد عندما تكون الطقوس أكثر تعقيداً، وفي نص غير ملزم في ريگ فيد يكون عددهم ثمانية بما في ذلك الشخص صاحب التضحية^(١).

ويضم فريق الكهنة:

(١) برهمي: وهو على رأس الفريق؛ ويجلس وهو طاهر متعطر في الوسط، ولا يتدخل إلا عند ارتكاب مخالفات في تقنيات الطقوس، ويتلقى نظراً لأهميته ومكانته نصف التضحية.

(١) انظر ريگ فيد (١/٣٦/٧)، وانظر تعليق المترجم والمعلق عليه ص (١/١٢٨).

٢) الهدفاريو (أودهويزو) ومساعدوه: الذين يتولون القيام بالأعمال المادية.

٣) الأوغاتار وفرقة: الذين يؤدون الترانيم .

٤) الهوتار: الذي يريق السائل المقدس، ويتلو مقاطع من ريگ فيد.

٥) وكان جزءاً من الأضحية الذي يلقي في النار يصل إلى الآلهة بواسطة إله النار أغني، بينما نصف الباقي للبرهمي، ويذهب ما تبقى إلى المضحي والكهنة الذين يحصلون على أجر مناسب من المضحي، كأن الجميع يشتركون في الطعام والشراب الإلهي.

النوع الثالث: ملكي:

يعد هذا النوع بطبيعة الحال أكبر أنواع العبادة بالتضحية في العهد الفيدي، وقد عهد ثلاثة أنماط من القرابين:

١) راج سُوي: Rajasuya ويُقام في حفل مقدس لتنصيب الملك، ويشتمل على تفصيلات معقدة تنتهي في مرحلتها الأخيرة إلى نضح الماء مع مجموعة من السوائل المقدسة على رأس الملك.

٢) الفاجابيا Vajapeya: ويعني شراب القوة الذي يستخدم لتجديد الشباب في حفل مقدس يتضمن سباق العربة والصعود المصطنع التمثيلي للملك وزوجته إلى السماء بواسطة سلم.

٣) أشفاميد: Ashvamedha: وهو التضحية بالحصان، التي تعد من أكثر التضحيات شهرة وأهمية، وتصنع للملك المنتصر وفق طقوس خاصة، وتهدف هذه التضحية إلى نقل قوة الحصان الكامنة إلى الملكة، مما يعود عليها بالصحة والقوة هي وسائر الأسرة المالكة^(١).

(١) انظر ما ذكره جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص (١٥٠)، وفي مجال المقارنة بين الأديان، ينبغي تسجيل أن التضحية بالحصان في الديانة الفيدي لها ما يشابهها في ديانات الفرس القدماء واليونانيين والجرمان، واللاتين، والأرمن، لكنها لا تمارس بمثل التعقيد =

هذا باختصار وتبسيط شديد طائفة من العبادة بالتضحية في العهد القيدي للديانة الهندوسية، وثمة أنواع أخرى كثيرة منها التضحية بالإنسان، وهناك خلاف كبير بين الهندوس أنفسهم كما اختلف فيه علماء الغرب الدارسون للديانة الهندوسية هل كانت التضحية بالإنسان مروّجة في العهد القيدي أم لا.

الثاني: العبادات في المرحلة البرهمانية:

العبادات في المرحلة البرهمانية كانت تتجه إلى غاية واحدة؛ وهي الفناء في البرهمان، والاندماج في الكائن الأسمى، وقد كانوا في تلك الحقبة الزمنية يحثون أتباعهم على أنواع من العبادات التي يحصل بها الاندماج بالكائن الأسمى - كما يزعمون - من أهمها:

- ١- تحصيل علوم برهمان.
 - ٢- التفكير أو المراقبة لـ«برهمان».
 - ٣- الورع والتقشف في الحياة.
 - ٤- إهمال مطالب الجسم لتصفو الروح التي هي قبس من الخالق -كما زعموا-.
- أما موقفهم من العبادات التي كانت تمارس في العهد القيدي فالثناء على الآلهة وتمجيدها أصبح غير مألوف في هذا العهد، كما أن الدعاء إلى الآلهة والابتهاال لها أصبح شبه معدوم، حيث لا إله بارز في هذا العهد وبالتالي لا دعاء ولا ثناء.
- نعم كان هناك ترادُء للكلمة «أوم» المقدسة لديهم، وذلك في يوغا.
- أما موقفهم من القرابين؛ فقد شهدت بدايتها تطوراً مهماً في بيان كفيات طقوس

= الأسطوري اللاهوتي الذي تمارس به في الديانة القيدية. انظر ما ذكره ميرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، (١/ ٢٧١)، وانظر ما ذكره الدكتور محمد عثمان الخشت: مقارنة الأديان: البذية والبراهمانية والهندوسية ص (٢٤-٢٥).

القرايين، حيث نرى ذلك في كتب برهمانا، أما مجموعة أرثك ومجموعة أوبانيشادات فالظاهر أنها قللت من أهمية الاحتفالات القيدية والواجبات المذهبية.

وعلى الرغم من أنه يوجد في مواضع مختلفة من الأوبانيشادات مقاطع تطالب بتقديم الأضاحي، لكن الميل الغالب في الأوبانيشادات ضدها.

إن الأوبانيشادات تحدثنا عن الطريقة التي بها يصل الفرد إلى الحقيقة المطلقة في زعمهم من خلال رحلة داخلية، أي بارتقاء داخلي، وتحدثنا عن مراحل هذا الارتقاء.

ويستلزم هذا الارتقاء استعداداً أخلاقياً صارماً، تقول أوبانيشادة منذك: «لا يستطيع أحد أن يصل إلى الروح بدون جلد ونظام» وعلى الإنسان حتى يرى الروح أن يصبح «هادئاً، مسيطراً على نفسه، ساكناً، يتحمل بصبر، وقانعاً».

إن الغاية من العبادة بهذه الطريقة في البرهمانية أمران، أولهما: سلبي يستهدف التحرر من الوجود المادي، أي قانون كارما، وثانيهما: إيجابي يستهدف الاتحاد في كينونة واحدة مع الكائن الأعلى؛ فالإنسان في نظر البرهمانية يظل في حالة التناسخ، أي عملية التطور، حتى يتخلص من قانون كارما، لكي يصل إلى موكشا أي الخلاص^(١).

الثالث: العبادات لدى الهندوسية في المرحلة الأخيرة

أخذت الهندوسية في مرحلتها الأخيرة بكثير من شعائر العبادات القيدية؛ حيث نجد فيها التعبد بالثناء والمدائح على الآلهة، كما يوجد فيها التعبد بالدعاء والابتهاال إلى الآلهة، إلا أنها تخلت عن كثير من أنواع القرايين المتعلقة بالذبائح متأثرة في ذلك بالديانة الجينية التي تحرم قتل الحيوانات.

كما يوجد لديها شعائر العبادات التي كانت مروجة في المرحلة البرهمانية؛ من المراقبة والتفكر حول برهمان، وهذا يتأتى لكل واحدٍ يقدر عليه، إلا أن المرحلة الأخيرة امتازت بثلاثة أشياء رئيسة:

(١) انظر ما ذكره سرفالي رادها كرشنان، وشارلز مور: الفكر الفلسفي الهندي ص (٧٣-٧٤).

(١) أصبحت العبادة الواجبة للطبقة العليا البراهمة فقط، ولا مانع للطبقات الأخرى أن تمارس العبادة أو شعائرها إذا وجد لديها أهلية^(١).

(٢) اجتماع طرق العبادة الآرية مع طرق عبادة السكان الأصليين الدراويد، حتى أصبحت العبادات معقدة ومتنوعة ومتضاربة ومختلفة من منطقة إلى منطقة، ولها صلة قوية بالديانات الأخرى، وتحديد أنواع العبادات التي يقدمونها للآلهة من الصعوبة بمكان، إلا أنني سأذكر هنا بعض أنواع العبادات المعروفة والمشتهرة في المطلب الآتي نقلًا عن بعض المصادر الموثوقة.

(٣) عبادة الأصنام: والطرق المتبعة في عبادة الأصنام كثيرة؛ إذ توجد لعبادة كل صنم كيفية خاصة به، وهناك تفاصيل دقيقة في كتب الهندوس، وعلى العموم: فإن الهندوسي يتلقى إلهه في بيته كضيف كريم، ويؤم الهيكل، وهو يحمل معه الفواكه والأزهار، ليقدمها إلى «ملك الملوك» (صنمه) رمزًا لحبه وإجلاله، ونظام العبادة هو في الحقيقة محاكاة للتقاليد التي يقوم بها إنسان لضيفه الكريم، أو ملكه العظيم، فيرحب بإلهه، ويعين له مكانًا للجلوس، ويغسل قدميه، ويقدم إليه الصندل، والرز، كرمزٍ للولاء والتقدير، ويقلد التمثال عقدًا من خيوط، ويلطخ جبينه بعجين الصندل، ويقدم له الرياحين، ويبخر العود، ويوقد له السرج، ويديرها حوله، ويضع أمامه الطعام، ثم يقدم له التنبول^(٢)، ويحرق الكافور، ويقدم إليه الذهب كهدية، ويسمى زهر الذهب، وفي الأخير يودع الإله أو الآلهة.

يعامل الإله في الهياكل، كما يعامل الملوك، فيوظونه بالموسيقى والأغاني، وبعد

(١) فالعبادات الواجبة كلها للبراهمة فقط، انظر ما ذكره الدكتور پوريش مندل: تعليم الديانة الهندوسية ص (٣٦).

(٢) ترافقها بعض المواد الحجرية التي تطيب الفم، وتقدم إلى الضيوف. نقلًا عما ذكره الشيخ أبو الحسن الندوي: الأركان الأربعة ص (٧٢). هامش.

الاغتسال التقليدي يُكسى اللباس الملوكي، ويحلى بالحلي والرياحين، وتُدار حوله الأضواء المتفنتة، ويقدم له الطعام في أوقات معينة، ويجلس الملك المجلس الملكي كل يوم، ويشرف عباده بمشاهدته، ويسمع شكوايهم، ويشملهم بعطفه، ونعمته، ويخرج في جولة في موكب ملوكي، في الأعياد والمواسم^(١).

ويقول الشيخ أبو الحسن علي الندوي رَحِمَهُ اللهُ:

ويلاحظ المتتبع لمناهج العبادة وتقاليدها في أقاليم الهند وبيئاتها المختلفة وحدتين تجمعان بين هذه المناهج قديماً وحديثاً، وشرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً.

أولهما: العناية الزائدة بالغناء والموسيقى، فقلماً تتجرد العبادة في المعابد والمنازل عن التغني والعزف، والتصفيق^(٢) بطريقة خاصة، وقد دخلت الأغاني والموسيقى في صلب الديانة البرهمية، وأصبحت ركناً أساسياً من أركانها، والتجأ إليها كثير من علمائهم، وفلاسفتهم، وكهنتهم؛ لإثارة الرقة والعاطفة، والشوق في قلوب العباد من الذكور والإناث، واشتركت في ذلك جميع الديانات التي اعتمدت على التجارب الإنسانية، وعبثت بها يد التحريف، ودخل فيها الشرك، وقد قال الله تعالى عن أهل الجاهلية العربية: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]. وإن كانت هذه الأغاني المطربة، والمعازف الرنّانة، والتصفيقات المثيرة، أفادت من ناحية الرقة والحنان، كما يحكيه بعض الناس، فقد أضرت كثيراً من ناحية الخشوع، والسكينة والهدوء، الذي تتطلبه العبادة لله تعالى.

والوحدة الثانية التي تجمع بين هذه المناهج المختلفة في المكان والزمان: هي التمسك بعبادة الأصنام، وإلحاح الفلسفة الهندية ودياناتها المختلفة عن قيمتها وفوائدها،

(١) Outline of Hinduism p. 48-50 نقلاً عما ذكره الشيخ أبو الحسن الندوي: الأركان الأربعة ص (٧٢-٧٣).

(٢) يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: وقد كان ذلك جزءاً لازماً، وركناً في عبادة الزعيم «غاندي» التي كان يقوم بها كل يوم مساءً، وكانت له طريقة خاصة، يعلمها بعض خاصته للضيوف الجدد.

وأثارها في النفس، حتى إن شنكر أجاريا مع قوله بوحدة الوجود، كان يُدافع عن عبادة الأصنام والتماثيل، ويعتبرها مرحلة طبيعية لازمة في تقدم الفكر الديني». ويقول آخر: «إن الوثنية حاجة من حاجتنا الفطرية في مرحلة خاصة من مراحل التطور، حين تنال الروح الدينية نضجها واكتمالها، وتبلغ سنّ الرشد يستغني الإنسان عن «الوثنية» فيجب هنالك رفض العلامات والرموز»^(١).

وقد جنت هذه الوثنية - مهما نظر إليها الفلاسفة وعلماء الديانة الوثنية، كرمزٍ ومرحلة عابرة - على عقيدة التوحيد، والابتغال إلى الله، والإخبات له، وأصبح عباد الأصنام مقتصرين على عبادة هذه الأصنام عاضين عليها بالنواجذ يعيشون عليها ويموتون، لا يعرفون غيرها، ولا يلتجئون إلا إليها في حاجاتهم وكرهم، والذي يعبر هذه المرحلة وينتهي إلى الحقيقة النهائية، والغاية في هذه العبادات، كما تخيل هؤلاء الفلاسفة، ويخلص لله تعالى العبادة والدعاء، أعز من الكبريت الأحمر، في هذه الأمم والبلاد، قد لا يتجاوز عددهم رؤوس الأنامل في أمة كبيرة، تملأ البلاد، لذلك كان ما حكاه الله تعالى عن إبراهيم من قول وشكوى، حقاً ومنطقاً كل الانطباق على عباد الأوثان والأصنام والمظاهر الطبيعية ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَيْبَرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، إن هذه الأوثان لم تضل في الحقيقة، ولم تكن لها دعوة دينية، ولكنها استحوذت على عقول عبّادها، وسيطرت عليها، وألْهَتْهم عن عبادة الواحد القهار، فتشاغلوا بها عنه، وحُرموا سعادة عبادة الله ولذتها، فكان ذلك هو الضلال المبين^(٢).

(١) Encyclopaedia of Religion and Ethics، 4th Edition، 1958-Vol. xi Article- San-

karacharya نقلاً عما ذكره الندوي: الأركان الأربعة ص (٧٦).

(٢) الندوي: الأركان الأربعة ص (٧٥-٧٧).

المطلب الثاني

المعابد الهندوسية

من الأمور التي امتازت بها الهندوسية في المرحلة الأخيرة^(١): وجود المعابد، والهندوسية تبني معابدها على نحو يشبه البناء الكوني في اعتقادهم، ويتم تشكيل قبة المعبد تشكيلاً يضافاً بحيث تصور القبة الجبل الذي تحيا فيه الآلهة في السماء، ويسمى جبل «ميرو»، وفي الغالب ينحت الهندوس على هذه القبة صوراً بارزة للآلهة، ومن أكثر القباب لفتاً للأنظار، تلك القبة التي توجد بمعبد «خاجوراه»؛ حيث بها نحت يمثل آلهتهم وكل إله يجامع زوجته.

وأسفل القبة يوجد المذبح الذي يتصل بممر ذي سقف منخفض في آخره غرفة صغيرة يوجد بها تماثلان؛ أحدهما للإله والآخر لزوجته، ودخول هذه الغرفة مشروط بالاغتسال من أجل التطهر التام؛ فلا يدخلها إلا من تطهر، ومحرم على غير الهندوسيين دخولها.

ويوجد حول الحجرة المقدسة، حجرة الإله وزوجته، حجرات لباقي تماثيل الآلهة الثانوية، أما فناء المعبد فيوجد به مغتسل كبير على هيئة حوض له سلم يتم النزول به للاغتسال.

وكثير من المعابد الهندوسية يقصدها الحجاج من كافة أنحاء الهند، ودور المعابد في الديانة الهندوسية أساساً يتمثل في الاحتفال بالأعياد الدينية وأداء الطقوس اليومية

(١) سبق معنا متى كانت بداية بناء المعابد في الديانة الهندوسية، والأسباب الداعية لبنائها، عند الكلام على نشأة عبادة الأصنام في الهندوسية.

للآلهة، أما الصلوات الفردية فإنها تؤدي غالبًا في المنازل.

إن المعابد الهندوسية على أنواع متنوعة وأشكال متعددة، وذلك أن هذه المعابد تحمل في أشكالها وبنائها رموز الفرق الهندوسية، حيث إن لكل فرقة شكلًا خاصًا في بناء معابدها، يعرف الهندوسي بمجرد النظر إليها بأنها لفرقة معينة، كما أن لكل فرقة أصنام معينة في داخلها، والزائر للهند يتعجب من كثرتها وتنوعها ولا يكاد يهتدي إلى أسبابها^(١).

(١) إن دراسة هذه المعابد لمن أهم الأمور لمعرفة الديانة الهندوسية الحالية ورموزها، وهي دراسة ميدانية، تحتاج إلى وقت كافٍ وجهد جبار، ولعلّ هناك من يتجشم لدراستها دراسة وافية فيما بعد.

المطلب الثالث

أهم العبادات في الهندوسية في الوقت الحاضر

إن العبادات الهندوسية في الوقت الحاضر كثيرة ومتنوعة، وهي إما عبادات يومية ويسمونها «نيتا»، أو عبادات خاصة لمناسبات خاصة، ويسمونها «نيميتك»، أو عبادات لحصول مقصد معين ويسمونها «كام»، أو عبادات لتكفير الذنوب، ويسمونها «پزائشچيتا»، وكثير من هذه العبادات تشترط لها الطهارة، وسوف أتحدث عن هذه العبادات بشيء من التفصيل في الفروع الآتية:

الفرع الأول: الطهارة

الطهارة عند الهندوس منها ما هو حسي، وهو الاغتسال بالماء، ومنها ما هو معنوي: كطهارة الروح بالعلوم المقدسة والقلب بالعبادات، وهكذا دواليك، ولهذا الغرض التطهيري نصوا على ما يلي:

إن العلم والنار والطعام والتراب والقلب والماء والطلاي بخي البقر والهواء والطقوس الدينية والشمس والزمّن، كل أولئك تطهّر جسم الإنسان... إن البدن يطهر بالماء، أما الجوف فيطهر بالصدق، ويطهّر الروح بالعلوم المقدسة وبالعبادات، ويطهر القلب بالعلم الصحيح^(١).

يستنتج من النص السابق أمران:

الأول: اعتبار بول البقر مادة للتطهر، ولذلك فإن كهنتهم، في معابدهم وبعد انتهاء طقوسهم، قد يرشون على الناس بول بقر وظنهم أنها تعطي البركة.

(١) مُنُوسْمِرْتِي (٥/١٠٥، ١٠٩). ص (٢٩٨-٢٩٩).

الثاني: الربط بين طهارة البدن وطهارة النفس والروح، وهذا له أهمية عندهم. فهناك تطهير حسي، وهناك تطهير معنوي يتعلق بكيفيات الوصول إلى أهداف الديانة وما يهمنا هنا هو ذكر التطهير الحسي:

لقد اعتمد الهندوس الماء في الطهارة، كما اعتادوا التراب فيها، حيث قالوا: «إن كل شيء يطهر بالتراب والماء»^(١).

وطقوسهم في الطهارة بواسطة الماء نجد منها ما يتفق مع ما جاء في بعض الأديان المشهورة الأخرى، وقد يكون ذلك عندهم مستفاداً من هذه الشرائع السماوية.

فالجنازة عندهم يتم التطهر منها بالاغتسال بالماء، كما جاء في نصوص كتابهم مُنُو سُمَرْتِي: «إذا ما خرج المني من الإنسان فإنه يتطهر بالغسل»^(٢).

وبالنسبة للمرأة كذلك تغتسل بعد الحيض، وأما بعد الإجهاض وإسقاط الحمل قبل أوانه فالواجب معرفة كم من الأشهر مضى على حملها بحيث تقوم بالتطهر بعد عدة أيام هي عدد الأشهر التي مضت على الحمل، ففي مُنُو سُمَرْتِي: «تطهر المرأة بعد الإجهاض بيوم عن كل شهر من أشهر الحمل، وتطهر بعد الحيض بالغسل»^(٣).

ويطهر المرء بالغسل إذا ما لامس شخصاً من الأسفل، أو امرأة حائضاً أو نفساء أو جثمان ميت أو لمس من قد لمس جثمان ميت.

وكل من يموت في معركة أو قتالٍ أو يهلك بصاعقةٍ أو دون بقرة أو برهمي، أو يقتل بأمر الملك، ... لا يتنجس أحدٌ بموته.

وتتفاوت الحالات التي تجعل الإنسان نجساً لا بد له من التطهير، فثمة حالات تستلزم طقوساً معقدة وصعبة، وثمة حالات أخرى تستلزم طقوساً أقل وأسهل، وتندرج الحالات الأخيرة فيما بينها تبعاً لحجم النجاسة.

(١) المصدر السابق (١٠٨/٥)، ص (٢٩٩).

(٢) مُنُو سُمَرْتِي (٦٣/٥)، ص (٢٨٧).

(٣) المصدر السابق (٦٦/٥)، ص (٢٨٨).

ومن الحالات القصوى في النجاسة خرق قانون الطبقات، والتطهر من هذه النجاسة يقتضي شرب خليط من إفرازات البقرة يتكون من: اللبن، والزبد، والسمن، والروث، والبول! ثم ينفي من الهند.

ومن حالات النجاسة الأقل صعوبة، تلك الحالات التي تنتج عن: حيض المرأة، ونفاسها، وملامستها أثناء تينك الفترتين ومسّ جثة، أو منبوذ، أو فردٍ من طبقة الشودرا، أو قذارة، وأكل الأطعمة المحرمة، وتتراوح شروط التطهير من هذه النجاسات فيما بينها، غير أن أكثر أنواع الطهارة يسراً هو: رش النجس بالمياه المقدسة التي توجد في الأحواض والأنهار المقدسة، مثل مياه أحواض المعابد، أو مياه نهر غنغا^(١).

يقول أحد العلماء الغربيين: إن بول البقرة في نظرهم أفضل وسائل التطهير من أي ضربٍ من ضروب النجاسة؛ فكثيراً ما شاهدت هندوً ممن يؤمنون بالخرافة، وهم يتبعون البقر إلى مرعاه، ينتظرون اللحظة التي يستطيعون فيها الحصول على هذا السائل الثمين في أوعية من نحاس أصفر، ويسرعون به إلى دورهم وهو لا يزال دافئاً، وكذلك شاهدتهم يرقبون أخذه في حفلات أيديهم، فيشربون بعضه ثم يمسحون وجوههم ورؤوسهم ببقيته^(٢).

الفرع الثاني: الصلاة وما في معناها

المقصود بالصلاة هنا: العبادات التي تقدم للأصنام مباشرة أمامها، ولها أشكال

متعددة:

أولاً: (پوجا Puja)^(٣):

معناها: تقديم الزهور والفواكه وماء مخلوط من زعفران إلى الآلهة والأصنام

(١) انظر ملخص أحكام هذه الطهارة في مثنو سمرتني (٥/٥٧-١٤٥). ص (٢٨٥-٣٠٩).

(٢) ذكره ول ديورانت: قصة الحضارة (٣/٢٢٦): عن الأب دبوا (١٨٢٠م).

(٣) پوجا خاصة بالبراهمة فقط. انظر ما ذكره پوريش چندر مندل: تعليم الديانة الهندوسية، الفصل السادس ص (٣٦).

والدعاء عندها، والعبادة والاحترام والتسبيح والتمجيد لها^(١).

ولكل إله من الآلهة طقوس وطريقة خاصة لتقديم الزهور والماء وغيرهما، فالبعض يقدم له الماء من كفة اليد، والبعض الآخر يقدم له الماء من ودعة كبيرة^(٢).

ولتقديم «پوجا» عند الهندوس أصول وأركان لا يتم إلا بها، من أهمها الاستحمام، وارتداء الثياب النظيفة ذات اللون الأصفر أو الأبيض، هذا مع غسل الأيدي والأفواه بالماء المعطر، وهيئة خاصة لكل من الرجل والمرأة أثناء تقديم «پوجا»، فالرجل يجلس متربعا والمرأة تجثو على ركبتيها^(٣).

والهدف من وراء هذه الصلاة أو العبادة هو ظهور الإله أمام المقدمين لـ«پوجا»^(٤).

صفة پوجا:

إن لممارسة طقوس پوجا قواعد مرتبة لدى الهندوس، فلا بد من وجود أشياء عديدة في پوجا، أكثرها ستة عشر، وأدائها خمسة، وهذه الخمسة هي: الرائحة العطرية، الزهور، البخور، النور أو النار، الأضاحي^(٥).

وبعد وجود هذه الأشياء يجلس الكاهن في مجلسه الخاص، ويعمل أچمن، وهي عبارة عن أن يمص الإنسان الماء ثلاث مرات، ثم يمسح فمه مرتين، ثم فروج رأسه: الأنف والأذنين، والعينين^(٦)، (ولكل إله كيفية معينة في عملية «أچمن»). ومع عملية

(١) انظر ما ذكره پوريش چندر مندل: تعليم الديانة الهندوسية، الفصل السادس، ص (٣٤).

(٢) القاموس الهندوسي ص (٤١٢) نقلاً عما ذكره الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٠٣) ..

(٣) انظر ما ذكره الدكتور أسعد السحمراني: مقارنة الأديان، الهندوسية والبوذية... ص (٤١).

(٤) Louis Renon: Hinduism: p.14-16 نقلاً عما ذكره الشيخ أبو الحسن الندوي: الأركان الأربعة ص (٧٣-٧٤).

(٥) أي ذبيحة معينة يقتلون بها بعد أمام الصنم، وهذا من بقايا العبادات الفيدية.

(٦) انظر مَنُو سَمَرْتِي (٢/ ٥٧-٥٩)، ص (٦٦).

أُجْمَن يَذْكُر فِشْنُو، ثم يتلو الكاهن أورادًا من القيدات، ثم يقدم الزهور والأخشاب العطرية والصندل إلى فِشْنُو (نارين)، ثم يقدم شيئًا للشمس، ثم يعقد النية عقدًا جازمًا على أنه سيكمل پوجا، ثم يقدم شيئًا مَّا للأصنام، ثم يطهر الماء والمجلس والزهور، ثم يطرد الأرواح الشريرة حتى لا تعيق عملية پوجا، ثم يمارس بعض أنواع يوغا مثل پُرنَايَاْم، وهي عبارة عن ضبط النَّفْس بطرق خاصة^(١)، ثم بعد هذا كله يُعبد غانيش لحصول المرام، ثم يُعبد شِئْنًا وأربعة آلهة أخرى، وبعد هذا كله يبدأ في عبادة الإله المعين أو الإلهة المعينة المقصود عبادتها، وإذا كان الإله من الأصنام المجسدة، فإنه لابد أن تثبت فيه الروح والعينان بقراءة أوراد معينة - كما يظنون -، ويختلف بعد هذا طريقة العبادة لكل منها.

وبعد انتهاء عملية پوجا يُقدَّم للكاهن بعض المبالغ تكريمًا له، وفي الأخير يستعفي من الإله ويستغفره إذا حصل أي قصور في تقديم پوجا له، ثم يقوم بالتحية والتسليم، وفي النهاية لابد أن يُرمى الإله في الماء أو النهر الجاري^(٢).

إذن إن پوجا لها أركانٌ ثلاثة رئيسة، وكل واحد منها يؤدي منفردًا، ويعتبر پوجا، إلا أن الصلاة التي تؤدي في المعبد برفقة الكاهن لابد أن تجمع هذه الثلاثة كلها، وهي:

١ - أُجْمَن: Ashman، وقد سبق شرحه قبل قليل.

٢ - آرْتِي: The Worship of Light: حيث توضع في طبق كبير رموز للعناصر الخمسة (الأرض والماء والسماء والنار والهواء) وتشعل النار في وسط الطبق ويدار به الطبق بين الناس وكل واحد يضع فيه النقود حسب استطاعته، والكاهن يوزع بين المصلين الفواكه الجافة رمزًا للمحبة الإلهية لهم، وهذا الطعام المقدس يسمّى «پرشاد» prasad.

(١) سيأتي التفصيل فيها عند الكلام على الرهبة الهندوسية.

(٢) مختصرًا مما ذكره الدكتور پوريش مندل: تعليم الديانة الهندوسية، تعليم كيفية پوجا، ص (٣٠).

٣- بهجن Bhajan، وذلك بتغني الأشعار من الفيدات، وتخصص الهندوسية معابدها للغناء والموسيقى والرقص لكونها من أهم مظاهر العبادات لديها^(١).

أنواع «پوجا»:

وهي تنقسم من حيث كيفية أدائها إلى قسمين:

(١) في البيت منفرداً، وتؤدي صلاة فردية محضة، كما تؤدي صلاة فردية مع أفراد الأسرة.

وذلك كأن تقوم الأسرة في المنزل في وقت الفجر وتنشد أناشيد مصحوبة بصوت الموسيقى ودقات الأجراس لتوقظ الإله من نومه، ثم يفعلون الفعل نفسه في المساء من أجل أن ينام.

وفي بعض الصلوات تقوم المرأة بارتداء «ساري» أبيض وطريحة بيضاء وتقدم في الصباح الباكر بعض أصناف الطعام لتمثال الإله، وتقف أمامه في حالة خشوع وقد ضمت كفيها أمام صدرها.

وتؤدي الصلاة على هذا النحو أو ذاك؛ اعتقاداً من العامة بأن الآلهة تحل بذاتها في صورها وتمثيلها، وأنها تأكل وتشرب وتنام كأي بشر، ولها القدرة على المنح والمنع، وتُعامل التماثيل كأنها ذات واعية، كما يعتقد العامة أنها تبسم وترفع يدها لتبارك رعاياها وتصدر أوامرها غير المرئية إلى من حولها.

(٢) في المعبد برفقة الكاهن، ولها صورتان:

❖ صلاة برفقة الكاهن واتباع ترانيمه.

❖ صلاة برفقة دون اتباع الترانيم.

إن طقوس الصلاة في المعابد يؤديها الكهنة يومياً^(٢)، يقوم الكهنة قبل طلوع

(١) انظر : The Religion in Twentiethr.

(٢) يذكر علماء الهندوس أن عدد مرات الصلاة اليومية ستة، قبل طلوع الشمس، وبعد طلوع =

الشمس بإنشاد بعض الأغاني التي تدعو الآلهة للاستيقاظ ثم يقدمون إلى تماثيل الإله بعض الحلوى والكعك، وأثناء تناول الإله الطعام تدق النواقيس وتقرع الطبول^(١)، وبعد ذلك يمثلون كأن الآلهة تستحم، ويلبسونها ملابسها؛ حيث يجلس الكهنة أمام ألواح لامعة من النحاس تعكس صور الآلهة، ويمثلون أنهم ينظفون لها أسنانها، ويغسلون أفواهها، وتصب المياه في أوعية نحاسية، ثم يلبسون الآلهة ملابسها، وعندئذٍ يسمح للجماهير بالدخول عليها لتقديم النذور والقرايين لها وبعد ذلك يحل موعد الإفطار الذي يتكون من الأرز المسلوق المخلوط بالسكر.

وفي حوالي العاشرة تتناول الآلهة طعام الإفطار مرة أخرى ثم تغير ملابسها، وبعد تناول طعام الظهيرة يحضر الكهنة السرير أمام تماثيل الإله لينام فوقها قليلاً وقت القيلولة، وفي المساء تتناول الآلهة طعام العشاء، وعند منتصف الليل تغطي تماثيلها بالزهور من رأسها حتى قدميها، وتوضع الورود بالقرب من أنفها لتشتم عبيرها، وأخيراً تعزف لها الموسيقى، وتنشد لها الأغاني، ثم توضع على الأسرة لتنام، بحيث يكون كل زوج مع زوجته^(٢).

ثانياً: يَگيا أو القرايين والتقدمات وما في معناها:

كانت الديانة «الهندوسية» تستخدم الذبائح في معابدها وتمارس طقوساً معقدة ثم كُفّت شيئاً فشيئاً عن القرايين الدموية، وتحولت إلى أنواع أخرى من القرايين، والتي يسمى «ياگ» أو «يَگيا»، وهو إشعال النار في مكان معين، وقراءة أناشيد خاصة من

= الشمس، وعند الظهيرة، وقبل غروب الشمس، وبعد غروب الشمس، وفي الليل. انظر ما ذكره الدكتور پوريش مندل: تعليم الديانة الهندوسية ص (٣٤-٣٥).

(١) إلا أنه في عبادة بعض الآلهة يمنع استخدام الطبول، مثل عبادة براهما، انظر ما ذكره پوريش مندل: تعليم الديانة الهندوسية ص (٣٣).

(٢) انظر ما ذكره پوريش مندل: تعليم الديانة الهندوسية ص (٣٤-٣٥)، وقد ذكر ستة أعمال واجبة في اليوم والليلة، وانظر ما ذكره محمد عثمان الخشت: مقارنة الأديان القيدية والبراهمانية والهندوسية ص (١٢٢-١٢٣).

«القديدات» و«الأوبانشادات» لاستجلاب حب الآلهة، وطلب الكفارة للذنوب، وترسيخ قوائم السلطة، وتقديم الشكر والامتنال للآلهة، وقد أجريت فيه تعديلات كثيرة^(١).

وهناك نوع من القرابين يسمّى «يُگْيَا» في الهندوسية، وتعني أن يقوم كل واحد بتقديم القرابين للإله الذي يعبد هو أو باسم الأجداد مثلاً كالإلهة «كالي» مثلاً، فهي تعشق الدماء فتعبد بتقديم قرابين الماعز لها، وقديماً كانت تسرها قرابين الإنس، بينما ترضى الإلهة اللطيفة لكشهمي إلهة الثروة بما يقدم إليها من الفواكه والزهور، فعقيدة القرابين هي أن تتقرب إلى إله المحبوب بتقديم الشيء الذي يحبه الإله، فهذه القرابين متنوعة، منها:

❖ ما يقدم يوميًا، ويسمّى نيّتا، وهو خمسة أشياء^(٢):

أ- برهما يُگْيَا: أو عبادة برهم؛ هي: أن يقوم المرء بتعليم فيد، وقراءته.

ب- پتري يُگْيَا: وهي: أن يقدم المرء ماءً، عن روح أجداده، ويسمون عملية تقديم الماء: «ترپن»، أي: إرواء الجسم. وكيفية ذلك؛ أن يأخذ المرء ماءً، في وعاء كبير، فينقله بكفّيه إلى وعاء آخر، وهو يذكر أسماء أجداده، واحدًا بعد واحد، ثم يأخذ هذه المياه، ويصبها في أصل شجرة، أو في مكان مرتفع لا يوطأ بالأقدام، أو يصبها في مجرى ماء؛ لأنها تكون أصبحت مياهًا مقدسة.

ج- دِيف يُگْيَا: هو القيام بعبادة «هوم»، وهي أن توقد النيران، ويلقى فيها: سمن، وسكر، وشعير، وسمسم، وأرز، وشيء من البخور، وتقرأ - حينذاك - بعض العزائم الخاصة، وذلك؛ مرتين في اليوم، صباحًا ومساءً.

د- بهوت يُگْيَا: هو أن يؤخذ رغيفٌ، ويقرأ عليه شيء من العزائم الخاصة، ثم يقطع قطعًا؛ فتطعم منها: البقرة، وطيور السماء، وديدان الأرض.

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٠٣)، والشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٢٦١).

(٢) انظر ما ذكره برمود بندهو شين غوبت: دهرم درشن ص (٤٧١-٤٧٢).

هـ - دهنش يگيا: هو إطعام ابن السبيل، والضيف^(١).

ومنها: ما يقدم لمناسبات خاصة، مثل شراده، وهي تعني: التقدمة التي تقدم للآباء والأجداد^(٢)، وقد أوجبت الديانة الهندوسية أن يدعى عند القيام بها عالم برهمي، وأن يطعم البرهمي العالم بالقيّد خاصة؛ أو بتعبير آخر: هو حفل تثبيت الميت في سجل الأموات، ويجب أن تقدم هذه الشرادة بعد موت الميت بثلاثة عشر يومًا، أو بعد موته بسنة واحدة، وإلا لا تثبت الروح في سجل الأموات فيخيف الحي القريب للميت، أو يضره^(٣).

❖ ومنها: ما يقدم لحصول مقصد معين، مثل: القرابين للحصول على الولد المعروف بـ«پُترِستهي يگيا».

❖ ومنها: ما يقدم لتكفير الذنوب، مثل «أشفاميده»^(٤) يگيا.

ثم إن هذه القرابين نوعان: جماعية وفردية: والقرابين الجماعية تقدم لصالح العالم، والفردية لصالح الأسرة، والكاهن هو الذي فقط يتولى شئون القرابين^(٥).

ثالثًا: الذكر وما في معناه:

الذكر يسمّى بـ«جف»، والهندوس يرون الذكر في العصر الحالي «عصر كلي» هو الذي يأتي بالنجاة، يقول أحدهم من القرن المنصرم: «إنه ليس هناك طريق إلى النجاة غير ترداد اسم «هري» (كريشنا/ فِشنُو) في عصر «كلي»^(٦).

(١) انظر مُنُو سُمَرِتِي (٧٠/٣)، وتعليق المترجم عليه ص (١٤٠).

(٢) إذن للآباء والأجداد قربانان، قربان في كل يوم، يسمّى ترپن، وقربان بمناسبة موتهم، ويسمّى شراده، وفيها تفاصيل كثيرة في كتب الفقه الهندوسي، مثل مُنُو سُمَرِتِي، انظر الباب الثاني منه.

(٣) انظر مُنُو سُمَرِتِي (٨٣/٢)، و(١٣٢-١٢٢)، و(٢٤٧-٢٤٨)، مع التعليق عليه من المترجم.

(٤) الفاء في هذه الكلمة لا تقرأ، بل تعطي القوة في النطق للحرف السابق.

(٥) راجع أيضا ما ذكره أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى ص (٣٤).

(٦) سري رام كريشنا ديفير أوباديش، (مواعظ سري رام كريشنا ديفير)، ص (٤٤)، وانظر تعليم الديانة الهندوسية ص (٣١).

ولهم حفلات لأجل الذكر، يرددون كلمة: «هري كريشنا، هري رام».

وهناك من يردد كلمة «أوم».

والمقصود: إن من أهم العبادات لدى الهندوس، الذكر الذي يسمونه بـ«جف».

رابعاً: تلاوة الأوراد (ويسمى تاب):

على الهندوس أن يبدؤوا كل يوم بالغسل، ثم تلاوة «ورد غايتري» أو غايتري مترا، طلباً من الإله الهداية والإرشاد، وعلى كل طبقة من طبقات الهندوس إلا الشودرا، أن يتلو هذه الأوراد مرتين في اليوم:

(١) الصباح الباكر.

(٢) عند غروب الشمس. وفي هذا يقول منو:

(٢/١٠٠): على المصلي: أن يقرأ في صلاة الصباح «غايتري» في قلبه، وهو واقفٌ على قدميه، من انبلاج الفجر، حتى مطلع الشمس، ويقرأها في صلاة المساء، وهو جالسٌ؛ إلى ظهور النجوم.

(٢/١٠١): إن صلاة الصباح بهذه الطريقة؛ تذهب كل ذنوب الليل، وصلاة المساء؛ تذهب كل ذنوب النهار).

(٢/١٠٢): إن من لا يؤدي هاتين العبادتين، قائماً في الصباح، وجالساً في المساء؛ يجب أن يطرد كالشودرا، ويمنع من أداء الواجبات الدينية، ويحرم من حقوق المولودين ثانية.

(٢/١٠٣): لا بأس بأن يقوم المرء بالعبادات؛ حتى لو بقراءة غايتري وحدها، وذلك؛ بالقرب من نهرٍ أو في غابةٍ، وهو مطمئن البال، مستجمع الفكر.

وهذه الأعمال من العبادات اليومية، التي تسمى نيتاً^(١)، حيث توجد في كل بيت البرهمي غرفة صغيرة كالمعبد للأسرة، وهم يتلون فيها هذه الأوراد أمام صنمها الشخصي، وهذه العبادة تعدّ من شعائر الهندوسية المفروضة يؤديها الفرد في منزله.

(١) انظر ما ذكره برمود بندهو شين غوبت: دهرم درشن ص (٤٧١-٤٧٢).

الفرع الثالث: الصدقات أو العطاء

إن الصدقة واجب ديني عند الهندوس، قال مُنُو: «إن السخاء والعطاء واجب على الجميع»^(١) ولكنهم حصروا الذين ينالون الصدقات والإعانات في طبقة خاصة هي طبقة البراهمة، وبعض طوائف النساك المعروفة الأخرى، فهم وحدهم يستحقون المنح والعطاء والصدقة (DAKSHINA) دون طوائف المجتمع الأخرى، أما جزاء هذه الصدقة وثوابها فهو على مقدارها وكميتها.

وهكذا عاش عامة النساك الهندوسيين عالة على الصدقات، فتجد جماعة من الهندوس لا يكسبون عيشهم بكّد اليمين وعرق الجبين، ولا يقدرّون على ذلك، إن نظام التسوّل الواسع النطاق توارثته الأجيال في الهند منذ زمن عريق في القدم، ولا شك في أن عبء هذا الجيش من المتجولين والمتسولين كان ثقيلاً على الطبقات الكادحة الفقيرة في المجتمع في جميع الأحوال. ...

وكانت هذه العطايا والمنح تنقسم إلى نوعين:

الأول: وقف العقارات «الأبنية والبيوت» وغلّات القرى، أو دفع العشر من دخل الفرد في الصدقة، وكان البراهمة - علاوة على ذلك - ينالون الشيء الكثير من الصدقات في الأعياد والمهرجانات الدينية، والتقاليد الاجتماعية نقوداً وطعاماً، ويدخل في ذلك ما يأخذه المتسوّلون المتجولون من متاع وأثاث من القرويين الجهلاء بسبب عقائدهم الخرافية التي يدينون بها، وبما كان يساورهم من خوف ووجل، إذا منعوا هذه الصدقات، وردّوا هؤلاء المتسوّلين خائبين محرومين.

وكان عدد الصدقات التي كانت تعتبر أفضل الصدقات MAHA DAN يتراوح بين عشرة وستة عشر نوعاً، أهمها الذهب وتليه الأبنية وغلّات القرى، ونحو ذلك، وكان أهم نوع من صدقة الذهب الذي يعلوها قيمة وأجرًا ما يسمّى بـ«TULA DAN»

(١) انظر مُنُو سُمرِتي (٣/ ٩٤، ٩٥، ٩٦)، و(٤/ ٢٢٧ - ٢٣٥)، (١١/ ١ - ٢).

أو TULA PURSA كان المعطي يزن نفسه بالذهب، ثم يقسم ذلك الذهب في البراهمة الموجودين، ويقال: إن أميراً هندوسياً في «قنوج» تصدق مائة مرة بهذه الصفة، وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي، وقدم هذا النموذج وزير في ولاية صغيرة في «بهار» تسمى (MITAHALA) في القرن الرابع عشر، وقد ذكر الرحالة الصيني المعروف بـ«هيو إنغ شانغ» HI VEN TSANG أخباراً عجيبةً مذهشةً لملك قنوج (SILADITYA) فقد كان يتصدق بكل ما كان يملكه من أسباب ومتاع بعد كل خمس سنوات، وكانوا يستبدلون الفضة بالذهب أحياناً، وكانت البقرة المصنوعة بالذهب، أو زهرة «كنول» ظاهرة هامة في التقليد الذي يسمّى بـ«الزنار». وكانت هذه البقرة تحطم عند نهاية مهرجان خاص بهذا التقليد تكسر وتوزّع في البراهمة، أو توقف على معبد، وكان الأمراء والأغنياء يهبون أواني الذهب والفضة المستعملة لضيوفهم، أما الوقف على زوايا البراهمة من محصول الأرض ونحوه، فإنه من التقاليد القديمة في الهند، ورد ذكرها في حفريات «أشوك»، ويروى أن هذا الملك منع قسراً عن هذا الإسراف في الصدقات والعطايا في الأيام الأخيرة من حياته، الذي كاد يودي بنفسه وأسرته.

إن الأوقاف التي تُحبس على الأمور الخيرية، هي التي تدرّ على المؤسسات الدينية في جنوب الهند، وتقوم بنفقاتها، وبكفالة النساك والعباد المقيمين فيها، أما شمال الهند فلا يوجد فيه هذا النظام بهذا الشكل الواسع والعناية الفائقة.

وهناك نوعٌ آخر قديم من الصدقة، هو تقديم المنح والعطايا لمستشفيات الحيوانات، إن هذه المؤسسات والمستشفيات قديمة جداً، في بعض الأماكن، يعنى فيها بالأبقار المريضة والضعيفة الهزيلة، فتجد فيها العلف، والماء، والمأوى، وذلك شيء يتبرع له الصالحون بكل سخاء، ويتبرع له المتحمسون منهم يومياً، ومقدار هذا النوع من الصدقة كثير جداً في هذه البلاد^(١).

(١) هكذا نقله الشيخ أبو الحسن الندوي عن بعض الغربيين: انظر الأركان الأربعة ص (١٣٣) - (١٣٤).

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي رَحِمَهُ اللهُ إِنَّ الْبِرَاهِمَةَ كَانُوا هُمَ الْمَحُورَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَدُورُ حَوْلَهُ هَذَا النِّظَامُ الْكَبِيرُ لِلصَّدَقَاتِ، وَالَّذِي يَمْتَدُّ عَلَى حَقْبَةٍ طَوِيلَةٍ فِي التَّارِيخِ، وَرَقْعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَيُرَدِّفُ الْبِرَاهِمَةُ النَّسَاكَ، وَهَكَذَا نَشَأَتْ فِي الْمَجْتَمَعِ الْهِنْدُوسِيِّ طَبَقَةٌ بَقِيَتْ عَالَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَى الصَّدَقَاتِ وَالْإِعَانَاتِ، وَعَاشَتْ غَنِيَةً بِالِاسْتِجْدَاءِ وَالتَّكْفُفِ، أَمَّا مَا جَرَّ ذَلِكَ مِنْ قَبَائِحِ خَلْقِيَّةٍ، وَاسْتِغْلَالٍ وَانْتِهَازِيَّةٍ، وَتَوَاكُلٍ وَكُسَلٍ، وَبَطَالَةٍ، وَإِخْلَادٍ إِلَى الرَّاحَةِ، فَهُوَ شَيْءٌ طَبِيعِي لَا يَعْسُرُ فَهْمَهُ أَوْ تَقْدِيرَهُ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ.

وَفِي جَانِبٍ آخَرَ اخْتَصَّ أَكْبَرَ جُزْءٍ مِنْ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ وَالْعَطَايَا بِالْبَقَرَةِ فَحَسَبَ، مِنْ أَجْلِ تَقْدِيسِهَا، وَأَنْفَقَتْ عَلَيْهَا مَبَالِغَ بَاهِظَةٍ بِخَسَتْ حَقَّ ذَوِي الْحَاجَةِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَأَفْرَادِ الْأُسْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي كَرَّمَهَا اللَّهُ^(١).

الفرع الرابع: الصوم وما في معناه

الصوم واجب على رجال الدين والنساک والزهاد، وللصوم طرق كثيرة، من أشهرها:

- ١- ترك الطعام والشراب ليلاً ونهاراً بدون إفطار لأيام غير محدودة.
 - ٢- اجتناب الغلات دون الماء واللبن بقدر الحاجة.
 - ٣- أن يأكلوا أياماً في الظهيرة فقط.
 - ٤- أن يأكلوا بعد غروب الشمس مرة واحدة فقط.
- وقد توجد جماعات من الزهاد والنساک في الغابات وعلى جبال هماليا وهم يصومون ولا يفطرون إلا بنبات خاص يعصر في حلوقهم ممارسين لليوغا فيبقون على قيد الحياة شبه الميتين، ولا يزالون على هذه الحالة حتى يموتوا^(٢).
- وأما عامة الناس فعندهم أيام الصوم محدودة مثل أن يعين الشخص لنفسه أن

(١) المصدر السابق، ص (١٣٥).

(٢) انظر ما ذكره الشيخ الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٠٤).

يصوم يوم كذا واليوم العاشر والحادي عشر من كل شهر قمري، وأيام مولد «كريشنا» و«رام» و«پرهلاد» ووقت كسوف الشمس والقمر، ويوم النصر على أعدائهم مثل يوم نصر «رام» على «رابن» وليس شيئاً واجباً عليهم، وإنما هو من التطوع^(١).

فالصوم في الهندوسية إما تطوع، وإما فريضة.

أما التطوع: فقد أورد البيروني كثيراً من أصنافه، منها:

- صيام أوباس: وهو الصيام الذي يعين فيه الشخص اليوم الذي يصومه، وينوي في داخله اسم من يصوم له سواء كان إلهاً أو ملاكاً أو غير ذلك، ثم يجعل طعامه في اليوم الذي قبل يوم الصيام عند الظهيرة، وينظف أسنانه بالتخليل والسواك، وينوي صوم الغد، ثم يمتنع عن الطعام، فإذا أصبح يوم الصوم استاك ثانية، واغتسل وأقام فرائض يومه، وأخذ بيده ماء ورمى به على جبهته، وأظهر اسم من يصوم له بلسانه، ثم يبقى على حاله إلى غد يوم الصوم، فإذا طلعت الشمس فهو بالخيار في الإفطار، إن شاء في ذلك الوقت، وإن شاء أخره إلى الظهيرة.

- صيام كرجر: وهو أن يأكل في وقت الظهيرة، وفي اليوم الثاني وقت العتمة، ولا يأكل في اليوم الثالث إلا ما يدفع إليه غير مطلوب، ثم يصوم اليوم الرابع.

- صيام براك: وهو أن يجعل الإنسان طعامه وقت الظهيرة ثلاثة أيام متوالية، ثم يحوله إلى وقت العتمة ثلاثة أيام متتالية، ثم يصوم ثلاثة أيام متتالية لا يفطر فيها البتة.

- صيام چندراين: وهو أن يصوم يوم الاستقبال (وهو يوم مرتبط بميقات فلكي)، ويتناول في اليوم الذي يتلوه من الطعام قدر مضغة ملء الفم، ثم ضعفها في اليوم الذي بعده، ويجعلها في اليوم الثالث ثلاثة أضعافها، إلى أن يبلغ يوم الاجتماع (يوم مرتبط بميقات فلكي) على هذا التزايد فيصومه، ثم يتراجع من المقدار الذي بلغه طعامه بنقصان مضغة إلى أن يفنى عند استقبال بلوغ الاستقبال.

- صيام ماسواس: وهو الصيام أيام شهر متوالية لا يفطر فيها أبداً.

وأشار البيروني إلى بعض الطقوس التي ترتبط ببعض أنواع الصيام؛ حيث يجتنب الصائم اللحم والسمك والحلوى والنساء، ويجعل أكله مرة كل يوم، ويجعل الأرض وطاه من غير فرش ولا ارتفاع عنها بسرير.

وفي بعض أنواع الصيام: يتلو الصائم بأخشاء (روث) البقر ويفطر بلبنها وبولها وأخثائها (روث)...^(١).

هذا عن صوم التطوع، أما صوم الفريضة فقسمان:

القسم الأول: صوم الطبقات الدنيا:

وهو صيام أوائل فصول الخريف والربيع والشتاء والصيف، وصيام اليومين الأول والرابع عشر من كل شهر قمري، أي عند ظهور الهلال، واكتمال القمر بدرًا، كما يجب الصيام أثناء كسوف الشمس بالامتناع عن الأكل والشرب والجماع.

القسم الثاني: صوم الطبقات العليا:

وهو الصوم المفروض على البراهمة والكهشترية؛ حيث يحرم عليهم الانتفاع بشيء من الأطعمة كان في منازلهم عند الكسوف؛ ويجب عليهم التصديق بها على الطبقات الدنيا بعد تحطيم الآنية التي كانت فيها الأطعمة.

وتفرض قوانين منو الصيام على الطائفة السيناتا Sinata، وهم صفوة البراهمة؛ حيث يجب عليهم الامتناع عن الأكل والشرب والنوم والسفر كل يوم من غروب الشمس إلى غروب الشفق الأحمر^(٢).

كما أن من الأعياد، والأيام المحتفل بها في السنة، ما خُصِّص للصوم الذي تقصده به تزكية النفس، إن كل طائفة من الطوائف الهندوسية تخصص لنفسها أيامًا تقضيها في الدعاء

(١) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص ١٣٤-١٣٥.

(٢) انظر ما ذكره علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة ص (١٩٠).

والعبادة، ويصومها أكثر أفرادها كذلك، فيكفون عن الطعام، ويسهرون الليل كله، ويبيتون، يتلون الكتب المقدسة ويراقبون الإله الذي يعبدونه، ومن أعم هذا الصيام، وأكثره انتشاراً في الطوائف المختلفة «ويُكَنِّتُهُ إِيكَادَشِي»، الذي ينسب إلى فِشْنُو فلا يصوم ذلك اليوم أتباع فِشْنُو فحسب، بل يصومه أكثر الناس، فيصومون نهاره ويسهرون ليله.

ومن الأيام ما يصومها النساء فقط، ويدعون الإلهة «مظهر صفات الإله النسوية» في مختلف مظاهرها، وتسمى هذه الأيام لأهميتها الخاصة بـ«بَرْت» أو العهد، وقد خصصت لتزكية الروح^(١).

ولا يزال البراهمة يصومون في اليوم الحادي عشر والثاني عشر من كل شهر هندي، ويبلغ عدد الأيام التي تُصام عند البراهمة ٢٤ يوماً في كل سنة، إذا حافظوا عليها، وتقيدوا بها، ومنهم من يصوم أربعين يوماً على التوالي^(٢).

الفرع الخامس: الحج وما في معناه

يسمى الحج بلغتهم: «ياترا»^(٣) وهو السفر أو الرحلة أو الخروج إلى أي مكان^(٤).

والمقصود من ياترا:

المقصود من «ياترا» في الهندوسية شيثان:

الأول: زيارة الأشخاص المعظمين، والقصد منه: الاستماع لمواعظهم، والاستمتاع بصحبتهم.

(١) OUTLINE OF HINDUISM، CHAPTER 4، SECTION-6 نقلاً عما ذكره الشيخ أبو

الحسن الندوي: الأركان الأربعة ص (١٨٨).

(٢) المصدر السابق، وأشار إلى كتاب «السيرة النبوية» للعلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله (٢٨٦/٥-٢٨٧)، كما أشار مؤلف ذلك الكتاب إلى دائرة المعارف البريطانية (١٠/١٩٣)، ولم أطلع عليهما بعد.

(٣) يقول الدكتور محمد الأعظمي: معناها: عبور النهر.

(٤) انظر معجم سنسكريتية ص (١٢٤) باللغة الإنجليزية.

الثاني: زيارة المواضع والأمكنة المقدسة عندهم والأمكنة التي يرون لها شرفاً عظيماً وقدساً خاصاً لعبادة الأصنام في تلك الأماكن والبقاع لحصول البركة والقرب أو الوصول والمعرفة^(١).

أهمية الحج أو «ياترا» عند الهندوس:

«ياترا» أو الحج عند الهندوس من العبادات الاختيارية، ومع ذلك يعتبر من أهم الطقوس الهندوسية، فهو يعكس إيمانهم بتقديس بعض الأماكن المرتبطة عندهم إما بذكرى حدث مهم، أو بحلول الآلهة فيها، وتلك الأماكن المقدسة إما فوق الجبال أو في السهول، حيث توجد صخور نسجت حولها الأساطير والخرافات، أو إلى بعض الأنهار؛ حيث توجد مواضع معينة وهياكل على طول مجاري تلك الأنهار، يقف عندها الهندوس خاشعين متعبدين، فالرحلة هي الحج الأصغر، والخلاص من الآثام هو الحج الأكبر - كما يزعمون -

وقت الحج:

الأسفار الهندوسية لا تعين أي وقتٍ خاص لأداء فريضة الحج، بل يستطيع الهندوسي أن يؤدي حجه في أي وقت استطاع.

أماكن الحج:

توجد في الهند آلاف من الأماكن المقدسة التي يحج إليها، وهي تنقسم قسمين:

(١) الأماكن الطبيعية: مثل الأنهار، والغابات، والجبال والكهوف.

(٢) الأماكن التي تنسب إلى آلهتهم أو شخصيات مقدسة عندهم.

وعلى العموم: الهند هي مملكتهم المقدسة؛ إذ يصح للحاج أن يزور أي مكانٍ من تلك الأماكن ليكون حاجاً؛ فإن الهند عندهم مركز العالم، والهند للهندوس فقط، حتى أصبح المثل يقول: «حتى تكون هندوسياً يجب أن تسكن الهند فقط».

(١) انظر ما ذكره أبو الحسن الندوي: الأركان الأربعة ص (٢٨٥).

ومواضع الحج الهندوسي تنقسم إلى ثلاثة أشياء:
الأول: زيارة الأماكن المقدسة، من أهمها:

- (١) دواركا (DWARKA).
 - (٢) جگنّات پُوري (JAGANNATH PURI)
 - (٣) باذرِكَا أَسْرَم (BADERKA ASRAM)، أو بُرِنْدَابَانْ.
 - (٤) راميشور (RAMESHWAR).
 - (٥) بنارس (VARANASI).
 - (٦) أيودھيا، بلدة رام، السابق معنا في قصة راماین.
 - (٧) مَتُهُورَا، بلدة كريشنا السابق الذكر معنا في قصة غيتا.
 - (٨) إله آباد: (ELAHABAD) بلدة اجتمعت فيها الأنهار الثلاثة المقدسة لديهم.
 - (٩) هَرِدُوار، أو بوابة الإله، (بوابة المعبود)^(١).
- الثاني: زيارة الأنهار المقدسة، للاغتسال والموت والإحراق على ضفافها، من أهمها:

- (١) نهر غنغا.
- (٢) نهر يامونا.

وقد اجتمع هذان النهران في مدينتي «بنارس» و«الله آباد»، والذي يسمّى «تري بيني سنغم» (مجتمع الأنهر الثلاثة^(٢))، ولهذا أصبحت مدينة بنارس من أهم البقاع المقدسة التي يقصدها الحجاج، وعندما يرون قباب الهيكل من بعيد ينبطحون على الأرض، ويهيلون تراب الأرض على رؤوسهم كرمز للاستسلام الروحي، ثم يتقدمون فرحين

(١) هذه الأماكن أغلبها في الولايات الشمالية الغربية.

(٢) والنهر الثالث: سرفاتي.

للاستحمام في النهر، ويعتقدون أن هذا الحج يغفر كل ذنوبهم، وإذا ما مات أحدهم في هذا المكان المقدس بعد التطهير؛ فإنه ينتقل في زعمهم إلى فردوس الإله شيفا؛ حيث يحيا في سعادة^(١)، ولهذا يؤثرون الموت في هذه المدينة، وتُنقل إليها الجثث من النواحي البعيدة، لتُحرق هناك أو تُترك في النهر على اختلاف العقائد والعادات والطوائف الهندوسية.

والجدير بالذكر: أن مدينة بنارس لها قدسيته منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد، ولا يقصدها الهندوس فقط، بل يقصدها كذلك البوذيون، ويبلغ عدد الذين يحجون إليها سنوياً ملايين من الحجاج^(٢).

ومن الأنهار الأخرى المقدسة التي يحج إليها الهندوسي:

(١) نهر سندهو/ سند

(٢) نهر غوداوري.

(٣) نهر نرمدا.

ثالثاً: زيارة المعابد المقدسة:

هناك معابد مشهورة في الديانة الهندوسية يزورونها، فيطوفون حولها لإظهار احترامهم، ومحبتهم للإله الذي ينتسب المعبد إليه، وهي كثيرة ومتنوعة. وهنالك مشاهد وشواطئ، ومعابد مهمة تعدّ بالعشرات في شبه القارة الهندية، تختلف فيها العادات والتقاليد باختلاف الأقاليم والمناطق، وباختلاف الطوائف التي تدين بها^(٣).

(١) انظر ما ذكره حبيب سعيد: أديان العالم ص (٨٢).

(٢) انظر ما ذكره الدكتور محمد عثمان الخشت: مقارنة الأديان: البذية والبراهمانية والهندوسية ص (١٢٢).

(٣) راجع ما ذكره الشيخ أبو الحسن علي الندوي: الأركان الأربعة ص (٢٨٦).

خطوات الحج الهندوسي:

١- يجب على الزائر أن يترك الأهل والأقارب، ولا يتصل بهم فترة حجه أبدا ولا يفكر فيهم.

٢- وعند الميقات وهو مسافة كيلومتر من بيته يتخلى عن لباسه، فيحلق ويغتسل ويختار لباس الإحرام، وهو قميص طويل وإزار بلون أصفر، أو ملابس بلون أبيض (حسب الفرق والملل)، يأخذ عصا من القصب الهندي، ويعلق على طرفها نوعا خاصا من الآنية للماء، ويخرج مرتلا الورد الخاص وهو: هري كريشنا هري رام...

٣- من الأفضل أن يمشي على قدميه، وهو واجب على البرهمي، وتطوع على غيره^(١).
٤- ثم يدخل الحاج الهندوسي في أماكن مقدسة للحج، وبعد أداء العبادات المعينة، يعتبر أنه قد وُلد حياةً جديدةً أي حياة روحية وأصبح مقدسًا.

الفرع السادس: النذور

تعد النذور في الهندوسية من العبادات المهمة، وتتفاوت النذور بتفاوت قدرات مقدميها ورغباتهم التي يريدون تحقيقها من وراء النذر، والنذر عندهم: إلزام الناذر نفسه بأداء قربة معينة للآلهة أو للآله إذا ما تم تحقيق رغبة له.

والنذور التي يقدمها الهندوس قد تكون تقديم زهور للآلهة أو نقود أو مجوهرات أو أي شيء ذي قيمة، وأحيانًا يكون النذر أداء عبادة من العبادات مثل الصيام أو ذكر الإله، وفي بعض الحالات يلزم الناذر نفسه باعتزال الحياة الاجتماعية، أو الصوم عن الكلام.

وقد يأخذ النذر أشكالا قاسية؛ حيث يُربط الناذر رجله ويديه بقطعة من قماش، ويعلق في خطاف، ويترك متدليًا على هذا النحو لمدة ما حسب المحدد في النذر. والأشد

(١) الدكتور محمد الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٠٧).

قسوة من ذلك النذر الذي تتبع به الطريقة المسماة بالاستلقاء الثماني، أي بثمانية أعضاء هي: الرأس، والصدر، والركبتين، والقدمين... حيث يقوم الناذر بالذهاب من منزله إلى معبد قد يكون في بلدة أخرى غير بلدته ربما تبعد أكثر من خمسمائة ميل، ويذهب الناذر إلى هذا المعبد بأن يقطع المسافة نومًا متتاليًا على الأرض؛ حيث يستلقي نائمًا على الأرض ماذًا يديه ورجليه ولا مسًا الأرض بأعضائه الثماني، ثم يعلم علامة بأصابعه، ثم يقوم ليستلقي مرة ثانية واضعًا قدميه حيث كانت العلامة، ثم يقوم ليستلقي مرة ثالثة كأنه يشبر الأرض بجسده وهكذا حتى يصل إلى المعبد! ومن النذور التي ينذرها الهندوسي كذلك للاله إذا حقق رغبته أن يدور حول شجرة مقدسة أو معبد عددًا من اللفات قد تصل إلى عشرات الآلاف من الدورات، وفي بعض الأحيان تكون هذه الدورات ليس سيرًا على الأقدام، بل بالتدحرج بجسمه كأنه قطعة صخر أو جزء من شجرة!^(١)

ومن جملة النذور الهندوسية؛ أن ينذر المرء البقاء طوال حياته، في دور التلمذة، وذلك كالرهبانية عند النصارى، وخدام مشايخ الصوفية^(٢).

(١) انظر ما ذكره الدكتور محمد عثمان الخشت: مقارنة الأديان: الفيدية والبراهمانية والهندوسية ص (١٢٣-١٢٤).

(٢) انظر ما ذكره الدكتور إحسان حقّي: ترجمة مُنْوَ سُمَرْتِي ص (١١٥).

المبحث الثاني

أهم تشريعات الهندوس

وفيه مقدمة وأربعة مطالب

مقدمة

للهندوس ستة عشر طقسًا وشعائر عديدة تمتد مع حياة الإنسان منذ أن كان حملًا حتى موته، فهناك ثلاثة طقوس تقدم أثناء فترة الحمل وهي كما ينقل لنا البيروني: «وواجب على البرهمي إذا أراد إتيان النساء طلبًا للولد، أن يقيم قربانًا للنار يسمّى «گربادَهَن»، وإنما لا يفعل لأنه يحتاج فيه إلى حضور المرأة، والحياء يمنع ذلك، فيؤخر ويجمع إلى الذي يتلوه في الشهر الرابع من الحمل، ويسمّى «سيمَثُونَن»، فإذا وضعت المرأة حملها أقيم قربانٌ ثالثٌ بين الولادة وبين الإرضاع يسمّى «جاث كرم»،^(١). وستة طقوس بعد الميلاد، أي بعد ميلاد المولود، فيصبح المجموع تسعة طقوس.

والطقس العاشر يسمّى «أوبانيان»، ويكون حينما يقلد أحد أطفال الطبقات الثلاث العليا بالحبل المقدس رمزًا لبداية تعليمه الرسمي.

وهناك طقسان يتبعان ذلك، والطقس الثالث عشر الزواج، وأهم شعائره الخطوات السبع التي يقوم بها الزوجان أمام النار المقدسة - عند الهندوس - عند الزواج، والطقس الرابع عشر رب المنزل، والخامس عشر: التجول، والسادس عشر: إحراق جثة الميت،

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٤٢٩).

هذه أهم الطقوس التي يمارسها الهندوسي طيلة حياته^(١).
وبيان هذه الطقوس والتشريعات سيكون في المطالب الآتية:

(١) انظر ما ذكره برمود بندهو شين غوبت: دهرم درشن ص (٤٧٢)، وانظر الموسوعة العربية العالمية (١٨٣/٢٦).

المطلب الأول

التشريعات المتعلقة بالزواج والطلاق

وتحتة فرعان

الفرع الأول: نظام الزواج في المجتمع الهندوسي

مقاصد الزواج في الهندوسية:

المقصود الأكبر للزواج في الهندوسية أن ينجب الرجل من يواصل عبادة الأسلاف ويقدم «پند»^(١) * لتستريح روح أبيه، كما أنه ضرورة مطلوبة لذاتها أيضاً، وهم يعتقدون: أن الرجل المتزوج هو وحده القادم على تقديم قرايين الطعام للأسلاف، وعندما يترمل يتخلى لابنه عن رئاسة الأسرة، وعن القيام بدور الكاهن المسئول عن نارها المقدسة، ويقرر التقاعد.

نظام الزواج في الهندوسية:

إن للزواج في الهندوسية نظاماً فلا يترك للفرد أن يختار من يشاء، فلا بد من زوجة كفاء، مساوية له في المولد، منحدرة من أسرة آرية أتمت عملية الترسيم وغيرها من

(١) پند، معناه: الكرة، وهو الذي يقدم للميت من قبل بعض الأقرباء من الآباء السبعة، أو من الأبناء السبعة، ومن الهندوس من يقصر ذلك إلى الآباء الثلاثة والأبناء الثلاثة، وقيل: معنى «پند» الجسم، وعلى هذا المقصود بهذه الكلمة من هو من أقربائه الذين لهم علاقة الدم، وانقسم الهندوس في تفسير هذه الكلمة على مذهبين: «داي باغ، وميتراكهشرا، ويحدد كل مذهب الوراثة والنكاح والتَّقَدُّمَات بحسب ذلك.

انظر ما ذكره الأستاذ لطاف حسين: هندو آئين: مادة «پند». ص (٣٢).

الطقوس، لأنها وحدها القادرة على ممارسة الطقوس المنزلية دون أن تدنسها، وهي وحدها القادرة على إنجاب الابن الطاهر النقي المؤهل لمواصلة عبادة الأسلاف بعد والده.

وعلى الرجل أن يبحث عن عروس ليست قريبة له، لا من ناحية أبيه، ولا من ناحية أمه، أعني عروسًا لم تقدم أسرتها «پندًا»، أو قرابين الماء والطعام، لأي من الأسلاف، وذلك:

أن الهندوس يقسم أقرباءهم إلى قسمين:

القسم الأول: يسمّون سَينِد، أي الذين لهم حق في تقديم «پند» أو الكرة، وإنما سمّوا بذلك؛ لأن أقرباءهم؛ يقدمون كرات الحلوى موجهة إلى الأموات، أو بمعنى آخر: إن قرابتهم بهم؛ قرابة متينة، وهؤلاء هم: الأب وأب الأب وإن علا إلى سبعة أجداد، والابن وابن الابن وإن سفل إلى سبعة أبناء، ومن الهندوس من يقصر ذلك إلى ثلاثة من الأعلى وثلاثة من الأسفل لما يرى من الحرج في ذلك.

القسم الثاني: يسمّون بـ«سمانودك» وهم الآباء بعد الجد السابع فصاعدًا، والابن السابع فنازلًا، وباقى الأهل.

ومن ثم فلا بد أن تكون العروس غريبة عنه، لكن ينبغي أن تدخل في أسرة العريس عن طريق الترسيم، لكي تشارك الأسرة في دينها، وتكف عن أن تكون عضوًا في أسرة أبويها.

يقول البيروني: ومن شأن الهند أن يكون التزويج فيهم على صغر السن، ولا يسمى بينهم مهرٌ، وإنما يكون فيه للمرأة صلةٌ بحسب الهمة ونحلة معجلة لا يجوز ارتجاعها إلا أن تهبها المرأة من طيب نفسها، ولا يفرق بين الزوجين إلا الموت؛ إذ لا طلاق لهم، وللرجل أن يتزوج أكثر من واحدة إلى أربع، والقانون في النكاح عندهم أن الأجانب أفضل من الأقارب، وما كان أبعد في النسب من الأقارب فهو أفضل مما قرب منه، فأما ما جرى على استقامة إلى أسفل أعني ابنة الأولاد وأولاد الأولاد، وإلى أعلى من

أم وجدة وأمهاتهن فمحرم أصلاً، وأما ما انحرف عن الاستقامة وتفرع إلى الجانبين من أخت وبنت أخت وعمة وخالة وبناتهما فكذلك في التحريم إلا أن يتباعد بالأنسال خمسة أبطن متوالية في الولادة^(١).

وقد جاء في مُنْوَ سُمْرَتِي، في الباب الثالث، بيانٌ لهذه النظم، منها:

٥- إن خير زوجة هي التي ليست من قريبات الأم، ولا من أسرة الأب.

٦- على المرء أن يبتعد، في النكاح، عن هذه الأسر العشر؛ ولو كانت من الأسر الكبيرة الثرية التي تملك البقر والخيول والغنم والحبوب، وغيرها من مال وعقار.

٧- هذه الأسر هي: (١) الأسرة المهملة للطقوس الدينية، (٢) الأسرة التي لا يولد فيها ذكور، (٣) الأسرة التي لا تتدارس القيد، (٤) الأسرة التي يكثر الشعر على أبدان أفرادها، (٥) الأسرة المصابة بداء البواسير، (٦) الأسرة المصابة بداء السل، (٧) الأسرة المصابة بسوء الهضم، (٨) الأسرة المصابة بداء الصرع، (٩) الأسرة المصابة بالجذام الأبيض، (١٠) الأسرة المصابة بالجذام الأسود.

٨- ويجب أن يبتعد في النكاح، عن المرأة الشقراء وزائدة الأعضاء، والمريضة، وكثير شعر البدن أو عديمته، والثرثارة، وذات العين الزرقاء.

٩- وكذلك؛ أن يبتعد عن من كان اسمها من أسماء النجوم، أو الأشجار، أو الأنهار، أو أسماء أصحاب الفرق الدنيا، أو أسماء الجبال، أو الطيور، أو الحيات، أو الأرقاء، أو من كان اسمها ينطوي: على معنى الوحشة والخوف.

١٠- ولتنكح من كانت: سليمة الأعضاء، ذات اسم حسن، مشيتها كالفيل ... وشعر بدننها ورأسها؛ ليس بالكثير ولا بالقليل، وأسنانها صغيرة، وأعضاؤها ناعمة.

١١- ولا تُنكح؛ من لم يكن لها أخ أو لا يعرف أبوها، خيفة أن تكون: متبناة؛ في الحالة الأولى، أو أن ترتكب إثماً، في الحالة الثانية.

(١) انظر ما ذكر البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٤٢٨-٤٢٩).

١٢- من الأفضل؛ أن ينكح المرء، في نكاحه الأول؛ امرأة من فرقته ذاتها، ولا حرج عليه؛ إن خالف ذلك، في نكاحه الثاني، على أن يعمل: طبقاً للأصول المشروعة الآتية:

١٣- للبرهمي، أن يتزوج؛ من نساء الفرق الأربع، وللكهشثري، أن يتزوج؛ من نساء فرقته، وما دونها من الفرق، وللثايشا، أن يتزوج؛ من فرقته، ومن فرقة الشودرا، وللشودرا أن يتزوج؛ من فرقته فقط.

١٤- بيد أنه، لم يذكر في كتاب من الكتب؛ أن برهمياً أو كهشثرياً؛ تزوج ابنة شودر، حتى ولا في أوقات المصائب والضيق.

١٦- يعتقد الحبران: أثري، وگوتم أن مجرد الزواج من ابنة الشودر؛ يبعث على انحطاط الفرق الثلاث، وأما الحبر شوتك فيعتقد أن مجرد الزواج؛ لا يحط من منزلة الفرق، بل تنحط الفرقة؛ بعد ولادة الأولاد، أما بهرگو جي؛ فيرى: أن الانحطاط؛ يكون بولادة الحفيد.

١٧- إذا تزوج البرهمي من امرأة شودر، فإنه يغرق في جهنم، وإن وُلد له ولدٌ منها؛ ينحط عن منزلته.

١٨- إن الآلهة والأجداد؛ لا تقبل النذور، التي تقدم إليها، بمساعدة امرأة شودر، التي تقدم إليها، بمساعدة امرأة شودر، وإن المقدم؛ لا ينال النعيم.

أي: إذا كان رجلٌ من أهل الفرق الثلاث، متزوجاً من امرأة شودر، وساعدته - أثناء قيامه بالتقدمات - في عمله؛ فإن تقدماته؛ لا تقبل، بل تذهب سُدى.

١٩- لا كفارة للبرهمي الذي يمص ريق شفة امرأة شودر، أو يمزج نفسه بنفسها، أو يولد له منها ولد^(١).

(١) انظر مُنْوَ سُمَرْتِي، الباب الثالث، مع ما علق عليه الدكتور إحسان حقي، مترجم الكتاب إلى العربية.

سن الزواج:

جاء في بعض كتب الهندوس:

«أن البنت التي لم يزوجها أبوها أو أخوها الأكبر للسنة العاشرة من عمرها وهي

سن البلوغ في الهند كلهم يدخلون النار»^(١).

وأما مَنْ فيشترط مضي ثلاث سنوات بعد البلوغ للزواج^(٢).

طرق الزواج في الهندوسية:

الزواج في العهد الفيدى:

يفهم من قراءة ريگ فيد: أن النكاح في المجتمع الآري كان يتم بثلاثة طرق:

الطريق الأول: أن يبحث الأب عن زوج لابنته^(٣).

الطريق الثاني: الزواج بالغضب كأن يغتصب صاحب السلطة بنت أحد ليتزوجها

على رغم عدم رضا والدها^(٤).

الطريق الثالث: أن يقدم أحد ابنته هدية للعالم.

وكان حفل النكاح يعقد في بيت العروس حيث يحضر الزوج مع أصدقائه وأقاربه، فكانت تشعل النيران في مكان طاهر من البيت ويصب فيها السمن الخالص من البقرة، ويربط ذيل كل من العروسين بالآخر، وهما يطوفان حول النار عدة مرات، ورجل عالم من طائفة البراهمة يقوم بقراءة بعض فقرات من الفيد، وهكذا تنتهي مراسيم النكاح^(٥).

(١) براشري، قسم لاکھو ٦/٧، نقلاً عن الشيخ الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٩٤).

(٢) مَنْ سَمَرْتِي (٩٠/٩).

(٣) ريگ فيد ١٥/١٥، ١٠/١٠.

(٤) ريگ فيد ٧/٣٩، ١٠، ١٩/١١٢، ١.

(٥) ريگ فيد ٥٣٤/٨، ١٠، ٨/١٨، ١٠.

أنواع الأنكحة في الهندوسية المتأخرة:

جاء في الباب الثالث من مَنُو سُمَرْتِي أنواع الزواج لدى الهندوس بالتفصيل، كالآتي:

٢٠- والآن اسمعوا باختصار، مصف أنواع الزواج الثمانية، المستعملة عند الفرق الأربع، والتي تكفل السعادة والهناء، أو تبعث على الكدر والشقاء؛ في هذه الحياة، والحياة الآتية:

٢١- هي: (زواج: ١) بَرَهْمَ، (٢) دَوِيْبَ، (٣) رَشِي، (٤) پَرْجَاطَ، (٥) أُشُورَ، (٦) گَنْدَهْرَبَ، (٧) رَاكشَشَ، (٨) پشَاجَ.

٢٣- إن الأنواع الستة الأولى من الزواج، حسب الترتيب الآنف وهي: (برهم، ديو، رشي، پرجايت، أُشور، گندهرب)؛ مشروعة وجائزة للبرهمي، والأنواع الأربعة الأخيرة، من الترتيب نفسه، (أي: أُشور، گندهرب، راکشش، پشَاج؛ مشروعة للكهشثري، والأنواع الثلاثة، وهي: (أشور، گندهرب، پشَاج)؛ مشروعة للفايشا والشودرا معاً.

٢٥- أما أنواع الأنكحة الخمسة الأخيرة، وهي: (پرجايت، أُشور، گندهرب، راکشش، پشَاج؛ فثلاثة منها جائزة شرعية، واثنان غير شرعيين، وهما: (پشَاج، وأشور) فيجب اجتنابهما.

٢٦- لقد أجاز الشرع للكهشثري؛ زواجي (گندهرب وراکشش) سواء أكان ذلك بالفرار بالمرأة، من دار أبيها، بالاتفاق معها، من غير علم الأب؛ أم بغير ذلك من الوسائل.

تعريف هذه الأنكحة:

٢٧- إن زواج بَرَهْمَ؛ هو إهداء البنت، بعد إلباسها ثياباً ثمينة، وحلية قيمة؛ إلى رجل عالم بالفيد، ذي أخلاق رضية، وسيرة حسنة؛ لتكون له زوجاً.

٢٨- إن زواج دَوِيْبَ؛ هو إهداء البنت، بعد إلباسها ثياباً وحلية؛ إلى عالم ديني، قائم بعبادته، في أوقاتها، حق القيام.

٢٩- إن زواج رِشي؛ هو أن يهدي رجلٌ ابنته؛ إلى رجلٍ، يدفع له بقرة وثورًا، أو بقرتين وثورين، تحليلاً للشرع^(١). وهذا الزواج يسمى أيضًا بـ«زواج آريا».

٣٠- إن زواج پرجايت؛ هو إهداء الرجل ابنته؛ إلى رجلٍ ما، بعد أن يعظمهما معًا: على أن يقوم كل واحد منهما بواجباته، ثم يكرم العروس (بإطعامه شيئًا من خليط العسل).

٣١- إن زواج أُشور؛ هو أن يدفع العروس مالا إلى امرأة، ويدفع مثله إلى أهلها، ويتزوج منها.

٣٢- إن زواج گندهرب؛ هو أن يتزوج رجلٌ من امرأةٍ عن طيبة خاطر، ورضاءٍ منها، بغية إطفاء الشهوة الجنسية فقط [بمعنى المتعة].

٣٣- إن زواج راكشش؛ هو أن يتزوج رجلٌ من امرأةٍ جبرًا، بعد أن يخرجها من دار أبيها، وهي تبكي وتنتحب، وبعد أن يكون قد قتل أهلها، أو جرحهم، أو هدم دارهم عليهم.

٣٤- أما زواج پشاج؛ الذي هو أحط كل هذه الأنواع الآنف الذكر، فهو أن يعثر رجلٌ بامرأة، وهي نائمة، أو هي في حالة سكر، أو غيبوبة^(٢).

هذه الأنكحة الثمانية، المقبول منها حاليًا: أربعة أنواع فقط، وهي:

زواج براهما، وزواج دُويِب، زواج ريشي أو آريا، وزواج پرجايت.

وأما بقية أنواع الزواج فهي غير مقبولة حاليًا^(٣) [علنا].

(١) يقول الدكتور إحسان حقي تعليقًا عليه: معنى ذلك: أنه لا يقصد بيعها، أو استبدالها بهذه

الحيوانات؛ بل يكون ذلك؛ رمزًا لزواجهما.

(٢) مُتَوَسِّمَتِي، الباب الثالث، والأرقام كما ذكر.

(٣) انظر هندو آئين، (القوانين الشخصية للهندوس) ص (١٢٣). (البنغالية).

حفلات الزواج:

وحفل الزواج يرمز إلى أن الزواج هبة إلهية، أو أمر مقدس، أو ترسيم، وينتقل العريس وصحبه في مركب إلى بيت العروس، حيث يستقبلهم والدها مرحبًا، ثم يجلس العروسان في سرادق مؤقت، على جانبيه ستارة صغيرة، وتفتح هذه الستارة بمصاحبة العبادات المقدسة التي يتم بها الكاهن الذي يتولى مراسيم الزواج.

عندئذ يقدم والد العروس، رسميًا، ابنته للعريس، متشابكي الأيدي بتقديم حبات من القمح للنار المقدسة، ثم يطوفان حول النار، وأطراف رداءيهما معقودة، ويخطوان معًا سبع خطوات، ثم يُرش عليهما بالماء المقدس، ويؤدي المزيد من الطقوس عندما يعود موكب الزوجين إلى بيت العريس، وبذلك يكتمل الزواج.

وجاء في مَنُو سُمَرِتِي، في الباب الثالث:

٣٥- يتم عقد نكاح برهمي؛ بعد تقديم الماء للآلهة، وأما الفرق الأخرى؛ فيكفي، لإتمام عقد النكاح، رضاء الزوجين.

وعند تقديم البنت إلى عروسها يقول له والدها: إننا نهديك ابنتنا هذه، زوجةً، لتقيما نسلاً، وتسمى هذه التقديمة: كَنِيَا دان، أي إهداء البنت كعروس، وبعد ذلك؛ يرشان العروسين بالماء؛ فيصباحان زوجين شرعيين.

وجاء في مَنُو سُمَرِتِي، في الباب الثامن:

٢٢٦- إن قراءة منتر الزواج، إنما يكون للبكر فقط، وأما من أضعاء بكارتها؛ فلا منتر لها؛ لأن غير البكر؛ لا تقام لها طقوس الزواج.

٢٢٧- إن منتر الزواج، وإن كان في حد ذاته، يدل على أن البنت؛ أصبحت زوجة شرعية لذاك الرجل إلا أن زواجها لا يتم إلا بعد أن تطوف سبع مرات حول النار.

نظام المعاشرة:

حددت الديانة الهندوسية أنظمة للمعاشرة الزوجية، منها أن لا يقترب الزوج من الزوجة إلا عشرة أيام في الشهر، وهي أيام محددة، كما صرح أنه من الأفضل ألا يقربها أيضًا

من هذه الأيام العشرة، ثمانية أيام، فيكون الأفضل للهندوسي أن لا يقترب من زوجته إلا يومين فقط في الشهر، كما حدّد الشرع الهندوسي ألا يأكل الرجل مع زوجته^(١)، ولا ينام مع الزوجة في فراش واحد في حالة الحيض والنفاس^(٢)، وهناك آداب أخرى للمعاشرة، وهي كلها مبثوثة في كتاب مُنُو سُمَرِتِي، فقد جاء في الباب الثالث، ما يلي:

(٤٤) إذا تزوج رجلٌ من امرأة، من فرقة أرفع من فرقته؛ فعلى العروس، إن كانت كهشترية؛ أن تقبض على سهم، وإن كانت فايشية؛ أن تضع يدها على ماعز، وإن كانت شودرية؛ أن تقبض على ذيل ثوب زوجها. (ساعة زفاف العروسين، لكي تدل على فرقتهما).

(٤٥) للرجل؛ أن يقترب من زوجته، في الأيام المفروضة أو في أي يوم كان؛ بغية أن يسرّها، إلا أيام پَرْن Parn؛ فعليه اجتنابها.

والأيام المفروضة؛ هي عشرة أيام، من أصل ستة عشر يوماً من الشهر، ولا يجوز للرجل؛ أن يقترب من زوجته، بقية أيام الشهر، وإن فعل؛ لا يكون فعله لغاية النسل، بل لإطفاء الشهوة الجنسية، أما أيام پَرْن؛ فهي: اليوم الأول، والثامن، والثالث والعشرين؛ من كل شهر قمري، ويوم البدر، ويوم آخر الشهر^(٣)، فلو وقع يومٌ من الأيام، التي يجوز فيها للرجل؛ الاقتراب من زوجته، في يوم من هذه الأيام؛ لم يجز له اقترابها فيه، مثال ذلك: إذا حاضت المرأة في اليوم الرابع من الشهر، فقضت الأيام الأربعة، وهي اليوم الرابع والخامس والسادس والسابع من الشهر القمري، ثم أتى اليوم الخامس على حيضها، ووافق اليومَ الثامن من الشهر؛ فلا يجوز لزوجها الاقتراب منها؛ لوقوع اليوم الخامس من حيضها، في اليوم الثامن من الشهر، وهو يومٌ؛ لا يجوز له فيه اقتراب زوجته^(٤).

(١) انظر مُنُو سُمَرِتِي، الباب الرابع، الفقرة رقم (٤٣)، وانظر ما ذكره الدكتور إحسان حقي: مُنُو سُمَرِتِي ص (١٥٢).

(٢) انظر مُنُو سُمَرِتِي، الباب الرابع، الفقرة رقم (٤٠).

(٣) راجع مُنُو سُمَرِتِي، الباب الرابع، الفقرة رقم (١٢٨).

(٤) من تعليقات إحسان حقي: مُنُو سُمَرِتِي ص (١٣٢-١٣٣).

٤٦- إن عدة الحيض؛ هي ستة عشر يومًا، بما فيها الأيام الأربعة، التي تختلف عن بقية الأيام والتي يكره الصلحاء أن تؤتى النساء فيها.

ومعنى هذه الفقرة كما يذكر البيروني: «وأما الحيض فإن أكثره بالرؤية ستة عشر يومًا، وبالتحقيق هو الأربعة الأيام الأولى، وإتيان المرأة فيها محظور، بل قربها في البيت كذلك، فإنها حينئذ نجسة، فإذا انقضت الأيام الأربعة واغتسلت طهرت وحل إتيانها وإن لم ينقطع عنها الدم؛ فإن ذلك ليس بحيض، وإنما هو مادة للأجنة»^(١).

٤٧- لا يجوز للرجل: أن يقترب من زوجته، في الأيام الأربعة الأولى، من ظهور دم الحيض، ولا في اليوم الحادي عشر، ولا في اليوم السادس عشر، ويجوز له ذلك؛ في الأيام العشرة الباقية.

٤٨- باجتماع الزوجين، في الأيام المزدوجة؛ يتولد الذكور، وباجتماعهما في الأيام المفردة؛ تتولد الإناث، فمن شاء الذكور؛ فعليه أن يأتي زوجته، في يوم مزدوج، من الأيام المفروضة.

٤٩- إذا أتى الرجل زوجته وكانت نطفته أكثر من نطفتها مقدارًا؛ كان المولود ذكرًا، ولو أتاها في الأيام المفردة، وإن كانت نطفتها؛ أكثر من نطفته؛ فيكون المولود أنثى، ولو أتاها في الأيام المزدوجة، وإذا تساوت النطفتان؛ فإما أن يكون المولود خنثى، أو توأمين ذكرًا وأنثى، وأما إن كانت النطفتان قليلتين؛ فلا يكون عملٌ قط.

٥٠- من اجتنب زوجته، في الأيام الستة الممنوعة، وفي ثمانية أيام آخر غيرها؛ يكون له من الثواب، ما للتلميذ، ولو كان في أي دور، من أدوار حياته^(٢).

(١) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٤٢٩).

(٢) يقول الدكتور إحسان حقي تعليقًا عليه: أباحت الديانة الهندوسية، كما رأيت في الفقرة (٤٧)، أن يقترب الرجل من زوجته؛ عشرة أيام في الشهر فقط، ولكنها في هذه الفقرة؛ نصحته باجتنابها ثمانية أيام، من أصل هذه العشرة، بحيث لم يُبق له من الشهر؛ إلا يومين، وهذا؛ لمن أراد الزيادة في الثواب، أو كان يستطيع ذلك.

٥١- على الوالد، العالم بأحكام الفيد؛ ألا يأخذ بديلاً عن ابنته، وَمَنْ يفعل ذلك طمعاً؛ يكون بائعاً لِنَفْسِهَا^(١).

٥٢- إن كل رجل يعيش بمال امرأة من قريباته: كالحيوانات الأهلية والمراكب، والثياب، فإنه يرتكب ذنباً عظيماً، وله عذاب أليم.

٥٣- قد يخادع بعض الناس أنفسهم، ويستحلون ما يأخذونه؛ لقاء زواج بناتهم، من أموال، يسمونها هدية، ألا! فليعلموا: أن قبول القليل والكثير؛ إن هو إلا إثم وبيع.

٥٤- إن ما تعطاه البنت من مال، إذا لم يتصرف به ذووها؛ فلا يعد، ذلك المال، ثمنًا لها، ولا تكون هي مباعه، بل يكون ذلك؛ رمز تعظيم لها، وعناية بها، وتلطف بشعورها.

٥٩- على من يريد صلاح نفسه خيرها: أن يقدم إلى المرأة، في أيام الأعياد، ومواسم الأفراح؛ هديةً من حلي، أو لباس أو طعام.

٦٠- إن الأفراح؛ تظلل الدار، التي يكون فيها الزوجان مسرورين، أحدهما عن الآخر.

تعدد الزوجات:

الهندوسية تبيح اختيار أكثر من زوجة، وكان هذا هو السائد في عهد ريگ فيد^(٢)، واستمر هذا الأمر حتى في زمن الأوبانيشادات، فهذا ياجنالفالكيا أكبر حكماء الأوبانيشادات كانت له زوجتان، هما مايتري وكايتابني^(٣).

(١) يقول الدكتور إحسان حقي: إن أخذ مهر البنت بقرًا؛ زواج مشروع، كما جاء في الفقرة (٢٩)، من هذا الباب، ولكن في هذه الفقرة؛ حذرت الآباء أن يفصلوا بناتهم؛ لاختلاف على الكمية بحيث يستغل الآباء رغبة الخاطبين؛ فيطمعون، فيكونون بعملهم هذا؛ يغالون ببناتهم، ليأخذوا أثمانهن، لا لكي يجدوا لهن أزواجًا.

(٢) انظر ريگ فيد (١٠/١٤٥)، وانظر مقدمة ريگ فيد ص (٧١)، للعالم الهندوسي الدكتور هيرونموي بندوباداي.

(٣) وقد سبق معنا في دراسة أوبانيشاد بريهَدَارَنك قصة ياجنالفالكيا مع زوجته مايتري.

وكان أبطال الهندوس يبالغون في عدد الزوجات فالبطل «أرجون» اتخذ عدة زوجات منها: «دروپدي» و «سوبهادرا» و «جتانغا» «أولوبي» وغيرها، كما أن البطل الهندوسي الآخر وهو «كريشنا» يقولون: كان له سبعة عشر ألف زوجة^(١).

وكتب الهندوسية المتأخرة كما هو في مَنُو سَمَرْتِي تبيح تعدد الزواج لغير الشودرا، فقد جاء في الباب الثالث من مَنُو سَمَرْتِي:

١٢- من الأفضل؛ أن ينكح المرء، في نكاحه الأول؛ امرأة من فرقته ذاتها، ولا حرج عليه؛ إن خالف ذلك، في نكاحه الثاني، على أن يعمل: طبقاً للأصول المشروعة الآتية:

١٣- للبرهمي، أن يتزوج؛ من نساء الفرق الأربع، وللكهشثري، أن يتزوج؛ من نساء فرقته، وما دونها من الفرق، وللثايشا، أن يتزوج؛ من فرقته، ومن فرقة الشودرا، وللشودرا أن يتزوج؛ من فرقته فقط.

وجاء في الباب السادس، من مَنُو سَمَرْتِي:

٢٠٤- لقد صرح مَنُو جي: بجواز زواج امرأتين...

وجاء في الباب التاسع، من مَنُو سَمَرْتِي:

٨١- للزوج أن يتزوج على امرأته في أي وقت شاء إن كانت سكيراً أو سيئة السيرة أو كثيرة الخصام أو مريضة أو سيئة الطباع أو مسروقة.

٨٢- للزوج أن يتزوج على زوجته العقيم بعد ثماني سنوات، وعلى الزوجة التي لا يعيش أولادها، بعد عشر سنوات، وعلى أم البنات بعد إحدى عشرة سنة، وأما كثيرة الخصام فله أن يتزوج عليها بلا مهلة.

٨٣- للرجل أن يتزوج على زوجته الفاضلة، حميدة السيرة، المحسنة إليه، برضاها؛ لأن مثلها من النساء يجب أن لا تؤذى أو تعامل بسوء.

(١) قلتُ: إن كان هذا العدد صحيحاً، فلاشك أنه كان يأتي نساء ذلك الزمان كله في تلك المنطقة، وإن كان مبالغاً فيه، فقد كذبوا على إلههم.

وعلى هذا: يجوز للبرهمي أن يتزوج أربعاً من أربع طبقات، وللكهشثري ثلاثاً من ثلاث طبقات من طبقته والطبقات التي هي دونه، ولقايشا أن يتزوج اثنتين، من طبقته ومن طبقة شودرا، وأما الشودرا، فلا يجوز له إلا زوجة واحدة.

وقيل: إن المقصود من هذا: أن البرهمي يتزوج أربعاً على العموم، والكهشثري ثلاثاً على العموم، من فرقته ومن الفرق التي هي دونه، وقايشا اثنتين على العموم، من فرقته ومن الفرقة التي دونه، والشودرا لا يتزوج إلا بواحدة من فرقته^(١).

وقيل: يسمح لكل هندوسي أن يتزوج أربعاً مطلقاً^(٢).

ولكن المعمول به عند الهندوس الزواج مرة واحدة، ولهذا هم يحتالون من أجل التعدد أنواعاً من الحيل، وقد ذكر بعض علمائهم: أن المنع من التعدد دخل في الهندوسية إلى زمن الاستقلال، حيث منع من التعدد رسمياً^(٣).

الفرع الثاني: نظام الطلاق في المجتمع الهندوسي

إن الهندوسية ترى أنه لا يفرق بين الزوجين إلا الموت؛ إذ لا طلاق لهم^(٤)، وعلى هذا لم يكن نظام الطلاق مروجاً بينهم، وقد جاء في مَنُو سَمَرْتِي ما يدل على أن الطلاق لم يكن موجوداً بينهم:

(٩/٤٧): لقد علمنا من القانون القديم الذي سنه برهماجي، إله المخلوقات، أن المرأة لا يمكن أن تنفصل عن زوجها ببيع ولا بهجران.

إلا أن بعض العلماء الأوروبيين يقول: يفهم من بعض الروايات أنه كان هناك نظام الطلاق في الطبقات الدنيا من الهندوس، حيث يوجد الزواج مرة أخرى في بعض كتب

(١) انظر ما ذكره د/ كامل سعبان: معتقدات آسيوية ص (١٨٠-١٨١).

(٢) هكذا ينقله البيروني عنهم، انظر تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٤٢٨).

(٣) انظر ما ذكره الدكتور هيونموي بندوباداي: مقدمة ريگ قيد ص (٧١).

(٤) انظر ما ذكره البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٤٢٨).

سُمَرْتِي^(١)، ونلاحظ أنه قد جاء في مَنُو سُمَرْتِي أيضاً ذكر بعض الحالات الاستثنائية التي تفرق بين المرأة وزوجها، وهي:

(٧٣ / ٩): يحق للرجل أن يطلق زوجته إذا ظهر له فيها عيب أو مرض أو أنها غير بكر، أو أنها أعطيت له بخدعة.

(٧٤ / ٩): إذا أعطى امرؤ ابنته المعيبة، بخدعة، لأحد من الناس دون أن يصرح له بعيوبها، ورضي هذا بها، ثم ظهرت له عيوبها فله أن يرفضها.

هذه بعض الحالات الاستثنائية التي جاء ذكرها في كتب سُمَرْتِي لدى الهندوس، ولكن الذي يظهر أن الهندوس غيروا هذه القوانين، وأخذوا بكثير من القوانين العصرية في شؤون حياتهم من الزواج والطلاق.

(١) انظر ما ذكره الأستاذ الطاف حسين: هندو آئين: ص (١٦١).

المطلب الثاني

مراسيم تعميد الأولاد وبعض الطقوس المتعلقة بهم

للهندوس مراسيم في تعميد الأولاد، وهي كلها خاصةً بالطبقات الثلاث الأولى أعني البراهمة والكهشترى وفايشا فقط، أما الطبقة الرابعة، ومن هم دون الطبقات فلا مراسيم لهم في أولادهم.

وقد ذكر مُنُو سُمِرْتِي أهم هذه المراسيم فقال:

٢٥- يجب أن تقام طقوس الحمل وغيرها؛ بقراءة العزائم المقدسة، للمولودين ثانية؛ فإنها تطهر الإنسان من الذنوب، في هذه الحياة، وبعد موته.

٢٦- إن القيام بطقوس الحمل، والولادة، وقص شعر المولود، وتعليق الجينو^(١) (الخييط المقدس)؛ تطهر الإنسان من عيوب النطفة والحمل.

٢٨- قبل قطع سرة المولود؛ يجب القيام بطقوس الولادة، وتعليق المولود: ورقًا ذهبيًا، وشهدًا، وسمًا.

٢٩- يجب تسمية المولود، بعد ولادته، بأحد عشر يومًا، أو باثني عشر يومًا، والقيام بطقوس التسمية؛ فإن تعذر ذلك في وقته؛ فيختار له: يوم سعيد، وطالع ميمون، وتاريخ مبارك.

(١) هو خييط يوضع في الفتق، باحتفال خاص، وهو عند الهندوس كالمعمودية عند النصارى، أي لا يتم إيمان الرجل؛ إلا به!!، ولا تمارس الأعمال الدينية؛ إلا بعد وضعه في الفتق!! وهو يشبه التفلّ التي يضعها اليهود في رقابهم للصلاة. انظر ما ذكره الدكتور إحسان حقي في شرح ترجمة مُنُو سُمِرْتِي ص (٥٣).

٣٠- يجب أن يكون اسم البرهمن؛ مبدوءاً بلفظٍ، ينطوي على معنى السرور، واسم الكهشترى؛ على معنى القوة والسلطان، واسم فايشا؛ على معنى المال، واسم الشودر؛ على معنى الذل والصغار.

٣١- ويجب أن ينتهي اسم البرهمن؛ بلفظ «شرما»، واسم الكهشترى؛ بلفظ «ركشا»، أو وَرما، وفايشا بلفظ «بشتا» أو «غُبتا»، والشودر؛ بلفظ «بُريشيه» أو داس^(١).

٣٢- يجب تسمية النساء؛ بأسماء مفرحة سارةٍ سهلةٍ عذبةٍ تتضمن معنى الخير والبركة، على أن تكون أواخرها متحركة.

٣٣- لا يخرج المولود من الدار؛ قبل الشهر الرابع، من ولادته، ويجب أن يطعم الأول (أول طعامٍ)؛ بعد الشهر السادس، مع الاحتفال في كلتا الحالتين؛ بإقامة الطقوس العامة؛ الخاصة بذلك، والطقوس الاختيارية؛ المتبعة في الأسرة.

٣٤- على المولودين ثانية (البراهمة والكهشترى وفايشا) أن يحتفلوا بقص شعر المولود، في السنة الأولى، أو الثالثة من عمره.

٣٥- يجب على البرهمي أن يعلق الجينو (الزنار) في السنة الثامنة، والكهشترى؛ في السنة الحادية عشرة، وفايشا؛ في السنة الثانية عشرة، وذلك؛ من تاريخ استقراره، في رحم أمه، أو من يوم ولادته.

٣٦- أما إذا كان البرهمي؛ يرغب في زيادة التفقه في الدين، والكهشترى؛ في حصول القوة، وفايشا؛ في تحصيل المال؛ فعلى الأول؛ أن يعلق الجينو، في السنة الخامسة، والثاني؛ في السادسة، والثالث؛ في الثامنة من العمر.

٣٧- ليحذر البرهمي؛ أن يتجاوز السادسة عشرة، والكهشترى؛ الثانية والعشرين، وفايشا؛ الرابعة والعشرين، من غير أن يعلقوا الجينو.

(١) يقول الدكتور إحسان حقي عند تعليقه على هذه الفقرة: وهذه القاعدة لا تزال جارية عند الهنادكة، إلى اليوم، وملتزمة إلى حد بعيد، والغاية من ذلك؛ التمييز بين الفرق، بمجرد معرفة الاسم، كما يوجد هناك أمارات أخرى، تفرق بين الفرق، بمجرد إلقاء نظرة على المرء.

٣٨- ومن لم يعلق الجينو، من هؤلاء الثلاثة، كل في سنه المعينة؛ فلا يحق له تعليقه بعد ذلك.

٣٩- يجب مقاطعة كل برهمي مثل هذا، حتى ولو كان في أشد أوقات الضيق والعسرة، وذلك؛ بأن لا يعلم الفيد ولا يتزوج منه.

٦٣- إذا قطع الزنار، أو تمزق الجلد، أو كسر العصا، أو انقطع الجينو، أو تحطم الكشكول؛ فلتلق في الماء، وليقرأ على غيرها مترا ثم لتستعمل

٦٤- على البرهمن أن يحتفل بقص شعر رأسه في السادسة عشرة من عمره، والكهشثري؛ في الثانية والعشرين، و فايشا في الرابعة والعشرين، وذلك؛ اعتباراً من يوم حمله، في بطن أمه.

٦٥- وتطهير أبدان الإناث؛ يجب أن تقام لهن لهذه الطقوس جميعها (من الاحتفال بالحمل، والولادة، وقطع السرة، وإطعام المولود أول طعام... وغير ذلك)، بأوقاتها المعينة، وطرقها المختلفة، ولكن من غير قراءة عزائم مقدسة (فكل هذه الاحتفالات تجري للإناث، من غير قراءة).

٦٦- إن للنساء من الثواب في حفلة العرس؛ مثل ما للرجال، من ثواب في المعمودية، وقيامهم بطقوس دور التلمذة التحضيرية، ولخدمتهم في بيوت أزواجهن، من الثواب، مثل ما للرجال، بإقامتهم في بيوت أساتذتهم، وعنايتهم بترتيب بيوتهن؛ كعبادة النار للرجال^(١).

علمنا من هذا: إن هناك طقوساً مهمة في الحياة الهندوسية، تسمى «سنسكار»، (أو سمسكارا)، وبيانها كما يلي:

طقوس قبل الولادة:

وتتم ثلاثة من هذه الطقوس قبل الولادة، لتحقيق الحمل، وإنجاب طفل ذكر، وضمان صحة الجنين، وقد سبق بيانها في المقدمة قريباً.

(١) مُنْوَ سُمِرْتِي، الباب الثاني، وأرقام الفقرات كما ذكرت.

طقوس بعد الولادة:

وهي على أنواع:

(١) طقوس النجاسة:

وذلك بين الاحتفال بمولد الطفل والاحتفال بتسميته تراعي الأم والطفل طقوسًا تستمر عشرة أيام، وتسمى طقوس النجاسة.

(٢) طقوس التسمية:

تسمية المولود بعد ولادته بأحد عشر يومًا ويختار له يوم سعيد وطالع ميمون وتاريخ مبارك، ويجب أن يكون اسم البرهمي مبدوءًا بلفظ ينطوي على معنى السرور واسم الكشهتري على معنى القوة والسلطان، واسم الفايشا على معنى المال، واسم الشودرا على معنى الذل والصغار، ويجب تسمية النساء بأسماء مفرحة سارة سهلة عذبة تتضمن معنى الخير والبركة.

(٣) مراسيم أخرى قبل دور التلمذة:

والمراحل الأخرى من تطور الطفل التي تتميز بها (سنسكار) هي خرم الأذن لأول مرة، واللحظة التي يخرج فيها الطفل من البيت ليرى الشمس أول مرة، وكذلك المرة الأولى التي يتناول فيها طعامًا جافًا، (غير سائل)، وإذا كان ذكرًا فهي المرة الأولى التي يخلق فيها شعر رأسه، فيما عدا خصلة من الشعر في قمة الرأس تبقى طول حياته.

مراسيم التلمذة:

ويعد الترسيم الخطوة الأولى في سنسكار، وهو يتم عامة عندما يكون الطفل بين الثامنة والثانية عشرة، ولب الاحتفال أن يرتدي المرشح زي الناسك، ويمسك في يده صولجانًا مع خيط مقدس يوضع على كتفه اليسرى ويتدلى من ذراعه اليمنى، ثم يتلو الكاهن الرسمي أبياتًا من ريگ فيد اعتاد الهندوسي تلاوتها في جميع طقوسهم، وهي: «فلنفكر في روعة وجلال الإله سافتري حتى يلهمنا عقولنا».

وعلى العضو المرشح في هذه الحالات أن يستجدي الصدقات، وأن يضع نفسه تحت وصاية برهمي متفقه في الدين، ليصبح معلمه الروحي، يعلمه ويهذبه بالكتب المقدسة، لاسيما الفيدات، وعلى التلميذ أن يظهر لمعلمه أقصى درجات الاحترام والخشوع، بل أعظم مما يظهر لوالديه؛ لأنه إذا كان الأب والأم يمنحان الحياة فإن المعلم من خلال معرفته الدينية يهبه الخلود.

وعلى المحتفل بترسيمه أن يظل عزباً، وأن يحترس باستمرار من السقوط في الدنس، أي في تدنيس الطقوس، وأن يُخضع نفسه لكل أوامر المعلم أثناء متابعة المقرر الدراسي الذي قد يستغرق عند البرهمي اثنتي عشرة سنة أو أكثر، وعلامة انتهائه الاغتسال طبقاً للشعائر، وعندئذ يتوقع أن يتزوج الآري في الحال.

وبعد عملية الترسيم يمنح الصبي الخيط المقدس، ويتم زواج الفتاة، أما الناسك فينظر إليه على أنه تخلص من الدنيا من أجل الدين^(١).

(١) انظر ما سبق من مُنْوَ سَمَرْتِي، وما ذكره كامل سعفران: معتقدات آسيوية ص (١٧٨-١٧٩).

المطلب الثالث

التشريعات المتعلقة بالميت

وتحتة فروع

الفرع الأول : حرق الميت

إن القيدات تنص على حرق الميت^(١)، فقد جاء:

(١) «أيها الآباء الذين حرقوا بالنار! أنتم حصلتم على مصير طيب، تعالوا هنا، واجعلوا على المقاعد المخصصة لكم»^(٢)

(٢) «أيها النار لا تحرقي هذا الميت نهائياً، لا تؤذيه، ولا تمزقي جلده ولا جسده»^(٣).

(٣) «أيها النار عندما تنضجي جسده جيداً تعطيه للآباء (في الجنة)، حتى يكون طازجاً مرة أخرى، ويكون تحت سيطرة الآلهة»^(٤).

إلا أننا نلاحظ في بعض نصوص القيدات عدم حرق الميت أيضاً، فقد جاء في بعض المواضع^(٥): أن الميت كان يدفن في باطن الأرض.

(١) انظر على سبيل المثال: (١٠/١٦-١، ٤، ١٣)، و(١٠/١٥/١٤).

(٢) ريگ فید (١٠/١٥/١١).

(٣) ريگ فید (١٠/١٦/١).

(٤) ريگ فید (١٠/١٦/٣)، وانظر مثل هذا النص في ريگ فید (١٠/١٥)، و(١٠/١٦/١٣-١٠) وغيرها.

(٥) انظر على سبيل المثال، ريگ فید (١٠/١٨/٨، ١٠)، و(١٠/١٥/١٤).

ويبدو أنه كان لديهم كلا الأمرين، الدفن والإحراق، ثم فشا عادة الإحراق أكثر من عادة الدفن، وأما الأوبانيشادات فتذكر الإحراق بالنار في أماكن عديدة^(١). ويوجد في الهندوسية الحالية بعض الطوائف ما يزالون يدفنون موتاهم^(٢)، إلا أن الفرق والطوائف الرئيسة كلها تحرق أمواتهم، ولهم في ذلك مراسيم خاصة.

مصدر هذه العقيدة:

إن إحراق الجثث عادة آرية بحتة، فإن أهل الهند الأصليين ما كانت لديهم عادة حرق الأموات، والدليل على كون الدفن هو الذي كان سائداً لدى السكان الأصليين: أنه قد وجدت آثار عديدة في مقابر هارابا^(٣) تدل على مراسيم الدفن عند الهنود القدامى، وكانت هذه المراسيم غريبة وبدائية تماماً؛ إذ كانوا يحفرون حفرة طويلة عريضة، ويدفنون فيها الجثة مع أدواتها اللازمة في الحياة مثل الأواني والأدوات الشخصية وما يتعلق بالزينة والحمام، ولم يفسر لنا أحد حتى الآن سبب هذه الظاهرة، ومن الجائر جداً أنهم قد آمنوا بحياة أخرى بعد الموت على طريقة السومريين، وظنوا أن هذه الأدوات اللازمة سوف تساعد الموتى بعد مواراتها التراب وحينما تدخل في حياة جديدة عند آلهة الأرض السفلى، وذلك لأن الهنود في هذه الآونة قد تجاوزوا مع كثير من أفكار السومريين الدينية... وكانت الجثة توضع في صندوق خشبي ملفوف بالقصب، وفي المناطق الساحلية وجدت غرف حجرية تبلغ مساحتها عشرة أقدام طولاً، وثلاثة أقدام عرضاً، وقدمين عمقاً، وتشير الدلائل إلى أنها استخدمت مقابر في هارابا في بعض الأزمنة القديمة، ومن الناحية الأخرى ففي مناطق عديدة تمت فيه عملية الحفر وجدت جرة كبيرة تشير إلى وضع الجثث فيها فرادى أو جماعية، وكذلك عثر على جماجم بشكل انفرادي أو جماعي في بعض البيوت أو في الممرات الضيقة والأزقة... ولعل

(١) منها على سبيل المثال: ما جاء في إيشا أوبانيشادة (١٧)، برنهيذارتنك (٥ / ١١ / ١).

(٢) انظر ما ذكره الدكتور أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيى أوباسك سمبرداي (٢ / ٢٣٤) وما بعدها.

(٣) انظر لمعرفة المزيد عن هذه المدينة ما سبق في ص (٨٢-٨٣) من هذه الرسالة.

سببه كما يبدو لنا - أن بعض الموتى قد دفن فيها نتيجة الحوادث أو الأمراض الوبائية الخطيرة... وتشير مراسيم الدفن وتقاليده بوضوح إلى أن إحراق الجثث التي اتخذتها الهند أساساً فيما بعد لم يكن لها وجود في هذه الأزمنة، بل سارت على تقاليد حضارات أرض الرافدين ومصر^(١).

فعادة حرق الموتى عادة آرية، دخلوا بها إلى هذه المنطقة، يقول الدكتور محمد إسماعيل الندوي: «الشيء الوحيد الذي نجده من أبرز معالم العقيدة الآرية في هذه الآونة - يقصد حدود عام ١٨٠٠ ق.م - هو إحراق الجثث، فقد وجد هذا التقليد منذ بداية أمرهم في الهند، الأمر الذي يدل على أنهم قد اتبعوا هذه التقاليد في موطنهم الأصلي، لأن الهند في حضارة نهر الهند كانت تدفن الأموات على طريقة الساميين في الشرق الأوسط.

ولكن الإحراق في هذه الآونة لم يتخذ طابعاً عاماً عندهم، بل دفن الموتى كذلك كان متبعاً بين السكان الأصليين»^(٢).

أما سبب إحراقهم للموتى:

تفلسف الهندوس المتأخرون في بيان سبب إحراقهم للموتى، فمما ذكروا فيه:

(١) أن النفس هي الأساس، والبدن ليس له قيمة كبيرة، والنفس إذا خرجت فلجثمانه أن يحرق ويكون دخانه صاعداً إلى السماء، حتى يتحد مع برهمان.

(٢) إن النار في اشتعالها تعلقو شعلتها إلى أعلى بخط عمودي على أفق الأرض، والعمود أقرب المستقيمات بين السطوح والخطوط، ولذا تتجه الروح بهذا الاحتراق إلى أعلى سائرةً باتجاه عمودي، فتصعد إلى السماء في الملكوت الأعلى في أقرب زمن.

(١) انظر ما ذكره الدكتور محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ص (٤٦-٤٨).

(٢) الدكتور محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة، حضاراتها ودياناتها ص (٩٧-٩٨).

(٣) ثم إن في الاحتراق تخليصًا من غلاف الجسم تخليصًا تامًا، وذلك أن في الجسم نقطة بها يكون الإنسان وهي متشابهة بالجسم متصلة به، فلا تخلص منه إلا باحتراق أمشاجه وصيرورتها ذرات صغيرة بالاحتراق، فعندئذٍ تتخلص تلك النقطة وهي معنى الإنسان، وتخليصها تخلص الروح من الجسم، وتعلو عنه لتتصل بجسم آخر، أو لتسمو إلى درجة عليا، إن كان قد وصلت إلى درجة الخلاص^(١).

(٤) وقيل: إن جميع نشاطات الإنسان مرتبطة بالنار، فلا يأتي شيء في الدنيا إلا وله ارتباط بالنار، فلا بد وأن تذهب النار بالإنسان بعد موته^(٢).

(٥) يقول الشيخ الأعظمي: جاء إحراق الموتى تخلصًا من الجسم المادي لتعلو الروح إلى العالم العلوي، والنار (أغني) هي إحدى مظاهر الألوهية، وهي بدورها تقرب إلى «برميشور»، الذات العليا^(٣).

الطقوس الجنائزية:

ومما يجدر ذكره هنا أن الديانات التي تستخدم عملية الحرق في الجنائز هي الديانة الهندوسية والديانة البوذية، وكلتاها ديانة هندية كما هو معروف، ولكن الطريقة تختلف بين الديانتين.

أما مراسيم حرق الميت عند الهندوس:

فلا بد من أربعة أشياء وهي: النار - الحطب - الجثة - الماء، هذه الأشياء ينقلها أبناء الميت تحت قدم الصنم.

(١) ذكرهما الدكتور أبو زهرة: مقارنات الأديان، الديانات القديمة ص (٤٢-٤٣).

(٢) هكذا تفلسف الفيلسوف پراباهن جيلي، انظر لذلك ما جاء في أوبانيشادة شانديغا وبريهذا آرنتك، وقد فسرها هكذا أيضًا العالم الهندوسي راهول سنكريتيان: درشن ديكدرشن (٤٣/٣).

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٣٣).

أما طريقة التنفيذ: فيغسل الميت بالماء القراح ثم يغسل مرة أخرى بالماء المعطر... كل الفتحات في الجسم تغلق تمامًا، ويوضع الميت على سرير ثم يوضع الحطب من حواليه ومن فوقه ويوقد عليه النار حتى إذا تفحم وصار رمادا ذروه في نهر من الأنهار المقدسة عندهم.

قبل عملية الحرق يتم قرع الطبول من أجل إزعاج الأرواح الشريرة حتى لا تتواجد أثناء عملية الحرق، حتى لا يحصل شؤم وتنتقل روح الميت إلى أجساد لا يرغب في الانتقال إليها،

وفي هذا العصر صار يستعاض عن صوت الطبول غير المجدي بصوت الرصاص وأحياناً المدافع الصغيرة، والتي تحدث دويًا مزعجًا للأحياء والأموات!!!، كما تقتضي استعمال الموسيقى أثناء الصلاة عليه وبعده وأثناء عملية الحرق.

وقد يوضع الميت في الفرن، ويغلق عليه، وتجرى عملية الحرق وسط أصوات الموسيقى الجنائزية القديمة، ووسط صلوات الرهبان.

وبعد عملية الحرق إما أن يذر رماده في نهر غنغا، وإما أن يحفظ الرماد في مجموعة من القبور ذات الغرف المبنية تحت الأرض وليس هناك مجال لأهل الميت أن يزوروا ميتهم لأن روحه انتقلت إلى محل آخر، فتكون ذكراه بعقد الصلوات على روحه في أي مكان على وجه الأرض.

والغريب: أنهم يعدون من باب تكريم البقرة دفنها إذا ماتت ضمن مراسيم معينة بينما الإنسان يحرقونه، إن هذا لمن نكسة العقل حقًا.

الفرع الثاني: إحراق الزوجة مع الزوج الميت

إن من أكثر الأمور غرابة في الديانة الهندوسية ما كان سائدًا عندهم بشأن النساء حيث كان من طقوسهم إحراق المرأة حية مع جثمان زوجها المتوفى، والتي تسمى في مصطلح الهندوس «سَتي پُرنَها»، أي: «إحراق العفيفة»، مع أن هذه العادة لا يوجد

لها دليل في الفيدات ولا في الأوبانيشادات، كما لا يوجد له ذكرٌ في كتب سُمَرِتِي، وإنما جاء ذكره في كتب مهابهارت، حيث احترقت الزوجة الثانية من زوجتي پاندو والتي تسمى ماذِرِي مع زوجها في المحرقة، ونجد في بعض الكتب أيضًا أن «سلوجنا» جلست مع زوجها المتوفى «ميداناتها»، وفي كتاب «مهابهارت» أن عددا من زوجات «كريشنا» أحرقت أنفسهن معه، كما نجد لها ذكرًا في بعض كتب البرانات.

يقول البيروني: «وأما المرأة إذا مات زوجها، فليس لها أن تتزوج، وهي بين أحد أمرين؛ إما أن تبقى أرملة طول حياتها، وإما أن تحرق نفسها وهو أفضل حالها؛ لأنها تبقى في عذاب مدة عمرها، ومن رسمهم في نساء ملوكهم: الإحراق شئ أو أبين احتراسا عن زلة تندر منهن، ولا يتركون منهن إلا العجائز أو ذوات الأولاد، إذا تكفل الابن بصيانة الأم وحفظها...»^(١).

هذا، وقد بين العلماء أسبابا لهذه العادة الغريبة، منها:

(١) أن هذا طرأ عليهم من سوء فهم نص من نصوص ريگ فید:

(٧/١٨/١٠): «هؤلاء النسوة لا ينبغي لهن أن يذقن حياة الأرامل، وليدخلن البيت مع الأزواج المحبوبين لديهن، بالثياب الجميلة والسمن الجيد، هؤلاء الزوجات ليتركن سكب الدموع، ولا يجعل أنفسهن نحيلة بالأمراض، وليرجعن البيت قبل الجميع (سرباغرى) بالحلي الجميلة».

ففي هذا النص حرّفوا كلمة (سرباغرى) إلى كلمة (سرباغني)؛ فإن كلمة سرباغني معناها: إلى أغني (النار)^(٢).

(٢) وقيل: إن هذا حدث من بعض النساء في بعض الفترات لما شاهدن حياة تعية

(١) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٤٢٨-٤٢٩).

(٢) انظر ما ذكره روميش چندر دوت: شرح ريگ فید ص (٤٨٠) عند شرحه لهذه الأبيات، وقد توالى عليه المحققون من الهندوس بعد هذا؛ فإن ما حدث من إحراق الأرملة من سوء فهم هذا النص، خصوصًا إن هذا النص كان مما يقرأ على الموتى.

والوضع المزري للأرامل^(١)، ثم أصبح شيئاً عامّاً بين الناس. وسيأتي بيان ذلك قريباً.

(٣) وقيل: إن هذا وضع من قبل البراهمة حتى يتخلصوا من هؤلاء النساء الذين لا مكانة لهن في المجتمع، وفي الوقت نفسه يكون اختباراً لجهن لأزواجهن. هذا بعض ما يذكرون من الأسباب في هذه العادة الغريبة والقاسية في المجتمع الهندوسي، وكانوا يعتبرونها من أعمال البر والفضيلة للمرأة الهندوسية، ولقد كانت هذه العادة سائدة في أنحاء الهند ذكرها مؤرخو اليونان في كتبهم العتيقة قبل الميلاد. وبقيت هذه العادة سائدة على العموم عند بعضهم حتى أواسط القرن التاسع عشر للميلاد حيث سنت الحكومة البريطانية التي كانت تستعمر الهند يومها قانوناً يمنع ذلك، والسبب في ذلك كما يُروى: أنه في عام ١٨١١م توفي أخو «راجا رام مُوهان» أحد مفكري الهند، ومؤسس «المجتمع البرهمي». وحرقت زوجته نفسها معه فتأثر «راجا رام مُوهان» بهذه الحادثة المؤلمة كثيراً، وبدأ يطالب الحكومة البريطانية بسنّ قانون يمنع «ستى برتها» (أي حرق المرأة نفسها مع زوجها المتوفى عنها) واستجابت الحكومة، فسُنّت قانوناً في عام ١٨٢٩م في أيام الحاكم البريطاني «لورد وليم ويتنك» يمنع من هذه العادة^(٢).

ولكن لا يزال بعض المجتمعات الهندوسية تمارس هذا العمل الوحشي، ويسمع من حين إلى حين في جرائد وصحف الهند من عجائب وغرائب في هذا الباب.

الفرع الثالث : تقديم القرابين لروح الميت

وأهم الواجبات التي يلتزم بها رب الأسرة واجباته نحو الآباء أو الأسلاف، فهو ليس ملزماً فقط بأن يقدم القرابين من الطعام والماء يومياً إليهم، وإلى روح الميت الذي

(١) انظر ما ذكره أبو الحسين بتراسارزا: لما ذا أسلمت، ص (٤٨).

(٢) انظر ما ذكره الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٩٢-٥٩٣).

تسكن الركن الشمالي الشرقي من المنزل، بل إن عليه أيضاً أن يقدم لهم (پندا Pinda)، أي كرة الأرز Rice Ball، في يوم ظهور القمر من كل شهر.

وتسمى العناصر الرئيسة في هذا الاحتفال للميت «شراده»^(١) Sharadha، وتعني الكلمة: الذكرى، أو بتعبير آخر: هو حفلة تثبيت الميت، في سجل الأموات، ويجب أن يقدم هذه «شراده» بعد موت الميت، بثلاثة عشر يوماً، أو بعد موته بسنة واحدة.

أما كيفية تقديمه، فكما يلي:

يجلس فقهاء البراهمة في مكان مكشوف، على مقاعد منسوجة من القش المقدس، ويفتح رب الأسرة الاحتفال ويُنهيه بحرق قرايين الآلهة في النار المقدسة... والحدث الرئيسي في التقريب للآباء أن يصنع ثلاث كرات من الأرز، ويضعها فوق سجادة منسوجة بالعشب المقدس، بعد رش المكان بالماء، تذهب هذه (الكرات) إلى الموتى من أسلافه: الأب والجد وأبي الجد... ثم يمسح الأرز العالق بيده في العشب، ثم يسكب ماءً مباركاً على الأرض، بالقرب من (پندا) ومن شأن ذلك أن يرضي الأسلاف الأكثر بعداً، ثم يقسم (پندا) على ضيوفه من البراهمة الذين يأكلونها، وما تبقى من (شرادها) يصبح الوجبة الأساسية للضيوف.

وهكذا تكون (شرادها) همزة وصل بين الأحياء والأموات، وهي التعبير عن التعاون المتبادل بينهم، غير أن هذه العلاقة يمكن أن تنقلب رأساً على عقب، إذا لم تؤدّ الطقوس الجنائزية المناسبة للميت، فما لم تستقر أرواح الموتى في عالم الآباء تظل معرضة لأن تصب البلاء على رؤوس نسلها الذين لم يقوموا بإطعامها عن طريق القرايين، أو ضمان انتقالها إلى عالمها المناسب^(٢). يقول مؤن:

(٨٢/٣): إن تقديم الطعام أو الماء أو اللبن، أو الجذور، أو الفواكه... قرباناً للنار؛ لمما يسرّ الأجداد، فعلى العامل: ألا يُقصر بذلك قط.

(١) معنى لفظة شراده: الذكرى، أو هو الطعام الذي يقدم عند المصيبة.

(٢) انظر ما ذكره ميرسيا إلباد: المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص (١٥١).

(٨٣/٣): على العامل: أن يطعم برهميًا، في مقدمة الأجداد «شراده».

(١٢٢/٣): على البرهمي أن يقوم بالتقدمة الشهرية: شراده، بُندان نواهاري، للأجداد، في أول يوم من الشهر القمري، وذلك؛ أن يقوم بتقدمة «پتر يگيا» اليومية.

(١٢٣/٣): إن شُرَادَه الأجداد الشهري، المسمّى بُندان نواهاري يجب أن يكون بلحم.

(١٢٧/٣): إن القيام بأعمال شُرَادَه الشهرية؛ ترضي الأجداد وتنفعهم، وينال فاعلها؛ كل ما يتبغي من مال وبنين.

(١٣٢/٣): إن طعام تقدمه الآلهة والأجداد، يجب أن يقدم إلى رجل، ممتاز بالعلوم الدينية؛ لأن الأيدي الملوثة بالدماء؛ لا يستطيع تنظيفها بالدماء.

(٢٠٢/٣): إذا قدم المرء إلى الأجداد، بعقيدة وإخلاص، ولو ماء في وعاء فضي أو مطلي بالفضة؛ فإنه ينال بركة لا تنقطع.

(٢٠٥/٣): وعليهم أن يبدأوا الشراة؛ بتقدمة الآلهة، ويختموها بها كذلك...

(٢٠٦/٣): وعليهم أن يطلوا مكانًا: طاهرًا، منزويًا عن ضوضاء العالم؛ بخثي بقر، وليجعلوه منحدرًا نحو الجنوب.

(٢٠٨/٣): على المقدم: أن يجلس البراهمة، الذين دعاهم، في أماكن متفرقة، أعدت لهم من قبل...

(٢٠٩/٣): وبعد أن يأخذ هؤلاء البراهمة الأتقياء، أماكنهم المعدة لهم؛ يجب على صاحب الدعوة: أن يقدم إليهم أطواقًا من الأزهار، وأن يعطرهم؛ مبتدئًا بالبراهمة، الذين دعاهم لتقدمة الآلهة.

(٢١٠/٣): على صاحب الدار أن يستأذن أضيافه، ويبدأ في القيام بعمل «هوم»، بعد أن قدم إليهم: ماءً وسمناً...

- (٢١١/٣): بعد أن يقوم بأعمال هوم: للنار وللقمر، ويم^(١) YAM، لتكون حرزًا للشرادة؛ عليه أن يقدم طعامًا للأجداد.
- (٢١٤/٣): بعد أن ينتهي صاحب الدعوة، من أعمال هوم، وما يتبعها، من حلقة الطقوس، التي يجب أن يختتمها إلى جهة الجنوب؛ يجب عليه: أن يرش بيده اليمنى؛ المكان الذي وضعت فيه الحلوى، بقليل من الماء.
- (٢١٥/٣): ثم ليأخذ ثلاث كرات من الحلوى، مما تبقى من حلوى التقديم، وليتجه بها، بكل استجماع فكر؛ واطمئنان قلب؛ نحو الجنوب...
- (٢١٩/٣): ثم ليقطع بالتوالي؛ قطعًا صغيرةً من هذه الكرات، وليطعمها البراهمة، الجالسين لديه، قبل أن يبدأوا بالطعام.
- (٢٢٣/٣): ثم بعد أن يصب في يد أضيافه، ماءً ممزوجًا بحب السمس، وفيه عشب...، يقدم إليهم الكرات، وهو يقول «سوادها»^(٢) SWADHA.
- هكذا تنتهي عملية «شرادّه» الواجب على أهل الميت أن يفعلوها؛ لضمان سلامة الميت وإبقائه في سجل الأموات، ولضمان سلامة الأحياء من أقارب الميت.

(١) ملك الموت أو إله الموت عندهم.

(٢) هذا صوت الآكلين، يتفاءلون بها بأن الأجداد قد أكلوا.

المطلب الرابع

المرأة في المجتمع الهندوسي

وتحتة فروع

الفرع الأول: حقوق المرأة في الهندوسية

المرأة في الفيدات:

يمكن أن نذكر أحوال المرأة في الفيدات من خلال النقاط الآتية:

مكائتهن في الفيدات:

يبدو أن النساء كانت لهن مكانة جيدة في المجتمع الفيدي، نلاحظ ذلك في الأمور

الآتية:

(١) المرأة كانت تشارك زوجها في تقديم القرابين^(١).

(٢) أن المرأة كانت تنشد أبيات ريگ فيد^(٢).

(٣) بعض النساء يبقين في بيوت آبائهن بدون زواج، ويرثن بعض الأموال من الآباء^(٣).

(١) انظر ريگ فيد (١/١٣١/٣)، (٢/١٧٣/٢)، (٥/٤٣/١٥).

(٢) نجد هذا في القصيدة (٥/٢٨)، حيث إن مؤلفها امرأة تسمى بيشفابارا. كما نجد أسماء

بعض النساء اللواتي شاركن في إنشاد بعض القصائد الفيدية منها ما جاءت في (٨/٩١/١)،

(١/١١٧/٧)، (١٠/٤٠/١)، (١٠/١٤٥/١-٦).

(٣) انظر ريگ فيد (٢/١٧/٧).

(٤) كانت البنت تكرم عند الزواج بالحلي والثياب، من قبل والدها^(١).

(٥) كانت الأرملة تنكح مع أحمائها، (أخو الزوج)^(٢).

تعدد الزوجات في الفيدات وتعدد الأزواج:

يفهم من كثير من النصوص الفيدية أن تعدد الزواج كان متفشياً بينهم، والدليل عليه أنه كان هناك محاولات من الزوجات لاستخدام التمام والعزائم والتولات لجلب أزواجهن إليهن، والضرر بضراتهن^(٣).

كما يفهم من بعض النصوص الفيدية أنه كان هناك وجود لتعدد الأزواج أيضاً^(٤)، ولكنها كلها خاصة بزواج بعض النساء بالإله الفيدي أشفيدين، ومعلوم أن أشفيدين ليس إلا إله واحد، كأنهما توأمان، ولهذا يستخدم له الثنية، ولم يسمع انفرادهما بشيء، ولهذا نرى من يخالف وجود عدة أزواج لزوجة واحدة^(٥).

زواج الأرامل:

يفهم من بعض النصوص الفيدية أن زواج الأرامل كان سائداً في المجتمع الفيدي، فليس هناك ما يدل على أنها كانت تحرق مع زوجها، بل يدل على عكسها^(٦)، بل أكثر من هذا يفهم من بعض الفيدات أن الموتى كانت تدفن بدلاً من الإحراق^(٧)، وإن كانت هناك نصوص تدل على حرق الموتى أيضاً، وسيأتي الكلام عليه مستقلاً قريباً.

(١) انظر ريگ فید (١٠/٣٩/١٤).

(٢) انظر ريگ فید (١٠/٤٠/٢).

(٣) انظر على سبيل المثال: ما جاء في ريگ فید (١٠/١٥٩/٣، ٥-٦)، (١٠/١٤٥/٦).

(٤) انظر على سبيل المثال: ريگ فید (٩/١١٩/٥)، (٥/٧٣/٥)، (١٠/٨٥/٩)، (٨/٢٩/٨).

(٥) انظر ما ذكرته الهندوسية: كلاني بندوبادي: دهرم وناري، شيكال وإيكال، ص (٥٧).

(٦) انظر ريگ فید (١٠/١٨/٨).

(٧) انظر المصدر السابق.

وجود الزنايات:

يفهم من بعض النصوص وجود الزنايات في المجتمع القيدي^(١)، كما نلاحظ الإشارة إلى وجود الأولاد من بعض الفتيات قبل زواجهن^(٢).

المرأة لا حق لها من الميراث:

كما سبق معنا في بعض النصوص: أن النساء اللواتي لم يتزوجن كنّ يملكن بعض الأموال من الميراث، ولكننا نلاحظ عكس ذلك أيضًا في ريگشيد، حيث جاء فيه يدل على أن البنت لا ميراث لها إذا كان للرجل بنت وولد^(٣).

المرأة في الهندوسية الحالية:

إن المرأة لمظلومة في الهندوسية الحالية، من جميع النواحي، وفيما يلي بيان لأهم ما جاء في قوانينهم مُنْوَ سُمْرِتِي، عن النساء، حيث نلاحظ فيها أن مُنْوَ لم يعط للمرأة أي مكانة، ومما يدل على ظلمه على النساء البنود الآتية:

إن النساء لا حق لهن في التعميد:

(٢/٦٥): وتطهير أبدان الإناث؛ يجب أن تقام لهن هذه الطقوس (الاحتفال بالحمل، والولادة، وقطع السرة، وإطعام المولود أول طعام.. وغير ذلك، وكل هذه الاحتفالات تجرى للإناث من غير قراءة)، بأوقاتها المعينة، وطرقها المفروضة، ولكن من غير قراءة عزائم مقدّسة.

(٢/٦٦): إن للنساء، من الثواب، في حفلة العرس؛ مثل ما للرجال، من ثواب، في المعمودية، وقيامهم بطقوس دور التلمذة التحضيرية، ولخدمتهم في بيوت أزواجهن، من الثواب، مثل ما للرجال، بإقامتهم في بيوت أساتذهم، وعنايتهم بترتيب بيوتهن؛ كعبادة النار للرجال.

(١) انظر على سبيل المثال: ريگ فید (٥/٥/٤)، (٦/٤٠/١٠)، (٥/٣٤/١٠).

(٢) انظر ريگ فید (٢١/٤٦/٨).

(٣) انظر ريگ فید (١/٣١/٣)، وانظر ما ذكره د/ هيرونموي بندوباداي: ريگشيد فوريسوي ص (٦٦)، وهو في مقدمة كتاب ريگشيد.

(١٨/٩): من القواعد المبرمة: عدم جواز قراءة العزائم المقدسة للمرأة عند القيام بالطقوس الدينية، فالمرأة المحرومة من الطقوس ومن علوم القيادات هي أنجس وأشأم مثل الكذب، كما جاء التعميم بهذا القانون في كثير من البرانات^(١).

ألا يأكل مع الزوجة، ولا ينظر إليها في بعض الحالات:

(٤٣/٤): وعليه ألا يأكل مع زوجته، ولا ينظر إليها، وهي تأكل، أو تعطس، أو تتمطى، أو تكون في خلوة مع نفسها.

المرأة لا حرية لها مطلقاً:

(١٤٧/٥): يجب على المرأة، وهي صغيرة، أو شابة، أو مسنة؛ ألا تعمل عملاً، ولو في دارها، بمطلق إرادتها وحرّيتها.

(١٤٨/٥): يجب أن تكون في صغرها؛ تابعة لأبيها، وفي صباها؛ لزوجها، وإذا مات زوجها؛ فلبنها، ولا تكون المرأة، مطلقة الحرية، قط. وجاء مثله أيضاً في سُمرِتي (٣/٩). كما جاء مثله في مهابهارت أيضاً^(٢).

ليس للمرأة عبادة خاصة لوحدها:

(١٥٥/٥): ليس على المرأة أن تقوم مستقلة عن زوجها بعمل مقدمة (تقديم القرابين أو عبادة خاصة).

تبقى المرأة تعيسة بعد وفاة زوجها:

(١٥٧/٥): على الزوجة: أن تقتات، بعد وفاة زوجها: بالزهور، والجذور، والفواكه؛ ليضمّر جسمها، وأن ترعى ذمامه، بالألّا تذكر بفمها، بعد موته، اسم أيّ رجل مهما يكن شأنه^(٣).

(١) ومن الأمثلة على هذا ما جاء في گرور بُران، پورب كهاند، الفصل الثالث والتسعين.

(٢) (٤٦/١٣).

(٣) وسيأتي بيان حال المرأة بعد موت زوجها في الفرع القادم بإذن الله.

لا تتزوج المرأة مرة أخرى بعد موت زوجها:

(١٥٨/٥): وعليها أن تكون صابرة على الشدائد، ضابطة حواسها، عفيفة حتى الموت، وأن تسعى، جهد طاقتها، للقيام بواجبات الزوجات، ذوات الزوج الواحد، (أي لا تتزوج مرة أخرى).

(١٦٠/٥): فالمرأة التي تبقى عفيفةً باختيار حياة برهماشاريا، بعد موت زوجها، تذهب كذلك إلى النعيم.

لا تقبل شهادات النساء إلا على النساء:

(٦٨/٨): تصلح المرأة؛ شاهدة على امرأة...

(٧٧/٨): تقبل شهادة رجل واحد قنوع، ولا تقبل شهادة عدد من النساء؛ ولو كنا طاهرات؛ لأن من عادة النساء عدم الاستقرار، على رأي...

المرأة الزانية لا تعاقب إذا كان الزاني بها من طبقة أعلى منها:

(٣٦٤/٨): يعاقب بعقاب جسماني؛ كل من يزني بفتاة جبراً، وأما من يزني بها برضاها، وهي من طبقته؛ فلا يعاقب بعقاب جسماني.

(٣٦٥/٨): لا تعاقب الفتاة إذا زنت برجل من فرقة أرفع من فرقتها، وتمسك في الدار؛ إن كان الرجل من فرقة، دون فرقتها.

إن المرأة خلقت شريرة:

(٢١٢/٢): قد فطر النساء؛ على إغراء الرجال، فعلى العقلاء؛ أن يحذروهن.

(٢١٣/٢): إن في استطاعة النساء؛ ليس استهواء الجهلاء من الرجال فحسب... بل والعلماء منهم، وجعلهم عبيد الهوى والغضب.

(٢١٤/٢): إن الحواس؛ لتغلب، حتى على العلماء، وتقودهم إلى الضلال، فليحذر الإنسان من أن يجلس مع: أمه؛ أو أخته، أو ابنته، في مكان واحد.

(١٧/٩): إن منوحي أودع في فطرة المرأة حين خلقها، ميلها إلى سريرها ومقعدها، وحليتها، وإلى الهدايا النفيسة، وإلى الغضب وقلة الوفاء والمكر وسوء الخلق.

كما جاء في مهابهارت مثله، حيث قال «بهيشما»*: «إن الإله عندما خلق الإنسان خلق النساء وهي معيبة»^(١)، وقال: «لا يوجد في الدنيا عاصية مثل النساء، يمكن أن يمثلن بالنار الموقدة، والحية القاتلة، والموت، ...»^(٢)

المرأة لا مهر لها:

(١٠١ / ٩): «إننا لم نسمع قط، منذ الأزل، بمثل هذا البيع الخفي، حيث يعطي المراء ابنته لرجل لقاء مبلغ معين من المال يسميه مهرًا.

المرأة لا ملكية لها

(٤١٦ / ٨): لا ملكية: للزوجة ... ولا للعبيد (الشودرا)، بل كل ما يكتسبونه؛ هو ملك لمن يتممون إليه.

كما أن الأصل في المواريث أنها عندهم خاص بالذكور، ما عدا الابنة فإن لها ربع ما للابن، وجهازها من ميراثها، أما الزوجة فإن أثرت الحياة ولم تحرق نفسها كان على الوارث رزقها وكسوتها.

وجاء في بعض النصوص الهندوسية وصف المرأة بأنها عاصية، لا تملك ميراثًا ولا سلطة^(٣).

العقاب الأليم على الزوجة:

(٣٧٠ / ٨): إذا أبت الزوجة؛ أن تقوم، بما عليها، لزوجها من الواجبات الزوجية، مدفوعة بالغرور، والفخر بأسرتها، أو بجمالها؛ فعلى الملك: أن يجعل الكلاب تفترسها، على مشهد من جماعةٍ من الناس.

ضرب الزوجة:

جاء في بعض الأوبانيشادات: أن الزوجة تضرب باليد أو بالعصا^(٤).

(٢) مهابهارت (٣٩ / ١٣).

(١) مهابهارت (٣٨ / ١٣).

(٣) انظر ما جاء في تائيطريا سنغها (٨٢ / ٥ / ٦).

(٤) بُرِيَهْدَارَنُكَ أوبانيشادة (٧ / ٤ / ٦).

الحجاب:

المرأة الهندوسية لم تكن تتحجب بحجاب معروف ولها أن تختلط بالرجال في حالات منها: حفلات الزواج، وتقديم القرابين للآلهة، كما يجوز لها أن ترقص أمام الصنم للحصول على رضائه^(١).

الابتعاد عن النساء في حالة الحيض:

(٤ / ٤٠): وعليه ألا يقترب من زوجته؛ عند ظهور دم الحيض، مهما غلبت عليه شهوته، وألا ينام معها في فراش واحد.

(٤ / ٥٧): وعليه ألا ينام في مكان خالٍ وحده، ولا يوقظ من كان أعظم منه، ولا يكلم الحائض...

(٤ / ٤١): يجب على المرء أن يحذر من المرأة في حال الحيض فلا ينام معها، ولا يجامعها، فإن من فعل ذلك يُبتلى بالضعف في الجسم والباءة والنظر، كما ينقص من عمره^(٢).

وقد ذكر البيروني ذلك فقال: «وأما الحيض فإن أكثره بالرؤية ستة عشر يومًا، وبالتحقيق هو الأربعة الأيام الأولى، وإتيان المرأة فيها محظور، بل قربها في البيت كذلك، فإنها حينئذ نجسة، فإذا انقضت الأيام الأربعة واغتسلت طهرت وحلّ إتيانها وإن لم ينقطع عنها الدم؛ فإن ذلك ليس بحيض، وإنما هو مادة للأجنة»^(٣).

وهكذا حالها في النفاس؛ يقول البيروني: «وما دامت المرأة نفساء لم تقرب من آنية، ولم يؤكل في دارها شيء،... وتلك الأيام تكون لبرهمي ثمانية، ولكهشثري اثني عشر يومًا، ولغايشا خمسة عشر، ولشودر ثلاثين، ومن دونهم فغير معدود، ليس له في الرسوم حدّ محدود»^(٤).

(١) انظر ما ذكره الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٩٥).

(٢) منو، الباب الرابع: ٤٠-٤١.

(٣) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٤٢٩).

(٤) المصدر السابق ص (٤٢٩-٤٣٠).

كراهية النساء عموماً:

كراهية النساء عموماً هي السمة العامة في الهندوسية بدءاً من القيدات إلى الكتب المتأخرة الهندوسية كلها ترى النساء تعيسة، فهي كلها تربي الناس على كراهية النساء، وقد جاء في القيدات الدعوات الكثيرة المتكررة للأولاد الذكور والأحفاد^(١)، ولكن لم يأت ولو مرة واحدة الدعوة للبنت.

كما جاء في بعض المواضع من القيدات الدعاء الصريح لثلاث يجعل الابن بنتاً، وأن تحمل المرأة ولداً^(٢).

وجاء في تائيطريا سنغها: «بعدما تولد البنت توضع بجانب، بينما لو ولد الابن يرفع إلى الأعلى إظهاراً للفرح»^(٣).

كما جاء في تائيطريا برهمانا: «إن الولد سراج الجنة الأعلى»، بينما «البنت سبب المصائب والمعائب»^(٤).

ونرى في بعض البرهمانات جعل النساء مثل الكلاب والطيور السوداء، والشودرا^(٥).

وجاء في مهابهارت: «إن الولد مثل النفس، وأما البنت فسبب التعاسة»^(٦).

وجاء فيه أيضاً: «إن الولد مثل النفس، ولكن البنت محل العطف»^(٧).

(١) انظر على سبيل المثال: ريگ فيد (١/٩٧-٤)، (٤/٩/٦)، (٤/٣٢/١٢)، (٤/٩/٣).

ومثله في أثربا فيد (٦/٨/٤٢).

(٢) أثربا فيد (٣/٢٣/٢)، (٨/٦/٢٥).

(٣) تائيطريا سنغها (٦/٥/١٠/٣).

(٤) تائيطريا برهمانا (٧/٣/١٣).

(٥) سبت برهمانا (١٤/١/٣١).

(٦) مهابهارت (١/٥٩).

(٧) المصدر السابق (١٢/٢٤٣).

كما جاء في رامين: «إن ما يؤلم الكبار أن يكونوا أولاد البنات؛ لأن البنات لا يدري عنهن من يأخذهن، فالبنات يجعلن الآباء والأمهات والإخوان في حزن دائم»^(١).

كما جاء مثله في مهابهارت أيضًا^(٢).

وهذه الأقوال تسببت في قتل البنات عمومًا في المجتمع الهندوسي، ولهذا كانوا يقتلون البنات بأدنى الوسائل، ولا تزال هذه العادة متفشية في بعض المجتمعات الهندوسية^(٣).

ويقول إلههم الكبير «كريشنا» في مهابهارت: «يا بهارتا! إن من يتخذني ملاذًا، من النساء وفايشا، والشودرا، الذين ولدوا في أرحام المخططات، فهم أيضًا يحصلون على المقام العالي»^(٤).

فهذا كريشنا أيضًا يرى أن النساء ولدن مخططات، وإن كان يثبت لهن النجاة في نهاية الأمر، كما يظهر من كلامه أن نجاتهن من أصعب الأمور^(٥).

ومن أغرب الأمور في الهندوسية بعد ما روجوا اشتراط الطبقة الجائرة أن النساء كثيرًا ما يزوجن مع الأشجار^(٦) وبعض الأحيان مع المحتضرين للموت^(٧)، وهم بذلك يحتالون على شروط الطبقة.

هذه بعض ما جاء من أحكام المرأة في الهندوسية، وهي أحكام جائرة ظالمة تمنع المرأة من حقوقها الدينية والدنيوية^(٨).

(١) رامين (٩/٧).

(٢) مهابهارت (٩٧/٥).

(٣) انظر ما ذكرته الهندوسية: كلّاني بندوباڏاي: دهرم وناري، شيكال وإيكال، ص (٢٩).

(٤) بهاغافاد غيتا (٣٢/٩).

(٥) انظر ما ذكرته الهندوسية: كلّاني بندوباڏاي: دهرم وناري، شيكال وإيكال، ص (٢٩).

(٦) مهابهارت (١١٩/٥).

(٧) انظر ما ذكرته الهندوسية: كلّاني بندوباڏاي: دهرم وناري، شيكال وإيكال، ص (٤٨).

(٨) انظر المصدر السابق لمعرفة المزيد عن حالات النساء الهندوسيات قديمًا وحديثًا.

ونلاحظ أن هذه النظرة ما زالت موجودة، فقد تذكر المجلات والجرائد حيناً بعد حين عن قتل الجنين إذا كان من البنات في الهند.

ففي تقرير لمجلة آفاق عربية - العدد ٥١٣ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: أن ما بين ١٥ مليون حالة إجهاض في العالم، هناك ٤ ملايين حالة في الهند وحدها، ٩٠٪ منها بعد التأكد من أن الجنين أنثى.

وفي تقرير لليونيسيف أن ما يتراوح من ٤٠ - ٥٠ مليون بنت قد اختفت في الهند خلال العقود التسعة الماضية.

وقد ذكروا أن مديرية دهارما بوري بولاية تاميل نادو الهندية شهدت قتل ١٠٥ أنثى شهرياً على مدار سنة ١٩٩٧، ولهذا شوهد تقليل نسبة البنات في كثير من الولايات الهندية، فحسب أرقام رسمية نسبة الإناث إلى الذكور في مديرية «جايسا لمير» بولاية راجستان الهندية تدنت إلى ٣٥: ٦٥، وهي ربما تمثل أدنى نسبة في العالم.

الفرع الثاني: وضع الأرامل في الهندوسية

إن وضع الأرامل في الهندوسية مزرية جداً، حيث إنها تعيش حياة تعيسة بكل معنى الكلمة؛ فإن الأرامل لها خياران:

الخيار الأول: أن يحرقن أنفسهن مع أزواجهن^(١).

جاء في الكتب الهندوسية المتأخرة إحراق المرأة نفسها مع زوجها الميت، وكانت هذه العملية تعتبر من أعمال البر والفضيلة للمرأة الهندوسية. ففي كتب البرانات أن «سلوجنا» جلست مع زوجها، ونلاحظ في مهابهارت أن «مادري» أحرقت نفسها مع زوجها الملك پاندو، كما جاء أيضاً: أن عدداً من زوجات «كريشنا» أحرقن أنفسهن معه. ويبدو أن هذه العادة كانت سائدة حتى قبل الميلاد، حيث إن مؤرخي اليونان ذكروها في كتبهم العتيقة قبل الميلاد.

(١) انظر ما ذكره غوستاف لوبون: حضارات الهند ص (٦٤٦-٦٤٧).

وأما الآن فإن القوانين الهندية تمنع من هذه العادة البشعة، فقد سبق معنا قريباً سبب ذلك، وذلك أنه في عام ١٨١١م توفى أخو «رَاجَا رَام مُوَهَانُ» أحد مفكري الهند، ومؤسس «المجتمع البرهمي». وحرقت زوجته نفسها معه فتأثر «راجا رام موهان» بهذه الحادثة المؤلمة كثيراً، وبدأ يطالب الحكومة البريطانية بسنّ قانون يمنع «ستى برتهها» (أي حرق المرأة نفسها مع زوجها المتوفى عنها) واستجابت الحكومة، فسنّت قانوناً في عام ١٨٢٩م في أيام الحاكم البريطاني «لورد ويليام ويتنك» يمنع من هذه العادة البشعة.

ونتيجة لذلك فقد كثرت الأرامل في الهند وخاصة في السن المبكرة، ففي إحدى الإحصائيات في القرن الماضي توجد من الهندوسيات ٧٧٨, ١٣ من الأرامل، وسنّهن أقل من خمس سنوات، و ٤٠٤٠, ٦٤ من الأرامل وسنّهن أقل من عشر سنوات، وقس على ذلك الأرامل اللاتي بلغن أكثر من هذه السن^(١).

الخيار الثاني: لما منع الخيار الأول رسمياً، لم يبق أمامهن إلا الخيار الثاني، وهو: أن تعيش حياة عيسة، وهي تعاسة بكل معنى الكلمة، وفيما يلي بيان لبعض تعاساتها:

(١) لا يحق لها أن تتزوج.

وقد حاول بعض المصلحين منهم أن يسمح لهن بالزواج، فمنهم من خصص من المنع البنات التي أصبحت أرملة وهن ما زلن أبكاراً، كما هو مذهب ديانند سرسفاتي، ومنهم من عمّم، منهم «إيشفار»^(٢) چندر بيذا شاغر، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل؛ فإن الأرملة تنظر إليها على العموم بأنها منحوسة وشقية، وتجلب الشقاء والبلاء للأسرة، فلا يرغب فيهن أحدٌ كزوجة.

ولأجل إخماد غريزتهن نسمع حيناً بعد حين عن كثير منهن الفواحش والمنكرات، والانضمام إلى بيوت الدعارة وممارسة البغاء.

(١) انظر ما ذكره الدكتور محمد الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٩٢-٥٩٣).

(٢) لا تقرأ الفاء وإنما تقوي الحرف السابق.

المتعة للأرامل:

أباحَت الديانة الهندوسية للأرامل المتعة، فقد جاء في شرع مُنُو:

(٩/ ٦١): إن الذي يعهد إليه بمواقعة أئيم عليه أن يدهن بدنه بسمن ثم يقترب منها ليلاً، وهو صامت، وله أن ينسل منها ولداً واحداً فقط.

(٩/ ٦٢): غير أن بعض الأحبار العالمين بالأحكام يرون أن نسل ولدين من مثل هؤلاء النسوة جائز أيضاً لا إثم فيه.

وهذه الإباحة فتحت أبواب الشر على مصراعيها، حيث نجد البراهمة يزنون بالأرامل كيفما يشاءون.

ويبيع «ديانند» المتعة للأرامل وغيرها للحمل فقط، ويسمي هذه العادة بـ«نيوگ»، أو الاستبضاع، ويحرم الزواج الثاني فيقول:

«يجوز للمرأة المتوفى عنها زوجها أن تتمتع برجل أجنبي لكي تحمل مرتين لنفسها، وأربع مرات لأربعة رجال، وكذلك يجوز للرجل الذي ماتت زوجته أن يتمتع بالمرأة المتزوجة لتلد له مرتين، وأربع مرات لأربع نساء»، ويستدل على ذلك ببعض الآيات من ريگفيد^(١)، والذي جاء فيه: «يا (إِنْدْرَا) عليك أن تجامع هؤلاء النسوة المتزوجات، والأرامل لتمنح لهن الأولاد الأقوياء، فللمرأة المتزوجة عشرة أولاد، وكذلك أيتها المرأة المتزوجة عليك أن تباشري هؤلاء الرجال لتلدي لهم عشرة أولاد»^(٢).

(٢) لا يحق لها أن تربي شعرها، بل لابد وأن تحلق شعرها.

وذلك لاعتقاد الهندوس؛ أن روح الزوج تبقى حبيسة في صفائر المرأة ما دامت هي تجعلها صفائر، فلا ينبغي أن تترك شعرها، بل عليها أن تحلق^(٣).

(١) (١٠/ ٨٥/ ٤٥).

(٢) ستيارتها بركاش الباب الرابع ص ١٦٤-١٦٥، وقد نقله أيضاً الدكتور الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٩٤-٥٩٥).

(٣) انظر ما ذكره: أبو الحسين باتراسارزا: شيش نيبدين، ص (٤٦).

(٣) لا يحق لها أن تلبس لبسة مزينة ببقية حياتها.

لأنها بزيتها تخون زوجها الميت، فليس لها إلا أن تبقى مبتدلة طيلة حياتها.

(٤) لا يحق لها أن تأكل اللحم والدهنيات، ولا السمك، وإنما تأكل بعضاً من النباتات المحددة، فقد جاء في مَنُو سَمَرْتِي:

(١٥٧/٥): على الزوجة: أن تقتات، بعد وفاة زوجها: بالزهور، والجذور،

والفواكه؛ ليضمّر جسمها، وأن ترعى ذمامه، ألا تذكر بفمها، بعد موته، اسم أي رجل مهما يكن شأنه.

(٥) لا يحق لها أن تأكل أكثر من مرة في اليوم.

(٦) لا يحق لها أن تشترك في أي حفلٍ من حفل الزواج ولا النظر إلى العروسين.

(٧) لا يحق لها أن تشترك في أي حفل عام يرجى فيه الخير والفلاح.

(٨) لا يحق لها أن تعبد إلا «شِيفًا لنغا»، أي: «ذكر مهاديو» وعند عبادتها تنظر إليه على أن مهاديو (شِيفًا) ما هو إلا زوجها.

(٩) لا يحق لها أن تدعو لأحدٍ.

(١٠) لا تستحق السلام ولا الكرامة مطلقاً.

والسبب في ذلك:

أن الهندوسية ترى الأرملة منحوسة، حيث أنها سبب فقدان حياة زوجها، فهي إما

أنها خائنة، وإما أنها عملت في الولادات السابقة أعمالاً تسببت لموت زوجها، فهي لا تستحق أي نوع من أنواع العطف ولا الكرامة.

كما أن نظرتها إلى العروسين تجلب لهن النحس والشقاء، فليس لها من الحياة

الدنيا إلا التعاسة والتعاسة والشقاوة والشقاوة^(١).

(١) انظر ما ذكره أبو الحسين بتراسارزا: شيش نيبیدن (الصرخة الأخيرة)، ص (١٠-٤٣).

فالأرملة التي تبقى على قيد الحياة تعيش حياة قاسية، وفي الغالب أنها تقدم هدية للمعابد لخدمة المعبد والراهب، والصحف الهندية دائماً تنشر الفضائح التي ترتكب مع الأرامل في المعابد.

فالهندوسية لا تسمح بالزواج للأرامل مطلقاً حتى ولو كانت البنت قد مات عنها زوجها قبل الدخول بها بل يحرم عليها أن تتزوج برجل آخر، وبالمقابل تسمح للرجل أن يتزوج بامرأة أخرى إذا ماتت زوجته الأولى، يقول مُنُو:

(١٦٨ / ٥): وبعد أن يقوم الزوج لزوجته، بطقوس الأحزان الأخيرة؛ له أن يتزوج ثانية، ويقوم بعبادات النيران.

إلا أن «ديانند» صاحب آريا سماج: ينكر ذلك ولا يجوز للرجل النكاح مرة أخرى^(١).

الفرع الثالث: اعتقاد الزوجة أن الزوج إله

إن الهندوسية تربي النساء على أن زوجها إله لها، فلا إله لها غيرها، وأنها لا بد وأن ترضيها بكل ما أوتيت من سبيل، فلا عبادة لها على الانفراد، يقول مُنُو:

(١٥٤ / ٥): على المرأة المخلصة: أن تحترم زوجها كالإله، ولو كان عارياً من كل فضيلة، وكان يميل إلى غيرها.

(١٥٥ / ٥): ليس على المرأة أن تقوم، مستقلة عن زوجها؛ بعمل مقدمة، ولا أن تنذر نذراً، ولا أن تصوم؛ لأن المرأة المطيعة لزوجها؛ تنال الفردوس الأعلى بإطاعتها فقط.

(١٥٦ / ٥): إن المرأة المخلصة التي تريد أن تتمتع بقرب زوجها منها، بعد الموت، عليها ألا تفعل ما يمقته، أو يغضبه، سواء أكان حياً أم ميتاً.

(١) ستيارتها بركاش، الباب الرابع ص ١٦٧، وقد نقله أيضاً الدكتور الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٩٣).

وهذه الفقرات تدل مدى غلو الهندوس في فرض طاعة الزوج على الزوجات، حيث جعل الزوج إلهاً^(١)، ولم يأمرها بالعبادة إلا مع زوجها، وأنها لا بد أن ترضى على زوجها على كل حال في حياته وبعد موته، وهذا يعني عدم زواجها أيضاً.

يقول أحد المستشرقين: «وفي الهند تعد المرأة בעلها قواماً ممثلاً للآلهة في الأرض، وفي الهند تبلغ المرأة من احترام زوجها ما لا تذكر معه اسمه، والمرأة إذا كانت حديثة عهد بالزواج استبدلت باسم زوجها لفظاً عرضياً، وإذا أصبحت أمّاً كنت زوجها باسم ابنها البكر مضافاً إلى كلمة «أبي» فتقول: «أبا فلان» مثلاً. [أي لا تذكر اسم زوجه مطلقاً] وللزوج سلطان مطلق،...»^(٢).

الفرع الرابع: نظرة الهندوس إلى الزنا

تمارس في الهندوسية أنواع من الزنا، منها:

(١) الزنا الشرعي (نيوگ) أو الاستبضاع.

(٢) إحداث نساءٍ لخدمة المعابد والآلهة والإلهات.

(٣) السماح بوجود المغنيات والزانيات وبيوت الدعارة في المجتمع.

أما الأول: فهو الذي يسمّى عند الهندوس بـ«نيوگ» (الاستبضاع)، فقد جاء في شرع مُنُو ما يدل على جوازه:

(٥٩/٩): إذا واقع الأخ الأكبر زوجة أخيه الأصغر، أو الأخ الأصغر زوجة أخيه الأكبر، تصبح الزوجة الموطوءة والرجل الواطئ من الأسافل، حتى ولو كان مصرحاً لهما بذلك، إلا في حالات الشقاء (عند عدم وجود أولاد ذكور مثلاً وهو أكبر حالات الشقاء).

(٦٠/٩): يجوز للمرأة - بالإذن - إذا عدت الأولاد أن تواقع أخا زوجها أو أحد

(١) انظر لمعرفة المزيد ما جاء في هندو آئين، ص (٤٥).

(٢) غوستاف لوبون: حضارات الهند ص (٦٤٤-٦٤٥).

أقاربه، المعروفين بـ«سِنْدُ»، بالطرق المشروعة بغية الحصول على أولاد.

(٩/ ٦١): إن الذي يعهد إليه بمواقعة أئِم عليه أن يدهن بدنه بسمن ثم يقترب منها ليلاً، وهو صامت، وله أن ينسل منها ولدًا واحدًا فقط.

(٩/ ٦٢): غير أن بعض الأخبار العالمين بالأحكام يرون أن نسل ولدين من مثل هؤلاء النسوة جائز أيضًا لا إثم فيه.

(٩/ ٦٣): إذا تمّ الغرض والقصد الذي كان السبب لمواقعة هذين الشخصين فعليهما أن يعيشا - بعد ذلك - كالحمى والكنة.

وأما الثاني: وهو ممارسة الزنا بخدمة الإله ومعبد، فقد وصف لنا «ول ديورانت» الأوضاع التي كانت سائدة في معابد الكهنة البراهمة، وما كان يدور فيها من مجون وارتكاب للفحشاء دون خجل أو وجل، ويقول:

«وفي كل معبد (Temple) مجموعة من النساء المقدسات اللائي يستخدمن المعبد أول الأمر في الرقص والغناء أمام الأوثان ثم من الجائز أن يستخدمن بعد ذلك في إمتاع الكهنة البراهمة، وبعض هؤلاء النسوة - فيما يظهر - قد قصرن حياتهن على عزلة المعابد وكهانها، وبعضهن الآخر قد وسع من نطاق خدماته بحيث يشمل كل من يدفع أجرًا لمتعته على شريطة أن يدفع لرجال الدين جزءًا من كسبهن عن هذا الطريق، وكان كثير من زانيات المعابد أو فتيات الرقص يقمن بالرقص والغناء في الحفلات العامة والاجتماعات الخاصة.

ويحدثنا نص مقدس لدى الهندوس في سنة ١٠٠٤ ميلادية كان في معبد الملك الكولي (راجا واجا) في تانجور أربعمئة امرأة من خادמות المعبد، وأكسب الزمان هذه العادة صبغة الجلال فلم ير فيها أحدًا ما يتنافى مع الأخلاق حتى إن السيدات المحترمات كن أنا بعد أن يهيئن ابنة إلى مهنة العهر في المعابد بنفس الروح التي يهيئ بها الابن إلى الكهنوت.

ويصف أحد المستشرقين^(١) في أول القرن التاسع عشر معابد الجنوب «بأنها في بعض الحالات كانت تتحول إلى بيوت للدعارة ولا شيء غير هذا»، وكانت عامة الناس تطلق على خادومات الله بغض النظر عن مهنتهن في بداية الأمر - الزانيات -.

وكانت واجباتهن الرسمية تتألف من الرقص والغناء داخل المعابد مرتين كل يوم... وكان الرقص يثير الشهوة وليس في إشاراتهم شيء من الوقار، وأما غناؤهن فيكاد كله يتألف من أشعار فاحشة تصف ما مرّ في تاريخ آلهتهم من حوادث الإباحة الجنسية^(٢).

ويقول البيروني: «ويظن الناس بالزنا أنه مباحّ عندهم...، وليس الأمر كما يُظنّ، ولكنهم لا يشددون في العقوبة عليه، والآفة فيه من جهة ملوكهم؛ فإن اللواتي تكن في بيوت الأصنام هنّ للغناء والرقص واللعب لا يرضى منهن برهمي ولا سادّ غير ذلك، ولكن ملوكهم جعلوهن زينة للبلاد وفرحاً وتوسعة على العباد، وغرضهم فيهن بيت المال ورجوع ما يخرج منه إلى الجند إليه من الحدود والضرائب...»^(٣).

وأما الثالث: فالهندوسية تعترف بوجود طبقة زانية في المجتمع، وفتح بيوت الدعارة، وقد جاء ذكرها في مئو سُمريتّي:

(٨ / ٣٦٢): إن هذه الأحكام (العقوبات) لا تنطبق على نساء الممثلين والمغنين، أو من يعيش على كسب زوجته؛ لأن مثل هؤلاء الناس؛ يبعثون بنسائهم إلى الآخرين، أو يحجزون أنفسهم في حجرة، ويسمحون لزوجاتهم بتعاطي الفاحشة، في الحجرة الثانية.

وما زالت الديار الهندوسية مكتظة بوجود بيوت الدعارة، بل ربما نظر إليها نظرة إكرام وتبجيل في بعض الكتب الهندوسية المقدسة.

(١) هو المستشرق ديوا.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة (٣ / ١ / ١٧٤-١٧٥).

(٣) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٤٣٠).

وإذا نظرنا إلى كتبهم العتيقة نلاحظ أن الدعارة موجودة حتى في كثير من كتبهم المقدسة، حيث يشير بعض القيداء إلى فئة من الباغيات في المجتمع^(١)، كما تشير الأوبانيشادات إلى وجود مثل هذه الفئات من النساء في المجتمع بدون حرج؛ فإن أحد فلاسفتهم المشهورين، المسمى ستاكام، سأل أمه عن والده، فقالت: إنني في عنفوان شبابي خدمت الكثيرين، فولدت أنت، ولا أدري من والدك، إلا أن اسمي جباله، وأنت ستاكام، فلتكن أنت ستاكام جباله^(٢)، ثم أصبح هذا الولد من كبار الفلاسفة، ولم يعب عليه أحد.

كما جاء في كتب «أرتها شاشتر» (علم الاقتصاد القديم) تفصيلاً دقيقاً عن المبلغ الذي تدفعه الباغية للخزانة لكل يوم^(٣)، وهذا ما يدل على أن بيوت الدعارة والبغاء كان شيئاً مقبولاً رسمياً في تلك المجتمعات.

وقد جاء في كتب سُمرتي، منع البراهمة من تناول طعام البغايا، ولكن لم تمنع هذه الكتب من التمتع بهن، وإنما كانت تمنع من التمتع من الفرق العالية فقط^(٤)، كما جاء التهديد في مَنُو سُمرتي بأن الملك لا بد وأن يعذب البغايا اللواتي لا يمثلن أمره^(٥).

جاء في رامين عند ذكر تنويع رام على الملك ذكر البغايا حيث حدد الكتاب على لسان دشرته الملك مكانهن في المجلس العام^(٦)، كما يأمر الملك وزيره أن يرسل مع رام مجموعة من البغايا لترفيهه^(٧)، وعندما رجع رام مع سينا بعد الحرب الكبرى مع رافن، أمر الملك بهرت أن يخرج البغايا مع العساكر وجموع المواطنين لاستقبال أخيه رام^(٨).

(١) انظر ريگ فید (١/١٦٧/٤)، وأثر با فید (١٥/١/٢/٥).

(٢) أوبانيشادة شانديوغا (٤/٤). (٣) انظر أرتها شاشتر (٢/٢٧).

(٤) انظر مَنُو سُمرتي (٤/٢٠٩، ٢١٩). (٥) انظر المصدر السابق (٩/٢٥).

(٦) انظر رامين (٢/٣).

(٧) انظر المصدر السابق (٢/٣٦).

(٨) انظر المصدر السابق (٦/٢٨).

ونلاحظ في مهابهارت أن «دريودان» كان معه في سفره الترفيهي للصيد مجموعة من البغايا^(١)، وكان مع أولاد پاندو الخمسة في الحرب مجموعة كبيرة من البغايا^(٢)، حتى إنه لما خرج يودهيشتهير لمراقبة أفواجه راقب أحوال البغايا أيضًا^(٣)، كما فعل مثل هذا دريودان قبل حربه مع أولاد پاندو^(٤)، بل نلاحظ في عدة أماكن ذكر البغايا كأنهن من الأعضاء المكرمات في ذلك الزمان^(٥).

ونلاحظ ما هو أغرب من ذلك، أن إلههم كريشنا عندما جاء إلى هستيناپور قدم إليه دريودان الملك مجموعة من البغايا لاستقباله، احترامًا له^(٦).

وقد أمر بهيشما الراهب أن يعذب الملك البغايا إذا لم يمثلن بأوامره^(٧)، وكانوا يتفألون برؤية البغايا عند خروجهم لمهماتهم^(٨)، ولهذا نلاحظ كثيرًا من الرهبان والنسك والملوك والوزراء يلجأون إليهن في كثير من الأحيان^(٩)، وفي كتاب «كام سوتر» (أي: كتاب خيوط العمليات الجنسية)، مجموعة من القواعد والقوانين المحددة في التعامل مع تلك الفئة من النساء.

أما كتب فرقة نانترا فهي مكتظة بمثل هذه القصص وبيان فضائلها، وما ينالها العبد من ممارستها من الأمور العظيمة^(١٠). وأما كتب البرانات فتذكرهن بكثير من الاحترام والإجلال، فهذه الأمور كلها تدعم انتشار الزنا في المجتمع الهندوسي بشكل عام.

(١) انظر مهابهارت (٣/٢٣٩).

(٢) انظر المصدر السابق (١/١٩٥، ٥/١٤٩).

(٣) انظر المصدر السابق (٥/١٤٩).

(٤) انظر المصدر السابق (٥/١٩٥).

(٥) انظر المصدر السابق (٤/٦٨)، (٨/٤٩).

(٦) انظر المصدر السابق (٥/٨٥)، وانظر أيضًا بهاغافاد بْران (١/١١).

(٧) انظر مهابهارت (١٣/٨٨).

(٨) انظر كام سوترا (٣/٧).

(٩) انظر المصدر السابق.

(١٠) انظر مها نيربان تتراس (٢٧٥).

قلتُ: وليس الزنا عن الهندوس بعيد؛ فإن الزنا كان منتشرًا لدى آلهتهم، وقد سبق معنا نماذج من أعمال الزنا الممارسة من قبل آلهتهم، عند الكلام على عقيدة الألوهية في الهندوسية^(١)، كما أُلّف في ذلك كتب مستقلة^(٢)، وفيما يلي إشارة سريعة إلى بعض هذه الممارسات الجنسية التي مورست من قبل آلهتهم:

(١) أولاد پاندو كلهم من أولاد الآلهة، فالآلهة (دهرم، الشمس، بايو/ الهواء، إنْدْرَا، أشفيدين) حضروا لدعاء زوجتي پاندو وزنوا بهما، حتى أولدوا لهما خمسة أولاد^(٣).

(٢) جاء إلههم إنْدْرَا إلى الراهبة «أهلاّ» زوجة الراهب گُوْتَم، وزنى بها، وكانت راضية بهذا العمل المشين^(٤).

(٣) جاء القمر إلى زوجة الراهب بريهسبتي وتمتع بها^(٥).

كما أن من يسمّون بالريشين ثبت عن كثير منهم ممارسات شهوانية، وفيما يلي بيان لبعض هذه القصص من صميم كتبهم الدينية:

(١) إن مُني پراشر زنى بـ«ستوبتي» ابنة رئيس الصيادين في ظهر السفينة، فولدت منه بياس بن پراشر، الراهب الهندوسي المشهور.

(٢) عابدهم! الكبير، وفيلسوفهم المعروف بـ«بياس بن پراشر» أو بياس دِثَف، زنى بزوجتي الملك حتى أولد ولدين، وقصة مهابهارت ما هي إلا قصة أولاد هذا الرجل من الزنا.

(١) انظر ص ينظر المبحث الثالث من الفصل الأول من الباب الثاني، من ص (٧٠٨-٧٩٣).

(٢) انظر على سبيل المثال، كتاب هندو دهرم روهوش و دِثَف ليلا: لمنشي مهر الله. وكتاب الشيخ عبيد الله الهائلي: تحفة الهند، فقد ذكرنا جملة كبيرة من زنا آلهتهم من خلال كتبهم المقدسة والتي تنبؤ الأسماع عن سماعها، واللسان عن قراءتها. نسأل الله السلامة والعافية.

(٣) مهابهارت (المختصر) ص (٨٦).

(٤) پدم بُرَانْ ص (١٦٥-١٦٩).

(٥) مهابهارت (المختصر) ص (٨٧).

(٣) إن راهبهـم الكبير، «بششت» زنى بزوجة «سوداس نندن»، حتى أولد منها أولادًا عديدة^(١).

(٤) إن راهبهـم المشهور «بريهسبتي» زنى بزوجة أخيه الكبير الحامل^(٢).

(٥) إن كريشنا (إلههم) زنى بامرأة «شنخ جور»^(٣).

ولا أريد أن أزيد في بيان هذه القصص، وإنما أريد أن أقول أن أغلب آلهتهم وأحبارهم كانوا يزنون بالنساء بدون أدنى حياء، مع من يزنون، بل نلاحظ بعض الأحيان أن الزنا يمارس مع بعض الأقارب، حتى الأخوات في بعض الأحيان^(٤).

ومن الغريب أنهم جعلوا ذكر أسماء هؤلاء الزانيات في الصباح سببًا لغفران الذنوب، حيث قال: «إن من يذكر الأسماء الآتية في صباح كل يوم: أهلاً^(٥)، دروپدي^(٦)، كتي^(٧)، تارا^(٨)، مندودري^(٩)، يغفر عنه كل الذنوب، وإن بلغت ذنوبه عنان السماء»^(١٠).

مع أن هذه النسوة الخمسة ما هن إلا زانيات بشهادة كتبهم المقدسة.

هذه الأمور المستقبحة من قبل آلهتهم ينظر إليها الهندوس بنظرة إعجاب وقبول، وهم يرونها في كتبهم^(١١)، بل يسمونها بـ«ليلا*» (تمثيلية مرحة)، يقولون: إن القدرة

(١) انظر مهابهارت (المختصر) ص (٨٦).

(٢) انظر برهما بييرت بران.

(٣) برهما بييرت بران.

(٤) انظر ما نقله الشيخ أبو الحسين بتراسارزا: شيش نبيدن ص (٥٩-٦٠).

(٥) هذه زوجة الراهب گوتم زنى بها إندرًا.

(٦) هذه زوجة أولاد پاندو الخمسة.

(٧) هذه زوجة پاندو التي جاءت بخمسة أولاد بالزنا من غير زوجها الشرعي.

(٨) وهي إما زوجة بريهسباتي التي زنت بالقمر، حتى ولدت «بوده»، أو زوجة ملك القروء في راماین، التي زنت بحموها.

(٩) هذه زوجة بيهيشن أخو رابن ملك سيرلانكا، ولها قصص غرامية عديدة.

(١٠) مهابهارت (المختصر) ص (٨٨).

(١١) وقد جاء الشناء العاطر على مثل هذه الأعمال حتى في منو سُمريتِي، انظر (٨/ ٣٦٥).

الإلهية المتحررة من كل عيب أو دنس يمكن أن يكون لها عملٌ يقوم على بواعث من الحاجة أو الولع، ففعل الخلق من الخالق يفسر بأنه مسرة عفوية أو مزاح، هكذا بالنسبة لما يفعلونه من الأمور المشينة والمستقبحة.

ولاشك أن هذا انتكاس للفطرة السليمة، والعقل المستقيم، يفتح أبوابًا من الشر أمام هؤلاء الناس الذين يدعون الألوهية فيجعلون الناس عبيدًا لهم ويفعلون بهم ما يشاؤون بهذه الحجة الواهية الظالمة العاشمة.

الفصل الخامس

صور من عادات وتقاليد الهندوسية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الأعياد الهندوسية

المبحث الثاني: أدوار الحياة في الهندوسية

المبحث الثالث: عادات وتقاليد تتعلق بالرهبة الهندوسية، وتحت مطالب:

المطلب الأول: يوغا

المطلب الثاني: الرياضات

المطلب الثالث: تعذيب الجسم

المطلب الرابع: التسول وترك الاكتساب

المطلب الخامس: محاربة الملاذ

المطلب السادس: نقد الرهبة الهندوسية

المبحث الأول

الأعياد الهندوسية

تمهيد : معنى العيد

الأعياد جمع عيد، والعيد كل يوم فيه جمع، قال تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ [المائدة: ١١٤]، واشتقاقه من عاد يعود كأنهم عادوا إليه، وقيل: اشتقاقه من العادة؛ لأنهم اعتادوه، وعيد المسلمون، أي شهدوا عيدهم^(١).

والعيد عند العرب: الوقت الذي يعود فيه الفرح والحزن، وكان في الأصل: العود، فلما سكنت الواو وانكسرت ما قبلها صارت ياء^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العيد اسم لما يعود من الاجتماع على وجه معتاد عائد، إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك^(٣).

وعلى هذا:

فكل اجتماع عام يحدثه الناس أو يعتادونه، في زمان معين، أو مكان معين، أو هما معاً، فإنه يكون عيداً، وكذلك كل أثرٍ من الآثار القديمة، أو الجديدة يحييه الناس، أو يرتادونه، يصدق عليه العيد^(٤).

(١) انظر ما ذكره ابن منظور: لسان العرب (٩/ ٤٦١)، مادة عود، والفيروزآبادي: القاموس المحيط (٣٨٦).

(٢) انظر ما ذكره ابن منظور: لسان العرب (٩/ ٤٦١)، والزبيدي: تاج العروس (٢/ ٤٣٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم: (١/ ٤٤١-٤٤٢).

(٤) الدكتور سليمان بن سالم السحيمي: الأعياد وأثرها على المسلمين ص (٢٢).

مكانة الأعياد في الديانة الهندوسية

إن لكل دين من الأديان ولكل ملة من الملل ما تتميز به عن غيرها من المعتقدات والعبادات والعادات، ومن أهم هذه المميزات التي تختلف من ديانة إلى أخرى هي مسألة الأفراح والأعياد التي يحتفلون بها.

وقد تميزت الديانة الهندوسية كغيرها من الديانات بأفراحها وأعيادها التي تقيمها في مواسم معينة من أيام السنة، كما أقاموا في بعض الأماكن عيداً، وحقيقة أعيادهم أنها إما تتعلق بأيام بعض كبرائهم وعظمائهم أو مقامات وآثار لمن يعظمونهم ويكرمونهم، وهي تتميز بكثرتها، وتنوعها، فقد وجد لهم أعياد في كل شهر في السنة^(١)، وفيما يلي بيان أشهرها^(٢):

(١) لعموم أهل الهند أشهر خاصة، توافق الشهر الميلادي في نصف كل شهر تقريباً، وفيما يلي بيان ذلك مجملًا:

- ١- بيساخ: من ١٤ إبريل إلى ١٤ مايو: ٣١ يومًا.
- ٢- جيسنت: من ١٥ إبريل إلى ١٤ يونيو: ٣١ يومًا.
- ٣- أشارد: من ١٥ يونيو إلى ١٥ يوليو: ٣١ يومًا.
- ٤- شرابن: من ١٦ يوليو إلى ١٥ أغسطس: ٣١ يومًا.
- ٥- بهادروز: من ١٦ أغسطس إلى ١٥ سبتمبر: ٣١ يومًا.
- ٦- أشفين: من ١٦ سبتمبر إلى ١٥ أكتوبر: ٣٠ يومًا.
- ٧- كارتيك: من ١٦ أكتوبر إلى ١٤ نوفمبر: ٣٠ يومًا.
- ٨- أكرهاين: من ١٥ نوفمبر إلى ١٤ ديسمبر: ٣٠ يومًا.
- ٩- بوش: من ١٥ ديسمبر إلى ١٣ يناير: ٣٠ يومًا.
- ١٠- ماغه: من ١٤ يناير إلى ١٢ فبراير: ٣٠ يومًا.
- ١١- فالكون: من ١٣ فبراير إلى ١٤ مارس: ٣٠ يومًا.
- ١٢- جيترا: من ١٥ مارس إلى ١٣ إبريل: ٣٠ يومًا.

(٢) انظر مجلة «ثقافة الهند»، العدد ٣٦، ٣٨، سنة ١٩٨٥، من مقالة السيد إحسان الرحمن، جامعة جواهر لال نهرو، بـ«نيو دلهي»، بعنوان: «الأعياد الهندية».

الأعياد في شهر بائيساكة

هذا الشهر على حساب الهندوس يوافق الشهر الميلادي من ١٤ إبريل إلى ١٤ مايو.

وللهندوس في هذا الشهر خمسة أعياد رئيسة، من أهمها:

عيد بائيساكي

هذا العيد الهندوسي الوطني الواسع النطاق يقع في إبريل / مايو. يتم الاحتفال به في أول يوم شهر «بائيساكة» وهو يكون الشهر الأول للسنة الجديدة للتقويم الهندوسي (هذا غير العام الهندوسي التجاري الذي يبدأ مع عيد ديبالي).

في صباح هذا اليوم فإن الهندوس يفضلون الاستحمام في نهر أو حوض أو بئر لأداء الطقوس والمراسيم بهذه المناسبة؛ ولهذا فإنهم يجتمعون في أعداد هائلة على شواطئ نهر غنغا بصورة خاصة.

عيد ميلاد برسورام أفتار

يرى الهندوس أن أحد أفتارهم الكبار المسمى بـ«فرسورام» (رام صاحب الفأس) ولد في هذا الشهر، فإنه نزل في بيت مهاريشي «يمدغني» لقتل طبقة كهشتريا لأجل فسادهم، فقتلهم شر قتلة، حتى يقال: إنه صفى الأرض من هؤلاء الكهشتريا واحداً وعشرين مرة، ولإحياء ذكر ولادته هم يحتفلون بهذا بالجزء الأبيض من هذا الشهر^(١).

عيد يوم السابع من الشهر لـ «غنغا»

وذلك؛ أن الهندوس يعتقدون أن في اليوم السابع من هذا الشهر نزل الإلهة غنغا بدعاء من الملك «بهاغيرته»، وهو الذي جاء في الأرض بالماء وسقى العباد والبلاد، وهم يحيون هذه القصة بالاحتفال في مثل اليوم في كل سنة، حيث يقيمون أسواقاً حرة،

(١) انظر ما ذكره لاله بالكشن تبره أبر: هندوون كي تيوار ص (١٣)، وتختلف تحديد اليوم حسب اختلاف الأبراج، ولهذا هو دائم التغير.

ويغتسلون في نهر غنغا تعبدًا وتطهرًا، كما يتصدق الأغنياء في هذا اليوم بسخاء^(١).

عيد يوم الرابع عشر لـ «نرشنغ» أفتار:

يرى الهندوس أن أحد أفتار فِشنُو المسمى «نرشنغ» (الإنسان برأس الأسد) خرج في مثل هذا اليوم من العمود للحفاظ على أحد محبي فِشنُو المسمى بـ «برهلا» وذلك أنه كان هناك ملكًا شرسًا يسمى «هرنكش» وكان يؤذي محبي فِشنُو، وكاد أن يقتل ابنه برهلا لأجل محبته لـ «فِشنُو» لكن خرج من عمود القصر إنسان برأس الأسد، وقتل هرنكش الملك.

فهم يحيون باحتفال هذا اليوم ذكرى ظهوره، ولهذا يصومون، ويعبدون فِشنُو مع زوجته لكهشمي، ويتصدقون بمبالغ كبيرة من الذهب والفضة^(٢).

الأعياد في شهر جيته (جيسته)

هذا الشهر على حساب الهندوس يوافق الشهر الميلادي من ١٥ مايو إلى ١٤ يونيو. وللهندوس في هذا الشهر أربعة أعياد مشهورة، أهم هذه الأعياد ما يلي:

عيد صوم لسافتري

يصوم الهندوس اليوم الذي يلي ليلة البدر من هذا الشهر، وفي بعض الأماكن من الهند في يوم غياب القمر من هذا الشهر، وذلك إحياءً لذكرى سافتري تلك المرأة التي أرجعت السعادة إلى أسرة الملك المخلوع، وأرجعت الحياة لزوجها من «يام» ملك الموت.

والأسطورة التي يذكرونها فيها كما يلي:

«كان هناك ملك في الهند يُدعى «أشوپتي»، أحبه شعبه؛ لأنه كان يساعد كل محتاجٍ ويخدم الآلهة بالصلاة والأضاحي.

(١) انظر ما ذكره لاله بالكشن تبره أبر: هندوون كي تيوار ص (١٤).

(٢) انظر ما ذكره لاله بالكشن تبره أبر: هندوون كي تيوار ص (١٥-١٧).

ولكن الملك لم يكن له طفل يحمل اسمه ويخلده من بعده، فقدم مرة قرباناً للإلهة سرسفاتي، فحضرت بنفسها وسألت عن حاجته، فقال الملك: أريد أن أرزق طفلاً يعيش من بعدي، إلا أنها قالت: إنك سترزق بابنة هي خير لك من الولد، فولدت البنت وكبرت، وصارت فتاة جميلة جداً أخاذاً، ولم ترض البنت إلا أن تتزوج بالأمير ساتيافان، الذي يعيش في كوخ في الغابة مع أبيه وأمه، فمئذ سنين عديدة طرده أعداؤه من عرشه الشرعي واغتصبوا بلاده، فسأل الملك نارد الحكيم عن هذا الزواج، فقال له نارد إن ساتيافان لا يعيش إلا سنة، ولكنني أوافق على زواجها معه، وفي الأخير زوجها الملك مع ساتيافان.

وبعد رحيل والديها، خلعت سافثري حليها ومجوهراتها وارتدت ثوباً مصنوعاً من لحاء الشعر، وبدأت في خدمة الملك العجوز الأعمى وزوجته، وبحبها وطاعتها للأمير ساتيافان، وهكذا مرت سنة في سعادة، ولم يبق منها إلا أربعة أيام، وفي صباح ذلك اليوم نهض ساتيافان في حالة نفسية سارة، وأخذ فأس الحطاب ليحطب، فقالت: دعني أذهب معك اليوم، ورحلا في أعماق الغابة، وجاء إلى مكان بعيد، وفجأة صرخ ساتيافان، رأسي! رأسي! لا بد لي أن أستلقي، فوضعت سافثري رأسه في حضنها، ولكنه سقط ساكناً، حيث رأت شبحاً أسود، فسألته فقال: أنا يام إله الموت، ثم أخذ روح ساتيافان، واستدار نحو مملكته في الجنوب، فقامت وتبعت خطوات يام، وحاول يام أن يقنعها على الرجوع، ولكنها لم ترجع فأعطاها عيني الملك، ثم أعطاها ملك الملك، ولكنها لم ترض إلا بروح زوجها، وفي الأخير أعطاها سؤلها، وبعد أن وضعت رأسها في حضنها، انتظرت وراقبت وأخيراً فتح الأمير وعينه وقال: لا بد أنني نمت أكثر من اللازم، ولما رجعا إلى كوخهم في الغابة، وجد الملك مبصراً والناس حضروا من بلاده لاستقبال الملك.

هذه هي الأسطورة، وهي في مهابهارت، وهم يحيون بهذا العيد ذكر الزوجة الوفية لزوجها الطيب، والهندوس يطعمون في هذا اليوم حتى الحيوانات كلما أمكن، وهذا الصوم عام لكل واحد، جاء ذكر أحكام هذا الصوم في بعض كتب البرانات^(١).

(١) انظر ما ذكره لاله بالكشن تيره أبر: هندوون كي تيوهار ص (١٧-٢١).

سري غنغا دوسيهرا

هذا العيد بمناسبة نزول غنغا على أرض الهند واتصالها بالبحر، وكان هذا في اليوم العاشر من هذا الشهر، ولهذا ترى الهندوس في هذا اليوم يغتسلون في نهر غنغا، ويرون أن هذا الغسل يطهرهم من عشرة أنواع من الذنوب، ولهذا سمّي بـ«دوسيهرا» أي العشري، كما يعبدون في هذا اليوم الإلهة غنغا، ويقومون بالتقدمات للآلهة والأجداد والآباء^(١).

نرجلا إيكادشي (عيد اليوم الحادي عشر من هذا الشهر بالصوم بدون ماء):

يحتفلون بهذا اليوم على حسب اعتقادهم إحياءً لذكرى دحر قوة الشر، حيث يرون أن في مثل هذا اليوم جمع الآلهة براهيم وشنو وشيفا قوتهم وخلقوا امرأة تستطيع أن تقتل الملك «مردومانيه»، الذي طغى وتجبر في الأرض، وهذه المرأة كانت تسمى بـ«إيكادشي». وقد جاء في كتابهم مهابهارت ذكر لهذا الاحتفال، وأن أبناء پاندو قاموا بإحياء هذا الاحتفال بعد حرب مهابهارت.

وفي هذا الاحتفال يصومون، ويقرؤون النصوص المقدسة، ولا يأكلون شيئاً مطلقاً، وهذا خلاف صيامهم الأخرى، فإنهم يأكلون فيه نوعاً من الأكل^(٢).

الأعياد في شهر أشار

وهذا الشهر على حساب الهندوس يوافق الشهر الميلادي من ١٥ يونيو إلى ١٥

يوليو.

وللهندوس في هذا الشهر أربعة أعياد مشهورة، منها:

رتيه ياترا

معنى الكلمة: السفر بالعربة، وهم يحتفلون في هذا الشهر، ويرون ذلك مهمّاً

(١) انظر ما ذكره لاله بالكشن تيره أبر: هندوون كي تيوهار ص (٢١-٢٢).

(٢) انظر ما ذكره لاله بالكشن تيره أبر: هندوون كي تيوهار ص (٢٢-٢٥).

في حياة الهندوس، حيث ينزل المطر من السماء على حسب اعتقادهم بموجب هذا الحفل، فهم يصورون إلههم «سري جكناته» (كريشنا) ويجعلونه في موكبٍ ويدورون به الأسواق ثم يرجعونه إلى المعبد^(١).

فِشْنُو شيني إكادشي

هذا العيد في اليوم الحادي عشر من هذا الشهر، يصوم فيه فرقة فِشْنُو وفرقة شينفا، ويعتقدون أن في هذا اليوم ينام الإله كريشنا في بحر كهيرود، ويبقى نائمًا مدة أربعة أشهر بعدها ويعطي أتباعه سؤلهم، وهم يحتفلون بتعميد الأساتذة لتلاميذهم^(٢).

الأعياد في شهر شرابن (شراون/ساون)

هذا الشهر عندهم يوافق الشهر الميلادي من ١٦ يوليو إلى ١٥ أغسطس. وللهندوس في هذا الشهر ثلاثة أعياد رئيسة، من أهمها:

ناغ فانشامي

وهو عيد وطني لدى الهندوس ويرمز إلى عبادة الأفاعي، وحتى إن الاسم ناغ يعني الأفعى وپانشامي هو اليوم الخامس بعد ظهور الهلال.

وطبقًا للأساطير الهندوسية ومعتقداتهم فإن الإله فِشْنُو يركز على الأفعى في الفترات الواقعة بين حل العالم وخلق من جديد.

ولأنه لا يمكن نصب الأفاعي الحية للعبادة؛ لذا فإن الهندوس يصنعون تماثيل قماشية ضخمة للأفاعي ويقدمون لها العبادات والقرايين.

كما أنهم يقدمون اللبن للأفاعي الحقيقية معتقدين أن ذلك سوف يحفظهم من لدغة الأفاعي^(٣).

(١) انظر ما ذكره لاله بالكشن تبره أبر: هندوون كي تيهار ص (٢٧).

(٢) انظر ما ذكره لاله بالكشن تبره أبر: هندوون كي تيهار ص (٢٧-٢٩).

(٣) انظر ما ذكره لاله بالكشن تبره أبر: هندوون كي تيهار ص (٣٢-٣٤).

راكهشا باندھن

وهو أقدس أعياد الهندوس، وتعني كلمة راکهشا باندھن: ربط عروة الحماية. وهذا العيد الهندوسي له تاريخ قديم وتطور حوله الأساطير، فمن الأساطير المروية في هذا الصدد أسطورة تتحدث: أن زوجة إندرا ملك الجّئات لدى الهندوس، ربطت تعويذة حريرية على ساعده عندما خرج لمحاربة العفاريت الأشرار الغاصبين لملكه، وهم يقولون: إن هذه التعويذة حمته عن شر العفاريت وتسببت في إنقاذ مسكنه السماوي من براثنها.

وهذا المهرجان الهندوسي عندهم إحياء لذكرى انتصار الخير على الشر. أما في يومنا هذا؛ فإن النساء يربطن التعاويذ الرمزية على شكل الأزهار الورقية وما يماثلها، على سواعد إخوتهن وأشقائهن، وترمز هذه العملية إلى إعادة توطيد وتوكيد الوعد المعطى من الإخوة للأخوات بأنهم يحمونهن من شرور الدهر وكل النوائب. يُضاف إلى ذلك أن هذا اليوم أهم مناسبة للبراهمة الهندوس، حيث إنهم يستبدلون القديم من الخيط المقدس بجديد^(١)، كما تقدم بهذه المناسبة قرايين النارجيلة لمياه البحار.

كما أنه يتم تبادل الزيارات والهدايا فيما بينهم، والذين لا يستطيعون الاجتماع سويًا فإن أخواتهم يرسلن لهم التعاويذ الرمزية بالبريد^(٢).

الأعياد في شهر بهادرو

هذا الشهر على حساب الهندوس يوافق الشهر الميلادي من ١٦ أغسطس إلى ١٥ سبتمبر. وللهندوس في هذا الشهر تسعة أعياد كبيرة، من أهمها:

(١) للبراهمة خيوط مقدسة في أعناقهم يسمّى «جينو»، وقد سبق معنا ذلك عند ذكر مراسيم وطقوس الأولاد.

(٢) انظر ما ذكره لاله بالكشن تبره أبر: هندوون كي تيوار ص (٣٥-٣٨).

غانيش شاتارتي

طبقًا للأساطير الهندوسية فإن بطل هذا العيد هو الإله غانيش صاحب الخرطوم الفيلّي، والإله غانيش عندهم يعتبر رمزًا للعقل والازدهار، هذا العيد يتم الاحتفال به على مستوى عموم الهندوس، مع اختلاف يسير في المراسيم والطقوس من منطقة إلى منطقة. والاحتفالات بعيد «غانيش شاتارتي» يستمر لعشرة أيام تقدم خلالها العبادات والقراين للإله غانيش وفي اليوم العاشر يخرج تمثال طيني لـ«غانيش» في موكب مشير ويغمس التمثال نهائيًا في مياه بحيرة أو نهر أو بحر. وبهذه المناسبة تقام البرامج الثقافية وغيرها من الحفلات.

جانما اشتامي

هذا العيد الهندوسي الكبير لإعادة إحياء ذكرى ولادة الإله الهندوسي كريشنا، تقام الحفلات العبادية في تمام الساعة الثانية عشرة في ليل اليوم الثامن من الشهر، حيث إن الأساطير تتحدث بأنه كان ولد في هذه الساعة.

فيصوم الهندوس المحافظون رجالًا ونساءً ابتداءً من صباح يوم العيد هذا حتى الساعة الثانية عشرة من ليل ذلك اليوم.

وفي هذا اليوم تقام حفلات الوعظ حيث يجتمع الناس يروون ويسمون أعمال الإله كريشنا البطولية. وأيضًا تقام بالليل في كل حي وحارة معارض مصغرة لمدينة ماثورا وهي مسقط رأس الإله كريشنا.

وإضافة إلى هذا فإن الاحتفالات تتكون من مواكب الأطفال يخرجون في جماعات يكسرون أواني الزبادي الطينية المعلقة في الشوارع ويأكلونه كما كان يفعل الإله كريشنا الطفل على حسب الأساطير المروية.

ومن نافلة القول: أن جميع الناس يتبادلون الزيارات والهدايا فيما بينهم، كل على حسب استطاعته، وتقدم المأكولات والملابس للفقراء والمعوزين.

الأعياد في شهر أشفين

هذا الشهر على حساب الهندوس يوافق الشهر الميلادي من ١٦ سبتمبر إلى ١٥ أكتوبر. وللهندوس في هذا الشهر أربعة أعياد رئيسة، من أهمها:

دوسيهرا:

هذا هو أكبر عيد هندوسي، يتم الاحتفال بهذه المناسبة لإحياء ذكرى انتصار رام على رافن، الملك العفريت لـ «سريلانكا»، وكذلك أنه يعتبر يوم انتصار الخير على الشر. يستمر الاحتفال بدوسيهرا عشرة أيام متتالية وفي نهايته في مساء عاشر يومه تحرق التماثيل الورقية الخيزرانية لـ «رافن» - صاحب الرؤوس العشرة - وميغهاد أو كومبا كرنا.

ثم تقام تمثيليات رامين مستنداً على كتاب رامين، وتقدم على المسارح في الميادين المفتوحة من الأشخاص المتقمصين مختلف شخصيات رامين، وفي مساء اليوم العاشر للحفلات الدوسيهريية يظهر رام مع أخيه لكهشمن مع غروب الشمس ويطلق سهماً في جهة هذه التماثيل الورقية - الخيزرانية المركبة بالمتفجرات إعلاناً بإحراقها.

غاندي جاينتي: (أي عيد ميلاد مهاتما غاندي):

كان ولادة مهاتما غاندي في اليوم الثاني من شهر أكتوبر عام ١٨٦٩ م. ولأن غاندي حرر الهند من أغلال الاحتلال البريطاني في أغسطس عام ١٩٤٧ م؛ فإن الهندوس يحتفلون بهذا اليوم كعيد علماني.

ففي هذا اليوم تقام الحفلات الدعائية في كل أنحاء البلاد وبخاصة جداً في «راج غات» في دلهي حيث يوجد القبر الرمزي للمهاتما غاندي، وفيه يجتمع الهندوس وكبار رجال العالم الزائرين في هذا اليوم ويقدمون الاحترامات اللائقة بمرتبة مهاتما غاندي، وكذلك تنظم إدارة دلهي الحفلات الدعائية في هذا اليوم بـ «راج غات»، وتقرأ العبارات من كل الكتب المقدسة وتغنى المناجاة المفضلة لدى مهاتما غاندي.

الأعياد في شهر كارتك

هذا الشهر على حساب الهندوس يوافق الشهر الميلادي من ١٦ أكتوبر إلى ١٤ نوفمبر. وللهندوس في هذا الشهر تسعة أعياد، من أهمها:

ديوالي

من الأعياد الهندوسية الكبرى «ديالي» أو ديوالي، أو عيد الأنوار، في هذا العيد ينظف الهندوس بيوتهم ومحلاتهم ويبيضونها ويستبدلون الأغراض المنزلية القديمة بالأغراض الجديدة.

ويعرف هذا العيد بعيد الأنوار؛ لأن الهندوس يزینون كل الأماكن حتى المزابل، بالمصابيح الطينية الزيتية والشموع.

وفي هذه الأيام فإنهم يستخدمون الكهرباء في الإضاءة، وتبقى كل المحلات التجارية مفتوحة طوال الليل، وتتبادل الهندوس الزيارات والهدايا مع أصدقائهم وأقاربهم.

يُضاف إلى ذلك أن السنة التجارية الهندوسية الجديدة تبدأ من هذا اليوم، طبقاً للعقيدة الرائجة فإن الهندوس يحتفلون بهذا العيد تذكيراً بمناسبة عودة رام الظافر لعاصمته - أيودها - بعد إكمال مدة منفاه في الغابات.

الأعياد في شهر أكرهاين (منكهر)

وهذا الشهر على حساب الهندوس يوافق الشهر الميلادي من ١٥ نوفمبر إلى ١٤ ديسمبر، وللهندوس في هذا الشهر أربعة أعياد رئيسة، من أهمها:

عيد برج عقرب

يرى الهندوس أن الشمس تكون في برج العقرب في هذا الشهر، وهذا يتطلب منهم بعض أنواع الطقوس الخاصة ببرج العقرب، حيث يرون اليوم الذي تكون الشمس في برج العقرب مبارکاً، ولا بد من العبادة فيه بالعطاء والبذل والإطعام وما إلى ذلك^(١).

(١) انظر ما ذكره لاله بالكشن تيره أبر: هندوون كي تيوهار ص (٧٧).

الأعياد في شهر ماکه

هذا الشهر على حساب الهندوس يوافق الشهر الميلادي من ١٤ يناير إلى ١٢ فبراير، ولهم في هذا الشهر ستة أعياد، من أهمها:

ماکهي سنکراتي

يحتفل الهندوس في هذا الشهر بعيد يرون فيه السعادة والسعة في الرزق؛ لأنهم يعتقدون أن الشمس تكون في برج السلحفاة، والاحتفال في هذا العيد يأتي لهم بالرزق الطيب، ويذكرون في ذلك قصصاً عن بعض من يسميهم بـ«رشي دُرباشا» بأنه أمرهم أن يحتفلوا بهذا اليوم للحصول على الرزق والأولاد الطيبين^(١).

فاسانت فانشامي

يقع هذا العيد في فبراير، هذا العيد الوطني النطاق يعتبر بصورة أساسية عيداً ربيعياً، ويفضل الناس لبس الملابس الصفراء، وذلك لون زهرة الخردل، الأطفال يطيرون الطيارات الورقية في هذا اليوم تعبيراً عن البهجة والسرور. وتقدم العبادات والقرايين للإلهة المعروفة «سارسفاتي»^(٢).

الأعياد في شهر فالكون

هذا الشهر على حساب الهندوس يوافق الشهر الميلادي من ١٣ فبراير إلى ١٤ مارس، ولهم في هذا الشهر عيدان رئيسان، هما:

شيفا راتري

يقع هذا العيد في فبراير/ مارس، هذا اليوم مخصص لعبادة الإله شيفا، ومن المعتقدات الدينية الهندوسية الأسطورية إن عابدي شيفا يحققون في هذا اليوم النجاة النهائية من الولادات المتكررة (تناسخ الأرواح).

(١) انظر ما ذكره لاله بالكشن تبره أبر: هندوون كي تيوهار ص (٨٤-٨٦).

(٢) انظر ما ذكره لاله بالكشن تبره أبر: هندوون كي تيوهار ص (٨٩-٩١).

والاحتفالات بهذه المناسبة تمتد ١٥ يومًا، وفي اليوم الثالث عشر يصوم فيه الهندوس وفي اليوم التالي له تجتمع الأسرة على الطعام.

هولي

من أكبر الأعياد الهندوسية عيد هولي، وهو في الواقع عيد الألوان حيث إن الهندوس يحتفلون بمناسبة هذا اليوم باللعب بألوان البودرة الجافة والتي تمزج وتميع مع المياه وترش على المشتركين في هذا اللعب بواسطة البخاخات، ومن الناس وخصوصًا الأطفال من يملأ البالونات بالألوان المائية ويطلقونها على المارة من بعيد، وبعد اللعب بالألوان يغتسلون ويتطيبون.

يلاحظ أن في بقية الأعياد والمهرجانات يقتصر تبادل التحيات والتهاني على الأقرباء والأصدقاء وذوي المعرفة ولكن في هذه المناسبة فإن ذلك يمتد حتى يشمل الجميع. أما فيما يتعلق بظهور وتأسيس هذا العيد الهندوسي الكبير الوطني النطاق القديم الأصول فإنه توجد هناك أساطير وأساطير أشهرها تدور حول الأمير برهلا.

تروي الأساطير أن برهلا كان ابنًا ورعًا تقيًا للملك العفريت الشرير الطبيعة «هيرنا كاشب»، وكان برهلا يعبد الإله فِشْنُو على الرغم من التهديدات الموجهة إليه من والده وعمته، وكانا يطلبان منه التوقف عن تقديم العبادات والقرايين للإله فِشْنُو، ولما لم يذعن لهما برهلا صمما على تلقيه درسا لن ينساه، فأخذ يثيران له المشاكل ويصبان عليه ألوان العذاب، ولكن كل هذه الحيل لم تقدر على منعه من عبادة فِشْنُو، وأخيرًا صمما على إحراقه حيًا.

من المروي أن «هوليكا» أي عمه برهلا، وشقيقة والده، كانت محصنة ضد النيران، فاتفق الملك أي والد برهلا مع أخته العفريته «هوليكا» أن تدخل هي مع «برهلا» النيران الموقدة لإحراقه حيًا، وإبادته من الوجود، ولكن النيران أحرقت «هوليكا» ولم تمس «برهلا» التقي الورع المتعبد.

طبقًا للأساطير فإن فِشْنُو معبوده حماه من لهيب النيران الموقدة وأخرجه سالمًا

غير محروق من الأتون، فتذكيراً بهذا الحادث - حادث نجاة «برهلا» من النيران واحتراق «هوليكا» فإن الهندوس يشعلون الحرائق الكبرى في المساء السابق ليوم مهرجان «هولي» وهي ترمز إلى إحراق هوليكا وإبادة الشر.

وتقول بعض الأساطير الأخرى بأنه يحتفل بـ«هولي» تذكيراً بحب «رادها» لإلههم كريشنا؛ فإن الهندوس القاطنين في مدينة «ماثورا» وضواحيها يولون الاهتمام البالغ بهذا اليوم، ففي هذا اليوم يجتمع الأقرباء والأصدقاء سوياً ويتبادلون الهدايا والزيارات، ويجلسون سوياً يأكلون الحلوى وغيرها من الطيبات، كل الناس يتبادلون التحية المعتادة «هولي مبارك».

ويشارك في مهرجانات هذا العيد «هولي» كل الهندوس سوياً على اختلاف انتماءاتهم الدينية.

الأعياد في شهر «جيترا» (جيت)

هذا الشهر على حساب الهندوس يوافق الشهر الميلادي من ١٥ مارس إلى ١٣ إبريل، ولهم في هذا الشهر عدة أعياد، من أهمها.

عيد سَمُونَسَر بُوْجَا (عيد عبادة السنة)

يفهم من الكتب البرانية وغيرها أن براهيماً خلق الكون في مثل هذا اليوم من هذا الشهر، وفوض تصريف الأمور وتديرها إلى الآلهة، وانطلاقاً بهذا الاعتقاد فهم يحتفلون بهذا اليوم، حيث ينظفون بيوتهم ومتاجرهم، ويدهون أجسامهم ويغتسلون بعد ذلك، ويعبدون تمثال براهيماً في هذا اليوم على وجه أخص، ويصومون من هذا اليوم إلى اليوم التاسع من الشهر، ويعتقد الهندوس أن هذه القصة موجودة في أثربا فيد^(١) وستبت برهمانا^(٢).

(١) أثربا فيد (٣/ ١٠/ ٣).

(٢) (١١/ ١/ ٦/ ١٣).

والهندوس لديهم تقويمٌ يبدأ من هذا الشهر، وينسبون ذلك إلى ملك لهم، ويرون أنه ملك الدنيا، ويحكون في ذلك قصصًا لا تستند إلى تاريخ موثوق به^(١).

هذه أهم الأعياد لدى الهندوس، وهي تختلف من منطقة إلى منطقة في طبيعتها، إلا أن هناك أعيادًا محلية يحتفل بها أهالي منطقة معينة، وهي ربما تكون غير معروفة لدى الهندوس الآخرين في المناطق الأخرى.

وهناك أعياد تنعقد بعد فترة وفترة، ليس هناك ضابط لها، من أهمها:

مها كومبها ميلا:

هذا المهرجان يعتبر من أكبر المهرجانات الهندوسية، وهي تعقد كل ثلاث سنوات، هذا العيد وطني النطاق مثل الأعياد الهندوسية الأخرى.

توجد هناك أسطورة تتحدث أنه قبل تشكل الكون فإن الآلهة والعفاريت مخضوا المياه الفاقدة الصورة، وخلال هذه العملية ظهر من المحيط الإله «دهافانتاري» حاملًا في يديه إناء مليئًا بالرحيق السماوي.... وتستمر الأسطورة قائلة بأن كلا الطرفين - الآلهة والعفاريت - تحاربوا فيما بينهم لاستحواذ هذا الرحيق السماوي، وخلال هذا الصراع الشديد بين الآلهة والعفاريت فإن الرحيق تقطر في اثني عشر مكانًا في كل العالم أربعة منها توجد في الهند، وهي: «هاري دوار» و«أوجين» و«براياغ» و«ناسيك». وذلك في هذه الأمكنة حيث تقام الحفلات العبادية كل ثلاث سنوات بالتناوب^(٢).



(١) انظر ما ذكره لاله بالكشن تيره أبر: هندوون كي تيوار ص (٥-٧).

(٢) انظر مجلة «ثقافة الهند»، العدد ٣٦، ٣٨، سنة ١٩٨٥، من مقالة السيد إحسان الرحمن، جامعة جواهر لال نهرو، بـ«نيو دلهي»، بعنوان: «الأعياد الهندية».

المبحث الثاني

أدوار الحياة في الهندوسية

تقسيم أدوار الحياة:

اختلفت الكتب الهندوسية في تقسيم الدور وتحديد دور كل قسم منها؛ والسبب في ذلك أنه لا يوجد نص صريح في الوثائق في ذكر الأدوار، وإن كان فيه بعض الإشارات إلى حياة طلب العلم^(١)، كما جاءت نصوص لحفظ الأولاد والعيال^(٢)، ووجد في بعض الأوبانيشادات: تحديد الحياة إلى مائة وست عشرة سنة، وجعلوا الحياة كلها للتربية والتعليم، ثم قسموها على ثلاثة أقسام:

قسم ينتهي إلى أربع وعشرين سنة ويسمى «كُشْتَا برهماچاريا» ، أي: حياة برهماچاريا الصغرى.

ثم يبدأ قسم ينتهي إلى أربع وأربعين سنة ويسمى «مادهيام برهماچاريا» ، أي: حياة برهماچاريا الوسطى.

ثم يبدأ قسم ينتهي إلى ثمان وأربعين سنة ويسمى «أتام برهماچاريا»^(٣) ، أي: حياة برهماچاريا العظمى.

وهناك بعض الأوبانيشادات يذكر حياة الغابة، حيث ذكر عن ياجنالفالكيا أشهر

(١) انظر ما جاء في ريگ فید (١/١٧٩).

(٢) انظر ريگ فید (١/١٠٩/٣).

(٣) شانديوغا أوبانيشاد (٣/١٦)، وانظر أيضًا ما نقله الدكتور الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٨٦).

حكماء الأوبانيشادات أنه أراد أن يخرج إلى الغابة، وأراد أن يقسم الثروة بينهما^(١).

ولوجود الخلاف كما سبق معنا في تحديد الأدوار وزمن كل منها، خالف في هذا التحديد كثير من المتأخرين منهم سوامي ديانند سرسفاتى، حيث يقول:

«العمر المناسب للزواج بعد أربعين سنة؛ لأنه تكمل القوى الكامنة في الجسم، وتكون الأعضاء على أكمل الوجود، وعلى طالب العلم أن يقضى هذه المدة في طلب العلم، ويعيش حياة البرهما جاريا»^(٢). ويقول: «وإن تزوج الطالب في دور «برهما جاريا» فعليه أن لا يقرب من زوجه، ولا يبيت معها»^(٣).

كما أن من المتأخرين من ألغى الحياة الثالثة والرابعة على أنها لا تصلح لهذا الزمن الذي يسمونه بـ«كلي جوغ»، وأن المرء بإخلاصه العبادة مع الحب يحصل على تلك المنزلة الرفيعة.

الأدوار الأربعة للحياة في الهندوسية:

إلا إن المعمول به على العموم في الديانة الهندوسية تقسيم حياة الإنسان إلى أربع مراحل أو أدوار، حسب أعمارهم وكل دور منها يستغرق خمسا وعشرين سنة باعتبار أن متوسط العمر مائة عام، وتضع الأحكام الخاصة لهذه الأدوار، وهي:

الدور الأول: «بَرَهْمَا چَارِيَا أَشْرَم» يعني به دور التربية والتعليم.

الدور الثاني: «گِرَهَسْتَا أَشْرَم» يعني به دور الحياة العائلية.

الدور الثالث: «سَنِيَّاسْ أَشْرَم»، يعني به دور العبادة أو التربية الجسدية والروحية.

الدور الرابع: «بَان پَرَسْت أَشْرَم»، يعني به دور الحياة الرهبانية.

(١) انظر أوبانيشادة بْرَهْمَدَارْتَنك (٢/٤-١)، و(٤/٥-١-١٥).

(٢) ستيارتها برকাশ، الباب الثالث ص ٧٠، نقلاً عما ذكره الدكتور الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٨٦).

(٣) ستيارتها برকাশ، الباب الثالث ص ٦٨، نقلاً عما ذكره الدكتور الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٨٦).

وفيما يلي بيان لهذه الأدوار الأربعة:

الدور الأول: برهما جاريا أشرم: (مرحلة طلب العلم)

يبدأ هذا الدور من السنة الخامسة من العمر^(١) وقيل: من السنة الثامنة إلى السنة الرابعة والعشرين من العمر، وهي مرحلة طلب العلم على الأستاذ، يكون المبتدئ في هذه المرحلة شاباً وعليه أن يتبع التعليمات التي يصدرها الرهبان وكبار الكهنة والتي من شأنها أن تدربه على أمور الطاعة، وكيفية العزلة والبعد عما يثير الشهوة ودراسة الكتب المقدسة، وتقديم القرابين للنار، وكيفية الاستحمام، واحترام آلهتهم.

وسوف نلاحظ مدى صرامة هذه القوانين وشدتها بالنسبة للطلاب المبتدئ^(٢)، فقد وضعت قواعد تفرض عليه الامتناع عن أكل اللحم وعدم لبس الأحذية، وأمره بالنوم لوحده دائماً والتسول، والالتزام بقواعد النذر التي تفرض عليه، إضافة إلى دراسة الفيدات، كما أن هذه القواعد السلوكية للطلاب المبتدئ من شأنها تدريبه لتقبل المراحل الثلاث الأخرى قبولاً جيداً. يقول منو:

(٣٥ / ٢): يجب على البرهمي: أن يعلق الجينو^(٣)، في السنة الثامنة، والكهشثري؛ في السنة الحادية عشرة، وفايشا في السنة الثانية عشرة، وذلك؛ من تاريخ استقراره في رحم أمه، أو من يوم ولادته.

(٤٠ / ٢) على التلميذ، إن كان برهمياً؛ أن يلبس جلد الغزال الأسود، وإن كان كهشثرياً؛ جلد الغزال الأغبر، وإن كان فايشياً؛ جلد الماعز، لباساً خارجياً، وأن يرتدي الأول من الداخل؛ ثياباً مصنوعة من قشر القنب، والثاني؛ ثياباً مصنوعة من الكتان، والثالث؛ ثياباً صوفية.

(١) انظر ما ذكره برمود بندهو شين غوبت: دهرما درشن ص (٤٧٠).

(٢) يراجع في هذا الصدد، الفلسفات الهندية ص (١١٤)، وتحقيق ما للهند ص (٤٥٧-٤٥٨)،

وكذلك قصة الحضارة (٣/ ٢٢٨-٢٢٩)، والمذاهب الكبرى في التاريخ ص (٥٤).

(٣) الجينو: هو الخيط في العنق دال على فرقة وكونه قد عمّد.

(٤٧/٢): على التلميذ بعد أن يأخذ عصاه أن يعبد الشمس ثم ليطف بالنار، ثم ليخرج للسؤال، وفاقاً للطرق المشروعة.

(٤٩/٢): على التلميذ، أن يبدأ سؤاله الصدقات؛ من أمه، أو أخته، أو خالته، أو من أي امرأة لا ترفض.

(٥٠/٢): على التلميذ أن يقدم للأستاذ كل ما جمعه في يومه، من غير أن يغلّ شيئاً، يطهر نفسه، بمصّ الماء، ثم يأكل.

(٥٢/٢): أن يأكلوا بكل اطمئنان، وهم مستجمعو الفكر؛ بعد أن يؤدوا عبادة هوم، وأن ينظفوا أنفسهم، بعد الطعام؛ بمصّ الماء، ومسح فروج الرأس.

(٥٣/٢): أن ينظفوا طعامهم، وأن يأكلوه؛ غير محتقريه، وأن يهشوا له؛ حينما يروه.

(٥٥/٢): ألا يعطوا فضلة طعامهم لأحد، ولا يأكلوا بين أكلتين، ولا يكثرُوا من الطعام، ولا يتركوا مكانهم؛ من غير أن يغسلوا فمهم بعد الطعام.

(٦٤/٢): على البرهمي أن يحتفل (في نهاية دور التلمذة) بقص شعر رأسه، في السادسة عشرة من عمره، والكهشثري؛ في الثانية والعشرين، وفايشا؛ في الرابعة والعشرين، وذلك؛ اعتباراً من يوم حمله، في بطن أمه.

(٦٨/٢): يجب على الأستاذ أن يعلم التلميذ، قبل كل شيء؛ ما يحتاج إليه من أمور الطهارة الجسمانية، وحسن الخلق، وعبادة النيران، وهوم.

(١٠٧/٢): على من يدخل في الحياة الجديدة؛ أن يثابر على القيام بعبادة هوم يوميًا، وأن يشحذ غذاءه، وينام على الأرض، ويسعى إلى ما فيه خير أستاذه؛ حتى يرجع إلى أهله.

(١٧٣/٢): على التلميذ: أن يستعمل، وقت العبادة، ما يختص به من: جلد، وجينو، وزنار، وعصا، وغير ذلك، من لباسٍ داخلي وخارجي.

(١٧٤/٢): على التلميذ الذي يعيش في دار أستاذه؛ أن يراعي التغلب على حواسه؛ ليكون أهلاً للحصول على المراتب الروحية.

(٢/١٧٥): الاغتسال كل يوم، والتطهر، والقيام بعبادات الآلهة والأحبار والأجداد، والسجود للآلهة، والقيام بعبادة هوم.

(٢/١٧٦): اجتناب: العسل، واللحم، والعطر، والطوق، ولذيذ الأطعمة، والنساء، والأطعمة التي تتحول إلى مادة حامضة، واجتناب إيذاء الحيوانات الحية.

(٢/١٧٧): اجتناب ذلك البدن، والاكتمال، ولبس النعل، واستعمال المظلة، والشهوة الجنسية، والغضب، والحرص، والرقص، والغناء، والعزف على الآلات الموسيقية.

(٢/١٧٨): واجتناب: القمار، والشجار، والافتراء، والنظر إلى النساء، ولمسهن، وإيذاء الغير.

(٢/١٧٩): وعليه أن ينام وحده، ولا يضيع نطفته، ومن أضيع نطفته عمدًا؛ يخسر عبادته.

(٢/١٩٣): ليكن طعام التلميذ؛ أقل من طعام أستاذه، ولباسه وحليته، دون لباس أستاذه وحليته، وعليه أن يستيقظ قبل أستاذه، وينام بعده.

(٣/٣): يجب أن تُقام حفلة تكريم للتلميذ، الذي حافظ على عباداته، بكل صدق وإخلاص، وورث القيد عن أبيه (أي: الأستاذ)، فيجلس في الحفلة على مقعد، ويوضع في عنقه طوق من الأزهار، بحضور بقرة وخليط العسل.

(٣/٤): على التلميذ أن يغتسل الغسل الأخير، بإذن أستاذه، وأن يعود إلى داره، ويتزوج من امرأة حسنة، من نساء فرقته. وبهذا يدخل في الدور الثاني من الحياة^(١).

وملخص القول أن هناك واجبات ومنهيات لهذه المرحلة؛ هي:

الواجبات: وهي؛ خدمة الأستاذ واحترامه، والتسول، والعبادة اليومية (تقديم القرابين للآلهة)، وقراءة القيد، وغيرها.

(١) انظر أيضًا: الفكر الفلسفي الهندي، ص (٢٥٥-٢٥٨).

المنهيات: وهي العطور، التزيين الظاهري، الابتعاد عن النساء، شرب الخمر، وغيرها.

أهمية الأستاذ في حياة الهندوسي:

للشيخ أهميته في حياة الهندوس؛ فإنهم ينشدون موكشا أو الخلاص، وهذا يحتاج إلى العلم، والعلم يؤخذ من الشيخ، فقد جاء في أوبانيشادة أئيطريا: «أيها الزوجة! لو اقتيد شخص مربوط معصوب ثم ترك في مكان غير مألوف؛ فإنه سيصيح: أنقذوني! أنقذوني! فأخذه أحد الرجال الطيبين وأزال ما كان على عينيه، ثم وجهه إلى دياره؛ فإنه سيصل حتماً إلى دياره بسؤال الناس، هكذا الأمر في الحياة، لابد من موجهٍ يوجهه إلى الوصول من المكان الذي خرج منه»^(١).

وجاء في أوبانيشادة تائيطريا: «لا تتوان في أداء الواجبات تجاه الآلهة والآباء، احترم الوالدة مثل الإلهة، واحترم الوالد والشيخ والضيف مثل الآلهة»^(٢).

بل نجاح الحياة في الديانة الهندوسية متوقف على الأستاذ، ولأجل هذا نرى كتب سَمَرْتِي لا يألو جهداً في بيان واجبات التلاميذ تجاه الأساتذة، فمن ذلك ما جاء في مَنُو سَمَرْتِي، الباب الثاني، وهو يذكر واجبات التلاميذ في الدور الأول من الحياة:

(٧٠ / ٢): على التلميذ أن يلمس بيديه كل يوم رجلي الأستاذ، عند الابتداء بالقراءة، وبعد الانتهاء منها، وأن يقرأ، وهو مكتوف اليدين، تعظيماً للفيد.

(٧١ / ٢): وأن يأتي من أمام أستاذه، ويلمس بيده اليمنى؛ رجل أستاذه اليمنى، وييده اليسرى رجل أستاذه اليسرى.

(٧٢ / ٢): وعليه: أن يقرأ، ويكف عن القراءة؛ بأمر من الأستاذ.

(١٤٣ / ٢) يجب ألا يُغضب، من يملأ الأذنين بالقيد؛ لأنه كالأب والأم، للتلميذ.

(١٤٥ / ٢) إن المعلم يغذي الروح بالقيد، والأب يغذي الجسم، ولذا؛ فالمعلم؛

(١) أوبانيشادة أئيطريا (٦ / ١٤ / ١-٢).

(٢) (١ / ١١ / ٢-٤).

أعظم من الأب؛ لأن الفيد؛ يكفل للإنسان سعادة أبدية، في هذه الحياة، وبعد الموت.

(١٧٠ / ٢) يقال للأستاذ: أب؛ لأنه يعلم الفيد الذي لا تكون عبادة إلا به.

(١٨١ / ٢) على التلميذ: أن يأتي إلى أستاذه - يوميًا - بالماء والزهور، وخشي

البقر، والطين...

(١٩٠ / ٢) على التلميذ: أن يجهد نفسه، في قراءة الفيد دائمًا، سواء أمره أستاذه

بذلك؛ أم لم يأمره، وعليه: ألا يقصر في خدمة أستاذه.

(١٩١ / ٢) وعليه: أن يتغلب على: جسمه، ولسانه، وحواسه، وقلبه، وأن يقف

أمام أستاذه؛ ضامًا يديه إلى صدره، ناظرًا إلى وجهه.

(١٩٤ / ٢) يجب على التلميذ: ألا يكلم أستاذه، وهو مضطجع، أو جالس على

حصير، أو وهو يأكل، أو منحرف الوجه عنه.

(١٩٥ / ٢) بل يكلمه قائمًا؛ إن كان الأستاذ جالسًا، ويتقدم إليه ويقرب منه؛ إن

كان قائمًا، ويسرع نحوه؛ إن كان قادمًا، ويركض خلفه؛ إن كان سائرًا.

(١٩٦ / ٢) وعليه أن يأتي إليه من أمامه؛ إن كان منحرف الوجه عنه، ويقرب منه؛

إن كان بعيدًا عنه، وينحني أمامه؛ إن كان مضطجعًا، أو جالسًا في موضعٍ منخفض عنه.

(١٩٧ / ٢) وأن يجعل مقعده وفراشه؛ دون مقعد أستاذه وفراشه، وأن يَأْتَمِر

بإشارته.

(١٩٨ / ٢) على التلميذ: ألا يذكر أستاذه، وهو غائب، باسمه المجرد، ولا يقلده

في مشيته وكلامه، ولا في حركاته وسكناته.

(١٩٩ / ٢) على التلميذ: أن يَسِدَّ أذنيه، أو يدع المجلس، الذي يُغْتَابُ فيه أستاذه،

أو يحتقر، حقًا على ذلك؛ أو بهتانًا.

(٢٠٠ / ٢) يصبح التلميذ حمارًا، في الحياة الآتية؛ إن عاب أستاذه صادقًا، وكلبًا؛

إن عابه كاذبًا، ويصبح دودة؛ إن عاش بفضل أستاذه وخيراته (دون أن يشحذ)، وحرشة؛

إن حسده.

(٢٠١/٢) يجب على التلميذ: ألا يخدم أستاذه بالواسطة ولا يسلم عليه؛ إذا كان غاضبًا، أو قريبًا من زوجته، وعليه أن ينزل من المركبة؛ إن كان راكبًا، ويتنحى عن المقعد؛ إن كان جالسًا، ثم يسلم عليه.

(٢٠٢/٢) على التلميذ: ألا يجلس أمام أستاذه، والهواء آتٍ من قبله إليه، أو بالعكس، ولا يتكلم بكلام؛ لا يستطيع الأستاذ أن يسمعه.

(٢٠٨/٢) على التلميذ أن يدلك رجل أستاذه فقط.

(٢٢٤/٢) على التلميذ أن يعامل الأستاذ، والأب، والأخ الأكبر؛ بكل تعظيم، حتى ولو آذوه.

(٢٢٥/٢) الأستاذ؛ تمثال پرماتما (الإله الأعلى)، والأب؛ تمثال براهيم، والأم تمثال الأرض، والأخ الأكبر؛ كالإنسان نفسه.

(٢٢٧/٢) على التلميذ: أن يقوم على خدمة الأبوين والأستاذ؛ بما يرضيهم، وبذلك؛ ينال ثواب عباداته كلها.

(٢٢٨/٢) إن إطاعة هؤلاء الثلاثة؛ هي خير العبادات، فعلى التلميذ: ألا يقوم بعبادة مآ؛ رجاء الثواب، وزيادة الحسنات؛ إلا بإذنهم.

(٢٣٣/٢) إن من يقوم بواجباته، نحو هؤلاء الثلاثة؛ تثمر أعماله، ومن لم يفعل؛ لا يثمر له عمل.

(٢٣٤/٢) على المرء: أن يقوم بخدمة هؤلاء الثلاثة؛ ما داموا أحياء، وألا يأتي بعمل؛ يرجو ثوابه؛ دون رضاهم، بل يسعى؛ بما فيه خيرهم، وسرورهم.

(٢٣٥/٢) إذا أراد أحدٌ: القيام بعمل مآ، ابتغاء ثوابه، واستعدادًا للعالم الثاني، سواء أكان ذلك العمل فكريًا أم لسانيًا، أم عمليًا؛ فعليه أن يستأذنهم بعمله.

(٢٤٢/٢) على التلميذ، الذي يرغب: أن يقضي حياته، عند أستاذه؛ أن يقوم بخدمته، بكل أمانة وإخلاص، حتى الموت.

(٢/ ٢٤٣) كل تلميذ، يخدم أستاذه حتى الموت، ينال النعيم الأعلى.
 (٤/ ١٨١): إن الأستاذ سيد عالم برهمن، والأب سيد عالم آلهة المخلوقات،
 والضيف؛ سيد عالم إندرا، والبرهمني القائم بـ«يگيا» سيد عالم الآلهة.
 هذه بعض ما جاء في كتب الهندوس من مكانة الشيخ لدى التلميذ.

الدور الثاني: كَرْهَسْتَا أَشْرَمَ، (الحياة العائلية)

الهندوسية في هيئتها الاجتماعية تميل إلى الرهبانية أكثر من ميلها إلى الحياة العائلية. لأن الرهبان الهندوس دائماً يذمون الحياة المادية ويرغبون أتباعهم في ترك العلائق الدنيوية، وقد شعر علماء الهندوس بخطورة الرهبانية على مستقبل الديانة الهندوسية فبدأوا يدافعون عن الحياة العائلية وأول من قام بتفضيل هذا الدور على الأدوار الأخرى هو «مَنُو»^(١)، يقول في كتابه «مَنُو سَمَرْتِي»: (٣/ ٧٧): كما أن الحيوانات؛ تعيش بالهواء، فكذلك كل أفراد الأدوار الثلاثة؛ يعيشون بفضل العامل.

(٣/ ٧٨): حيث إن أفراد الأدوار الثلاثة؛ يعيشون بمعونة العاهل العامل إياهم، بالعلم وبالطعام؛ لذلك فهذا الدور؛ هو خير أدوار الحياة.
 ويقول سوامي ديانند: «دور الحياة العائلية تهَيء للرهبان والنسك الصداقات، ولولا الحياة العائلية لما استمر النسل على وجه الأرض، فمن يذم هذا الدور فهو مذموم»^(٢).

ومن أهم الواجبات في هذا الدور:

(١) الزواج^(٣).

-
- (١) الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٨٧).
 (٢) ستيارتها بركاش، الباب الرابع ص ١٥٩، نقلاً عما ذكره الدكتور الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٨٧-٥٨٨).
 (٣) مَنُو سَمَرْتِي (١/ ٤).

- (٢) خدمة الوالدين على أنهما إلهان عيانًا.
- (٣) تربية ورعاية الوالدين والزوجة، والأولاد، والإخوة والأخوات.
- (٤) تعليم وتربية البنين والبنات.
- (٥) تسليم الأولاد إلى عائلة مناسبة في الزواج.
- (٦) خدمة الضيوف والأقارب والأرحام.
- (٧) التعلم الذاتي.
- (٨) الطهارة الظاهرة والباطنة.
- (٩) الاقتصاد في الأكل والشرب والنوم، وضبط الحواس.
- (١٠) العبادات اليومية، من القرابين والذكر وهوم، وعبادة الآلهة.
- (١١) الأعمال الخيرية، مثل تعمير مجاري المياه، غرس الأشجار، وبناء الرباط وغيرها.

وأما المنهيات^(١)؛ فهي:

- (١) الكذب والغرور والغيبة.
- (٢) التدليس والخداع، سوء الرفقة.
- (٣) الزنا.
- (٤) أكل ما لا يؤكل.
- (٥) شرب الخمر.
- (٦) الحسد للخلائق.
- (٧) السرقة.
- (٨) الأعمال المخالفة للكتب المقدسة.
- (٩) الكسل، وكثرة الاهتمام بالمجلس والثياب، والعناية بالجسد^(٢).

(١) انظر مَنُو سَمُرَتِي (٤/١-٣٢).

(٢) انظر ما ذكره دُرْغا داش بشو سرسفاتي: هندو دهرمير شارَتَّة: ص (١١٢).

الدور الثالث: بَانَ بَرَسْتِ أَشَرَم. (دور العبادة والتربية الجسدية والروحية)

تأتي هذه المرحلة في حياة الهندوسي بعد دور الحياة العائلية وهي أشد من المراحل السالفة من حيث ممارسة الشعائر والعبادات، يكون الفرد في هذه المرحلة قد تجاوز سن الأربعين، بعد ما يقضي في الحياة العائلية خمسًا وعشرين سنة، يقول مُنُو:

(١/٦) على المولودين ثانيةً، بعد أن يقضي دور العمل؛ أن يترك الدار، ويذهب إلى الفلوات، وهو مستولٍ على حواسه، ويعمل هناك، بما يأتي:

(٢/٦): على العامل، حينما يرى: أن بشرته؛ أخذت تتجدد، والشيب قد لاح في رأسه، ويرى أحفاده من حوله؛ أن يترك الدار، ويقصد الفلوات.

(٣/٦): وعليه أن يترك، بعد ذلك، كل طعام ينبت بالزرع، وكل ما يتعلق به، وأن يذهب إلى الفلوات، بعد أن يعهد بزوجه إلى ابنه، أو يأخذها معه.

(٤/٦): وعليه أن يأخذ معه النار المقدسة، وما يحتاج إليه من السلاح، للتقدمات الحيوانية، ويترك القرية، ويذهب إلى الفلوات، حيث يعيش هناك، يضبط حواسه.

(٦/٦): عليه أن يرتدي جلدًا، أو أسمالًا، وأن يغتسل صباحًا ومساءً، وأن يترك شعر رأسه، غدائر، وأن يعفي لحيته وشاربه، ولا يقلّم أظفاره.

(٨/٦) وعليه أن يعكف دائمًا على مطالعة الفيد...

(١٤/٦) وعليه أن يجتنب العسل واللحم والفظور النابتة فوق الأرض...

(٢١/٦) وعليه أن يقتات بالزهور والجذور والفواكه...

(٢٢/٦) عليه أن يقضي يومه، راکضًا من مكان إلى آخر، أو أن يقف على أخصص قدميه، أو أن يقف تارةً، ويجلس أخرى...

(٢٣/٦) وأن يقف تحت السماء مباشرة، عند هطول الأمطار، وأن يلبس ثيابًا مبلولة في الشتاء، وبالتالي: أن يعوّد نفسه احتمال الشدائد، بكل أنواعها.

(٢٤ / ٦): عليه أن يقدم ترين^(١) إلى الأجداد، والآلهة، ثلاث مرات يوميًا، وعليه أن يعود نفسه العبادات الشاقة، وأن يضمّر جسده.

(٢٦ / ٦): وعليه ألا يسعى على الحصول على ما يبعث السرور، واللذات، بل عليه أن ينام على الأرض، ولا يأوي إلى ملجأ، وليتخذ أصول الأشجار سكناً له.

(٢٩ / ٦): عليه أن يدرس أوبانيشاد، مقيمًا في الفلوات...

هكذا يقضي دوره الثالث الذي يبدأ من خمسين سنة من عمره ويستمر إلى خمس وسبعين سنة ثم يختار الدور الرابع. يقول مُنْو:

(٣٣ / ٦): إذا قضى العابد هذا الدور من الحياة، ولم يمت؛ فعليه أن يعيش زاهدًا، في الدور الرابع، وأن يترك علاقاته الدنيوية، وكل مستلزماتِها.

فهذه المرحلة استعداد للمرحلة الأخيرة، حيث يتمرن على أنواع من الرياضات، ومن ثم يكون قادرًا على مشقة الدور الأخير^(٢).

الدور الرابع: سَنِّيَاسَ أَشْرَمَ (حياة الرهبنة)

يدخل هذا الإنسان الذي مر بالمراحل السابقة في حياة جديدة وهي حياة الرهبنة، والفرق الأساسي بين هذا الدور والذي قبله: أن المرء في هذا الدور؛ لا يتقيد بحكم من أحكام الدين، فهو غير محتاج إلى الجينو، ولا إلى الكشكول، ولا إلى الزنار، ولا إلى أي شيء من الأشياء، المفروضة على أصحاب الأدوار الثلاثة الأولى، بل هو في هذا الدور فوق كل شيء، حيث يظهر أمام الناس كالشيخ الكامل المطاع، مرفوع التكليف، ويصير عقلا بلا شهوة، وتحل ناسوتيته في لاهوتيته، فهو معبود يعبد كما يعبد الله^(٣).^(٤)

(١) سبق التعريف به وبيان كيفيته في الفصل الذي قبله.

(٢) انظر ما ذكره دُرْغا داش بشو سرسفاتي: هندو دهرمير شارته: ص (١١٢).

(٣) انظر ما ذكره الشيخ الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٨٣) - (٥٨٩).

(٤) يقول الدكتور الأعظمي: هذه المنزلة في اصطلاح الصوفية: «الفناء الكامل».

يقول مُنُونُ:

(٤٢/٦): وعليه أن يسرح وحده، دائماً من غير رفيق، لكي يحصل على النجاة الأخيرة، وليعلم: بأن الوحدة هي سبيل النجاة.

(٤٤/٦): إن أمارات حصول الإنسان، على النجاة؛ هي أن يكتفي بوعاءٍ من فخار؛ للسوائل، وأن يجعل مسكنه؛ أصول الأشجار، وأن يلبس أسماً بالية، وأن يعيش وحيداً، وبعيداً عن كل شيء...

(٤٥/٦): وعليه أن يتمنى الموت، ولا يتمنى الحياة...

(٤٦/٦): وعليه إذا مشى؛ أن يرفع قدميه، ويضعهما مطهراً إياهما؛ بالنظر إلى الأرض، (لكي لا يدوس الحشرات)، وأن يشرب الماء؛ مطهراً إياه بثوب...
(٤٩/٦): لا يجعل للمنى إلى نفسه سبيلاً، ولا يأكل اللحم، ولا يرغب في نعيم الدنيا.

(٥٥/٦): وعليه أن يسأل: مرة واحدة، في اليوم، ... حتى لا يندفع إلى الميل إلى لذائذ الدنيا.

(٥٩/٦): وعليه أن يقهر حواسه؛ إذا مالت إلى الملاذ، بأن يأكل قليلاً من الطعام، وأن يعيش بعيداً عن الناس.

(٧٥/٦): ينال المرء أعلى الدرجات ... بفضل منعه حواسه؛ عن الميل إلى الملذات والشهوات.... وبممارسة العبادات الشاقة.

يقول ديانند: «يقطع حبه من المخلوقين والأموال والأولاد، ويختار حياة المتسولين، ويستغرق في معرفة الأسرار، ويمضي وقته في المراقبة التامة والاجتذاب والغيوبة حتى يحصل له «نرفانا» أي النجاة من تكرار المولد»^(١).

(١) ستيارتها بركاش الباب الخامس ص ١٨٥، نقلاً عما ذكره الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٩٠).

ويخصص ديانند حياة الرهبنة الكاملة لطائفة «البراهمة» فقط إذ أنهم أفضل الخلق على الإطلاق، وأفضل الأعمال البشرية هو اختيار الحياة الرهبانية فوجب أن تكون مقصورة على طائفة البراهمة^(١).

(١) ستيوارت، كتاب الكاش الباب الخامس ص ١٩١؛ نقلاً عن المصنف السابق.

المبحث الثالث

عادات وتقاليد تتعلق بالرهبة الهندوسية

إن الرهبة الهندوسية لها تاريخ قديم، حيث نسبت الرهبة إلى ما قبل العهد الآري في الهند، بحيث وجدت آثار لبعض العادات والتقاليد في ثقافة وادي السند، إلا أنها تطورت من أواخر العهد الفيدي بأيدي رهبان الهندوس^(١) الذين تركوا المجتمع وسكنوا الغابات، وكتبوا كتبًا سميت بـ«أَرْتَنُك»، ومارسوا حياة التقشف بكل أنواعها، ثم أسست لها أسس ومبادئ عبر فترات طويلة من الزمن ونتيجة جهود كبيرة من جانب الرهبان الهندوس الذين تهيات لهم الظروف المناسبة لسن هذه القوانين ونشرها بين أتباعهم واتخاذها كمبادئ ثابتة لا محيد عنها لكل من التزم بهذا المسلك وعمل به.

ويلاحظ المتتبع لهذه القوانين مدى صرامتها وتطرفها... ولا غرابة في ذلك لأننا رأينا أنهم ينشدون بهذه الرهبة الاتحاد بالـ«برهمان»، والوصول إلى القول بوحدة الوجود، وغيرها من العقائد.

فالقول بالاتحاد يبرز الصلة بين القوانين النظرية والممارسات التعبدية للرهبة؛ فإن التبتل والانقطاع وحرمان النفس وقهر الجسد وتعذيبه حتى الموت من أجل الاتصال أو الاتحاد ببرهمان هو الهدف الأسمى والغاية المنشودة للراهب الهندوسي، والخطورة الناجمة عن ذلك تتمثل بمحاولة الراهب التحرر من قيود الحياة وسجنها للاتحاد ببرهمان عبر ممارسة شاقة مؤدية في النهاية إلى إزهاق الروح^(٢).

وللرهبة الهندوسية مظاهر، وسوف أبين بعض هذه المظاهر في المطالب الآتية:

(١) انظر شجرة الحضارة (٣/١٥٨).

(٢) انظر ما ذكره عمر وفق الداعوق: الأسس العقدية لظاهرة الرهبة وموقف الإسلام منها ص (٨٢).

المطلب الأول

يوغا

وقد تكلمنا عن المقصود بكلمة يوغا وأنواعها، عند دراستنا للفلسفات الست^(١)، وإنما أشير إلى أن يوغا أصبح لدى الهندوس في الأزمنة الأخيرة من العبادات، وهي من العبادات التي لا يوجهها ممارسوها إلى إله من الآلهة، بل القصد الأسمى من ممارستها: انطلاق النفس من قيود التجوال للأرواح في هذه الدنيا والحياة ويوغا هدفه السلطة على الجسد الطبيعي حتى تنتطلق النفس من تجوال الأرواح والولادة مرة أخرى في هذه الدنيا حتى من الموت.

إن ممارسات يوغا تمثل رأس هذا التطرف والغلو، بل تعتبر يوغا من أشد صور الممارسات التعبدية عنفاً وقسوةً، لارتباطها بعقيدتي وحدة الوجود والاتحاد، وقد وصف لنا «ول ديورانت» ما يقوم به هؤلاء من أعمال فكانت على النحو الآتي:

«على سلم المستحمين، ترى ... جالسين هنا وهناك، يحيط بهم هنود ينظرون إليهم نظرة الإجلال، ومسلمون ينظرون في عدم اكتراث، وسائحون يحدقونهم بالأبصار، ويسمى هؤلاء ... باليوغيين، وهم بمثابة المعبر عن الديانة الهندية والفلسفة الهندية تعبيراً ليس بعد وضوحه وغرابته وضوح أو غرابه؛ ثم تراهم كذلك في عدد أقل، في الغابات وعلى جنبات الطرق، لا يتحركون ويستغرقون في تفكيرهم؛ منهم الكهول ومنهم الشباب، منهم من يلبس خرقة بالية على كتفيه ومنهم من يضع قماشاً على ردفه، ومنهم من لا يستره إلا تراب الرماد ينثره على جسده وخلال شعره المزركش؛ تراهم

(١) راجع ص (٣٧٩-٣٩٠).

جالسين القرفصاء وقد لفوا ساقاً على ساقٍ، لا يتحركون، ويركزون أبصارهم على أنوفهم أو سُررهم، بعضهم يحدقون في الشمس ساعات متواليات بل أياماً متعاقبة، فيفقدوا إبصارهم شيئاً فشيئاً، وبعضهم يحيطون أنفسهم باللسنة حامية من اللهب في قيط النهار، وبعضهم يمشون حفاة على جمرات النار، أو يصبون الجمرات على رؤوسهم؛ وبعضهم يرقدون عرايا الأجساد مدى خمسة وثلاثين عاماً على أسرة من حراب الحديد، وبعضهم يدرجون أجسامهم على الأرض آلاف الأميال حتى يصلوا مكاناً يحجون إليه، وبعضهم يصفدون أنفسهم بالأغلال في جذوع الشجر، أو يزجون بأنفسهم في أقفاص مغلقة حتى يأتيهم الموت، وبعضهم يدفنون أنفسهم في الأرض حتى الأعناق ويظلون على هذا النحو أعواماً طوَّالاً، أو طول الحياة، وبعضهم يُنفذون سلكاً خلال الأصداغ، حتى يمر من الصدغين؛ فيستحيل عليهم فتح الفكَّين، وبهذا يحكمون على أنفسهم بالعيش على السوائل وحدها، وبعضهم يحتفظون بأيديهم مقبوضة حتى تنفذ أطرافهم من ظهور أكفَّهم، وبعضهم يرفعون ذراعاً أو ساقاً حتى تذبل وتموت، وكثير منهم يجلسون صامتين في وضع واحد، وربما ظلوا في وضعهم أعواماً، يأكلون أوراق الشجر وأنواع البندق التي يأتيهم بها الناس؛ وهم في ذلك كله يتعمدون قتل إحساسهم ويركزون كل تفكيرهم بغية أن يزدادوا علماً، وأغلبهم يجتنبون هذه الطرائق التي تستوقف الأنظار، ويبحثون عن الحقيقة في سَكينة ديارهم»^(١).

وهذا النوع من العبادة كثرت في الآونة الأخيرة كثرة فائقة، حتى شملت غير الهندوسيين، يقول الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي: «فاليوغي بممارسته الرياضة النفسية والذهنية يتغلب على الأسباب المادية ويدهش المشاهدين فترى يعيش اليوغي عارياً فوق النهر المتجمد، وينام على شظايا الزجاج دون أن تظهر عليه أية إصابة، ويجب أن يكون الإنسان على حذر، فإن «يوغا» نوع من العقائد الدينية، ووسيلة من وسائل الترقى الروحي عند الهندوس، وهي أخذت من تعليمات القيادات

وإن كانت هذه الكلمة لم ترد في الفيدات، وهي فكرة هندوسية برهمية خالصة ليتمكنوا من السيطرة على البشرية وتعليم يوغا يساعدهم على ذلك.

وقد قرأتُ في الصحف العالمية ما أعلن به «چندرا سوامي» أن كثيرًا من رؤساء الدول وكبار رجال أعمال من تلاميذه، وهم عنده كالعبيد، وهو يتصرف فيهم كيف يشاء، وكل هذا بسبب يوغا.

واشتهر في العصر الحاضر رجلا ن يعلمان يوغا أحدهما: «أجاريا راجنيش»، والثاني: «ماهيش يوجي».

ولد الأول وهو «راجنيش» في عام ١٩٣١م ومات قبل أعوام، والرجل لا يؤمن بالله، ولا بالكتب المنزلة، ولا بالغيبيات مثل وجود الجنة والنار، ويرى أن في الإنسان قوة ذاتية إذا استغلها فتأتي بالعجائب، ودعوته تقتصر على تعليم «يوغا» والمراقبة النفسية على طريقة الصوفية. وهو يثني على بابا فريد الصوفي، وفي عام ١٩٥٣م ادعى أنه حصل على المعرفة التامة وهي العلاقة الموجودة بين الروح والجسم، وأنه يستطيع الآن أن يتحد بالكائنات الواسعة.

وفي عام ١٩٧٤م أسس في مدينة «پونا» (PUNA) مركزا باسم «راجنيش أشرم» وكان يلقي فيه دروسا يوميا عن يوغا. ثم سافر عام ١٩٨٦م إلى الولايات المتحدة وأسس هناك مراكز كثيرة لتعليم يوغا.

وقد صدر له مئات من الكتب بالهندية والإنجليزية من محاضراته اليومية في مختلف الموضوعات أهمها يوغا والمراقبة النفسية، ولم يصدق أتباعه حين مات بل اعتقدوا فيه أنه استتر عن أعين الناس، وأنه اتحد بالكائنات التي لا تفنى كما هي تعليمات «فيدانت».

والرجل الثاني: وهو «ماهيش يوجي» الذي سافر إلى الولايات المتحدة في الأربعينات في حدود ١٩٣٥م على ما أذكر، وكان يظهر أمام الناس زاهداً وراهباً، ويطمع في الوقت نفسه في جمع الأموال. فبدأ يعلم الناس طريقة «يوغا» ويدعوهم إلى

حركته المهاريشية. وادعى أنه بعثه الله لإنقاذهم من الهلاك والضلال، ولمنحهم حياة سرمدية لا يطرأ عليها الفناء. فيعيش الإنسان على مدى الدهور في النعيم المستمر. ويكون مسيره في النهاية إلى «نرفان» وفي خلال أقل من أربعين سنة اجتمع حوله آلاف الأمريكيين وتحمسوا لدعوته.

وفي الآونة الأخيرة انكشفت الأسرار المحيطة بالرجل. فوجد أنه لص كبير. وطرده من أمريكا. واستولت الحكومة الأمريكية على ثرواته الهائلة. وسافر إلى الهند، ومنها إلى البلاد الأخرى، واختفى خوفاً من الفضيحة^(١).

قلت: هو الآن ما زال حياً في لبنان، أسس مراكز لـ«يوغا»، حيث ترجم كتاب غيتا من بعض مراكزه، ووزع على الإنترنت مجاناً.

هذا، وقد اخترع الهندوس أساليب لممارسة يوغا، وهي تمرينات صعبة وشاقة في أغلب الأحيان^(٢).

(١) الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٠٤-٦٠٦).

(٢) انظر ما ذكره الدكتور فارس علوان: اليوغا في ميزان النقد العلمي، وعباس محمد المسيري: اليوغا والعلاج النفسي، وفهيم محمد فهيم: اليوغا والتنفس.

المطلب الثاني

الرياضات

القصد من الرياضة؛ العبادات الجسمانية الشاقة، التي يعتبرها الهندوس: خير سبيل للإنسان، لبلوغ أرفع المراتب الروحانية، بل ولبلوغ مرتبة الألوهية، فهذه الرياضة ركن عظيم في بناء الديانة الهندوسية، حيث تعتقد الهندوسية إمكانية كل شيء؛ بالرياضة البدنية أو النفسية، فمن ذلك مثلاً ما جاء في مَنُو سَمَرْتِي، الباب الأول:

١٢- أقام برهما في هذه البيضة؛ سنة كاملة، وهو يرتاض، ثم قسمها بالفكر؛ إلى قسمين.

٢٥- ثم خلق: الرياضة، والنطق، والسرور، والمني، والغضب؛ ليخلق هذه المخلوقات.

٣٢- ثم إن براهما؛ شطر جسمه وجعل شطراً في صورة رجلٍ وشطراً في صورة امرأة، وخلق من تزاوجهما رجلاً عظيماً، يُدعى برات^(١).

٣٣- فاعلموا - أيها الأحبار - أن ذاك الشخص العظيم، بعد أن ارتاض وتعبّد؛ خلقتني أنا؛ لأكون خالق هذا العالم كله.

٣٤- فلما أردت أن أخلق العالم؛ ارتضت رياضاتٍ شديدة، وخلقت عشرة أحبار؛ جعلتهم آلهة هذا العالم».

(١) من هذا الشخص الذي يقال له «برات» فيه خلاف عند الهندوس، فمنهم من يقول: إنه هو مَنُو جِي، صاحب هذا الكتاب، ولكن هذا مردود بالفقرة التالية. وآخرون يقولون: إنه هو والد منو جِي، وخالقه، وهذا هو الذي يترجح، وإن كانت الفقرة ١٠٢ من هذا الباب يفسد هذا القول، ومهما يكن من أمر، فإن هذا الشخص؛ كان عظيم الجسم. انظر ما ذكره إحسان حقي: ترجمة مَنُو سَمَرْتِي ص (٢٠).

يلاحظ مما سبق أن الهندوس يعتقدون إمكانية كل شيء؛ بالرياضة البدنية أو النفسية، وقد رأينا فيما أسلفنا: كيف أن براهما؛ شطر البيضة. وخلق العالم بقوة رياسته، وهذا الشخص العظيم، خلق مُنْوَجي؛ بالرياضة. ومُنْوَجي، خلق الأحبار؛ بالرياضة. وهناك فقرات أخرى في مُنْوَ سَمَرْتِي تدل على دور الرياضة في نيل المطالب، منها، ما جاء في الباب الحادي عشر:

٢٣٧- إن الصلحاء الذين يضبطون أنفسهم ويتغذون بالفواكه والجذور والهواء يشاهدون بفضل رياضاتهم العوالم الثلاثة بما فيها من ساكن ومتحرك.

٢٣٨- إن العلاج والصحة الجيدة والعلم وغيرها من مختلف درجات القداسة إنما تحصل بالرياضة وحدها؛ لأن الرياضة هي الطريق الوحيد للحصول على هذه الأمور.

٢٣٩- إن كل مسافة صعب قطعها وكل شيء صعب الحصول عليه أو الوصول إليه أو القيام به يمكن نواله بفضل الرياضة لأن الرياضة قوة لا تغلب.

٢٤٠- كل من ارتكب ذنبًا مهلكةً أو غير مهلكة ينجو من إثمه بفضل حسن رياسته.

٢٤١- إن الحشرات والحيات والفراش والنحل والطيور والجمادات كلها تدخل الجنة بقوة رياستها.

٢٤٢- إن كل إثم يرتكبه الإنسان بالفكر أو بالكلام أو بالعمل ينحرق فورًا بالرياضة.

٢٤٣- إن الآلهة تقبل تقدمات البرهمي الذي طهر نفسه بالعبادات وتمنحه كل مطلوبه.

٢٤٤- إن إله المخلوقات «براهما جي» إنما خلق هذا القانون المقدس بفضل رياسته وحدها، ووصل إليه الأحبار بفضل رياضاتهم أيضًا.

٢٤٥- إن الأحبار يعتبرون الرياضة الأصل المقدس لكل هذا العالم ولا يرون قوة

فوق قوتها»^(١).

ويزعم الهندوس أن الإنسان إذا وصل إلى الغاية القصوى في سلم الرقي الروحاني بممارسة منتر فيد وبالرياضة الشاقة فإنه يصبح قادرًا على ستة أشياء عظيمة، وهي:

- (١) استمالة الآخرين وجلب قلوبهم.
- (٢) إماتة من يريد موته.
- (٣) قمع الأشياء واقتلاعها من أماكنها.
- (٤) منع الشخص من القيام بعمله وشل حركته وإرادته.
- (٥) إحداث شقاق بين اثنين.
- (٦) تسخير الناس...

وتسمى هذه الأشياء الستة بالسنسكريتية، حسب الترتيب المذكور آنفًا، كما يلي: موهن، مارن، أجاتن (الثاء سنسكريتية) ستمبهن، بديش، شبكرن^(٢).

ولأجل القوة الخارقة للرياضة والمجاهدة ترى كتب الهندوس المتأخرة، كتب البرانات خصوصًا مليئة بالحكايات والأساطير التي تذكر أن فلانًا وقع في لعن فلان من الآلهة، ثم ارتاض رياضات شديدة حتى حصل على القوة الخارقة من براهما مثلاً، أو من شيفًا، أو رضي عليه فُشِنُو واستجاب لمطالبه.

ومن غرائب ما يذكرون: أنه إذا حصل أحدٌ بالرياضة والمجاهدة الشديدة مكانًا مرموقًا لا يمكن زحزحته عن ذلك المكان، حتى تعجز آلهتهم عن ذلك، وكمثال على ذلك: إن رافن صاحب سيلان الذي قتله رام بن دشرته كما يقولون، كان قد ارتاض

(١) انظر مَنُو سُمَرْتِي ص (٦٦٩-٦٧٠) من ترجمة إحسان حقي، مع تغيير بعض ما يلزم تغييره لما رأيت من المخالفة في ترجمته للأصل، حيث ترجم «تابا» بالعبادة في كل من هذه الفقرات، مع أنها في الحقيقة الرياضة، والعبادة التي أطلقها المترجم لا تفي بالغرض.

(٢) انظر ما ذكره إحسان حقي: ترجمة مَنُو سُمَرْتِي ص (٥٦٨).

رياضات شديدة وجاهد مجاهدات عديدة حتى رضي عنه براهما ومنح له وعداً بأنه لا يمكن أن يتغلب عليه أي إنسان أو جن، فبدأ راغثاً بعد هذا في الظلم والاضطهاد، حتى أعجز الآلهة، فذهبوا إلى براهما وطلبوا منه أن يفعل شيئاً، لكنه لم يستطع لأنه أعطاه وعداً، إلا أنه طلب من قُشْنُو أن يلد في بيت الملك دشرته حتى يعذب هذا الرجل الذي حظي بإكرام، فما أعجز هذه الآلهة التي يعبدونها!!!

ومثل هذا كثير جداً في كتبهم، فمن يطالع مهابهارت وراماين، والكتب البرانية يجد كلها مليئة بمثل هذه القصص التي تنص على أن الإنسان يحصل على القوة الخارقة بفضل رياضاته ومجاهداته، ويذكر في بعض الأحيان أن بعض الناس من الطبقات السافلة انتقلت إلى الطبقات العليا بفضل رياضاتهم ومجاهداتهم كما حصل لـ «بشفامترا» حيث كان كهشتريا، إلا أنه من شدة مجاهداته ارتقى في حياة واحدة إلى برهمي^(١).

إلا أن هذه الرياضة والمجاهدة لا نعرف أشكالها وصورها بالتفصيل، وقد جاء ذكر بعض أنواع الرياضة في بعض كتبهم، منها ما يسمّى «پرنايام»، ومعناها ضبط النَّفْسِ، بطرق خاصة، وهذه الرياضة، هي بدء الرياضات كلها، وبها يتوصل بعض الناس إلى حبس نفسه مدة طويلة، فيرى؛ وكأنه ميت، لا حراك به، وما هو بميت، وقد يستغرب المرء هذا الأمر؛ إذا لم يره بعينه، أو يمارسه بنفسه؛ إذ يستبعد أن يحبس المرء نفسه عشرات الدقائق، أو أكثر من ذلك، ثم يبقى حيّاً، وكيفية عمل «پرنايام» هو:

أن يسدّ الإنسان، فتحة أنفه اليمنى، بإبهام يده اليمنى، ثم يستنشق ما يستطيع استنشاقه من الجهة اليسرى، حتى إذا لم يعد باستطاعته أن يزيد؛ يسدّ خشمه الأيسر، بأصابع يده اليمنى أيضاً، واضعاً على أنفه: الخنصر، ثم البنصر، ثم الوسطى، ثم السبابة...، الأصبع تلو الأصبع، بسرعة، ويمكث هكذا، محبوس النفس؛ قدر ما يستطيع، ثم إذا رأى: أن نفسه قد ضاق، ولم يعد يقدر على حبسه؛ يرجع، ويرفع أصابعه تباعاً، بعكس

(١) وقد تأثر كثير من المتصوفة في هذا الباب، حيث يرون الرياضة والمجاهدة أحسن الطرق للوصول إلى الله، بل يرى بعضهم أنها هي الطريقة الوحيدة لنيل مرضات الله، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل بإذن الله.

الكيفية، التي وضعها بها، أي: أنه يرفع السَّابَّة، ثم الوسطى، ثم البنصر، ثم الخنصر، ثم يزيح الإبهام أيضاً، ويتنفس تنفساً عادياً، ويستريح قليلاً، ثم يعيد الكرّة: مرتين أو ثلاث مرات.

وعلى المرء أن يعمل، كل يوم، لحبس نفسه، أكثر من اليوم الذي مضى، وهكذا؛ حتى يبلغ من قوة الإرادة، حدّاً؛ يصبح معه، مسيطراً على حواسه، كل السيطرة، ويأتي بعدها بالعجائب، فكثير من الناس دفنوا في صناديق، ساعات، ثم أخرجوا أحياء!!، وهذه الرياضة؛ من الرياضات اليومية اللازمة، والتي لا بدّ لكل هندوسي من أن يقوم بها، صباحاً، وقت قيامه بالعبادات، وأكثر ما يكون ذلك؛ خارج المدن في الهواء الطلق^(١). وهناك ممارسات أخرى لها في المجتمعات الهندوسية الحاضرة.

(١) انظر ما ذكره الدكتور إحسان حقي، عند شرحه لمنو سُمَرْتِي ص (٧٢).

المطلب الثالث

تعذيب الجسم

وقد وصف العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ أحوالاً متعددة من صور إزهاق الروح عند الهندوس، وهي تتراوح بين إزهاقها بالنار أو بالماء أو بالجوع، حيث يقول:

«ومن الهند البراهمة قومٌ حسن لهم إبليس أن يقتربوا بإحراق نفوسهم فيحفر للإنسان منهم أخدودٌ، وتجتمع الناس فيجئ مضمخًا بالخلق^(١) والطيب وتضربُ المعازف والطبول والصنوج... ثم يلقي نفسه في الأخدود فيحترق؛ فإن هرب نابذوه ونفوه وتبرأوا منه حتى يعود.

ومنهم من يُحمى له الصخرُ فلا يزال يلزمُ صخرة صخرةً، حتى يثقب جوفه ويخرج معاهُ فيموت، ومنهم من يقف قريبًا من النار إلى أن يسيل ودُّكُهُ^(٢) فيسقط، ومنهم من يقطع من ساقه وفخذه قطعًا ويلقيها إلى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت، ومنهم من يقف في أخشاء البقر إلى ساقه ويُشعلُ النار فيحترق.

ومنهم من يعبد الماء ويقول: هو حياة كل شيء فيسجد له، ومنهم من يجهزُ له أخدودٌ قريب من الماء فيقع في الأخدود حتى إذا التهب قام فانغمس في الماء ثم رجع الأخدود حتى يموت.

ومنهم من يُزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولاً عن المشي ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسه ثم تبطل حركته ثم يخمد، ومنهم من يهيمُ في الأرض حتى يموت، ومنهم من يغرق نفسه في النهر، ومنهم من لا يأتي النساء ولا يوارى العورة،

(١) الخلق: نوع من الطيب.

(٢) دسم اللحم.

ولهم جبلٌ شاهقٌ تحته شجرة، وعندها رجلٌ بيده كتابٌ يقرأ فيه يقول: طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج أمعاءه بيده، ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت، والناس يقولون: طوبى لك.

وعندهم نهران فيخرجُ أقوامٌ من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال يأخذون ما على العباد من الثياب ويطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين في نهرٍ، والنصف الآخر في نهرٍ...

ومنهم من يخرج إلى براح^(١) ومعه جماعة يدعون له ويُهتئون به بنيته، فإذا ضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة، فيتجرد من ثيابه ثم يمتد والناس ينظرون إليه فتبتدره الطير فتأكله، فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها^(٢).

ومن ممارساتهم العجيبة المتعلقة بالرهبة تحمل المشاق في زيارة الأماكن المقدسة لديهم، وهم يأتونها على كيفية معينة صعبة للغاية، بل يعرضون أنفسهم على الخطر، ومن الهندوس من يزور نهر غنغا ويمارس ممارسات شاقة فيه، بل يشاهد دوي أصوات المستحمين حول نهر غنغا رافعين أذرعهم إلى السماء ويصيحون في نغمة الصابرين (أوم، أوم، أوم)^(٣).

كما إن من أنواع تعذيب الجسم عند الهندوس:

١ - أنواع من النذور التي ينذرونها في تعذيب النفس وتحمل المشاق، وقد سبق معنا بيان بعض أنواعها.

(١) البراح: المتسع من الأرض التي لا بناء فيها ولا شجر.

(٢) ابن الجوزي: تليس إبليس ص (٦٦-٦٧)، وانظر ما ذكره عمر وفيق الداعوق: الأسس العقدية لظاهرة الرهبة وموقف الإسلام منها ص (٨٩)، والبيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٤٨٣-٤٨٤).

(٣) انظر ما ذكره غوستاف لوبون: حضارات الهند ص (٦٢٠-٦٢١)، ويراجع كذلك ما ذكره ابن بطوطة في كتابه: تحفة النظاري غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (١٦٦/٢-١٧٦).

٢- أنواع من الممارسات التعذية للجسد، مثلاً:

- ❖ رفع الأيدي إلى الأعلى حتى تنحل وتجف.
- ❖ الابتعاد عن الزواج، ويسمّون بـ«أرده ريتا» أي الذي جعل منه إلى الأعلى، فلا يسقطه على شيء، مثل ما فعل بهيشما، من الشخصيات الكبار في مهابهارت.
- ❖ التنسك والاعتزال في الغابات وعلى ضفاف الأنهار بدون زاد^(١).

(١) انظر مَنُو شَمَرْتِي ص (٧١).

المطلب الرابع

التسول، وترك الاكتساب

إن التسول ليس محمودًا فحسب في المجتمع الهندوسي، بل لازمة له، وواجبة لتزكية النفس، ولذلك اعتبروا الاستجداء والتكفف وسيلة فذة للسمو الروحي، وشفاء النفس، وأصبح من واجبات الحياة اليومية لبعض الطبقات، فالهندوسية تقسم حياة أفرادها إلى أربعة أدوار، كما سبق معنا، يعمل في دور واحد، ويعيش الأدوار الثلاثة الأخرى بالسؤال والاستعطاء، وليس هذا السؤال تكففًا فحسب بل هو واجب ديني، وللسؤال طرقٌ وأصولٌ وأوقاتٌ سيأتي تفصيلها.

هذه الطبقة من النساك المتكففين أحدث عددهم المتزايد بطالة جزء كبير من الناس بطالة تامة، وأوضاعهم الخلقية والاجتماعية أحدثت مشكلات وعقدًا في حياة بعض هذه البلاد.

وفيما يلي استعراض لبعض النصوص الدالة على التسول، جاء في مَنُو سَمُرْتِي، الباب الثاني:

٤٧- على التلميذ - بعد أن يأخذ عصاه - أن يعبد الشمس ثم ليطف بالنار، ثم ليخرج للسؤال، وفاقًا للطرق المشروعة.

٤٨- على البرهمي؛ أن يبدأ سؤاله بلفظ «بَهَوَتِي» وعلى الكهشثري؛ أن يجعل هذا اللفظ، في نصف سؤاله، والثايشا؛ في آخره.

أي: إن السائل الديني، عند الهندوس لا يحتاج إلى السؤال بعجزٍ وانكسار، بل ينه أصحاب الدار إلى وجوده، خارج الباب، بثلاث كلماتٍ فقط، وهي: «بَهَوَتِي بِكْشا

ده» أي يا سيدتي تصدقي!!، ولكي يعرف أهل الدار، بفرقته؛ يقول، إن كان برهميًا: «بَهَوْتِي بِكْشَا دِه»، مقدمًا لفظ بَهَوْتِي، وإن كان كهشتريًا، يجعل هذا اللفظ، في وسط الجملة، فيقول: «بِكْشَا بَهَوْتِي دِه» وإن كان فايشيًا؛ يؤخره فيقول: «بِكْشَا دِه بَهَوْتِي» فإذا سمع أهل الدار سؤاله؛ أعطوه ما تيسر من المؤونة، مثل الطحين والحمص والعدس وما أشبه ذلك، ولا يتصدقون على التلميذ بطعام مطبوخ، ولا بدراهم، وقد يتصدقون بطعام مطبوخ على أهل الدورين الأخيرين، أي دور العبادة، ودور الزهد؛ وذلك؛ لأن العابد، والزاهد، لا يملكان أواني وأدوات، لإصلاح الطعام، إذا تصدقوا عليهما بغير طبخ^(١).

٤٩- على التلميذ؛ أن يبدأ سؤاله الصدقات؛ من أمه وأخته وخالته، ثم ممن لا يردّ سؤاله - خائبًا - من أقاربه^(٢).

٥٠- بعد أن يقدم التلميذ إلى أستاذه، كل ما جمعه في يومه، من غير أن يغلّ منه شيئًا؛ يطهر نفسه، بمصّ الماء،^(٣) ثم يأكل.

١٨٢- على التلميذ: أن يسأل الصدقات، من الصلحاء القائمين بأحكام الشئد، وبالعبادات.

١٨٦- إن من يترك الشحاذة، سبعة أيام متواليات، من غير عذر، ولا يقوم خلالها بعبادة «هوم» مرتين كل يوم، صباحًا ومساءً؛ يعدم ثواب التلمذة، ...

١٨٧- على التلميذ أن يشحذ ويأكل، ولكن عليه ألا يشحذ من دار واحدة، دائمًا، إن ثواب الأكل من الشحاذة كثواب الصيام.

(١) انظر ما ذكره الدكتور إحسان حقي في شرحه لهذه الفقرة من مَنُو سَمَرْتِي ص (٦٣).

(٢) يقول الدكتور إحسان حقي: أمر بالسؤال من الأقارب، بادئ ذي بدء؛ لكي لا يرى التلميذ صعوبة، بالسؤال من الغير؛ إذ ربما رده خائبًا؛ فيجرح عواطفه، ولعله إذا اصطدم بمثل ذلك؛ لا يتم الدور، ولكن؛ عليه ألا يجعل سؤال الأقارب ديدنه. المصدر السابق، ص (٦٤).

(٣) يقول الدكتور إحسان حقي: لمص الماء من اليد، عند الهندوس، ما للوضوء عند المسلمين، من أهمية، وضرورة للعبادة، ولمصّ الماء؛ أصول خاصة، فصلت في مَنُو سَمَرْتِي في الباب الثاني، الفقرتين: ٥٨، ٥٩، انظر المصدر السابق ص (٦٤).

هذا كله للمتسول المبتدئ، المعروف بالتلميذ.

أما في حياة العبادة والزهد، فطريقة التسول تختلف نوعاً ما، كما جاء في كتاب مُنْوَ سُمَرْتِي، الباب السادس:

٥١- وعليه أن يجتنب في سؤاله - الدار التي يقطنها العباد والبراهمة، والطيور، والكلاب والشحاذون.

٥٥- وعليه أن يسأل: مرة واحدة، في اليوم. وألا يطمع في الحصول على مقدار كبير من الطعام؛ ...

٥٦- وعلى الزاهد أن يذهب للسؤال؛ حينما لا يرى دُخاناً، صاعداً من المطبخ، ولا يسمع صوت جرن، ويعلم أن النار؛ قد أطفئت، وأن الناس؛ قد فرغوا من طعامهم، وأن فضلات الطعام؛ قد أزيلت عن الموائع.

٥٧- وعليه ألا يغضب؛ حينما لا ينال شيئاً، ولا يفرح؛ حينما يحصل على شيء، وعليه أن يقبل ما يقيم حياته، ويكون قوتاً له، ولا ينظر إلى نوع الطعام وكيفيته. هذه بعض ما جاء في الديانة الهندوسية من الحث على التسول ونظامه المتبع لديهم.

المطلب الخامس

محاربة الملاذ

إن محاربة الملاذ لمن أهم ما يسلكه السالك الهندوسي في حياته، فهو يعمل أعمالاً في جميع مراحلها، كلها تهدف إلى محاربة الملاذ، وفيما يلي بعض النصوص المنقولة عن مُنْوَ سُمَرْتِي الدالة عليها:

(٩٣/٢): إن جذوة الشهوات؛ لا تطفأ، بالتمتع بالشهوات، بل تزداد اضطراباً، كما تضطرم النيران؛ بصب السمن عليها.

(٩٤/٢): إن تارك التمتع خير ممن يتمتع بها.

(١٠٧/٢): على من يدخل في الحياة الجديدة (طالب العلم)؛ أن يثابر على القيام بعبادة هوم، يوميًا، وأن يشحذ غذاءه، وينام على الأرض، ويسعى إلى ما فيه خير أستاذه، حتى يرجع إلى أهله.

أي ينام على الأرض المجردة، من غير فراش، وكثير من الهندوس المتمتتين؛ لا ينامون، ولا في دورٍ من أدوار حياتهم؛ إلا على ألواح من الخشب من غير فراش، وذلك لتعذيب النفس وتهذيبها، ومحاربة الملاذ.

(١٠٩/٢): على من يُسأل سؤالاً، لا فائدة منه، أو من غير تعظيم من السائل؛ ألا يجيب، وعلى العقلاء؛ أن يظهروا أمام الناس كالصمّ، لا يتكلمون؛ ولو كانوا يعلمون.

(١٧٤/٢): على التلميذ، الذي يعيش في دار أستاذه؛ أن يراعي الأمور التالية:

التغلب على حواسه؛ ليكون أهلاً للحصول على المراتب الروحية.

(١٧٦/٢): اجتناب العسل واللحم والعطر والطوق ولذيذ الأطعمة، والنساء، والأطعمة التي تتحول إلى مادة حامضة، واجتناب إيذاء الحيوانات الحية.

(١٧٧/٢): اجتناب ذلك البدن، والاحتفال، ولبس النعل، واستعمال المظلة، والشهوة الجنسية، والغضب، والحرص،

وقد سبق ذكر الواجبات والمنهيات في الأدوار والمراحل في الحياة الهندوسية وفيها كثير من التعذيب للأجساد وحرمان الملاذ والطيبات وغاية ذلك كله عندهم ما ورد في مَنُو سَمَرْتِي:

(٧٨/٦): إن من ينخلع من جسمه، كما تنخلع الشجرة، التي على ضفة النهر، أو كما يترك العصور الشجرة؛ فإنه يخلص من مصائب هذا العالم الماكر.

(٨٠/٦): إذا أصبح المرء، ولا رابطة تربطه بشيء من هذا العالم؛ فإنه ينال السرور الأبدي، في هذه الحياة، وفي الحياة الثانية.

(٨١/٦): إن من يترك كل الروابط والصلات، ويتجرد عن الميل إلى الأضداد، بحيث لا يشعر بمحبة ولا ببغضاء، ولا بحرٍّ ولا بقرٍّ، ولا بجوعٍ ولا بشبعٍ، فإنه يندمج في برهمان.

هذه بعض ما جاء في الهندوسية عن محاربة الملاذ وأسبابها وطرقها.

المطلب السادس

نقد الرهينة الهندوسية

ومن خلال استعراض هذه الصور الخاصة بالرهبان يستطيع الباحث استنتاج النقاط الآتية^(١):

أولاً: صرامة التعاليم الدينية وقسوتها، إضافةً إلى التعقيدات الكثيرة التي لا يمكن تحملها من قبل الناس العاديين، مما يشكل عبئاً يُضاف إلى الأعباء الناجمة عن النواحي العقدية والفكرية.

ثانياً: ارتباط هذه العبادات بالخرافات والأساطير والسحر والشعوذة، وهذا بدوره يؤدي إلى خداع الناس والتدجيل عليهم باسم الدين.

ثالثاً: ارتباطها بمصالح شخصية راجعة أساساً إلى طبقة رجال الكهنوت البراهمة، وكبار الرهبان الواقفين على التشريع وسن القوانين.

رابعاً: صعوبة تطبيق جل هذه التعاليم مما يؤدي إلى نفور الناس وإحجامهم عن مثل هذه الممارسات، إلا أن الجهل المطبق الذي يعيش في ظله الهندوس يبقي هذه العبادات والممارسات فوق رؤوسهم كالسيف المسلط.

النتائج التي آلت إليه الرهينة الهندوسية:

إن الرهينة الهندوسية لها نتائج خطيرة؛ فسمات التأخر والتقهر في الهند بادية على مجمل الحياة التي يعيشها الهندوس في هذا العصر، رغم التفوق العسكري، على

(١) استفتدت في نقد الرهينة الهندوسية وبيان النتائج التي آلت إليها الرهينة الهندوسية من كتاب الدكتور عمر وفيق الداعوق: الأسس العقدية لظاهرة الرهينة وموقف الإسلام منها، ص (٩٢) - (٩٦).

جيرانها، ورغم التسابق في الميدان النووي مع الآخرين؛ فإن الروح الدينية تشد الناس إلى الدعة والكسل، وما نراه اليوم من مصانع، ومعامل، وإنتاج، ما هو إلا ثمرة من ثمرات الحضارة الإسلامية التي تعلمها الهندوس على أيدي المسلمين، فلما عرفوا قيمتها، أخذوا في تقليد المسلمين في جميع الميادين، فضلاً عن احتكاك العالم الغربي بهم، ونقل بعض التقدم العلمي والتقني إلى الهند مما أتاح لهم الفرصة لاستلام زمام الأمر ونزعه من أيدي المسلمين.

فلا فضل للرهبة الهندوسية في ذلك بل هي بعيدة كل البعد عن الحضارة والتقدم، وإنما نتج عنها:

(١) أن القيود التي يفرضها الرهبان على أنفسهم، وطقوس العبادات التي يشرعها للناس، هي من باب التكليف بما لا يطاق، مما ينتج عنه إهدار للأرواح، وضياء للأوقات، وإفقار للناس.

(٢) إن دعوى التنسك بالأخلاق الفاضلة ونذر العفة والطهر، وإظهار التبتل والابتعاد عن الدنيا وما فيها، لا تثبت أمام المناظرة، لقيامها على أسس عقدية مستندة إلى خرافات وأساطير، فضلاً عن كونها تعطيل للفطرة البشرية، ومنع وظائف الجسد من إتمام مهامها على الوجه المطلوب، فالدعوة إلى نبذ الحياة كلية وطرح الطيبات جانباً والعمل على نشر الاستعطاء، كل ذلك يؤدي إلى خلل في بنية المجتمع الفكرية والاقتصادية، والعملية، ولهذا فإن الهند تعتبر من أكثر البلدان فقراً في العالم، وهذا راجع إلى تعطيل دور العمل في الحياة والركون إلى الممارسات التعبدية التي لا طائل تحتها والتي تنهك الجسد أكثر مما تحميه، كما أن الالتجاء إلى التفكير في أوهام غير مجدية، لا نفع فيه بل هو توقيف لحركة العقل وربطه بأحزمة من الخيال والضياع.

لكل ذلك نرى أن فقدان التشريع الصحيح، المعتمد على أصل سماوي منزل وموحى به من الخالق تبارك وتعالى من غير تحريف ولا تبديل هو شرط أساسي من

شروط الدين الحق؛ لأن الخالق أعلم بما يصلح شؤون الناس، وما يناسبهم في عسرهم ويسرهم.

أما الاعتماد على تشريع وضعي من صنع البشر، فهو بمثابة وضع الأمر في غير نصابه، بل تعد على حقوق الله تبارك وتعالى، أما التشريعات الوضعية فإنها غير مؤهلة لتصريف شؤون العباد وتقنينها.

فالمنهج الرباني هو الكفيل بتحقيق ذلك؛ لأنه دين الله المتكامل القويم الذي لا زيغ فيه ولا نقصان، صالح للفرد والمجتمع، في كل زمان ومكان.

لهذا نقول: إن قوانين الهندوس من هذا المنظور وعقائدها لا يمكن للعقول النيرة القبول بها مطلقاً، ورفضها هو السبيل الوحيد للنجاة من العذاب والهلاك.

والنتيجة التي آلت إليها القوانين الهندوسية للحياة هي فشلها في تحقيق الأمن والأمان للناس مما نشأ عنه بروز الديانة الجينية، والبوذية كرد فعل لهذه الظاهرة.

الفصل السادس

فرق الهندوس وجماعاتها

افتقرت الهندوسية إلى عدة فرق، وجماعات، أما الفرق فهناك فرق رئيسة وهناك فرق فرعية، وطوائف متفرعة، وأما الجماعات فهناك جماعات تهدف إصلاح الديانة الهندوسية مع دعوة غير الهندوس إلى ديانتها، مثل جماعة آريا سماج، وهناك جماعات سياسية لها أهدافها ومبادئها، مثل جماعات آر إس إس، وبي إتش في، وغيرهما، وهناك جماعات دعوية توفيقية عالمية، مثل جماعة «رام كريشنا»، وجماعات أخرى يوغية، ونظرًا لتشعبها سوف أتحدث عن هذه الفرق والجماعات في المباحث الآتية:

المبحث الأول

فرق الهندوسية الكبرى

يوجد للهندوسية خمس فرق مشهورة هي:

١- فرقة فِشْنُوِيَّة. ٢- فرقة شِيقْثَائِيَّة. ٣- فرقة شاكتي.

٤- فرقة غانيش. ٥- فرقة شُورُورُ.

وهناك فرقة تجمع بين هذه الفرق كلها وتدعي وحدة الأديان، ويبيان هذه الفرق في

المطالب الآتية:

المطلب الأول

فرقة فشنو

فِشنُو هو اسم أحد آلهة الهندوس^(١)، والمقصود بفرقة فِشنُو هنا الفرقة التي تعبد فِشنُو وتتعصب له، حيث إن أصحاب هذه الفرقة يصفون إلههم فِشنُو بأنه عالم الكل، ويخصصون له جميع صفات براهما (الخالق) ويعتقدون فيه أنه يحفظهم في النوازل. نشأة فرقة فِشنُو:

يذكر المؤرخون: أنه كان في غرب الهند مجموعة من القبائل تعبد بعض أبطالها، وكان من أبرزهم ما يسمى بـ«كريشنا»، حيث جعلوا إلهًا قبليًا، وكانت هذه المجموعة تسمى بـ«فرقة بهاغافاد»، وهم الذين يدعون عبادة إله واحد بالحب والوله، ثم في العصر الفيدي رأوا دمج هذا الإله بالإله الفيدي فِشنُو، والذي جاء في القديسات بمعنى الشمس في أغلب الأحيان^(٢)، وفي بعضها بمعنى قائد الحرب^(٣)، حافظ القطعان من المواشي^(٤)، المولود من القانون «ريت»^(٥) فجعلوه معبودًا لهم، ثم بدأ شأنه يترقى حتى اندمج مع هذه الفرقة فرقة أخرى تسمى بـ«فرقة نارايين»، وكانوا على غرار فرقة

(١) (قد سبق معنا بالتفصيل بيان مصدر هذا الإله لدى الهندوس، وبيان معانيه، وما يتعلق به، في ص (٧٣٤-٧٤٥).

(٢) انظر ريگ فید (١/١٠٠-٥-٦)، (١/١٥٥-٦)، (٧/٩٩-١)، وانظر ما ذكره ناريندرناته بتراسارزا: بهارتی دھارمیر إتيھاس ص (١٧٥).

(٣) انظر ريگ فید (١/١٥٥-٦).

(٤) انظر المصدر السابق (١/٢٢-١٨)، (١/١٥٤-٥)، (١٠/١٩-٤) وغيرها.

(٥) انظر المصدر السابق (١/١٥٦-٣).

«بهاغافاد» يعبدون إلهًا واحدًا هو نارائن، فجعلوا كريشنا وفِشنُو وناراين إلهًا واحدًا، ولما كثر النزاع بينهم عن أصل هذا الإله جعلوا أصله فِشنُو وجعلوا كريشنا وناراين تجسدين من تجسده، ومن هنا جاءت فكرة التجسد في الديانة الهندوسية، ثم زاد عدد أفتار فِشنُو، حسب الحاجة^(١).

ولأصحاب هذه الفرقة علامتان متوازيتان وهو وشم ترابي أبيض ينحدر من خط الشعر حتى قصبة الأنف، مع خط رأسي يربط بينهما في الأسفل، مع إضافة علامة مميزة خاصة بالفرقة التي ينتمون إليها، كما يميزهم عقد ومسبحة حباتها مصنوعة من شجر مقدس عند فِشنُو^(٢).

ومن اختصاص هذه الفرقة أنها ترى أن أفضل الأعمال هي عبادة فِشنُو وبمرور الزمن بدأت فرقة فِشنُو تعبد «كريشنا» إيمانًا منها بأن «كريشنا» تجسد فِشنُو، ويقولون إن فِشنُو اختار حتى الآن عشرة أفتار أهمها أفتار «رام» و«كريشنا» وأهم الأعياد لدى هذه الفرقة عيدان: أحدهما يمثل فيه «رام» ويسمى «دوسيهرا»، والثاني يمثل فيه «كريشنا» ويسمى «كريشنا جنم استمي».

ولهذه الفرقة معابد كثيرة في أنحاء الهند يوضع فيها تمثال فِشنُو للعبادة. ومن أهم تعليمات فرقة فِشنُو:

- ١ - مشيئة الإله غالبية على كل شيء.
- ٢ - تحصل النجاة حتى في «كِرَهْسْتَا أَشْرَم» يعني في الدور الثاني من العمر بدون الدخول في الدور الثالث أو الرابع.
- ٣ - روح واحدة تنتقل في جميع المخلوقات^(٣).

(١) هكذا يذكره جل المؤرخين، انظر على سبيل المثال، ما ذكره ناريندرنات بتراسارزا: بهارتبي دهارمير إتيهاص ص (١٧٦-١٩١)، وانظر ما ذكره جيتيندرانات بندوباداي: پنچوشانا، ص (٣٣-٥٠).

(٢) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب، (١٧١).

(٣) انظر ما ذكره الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٩٦-٥٩٧).

هذه الفرقة تنتمي إليها طوائف من الهندوس، من أشهرها^(١):

١) طائفة رامانوج^(٢):

يقال لهذه الطائفة طائفة «سري» أيضًا، وهي منتشرة في جنوب الهند، حيث قام ضد شنكرأجاريا الذي كان شيعيًا، فقام هذا الفيلسوف بنقد فلسفة شنكرأجاريا فانتشرت آراؤه في الجنوب؛ لأنه كان يناقش فرقة شيعيًا، فإذا انهزم أحدهم أخذ المنتصر معابده، وأصحاب هذه الطائفة يقولون بوحدة الوجود، ويعتقدون أن فشنو نفسه هو برهمان الأعلى، وهو الذي كان أولًا، ومنه خلق هذا العالم^(٣).

ومن أتباع رامانوج المشهورين الذين لهم صيت كبير:

❖ راماند (القرن الثاني عشر الميلادي)^(٤):

هذه الطائفة تنتشر في شمال الهند، وهم يعبدون رام، وزوجته سيتا، ولكهشمن، وهنومان، وهم غالبًا منقسمين إلى قسمين، بعضهم اختاروا حياة العمل، ولكن أغلبهم يقتاتون بالتسول والترهب والتطواف في جميع معابد الهند، وكثير منهم لا يرون من العبادات المهمة إلا تردد اسم رام.

❖ كبير داس (١٤٤٠-١٥١٨م):

إن كبير داس المعروف بتصوفه في الهند كان من هذه الطائفة، وهم لا يعتبرون الفروق الطبقيّة شيئًا مهمًا^(٥)، وقد اشتهر كبير داس ، بأقواله الصوفية، وأشعاره

(١) انظر ما نقله أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيع أوباشك سمبرداي (١/ ١١٤-١١٥).

(٢) سبق معنا التعريف به، وأنه كان يعيش إلى حدود سنة ١٠٤٩م، وقيل: إلى ١١٠٤م.

(٣) انظر ما نقله أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيع أوباشك سمبرداي (١/ ١٢٤-١٢٦).

(٤) وهو من تلاميذ تلاميذ رامانوج، يعتقد أنه كان في القرن الثاني عشر الميلادي، وهو أستاذ الصوفي الهندوسي كبير داس . انظر ما نقله أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيع أوباشك سمبرداي (١/ ١٢٦) حاشية، ويرى الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي: أن زمانه (١٣٦٠-١٤٥٠م)، انظر دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٧٦).

(٥) انظر ما نقله أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيع أوباشك سمبرداي (١/ ١٢٩-١٣٢).

المشهوره، بسبب ولادته في بيت برهمي، ونشأته في بيت أحد المسلمين، وكان يدعو إلى التفكير في ذات الله، ويصفه بأنه لا يدرك ولا يتصور.

يقول الدكتور محمد الأعظمي: «وأظنه أول من دعا إلى وحدة الأديان في تاريخ الهند، وكان يؤمن بعقيدة الحلول والاتحاد التي بلغت أوجها وكمالها بعد شنكرأجاريا (٧٨٨-٨٢٠م)، فمن أقواله:

أين تبحث عني وأنا عندك

لا تجدني في الغنم ولا في البقرة

ولا في السكين ولا في الكدوم

ولا في جلد الحيوان ولا في لحمه ودمه

ولا في العبادات ولا في الرهبانية

فإذا تبحث عني وجدني في لمحة واحدة

يقول أيضًا: «اسمعوا أيها النساك والرهبان، أنا أجري مع كل تنفس، وأنا موجود في كل مكان»^(١).

ولكن هذه الطريقة التي مشى عليها «كبير داس» غير مقبولة لدى كثير من الهندوس الذين يتبعون رامانوج، كما أنها غير مقبولة حتى لدى أصحاب رامانند^(٢).

وكان كبير داس يرى وجوب التلمذ، واحترام الأستاذ مثل الطوائف الأخرى الفِشْنُوِيَّة، وكان يمنع من عبادة الأصنام، ويأمر بالحب والعشق للإله^(٣)، أصحابه لم يزلوا يزاولون حياة الرهبنة الخالصة، كأنهم غير مباليين بما في الدنيا وما فيها، ومن أهم

(١) انظر دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٧٥-٦٧٦).

(٢) انظر ما نقله أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيع أوباشك سمبرداي (١/١٤٢). وانظر أيضًا المصدر السابق ص (٦٧٦).

(٣) انظر ما نقله أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيع أوباشك سمبرداي (١/١٥٠).

أعمالهم السياحة والسفر^(١).

(٢) طائفة مادها أچاريا^(٢): وهذه الفرقة تسمى بـ«فرقة برهمان» أيضاً.

انتشرت هذه الفرقة في جنوب الهند أكثر من شماله، يقتصر أتباعه على التلمذ على الرهبان والبراهمة، يحلقون رؤوسهم، ويلبسون ثوباً واحداً، ويخرجون وهم يحملون عصيهم وصحونهم المختصة للشحاذة، وهم من صغرهم يخرجون للرهبنة، يسمون على أعناقهم وصدورهم بالحديد المحمي، يضعون على أنوفهم وجباههم علامات معينة. يرون أن فِشْنُو هو الإله الأعلى، وأنه أخرج هذا العالم من ذاته، ولكنه منفصل عنه، ولهذا اختلف آراؤه مع شنكرأچاريا ورامانوج، وقد سبق معنا بيان ذلك مفصلاً^(٣).

وهم لا يعترفون الاندماج مع برهمان (شاروب موكتي)*، ولا يقولون بأن الإنسان يصبح مثل برهمان (سازوج موكتي)*.

وهؤلاء لا يمنعون وجود صنم شِثْفا في معابدهم، ومن هنا يرى بعض الهندوس، أنه كان في الأول شِثْفاً، ثم أصبح فِشْنُوياً^(٤).

(١) انظر المصدر السابق ص (١٥٤).

(٢) سبق التعريف به مفصلاً، عند كلامنا على الاتجاهات التفسيرية للشيدانت، فهو فيلسوف هندوسي ترك شروحات سنسكريتية على الكتابات المقدسة الهندوسية توحى بالثنائية، تبعها الكثيرون في عصره، وما بعده.

لابد وأن يفرق بينه وبين مادها آخر، الذي هو أخو ستيارام سايان، وهو فيلسوف هندوسي تولى مناصب سياسية وإدارية رفيعة المستوى في إمبراطورية «بيجاي ناغار»، له مؤلفات فلسفية عديدة وتفسيرات دينية على آثار شنكرأچاريا. انظر ما ذكره الأستاذ روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب (٢/٤٥٣)، رقم (١١١٦).

(٣) انظر ص (٢٤٦، ٣٠١).

(٤) انظر ما نقله أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيع أوباشك سمبرداي (١/١٨٣-١٨٩).

٣) فلاّب أو بلاّ باجاريا:

وقد سبق معنا عقيدته بالتفصيل^(١)، بأنه من الذين يقولون: أن عالم الجماد والنفس الفردية حقيقتان، وهما جزء من برهمان الذي هو كريشنا، ويرى أن النفس البشري بالنسبة إلى برهمان كالشرارة من النار، ويسمى هذه النظرية بـ«سودهافيتا» أو الواحدة النقية، وأهم كتب أصحاب هذه الطائفة: تسمى برهما سوترا أنو بهاشيا، أو «أنو بهاشيا» (الكلام على النفس الذرية) الذي ألفه بلاّب^(٢).

وهم يعبدون رادها وكريشنا، مجموعتين أو منفردتين، ويرون حالة كريشنا الصبائية هي التي ظهر الرب فيها بصورة كاملة، ويرون أن كريشنا هو الذي أعطى بقرة لَشِيْثًا شفقة منه عليه.

وأصحاب هذه الطائفة يرون الحصول على موكشا بالتمتع، ولهذا هم يتمتعون بالحياة بجميع وسائلها، وهم يعبدون كريشنا كل يوم ثماني مرات بوسائل عديدة، وهذه الطائفة منتشرة في گجرات، والمناطق المجاورة لها^(٣).

من أهم الشخصيات في هذه الطائفة: ميراباي، وهي التي كانت زوجة لملك أوديبور، وكان الملك وجماعته من أتباع شاكيتيا، ولكن ميراباي كانت من فرقة فِشْنُو فحصلت الخلافات الحادة بينهما حتى انفردت ببعض الأقوال، وكونت في تلك المنطقة أتباعاً لفِشْنُو وهي على رأي بلاّب في عقيدته^(٤).

٤) نبارك أو نمباديت.

سبق معنا التعريف به^(٥)، حيث إنه كان له اتجاه خاص في تفسير فيدانت، وهم

(١) انظر ص (٢٤٦، ٣٠١).

(٢) انظر ما ذكره جان فيليوزات: فلسفات الهند، ص (٥٩).

(٣) انظر ما ذكره أكهشوي كومار دوت: بهارت برشِيء أُوپاشك سمبرداي (١/ ١٨٩-١٩٧).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٩٨-٢٠٠).

(٥) انظر ص (٢٤٦).

منتشرون بصفة عامة في متهورا، وفي غرب الهند، وفي بعض مناطق البنغال. وهم يعلقون على أعناقهم قلادة من الخشب المأخوذة من شجرة تلسي (التي هي مقدسة لدى فرقة فِشْنُو)، وهم يعبدون رادها وكريشنا مجتمعتين، كتابهم الرئيسي: بهاغافاد بُرَان^(١).

(٥) سري چايتان: CHAITANYA

ولد في ناديا في البنغال (١٤٨٥م - ٨٩٠هـ / ١٥٣٣م - ٩٣٩هـ)، فيلسوف ومتصوف هندوسي، مؤسس طائفة سري چايتان، سافر في أنحاء الهند مدة ست سنوات لنشر مبادئ عقيدته المرتبطة بكريشنا ورادها، ألهم أتباع مذهبه، وجعلوه بمنزلة كريشنا، أو أنه أفْتَار كريشنا، وقدموا له العبادة في أمكنة خاصة وفي المعابد. فلسفته: رفض الطبقة، ويؤكد مذهبه على الواجبات الأخلاقية، وهو متأثر جدًا بالحب التصوفي المعروف تحت اسم بهاكتي^(٢).

وهذه الطائفة انتشرت بصفة عامة في البنغال الغربي، ولهم علامات تخصهم، وهم منقسمون فيما بينهم على أقسام عديدة^(٣)، فمنهم الرهبان التاركون للعالم، ومنهم الرهبان الساكنون في المعابد، ومنهم من يحلق الرأس رجالاً ونساءً، ومنهم من يمارس العبادات السرية، ومنهم من يسبح في الأرض بالأغنية بالحب لكريشنا ورادها.

(١) انظر ما ذكره أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيو أوياشك سمبرداي (١/ ٢٠٠-٢٠١).

(٢) انظر ما ذكره الأستاذ روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة، العرب والأجانب، (٢/ ٥٣)، رقم (٧٤٣).

(٣) انظر ما ذكره أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيو أوياشك سمبرداي (١/ ٢٠٣-٢٥٤).

المطلب الثاني

فرقة شيفا

وهم أتباع إلههم شيفا، وقد سبق معنا الكلام عن أصل شيفا مفصلاً، بأنه لم يكن معروفاً بهذا الاسم في القديسات، إلا أن الهندوس وجدوا في «ريگفيد» إلهاً باسم «رُودرا» فجعلوا رُودرا يندمج في «شيفا»^(١)، وجعلوا من وظائفه: الإعدام والتدمير.

نشأة فرقة شيفا:

يقال إن أول ما بدأ عبادة شيفا كان شخصية خيالية، وكان موجوداً قبل العصر الفيدي بكثير لدى أغلب المعتنين بهذه الديانة، بل صرح كثير منهم بأن شيفا من آلهة السكان الأصليين، ولم يزل ينظر كثير من فرقة فشنو إلى شيفا نظرة ازدراء^(٢)، وكان هناك طوائف شيفائية قبل القديسات، من أبرزها طائفة فاشوفات، إلا أن هذه الفرق كانت غير بارزة في زمن القديسات.

ثم لما اندمج شيفا مع الإله الفيدي رُودرا، لتوافق صفتيهما في التدمير والتخويف، ظهرت طائفة فاشوفات Pashupata مرة أخرى على يد شخص يقال له «لاكوليش lakulis»، وهو رجل دين هندوسي عاش تقريباً إبان القرن الأول والثاني الميلاديين، في غرب الهند، بقرية يقال لها «كاياروهون»، وادعى لاكولا أنه التجسيد البشري لـ«شيفا»، وتروي نصوص هذه الفرقة أنه قد اجتاز مجموعة من المراحل غريبة الأطوار حتى أمكنه الوصول إلى الخلاص أو موکشا^(٣).

(١) انظر ص (٧٤٥-٧٥٥).

(٢) صرح لي الدكتور پوريش مندل، العالم الهندوسي، في جامعة داکا، مشافهة.

(٣) انظر المصدر السابق.

ثم لما ظهرت فلسفة بهاكتيا (عبادة الإله بالحب والوله) في أوساط عباد قِشْنُو، تنافس عباد شَيْثَا فعبدوه بالحب والوله أيضًا^(١)، ثم اندمج معها طوائف أخرى مماثلة، حتى تكونت فرقة شَيْثَا كفرقة قوية متينة.

وانتشرت هذه الفرقة في الهند أكثر من غيرها، إلا أن عبادة شَيْثَا انتشرت بصفة عامة الآن في جنوب الهند، كما توجد لها معابد خاصة في طول الهند يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل المسيح بقرون^(٢)، وعندما قام السائح الصيني «هيو إن سيانغ»^(٣) بزيارة الهند في القرن السادس، (أو في بداية القرن السابع)^(٤)، رأى أن عبادة «شَيْثَا» كانت غالبية على عبادة غيره من الآلهة في جميع مناطق الهند، كما نجد في كتب المؤرخين الهندوس في تلك الفترة أنهم يمجّدون شَيْثَا ويفضلون عبادته على غيره، ونلاحظ أن السلطان محمود بن سبكتكين عندما جاهد ضد الهندوس قام بكسر بعض بيوت أصنامهم من أشهرها بيت صنم بمولتان، يقال له: سومنات، وهذا الصنم هو صنم شَيْثَا، وكان للفرقة المشهورة الشَيْثَائِيَّة^(٥).

وفي القرن الحادي عشر والثاني عشر ظهر في جنوب الهند جماعة تسمّى «أكمانت» روجوا الشَيْثَائِيَّة في تلك المناطق، وهم لا يعتبرون القديسات مقدسة ولهم كتب مقدسة خاصة، تسمّى «أكم شاسترا»، وهي مجموعة كبيرة من الكتب تأثرت بفلسفة «تنترا» خاصة^(٦).

يرى أصحاب هذه الفرقة أن لشَيْثَا قوة هائلة حتى لقب بـ«مهاديو» (الإله الأعظم) لأنه انتصر على الآلهة الأخرى بقوته، وعلى النساء والزهاد بعلمه - كما يقولون -

(١) نرى بعض آثارها في شفتشتفرا أوبانيشادة (٤ / ١١)، (٥ / ٢).

(٢) انظر ما ذكره أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيب أوباسك سميرداي، (٢ / ٣-٥).

(٣) انظر ترجمته فيما ذكره غوستاف لوبون: حضارات الهند ص (٣٨٩-٣٩٠).

(٤) انظر ما ذكره أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيب أوباسك سميرداي (٢ / ٢).

(٥) انظر المصدر السابق (٢ / ٢).

(٦) انظر ما ذكره ناريندرنات بتراسارزا: بهارتيب دهارمير إتيهاص ص (٢٠٦-٢٠٨).

ومن أهم معتقدات هذه الفرقة أنها تؤمن بأن شيئاً ليس له وجود ولا عدم، وهو محيط بكل شيء^(١).

ومن أعمال هذه الفرقة: أنها تفضل الجوع على الشبع، وإن احتاجت إلى الأكل تأكل في الجماعم، وتستأنس بالوحشة القاتلة، كما يحب أصحابها البقاء ساعات في أماكن تحريق الجثث.

والعلامة التي تميزهم عبارة عن ثلاثة خطوط أفقية متوازية من وشم ترابي موضوع على جباههم.

وهم منقسمون فيما بينهم إلى طوائف كثيرة؛ تتفق كلها في أن الخلاص أو موکشا يأتي بالأذکار، والكفارة، ويوغا، وعبادة لنغا.

ومن أهم هذه الطوائف المندرجة تحت هذه الفرقة:

(١) طائفة شَيْقَائِيَّة في كشمير، وكانت بدايتها في القرن التاسع، وهم لا يعترفون بسلطة الفيدات، كما لا يرون التفرقة الطبقية^(٢).

(٢) طائفة شَيْقَائِيَّة قديمة تسمى «كلاموكاس» وقد ازدهرت في جنوب الهند لبعض الوقت، ولكنها سرعان ما اختفت، وكانت هذه الفرقة تتجنب أشكال السلوك المتطرفة التي تقوم بها فرقة شَيْقَائِيَّة أخرى، درسوا الفيدات، والتزموا بمبدأ اللاأذى، والعفة، والزهد، وقول الصدق.

(٣) طائفة شَيْقَائِيَّة تسمى «فيرا شيقا» أو لِنَغَايات، في القرن الثاني عشر، وربما كانت نسخة معدلة من فرقة «كلاموكاس»، التي اختفت في ذلك الوقت تقريباً، وآلت بعض معابدها إلى فرقة «فيرا شَيْقَا»، أهم ما فيها عبادة «عبادة لِنَغَا»، وقد وصفت هاتان الفرقتان (كلاموكاس، وفيرا شَيْقَا)؛ بأنهما لنغامس، (تحريك لنغا، أو تجسيد لنغا)^(٣).

(١) انظر ما ذكره الشيخ الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٩٧).

(٢) انظر ما ذكره ناريندرنات براسارزا: بهارتية دهارمير إتيهاص ص (٢١١).

(٣) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب، (١٧١).

(٤) ومن الطوائف الشيفائية المشهورة أيضاً: طائفة الشيدها SHIDHAS، وهم مجموعة من الزهاد التابعين للإله شيفًا، ينظر إليهم الناس بأنهم يتمتعون بطاقة روحانية، وفي الحقيقة هم يمارسون أنواعًا من السحر.

ومن الطوائف الشيفائية أيضاً: طائفة لنغا Lingayet، وهم مجموعة من الهندوس من أتباع شيفًا، منتشرة بصفة خاصة في جنوب الهند، وأتباعها يعلقون لنغا على صدورهم. وهم غير الطائفة المبينة سابقًا، وهم يتسولون ويجوعون، بل التجويع من أهم عباداتهم، أهم أماكنهم المقدسة «كاشي»^(١).

(٥) ومن الطوائف المشهورة الشيفائية أيضاً:

١- طائفة دشنامي، وهم طائفة شنكرأجاريًا في عقيدته ونحلته، يرون أن برهمان هو نفس شيفًا لا غير، يميزهم السياحة والسفر وتعذيب النفس، والجسد، وبعضهم قد يقوم طوال اليوم رافعًا يديه أو إحدى يديه ويرون ذلك من القربات، وهم لا يحرقون موتاهم، بل يدفنونهم^(٢).

٢- طائفة گوشاي، وهم الذين يجوبون ويسبحون في القرى والمدن، كثيرًا ما يتعاطون الفواحش باسم الدين.

٣- طائفة دندي، وهم بجوبون على الدور ويتسولون، يأخذون معهم ما يعذبون به أجسادهم من العصي من شجرة مخصوصة، وهم لا يحرقون موتاهم بل يدفنونهم أو يرمونهم في النهر أو البحر، أكبر أماكنهم المقدسة «كاشي»^(٣).

٤- طائفة ستاسي، أو الرهبانية، وهم معروفون بهذا الاسم، مع أن أغلب الطوائف الشيفائية فيها الرهبة، إلا أن هؤلاء أشد الناس رهبانية، حيث

(١) انظر ما ذكره أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيع أوباشك سميرداي (٢/ ٣٠-٣٦).

(٢) انظر المصدر السابق (٢/ ١٣-٢٥).

(٣) انظر المصدر السابق (٢/ ٢٩).

يجوبون في الطرقات ويجتمعون ولا يشعرون بأدنى مسؤولية تجاه أي شيء، يرون التلمذة واجبة على السالك، من أهم أعمالهم اليومية عبادة شينقا، وخدمة الأستاذ على أنه إله، وهم يلبسون صفائح من الحديد، وحلقات من النحاس تعذيباً لهم^(١).

٥- طائفة ناغا، وكلمة ناغا أصلها نغا، والتي تعني العريان؛ سمي به؛ لأنهم غالباً يبقون عراة، وهم يعبدون السماد، ويجعلونه في سائر الجسد، ويتسولون ويتجولون، رؤسائهم لا يلبسون مطلقاً حتى في الشتاء الشديد البرد، وهم كثيرون الجدال والنقاش مع أبناء طائفتهم ومع الفرق الأخرى وعلى الأخص الفرقة الششونية^(٢).

٦- طائفة أليخيا؛ سمي به، لأنهم عندما يقومون بالتسول يقولون «أليخ»، ولهم زنايل يحملونها على أعناقهم، يجمعون فيها ما حصلوا بعد التسول ويقسمون حسب النوع في الزنيل، كما يحملون معهم الخبز ويأتون للكلاب؛ لأنهم يعتقدون أن الكلاب تحمل بعض آلهتهم، ومنهم من يطبخ ويعطي الناس، ومنهم من يلبس السلاسل في الأرجل، والأطواق في الأيدي، ويحمل معهم ما يصوت، حتى يعلم الآخرون بمجيئه^(٣).

٧- طائفة أگهوري، هذه الطائفة تعتقد أن كل شيء سواسية في القيمة والقدر، ولهذا لا يفرقون بين العطر والبراز، فتجدهم يخرجون للتسول متلبسين بالبول والبراز، يظهرون للناس أن كل شيء برهمان، - نعوذ بالله - فلا مانع من تلبس أي شيء، مادام هو نفسه برهمان. كما يأكلون كل أنواع القاذورات، وإذا لم يجد شيئاً بالتسول يسقط على أبواب

(١) انظر المصدر السابق (٢/٣٦-٥٣).

(٢) انظر المصدر السابق (٢/٥٤-٥٧).

(٣) انظر المصدر السابق (٢/٥٧-٥٨).

الناس ويلطخهم، وفي بعض الأحيان يخوف الناس فيأتي بالسكين ويخرج الدماء إذا لم يعطه سؤله^(١).

٨- وهناك طوائف أخرى تتعبد بعدم لبس الحذاء، والتعري، والجوع، وينامون على الأماكن الشائكة، ومنهم من يقال لهم برهماچاري، وما أكثر هذه الطوائف^(٢).

٩- ومن أهم الطوائف التي تشتمل عليه فرقة شيفائية: طائفة يوغني، وقد سبق معنا بيان كفيات يوغا، وكيف يزاولون أنواعاً من التعذيب الجسدي في سبيل الحصول على موكشا أو الخلاص والنجاة كما يعتقدون، وهم طوائف عديدة فوق العد والحصر^(٣).

(١) انظر المصدر السابق (٢/ ٥٨-٦٠).

(٢) انظر المصدر السابق (٢/ ٦٢-٧٠).

(٣) انظر المصدر السابق (٢/ ٧٠-١٠٤).

المطلب الثالث

فرقة شاكتي

شاكتي تعني القدرة، أو القوة، وقد سبق معنا أصل عبادة هذه الفرقة بأنهم يرون أن قوة الخلق كامنة في النساء، ومن هنا رأوا السماء أبًا، والأرض أمًا، والإنبات من فضل الأرض التي هي الأم، وكانت المجتمعات في الهند مجتمعات زراعية، فظنوا أن الأرض لديها قوة كامنة، فهي التي ترزق الناس وتدر عليهم بأرزاقها، وهذا يتطلب إرضاءها بالعبادة، وتطورت هذه الفكرة حتى أصبحوا ينظرون إلى أن الخالق يحصل على قواه من الجنس المقابل، فلا بد في الخلق من اجتماع خالق وخالقة، ومن هنا تصوروا آلهة وإلهات، ثم تطوروا أكثر من هذا، ورأوا أن القوة الحقيقية في الإلهات لا في الإله، فعبدوا الإلهات، لوحدها، كما عبدوها مع الآلهة، هذه أصل فكرة عبادة القوة أو فلسفة شاكتي^(١).

إن عبادة شاكتي أو القوة قديم في الهند، وقد وجدت في حفريات موهينجودارو آثارًا دلتنا على أن عبادة الإلهات كانت شائعة بينهم، كما نلاحظ عبادة الإلهة الأرض الأم في الفيدات، وهذا يعني قدم عبادة القوة في الهند، ولكن عبادة الإلهات لم تكن منتشرة بتلك الدرجة في الكتب الفيدية^(٢).

ومع مرور الزمن، عبد فريق كبير من الناس إلهات عديدة^(٣)، من الذين كانوا

(١) انظر ما ذكره ناريندراناته بتراسارزا: بهارتبي دهرمير إتيهاص ص (١٩٢-١٩٣).

(٢) انظر ما ذكره جيتيندراناته بندوبادي: پنجوشانا، ص (٢١٧-٢٢٢).

(٣) نلاحظ أن أول ما جاء بقرينة لإلههم شيفا، في ياجورفيد (٣/٥٧)، حيث جاء فيه، أن هناك أختًا لشيفا اسمها أمبيكا، ونلاحظ مثل هذا في برهمانا تائيطريا أيضًا (١/٦/١٠/٤٥)، =

يعبدون آلهة متعددة، حيث فرضوا لهذه الآلهة زوجات، وعبدوها، فعبدوا زوجات شيفا وزوجات فشنو وزوجات الآلهة الأخرى.

وعبادة زوجات شيفا هي أكثر المعبودات التي ترمز للقوة، حيث عبت فرقة شاكتي من زوجاته المعبودات الآتية:

- (١) كالي أو السوداء، وهي الإلهة المشهورة عندهم، وقد ذكرها بعض كتاب المسلمين بتوسع^(١).
- (٢) غووري، أو البيضاء.
- (٣) دُرغا، أو صعبة المنال.

هذه أهم المعبودات حتى الآن لدى فرقة شاكتي، وقد سبق معنا ذكر هذه الآلهة في الفصل الأول من هذا الباب^(٢)، وهم منتشرون بصفة عامة في جميع الهند، إلا أن نسبتها في البنغال (الهند وبنغلاديش) أكثر.

أهم كتب هذه الفرقة: ماركيندو بُران، وبالأخص، الأبواب التي تسمى بـ«سري چندي». وهذا الكتاب (بُران) في تمجيد دُرغا، وكيفية عبادتها.

ومن أهم ما تتميز هذه الفرقة عن مثيلاتها:

- (١) أنها لا تقر بالطبقية.
- (٢) أن النساء كلهن ذات قدرة خارقة، فهي تمجد النساء على العموم^(٣).

= إلا أننا نلاحظ في تائيطريا أَرْتْكَ أنهم جعلوا العلاقة بين شيفا وأمبيكا علاقة زوج وزوجة، كأن هذه بداية التصور لفرقة شاكتي. انظر ما ذكره ناريندراناته بتراسارزا: بهارتى دهرمير إتيهاص ص (٢١٥).

(١) انظر ما ذكره الشهرستاني بعنوان: «المهاكالية» أي: كالي العظيمة، انظر الملل والنحل ص (٧٢٥-٧٢٦).

(٢) انظر ص (٧٥٥-٧٦٤).

(٣) انظر ما ذكره ناريندراناته بتراسارزا: بهارتى دهرمير إتيهاص ص (٢١٩-٢٢٠).

وقد تفرعت هذه الفرقة إلى طوائف، من أهم هذه الطوائف:

(١) طائفة التترية:

وهي التي تؤمن بمجموعة من النصوص المقدسة التي هي عبارة عن حوار دار بين إلههم شيفا وإلهتهم شاكتي، وإن كانت التترية في الأصل ليس خاصاً بـ«شيفا»، حيث إن العلاقة السرية بين إلههم فشنو وإلهتهم لكهشمي أيضاً تعتبر من موضوعات تترا، ولكنها فيما بعد خصصت لطائفة تتبع الإلهة شاكتي مع دمجها مع الإله شيفا، لكثرة ما فيها من الفساد الأخلاقي؛ فإن أتباعهما يمارسون أنواعاً من العلاقات الجنسية يرونها من صميم ديانتهم^(١).

(٢) طائفة ليا يوغا LAYA YOGA:

كلمة ليا تعني: الانحلال، فيكون المعنى: يوغا الانحلال، تمارسها التيارات الإباحية عن الالتزام الخلقي داخل الهندوسية.

(٣) طائفة فشاچاريا: (معاملة الحيوانات): وهم لا يتعاطون الخمر في محافلهم.

(٤) طائفة فيراچاريا: (معاملة الشجعان): وهؤلاء منغمسين في الخمر والأعمال الوحشية.

(٥) طائفة باماچاريا: (طائفة يسارية): هؤلاء يعبدون زوجاتهم، ويستخدمون الخمر في محافلهم.

(١) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص (١٧٣).

المطلب الرابع

فرقة غانيش

سبق معنا بيان أصل غانيش، وأنه إله السكان الأصليين، أصبحت على مرّ العصور تابعة لإلههم شيفا، ثم جعلوا آلهتهم كلها تابعة لابن غانيش، وجعلوا الآلهة الأخرى القديمة مراكب للآلهة الجديدة.

كما سبق معنا: إن جميع الهندوس يعبدون غانيش، فمنهم من يعبده وحده، ومنهم من يعبده قبل عبادة إلهه المفضل.

والمقصود هنا: الهندوس الذين يعبدون غانيش وحده، يقال لهم «غانبت»، وهم قليلون بالنسبة للآخرين^(١)، وجود هذه الفرقة في المناطق الريفية أكثر من المناطق الحضارية، وهم يحترمون الفئران، لأنها مركب غانيش، ولأجل هذا تجد في بعض مناطق الهند أناسًا يمنعون قتل الفئران، وإذا دخلت الفئران في محاصيلهم الزراعية يتيمنون بها، ويتبركون، ويرون أن الإله قد رضي عنهم - مع أن الفئران تفسد هذه المحاصيل أيما إفساد -.

(١) انظر ما ذكره أكهشوي كومار دوت: بهارت برشيء أوباشك سميرداي ص (١٢٩-١٣٠).

المطلب الخامس

فرقة سُورُو

كلمة سُورُو تعني الشمس، فهذه الفرقة تعبد الشمس، وقد كان لهم وجود بصفة عامة قبل زمان ريگ قيد وبعده، وقد ذكر السائح الصيني «هيو إن سيانغ» في وسط القرن السابع الميلادي، أنه رأى بـ«مولتان» معبدًا كبيرًا لعبادة الشمس^(١).

ويقال: إن عبادة الشمس دخلت في الهند عن طريق «إيران»، حيث كان «شمبا» بن «كريشنا» قد أصابته دعوة والده فمرض مرضًا شديدًا، فأشار عليه بعض ندمائه أن في إيران معبودًا يستطيع أن يشفيه، فتعرف على كيفية عبادتها فعبدها^(٢).

هذا، وقد ذكر كثير من الكتاب المسلمين هذه الفرقة من ضمن فرق الهندوس، فمن ذلك مثلاً ما ذكره الشهرستاني، حيث قال:

«زعموا أن الشمس... لها نفس وعقل، ومنها نور الكواكب، وضياء العالم، وتكون الموجودات السفلية، وهي ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود، والتبخير والدعاء... ومن سنتهم أن اتخذوا لها صنمًا، بيده جوهر على لون النار، وله بيت خاص بنوه باسمه، ووقفوا عليه ضياعًا وقرى، وله سدنة وقوام، فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات، ويأتيه أصحاب العلل والأمراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفون به»^(٣).

هذه أهم الفرق الهندوسية المشهورة الحالية، وهناك فرق أخرى هندوسية انقرضت

(١) انظر المصدر السابق (١٢٧/٢-١٢٨).

(٢) انظر ما ذكره ناريندرنات براسازرا: بهارتية دهرمير إتيهااس ص (٢٤٢-٢٤٣).

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل ص (٧٢٢-٧٢٣).

أو في سبيلها إلى الانقراض، وربما تأتي فرق أخرى في الساحة، وهم في تغير دائم، فلا يُعاب على علماء المسلمين الذين ذكروا فرقاً هندوسية كثيرة لا نجد لها وجوداً، ولم يذكروا فرقاً عديدة موجودةً ربما لم يتعرفوا عليها لصعوبة مسالكها، وغرابة طرائقها ومناهجها، كما أن بعضها حدثت في الأزمنة المتأخرة.

المطلب السادس

جماعة تدعو إلى وحدة الأديان

وهناك مجموعة كبيرة من الهندوس تقبل هذه المعبودات الخمسة مجتمعة، ويسمّون أنفسهم بـ«سُمَرْت»، فهم على قسمين:

فيرى قسم، أن المقصد الأصلي للعباد واحد، وهو عبادة الإله الواحد، وإن عبروا عنها بأسماء مختلفة.

ويرى قسم آخر أنه لا مانع من عبادة أي شيء؛ لأنه ليس هناك إلا واحد في الحقيقة. وهم أصحاب وحدة الأديان في الهند.

وكان «رام كريشنا» - مع كونه من فرقة «شاكيتيا» - ينادي إلى هذه العقيدة، ويصرح بهذا في كثير من خطباته وحكاياته^(١)، فمن أقواله:

«كما يقال للماء «باري»، ويقال «واتار»، ويقال «إكوا»، وهكذا ذاك الواحد يقال له الله، ويقال له هاري، ويقال له برهمان، ويقال له «غود».

«اختلف اثنان فقال أحدهما إن لون الوزغة أحمر، وقال الآخر بل أزرق، فذهبا إلى شخص وسألاه عن لون الوزغة، فقال: أحمر أو أزرق، وهكذا الإله على ألوان عديدة، هو موصوف، وهو غير موصوف، وله صور لا نعلمها كلها».

«إن كل ما في العوالم من الآلهة، فهو وحده في كلها».

«هو أفتار واحد غمس في الماء وطلع وهو كريشنا، وغمس في الماء وطلع وهو

مسيح».

(١) انظر سري سري رام كريشنا ديفير أوباديش: ص ٢٧، ٢٨، ٦٥، ٧٠، ٩١ وغيرها.

وهذه الجماعة غالبًا يستدلون بأقوال كريشنا في غيتا:

«٢٠ / ٧: إنما إذا شاء الإنسان بالإيمان أن يكرم هذا الإله أو ذاك، أمدّه الإيمان،

الإيمان الثابت الذي لا يتزعزع.

«٢١ / ٧: وعندما يكرم هذا الإنسان ذلك الإله وهو ممتلئ بالإيمان، يحقق منه

رغبته، أما في الحقيقة فكل هذا يأتي مني وحدي».

«٢٢ / ٩: حتى أولئك الذين يكرمون بإيمان آلهة أخرى، بحبهم ذلك هم يكرموني

وحدي، بالرغم من أنهم ليسوا في الطريق الصحيح.

«٢٣ / ٩: لأنني أقبل كل تضحية، وأنا ربهم الأسمى. ولكنهم لا يعرفون كياني

الصافي، وبسبب ذلك سيعودون إلى عالم الممات

فهذه الآيات من كتاب غيتا تدل صراحة على وحدة الأديان، وعلى هذا انطلقت

جماعة كبيرة من الهندوس إلى دعوى وحدة الأديان، وكانت قصائد «كبير داس» لها

دور كبير في ترويج هذه العقيدة، كما أن عقيدة وحدة الوجود في النهاية تؤدي إلى

دعوى وحدة الأديان لا محالة؛ إذ ورد في عقيدة وحدة الوجود «إن فُشِنُو وحده يسكن

فيك وفيّ وفي الآخرين»^(١)، هذا، وقد انطلقت دعوى وحدة الأديان منهم إلى جميع

العالم.

(١) نقله الدكتور إبراهيم خلف التركي حفظه الله: التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة

ص (٢٨٩)، وقد سبق معنا مثل هذه المقالات عند الكلام على وحدة الوجود والكلام على

الأفتار الهندوسية.

المبحث الثاني

عقيدة برهمان سماج وآريا سماج، والرد على دعاويها

وسوف أتحدث عن هذه الجماعة في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بهاتين الجمعيتين ومؤسسيهما.

المطلب الثاني: أهم أهدافها.

المطلب الثالث: الأصول العامة للآرية.

المطلب الرابع: افتراءات الآرية على الإسلام والردود عليها.

المطلب الأول

التعريف بهاتين الجمعيتين ومؤسسيهما

وتحتة فرعان:

الفرع الأول: جمعية برهمان سماج

هذه الجمعية نتيجة فكرة قام بها شخص من كبار الهندوس يدعى: رام موهون روي (١٧٧٢-١٨٣٣م)، فقد كان هذا الزعيم الديني يبغض الأصنام وأسلوب عبادتها، فأسس في عام ١٨٢٨ فرقة هندوسية تحت شعار: محفل الإله الواحد BRAHMAN SABHA وكان مقر هذه الفرقة في كوليكاتا، KALIKATA، وكان رام موهون روي هو الرائد الأكبر للفكر الهندي الحديث، فقد كان يمتلك معرفة واسعة بالديانات العالمية، كما أنه كان عالمًا باللغات، فهو يعرف البنغالية والسنسكريتية، والفارسية والعربية والإنكليزية، والإغريقية والعبرية، وبفضل دراسته لكتب الديانات الأخرى توصل إلى أن الدين الصحيح لا بد أن يكون مبنيًا على التوحيد، فقام بدعواته، وصرف جل همه في محاربة حرق الأرامل والتي تسمى بـ«سوتي»^(١) SATI، وزواج الأطفال الصغار.

وبعد موت «راجا رام موهون روي» صاحب محفل برهمان، انضم إلى هذا المحفل شخصيات عديدة كَوَّنوا بجهودهم جمعية الإله الواحد، أو برهمان سماج، على أنقاض محفل برهمان، وقد كان في هذه الجمعية مجموعة كبيرة من الشخصيات المرموقة، منهم:

(١) سبق معنا الإشارة إلى هذه الجريمة النكراء عند الكلام على المرأة في الهندوسية.

دييندرناته طاغور (١٨١٧-١٩٠٥م)، وكيشاب چندر شين (١٨٣٨-١٨٨١م)، فقد قام كل منهما بجمعية «برهما سماج» مع وجود بعض الفوارق بينهما^(١).

وعملت هذه الفرقة على التعريف بمبادئها على أنها إعادة الهندوسية إلى نشأتها الأولى ووضعوا لذلك الأغاني الجديدة الخاصة بالصلاة والتي أخذوها من كتبهم المقدسة، أو من غيرها، لكنها من مكتوبات هندوسية، ولهذه النحلة خطبتها الدينية وطريقتها الخاصة، وقد حرمت اللوحات والتصاوير والأصنام، وقد كان من أتباع هذا التيار أحد كبار شعراء الهند الذي توفي عام ١٩٤١م^(٢)، وقد حصل على جائزة نوبل NOBEL واسمه: رابندرناث طاغور^(٣)، وهو ابن دابندرناث طاغور السابق الذكر.

وكان «راجا رام موهون روي» يسعى إلى إصلاح الهندوسية مع التسامح مع الديانات الأخرى، ولكن الذين جاءوا بعده مثل رابندرناث طاغور وغيره كانوا متعصبين جدًا للعرق الآري، وكان رابندرناث من أشد الناس عداوة للمسلمين، حيث يجعل المسلمين في أغلب قصصه ورواياته في المرتبة الدنيا، ويجعل الهندوس أسيادًا وقادة، كما يصور علماء المسلمين وقادتهم ظلمة وفجرة.

وقد انصهرت هذه الجمعية في الجمعية الآتية ذكرها.

الفرع الثاني: جمعية آريا سماج

التعريف بالجمعية:

معنى آريا سماج: طائفة النبلاء^(٤)، والمقصود بكلمة آريا هنا الناس الذين تحركهم مثالية نبيلة، ونتيجة لذلك قبل في هذه الجمعية ممثلين عن جميع الطبقات، فكل إنسان يمتلك عقلية آرية له الحق في أن يدرس النصوص المقدسة وأن يرددها أثناء

(١) انظر للتفصيل، ما ذكره ناريندرناث بتراسارزا: بهارتية دهارمير إتيهاص ص (٣١٣-٣١٥).

(٢) انظر ما ذكره محمد فاروق خان: هندو دهرم كي جديد شخصيتين، ص (٤٠) (بالأردية).

(٣) انظر ما ذكره أورنج كاي رحمت: التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ص (٢٢٧).

(٤) انظر المصدر السابق.

الخدمة الإلهية.

وهي جمعية هندوسية متعصبة أسست عام ١٨٧٥م بمدينة بمباي لإحياء الدعوة الهندوسية من منابعها الأساسية وهي الفيدات وشروحها - كما يدعون -.

إلا أن الكتاب الأساسي لدى هذه الفرقة اسمه «ستيارتة پركاش» ألفه ديانند سرسفاتي، حيث اهتم المصنف في هذا الكتاب بالرد على جميع الأديان المعروفة. وجعل له أربعة عشر بابا. خصص الباب الرابع عشر للرد على الإسلام^(١).

وقد ترجم كتاب «ستيارتة پركاش» إلى عشرات اللغات الهندية والأوروبية^(٢).

التعريف بمؤسسها:

مؤسس هذه الجماعة رجل هندوسي متعصب من الطبقة البرهمية يسمى: ديانند سرسفاتي (Dyananda Sarasvati) (١٨٢٤م - ١٨٨٣م)، واسمه الحقيقي: «مول شنكر»^(٣)، وقد استعار اسمه «سرسفاتي» من اسم معلّمه الأعمى «فيرغانند سرسفاتي»^(٤)، الذي يعتبره أباً له بالتبني، أما أبوه الحقيقي الذي أراد أن يجبره على المساهمة في العبادات المشتركة ذات الآلهة المتعددة فقد وجد نفسه مضطراً لقطع الصلة معه، وفي عام ١٨٤٥م غادر منزله الأبوي لكي لا يعود أبداً إليه.

خضع في بدء أمره لنفوذ ديبيندرنات طاغور ونفوذ كيشاب چندر شين، ولكنه انفصل عنهما بعد ذلك عام ١٨٨١م، ومنذ ذلك الوقت توسع نشاطه بخاصة في الشمال

(١) وإن كان الباب الأخير المشتمل على الرد على الإسلام والمسلمين، يرى كثير من العلماء أنها أدرجت بعد موت سوامي ديانند، وأن سوامي لم يرد على الإسلام والمسلمين. انظر تحقيق الشيخ ثناء الله الأمرتسري رحمه الله في مجلة أهلحديث، أمرتسر، ١٧ مارس ١٩٣٩م.
(٢) انظر ما ذكره الدكتور الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٣٩-٥٤٠).

(٣) انظر ما ذكره ألبير شويتزر: فكر الهند ص (١٨٢).

(٤) انظر ما ذكره لاله لاجپت رائتي: آريه سماج كي تاريخ ص (٣٤-٣٨)، (الأردية).

الغربي من الهند، حيث جتّد أعضاء لجمعية «آريا سماج» التي أسسها من قبل في عام ١٨٧٥م^(١).

إن ديانند سرفاتي له تأثير كبير في الشعب الهندوسي المعاصر، فإنه دعا الهندوس إلى إحياء الحضارة الآرية في الهند، وأنكر الطقوس والرسوم التي كانت معروفة منذ أقدم العصور. كما أنكر الوقائع التاريخية التي جاء ذكرها في الفيدات، وانتهج بذلك منهجا خاصا لم يسبقه أحد قبله.

وأوّل كلّ شيء يخالف توحيد الربوبية مثل الأصنام والأوثان التي يكثر ذكرها في الفيدات. أوّلها إلى مظاهر قدرة الخالق لتحقيق الوحدة الإلهية. ففي رأيه أنها الأعداد المتفرعة منه، ولا وجود إلا وجوده المطلق. وأكثر من استعمال الاستعارات والمجازات والتشبيهات في تفسيره.

وقد ذكروا لتغييره قصة مفادها:

عندما بلغ ديانند سن التكليف ووضع الخيط المقدس، أرسل إلى خيرة المعلمين الذين راح يدرس على أيديهم أصول اللغة والدين طوال ستة أعوام، عاد بعدها إلى بيته ليفخر أبوه بما حصل عليه ولده من العلم والمعرفة.

وفي ذلك العام أراد له أبوه أن يصوم صيام «شِنْفَا راتري» ولم يكن الطفل يجهل أصول هذا الصيام، فهو يعلم أن جميع الهندوكيين ممن يعبدون الإله شِبْ يصومون صيام شِنْفَا راتري، أو صوم ليلة شِنْفَا.

وانطلق ديانند وأبوه ليلة الصوم الأولى إلى المعبد... ووضعوا الأرز والزهور فوق تمثال شِنْفَا.. ثم جلسا بين المتعبدین الآخرين للاشتراك في الترتيل.

وارتفع صوت المرتلين في قوة ووضوح... ثم تابعت أصوات أخرى بعد ساعات تردد ألحاناً من «الفيدات المقدسة».

(١) انظر المصدر السابق ص (٥٧).

واقترب الليل من منتصفه، وبدأ التعب يسيطر على بعض المتعبدين، وغلب النعاس البعض الآخر، وراح الجميع يتشاءبون وأصبحوا يجدون صعوبة كبيرة في الإبقاء على عيونهم مفتوحة، وتحول الترتيل همهمة كنسمة تهب ليلاً بين شجيرات صغيرة.

ولاحظ ديانند رأس أحد المتعبدين وهو يهوي على صدره من أثر النعاس، ونام متعبد آخر بجواره، وتبعه ثالث ورابع، وتلفت ديانند حواليه، فرأى الكثيرين وقد راحوا في سبات عميق، حتى أبوه كان قد نام هو الآخر، ولم يعد هناك سوى همهمة خفيفة أقرب ما تكون إلى السكون.

وفجأة سمع ديانند صوت قرض يشبه قرض الفأر، والتفت بسرعة إلى مصدر الصوت، واتسعت عيناه دهشة، فهناك فوق رأس الإله شيئاً نفسه، جلس فأر صغير يقرض الأرض الذي كان المتعبدون قد قدموه قرباناً للإله.

قال ديانند: إذا كان شيئاً إلهاً حقاً.. أليس في قدرته حتى أن يطرد فأراً عن رأسه؟. فأجاب أبوه وهو يتفرض: لا تسأل مثل هذه الأسئلة، فالكافر فقط هو الذي يسأل. ولكن ديانند لم يقتنع بهذا الجواب، فقد أثبت الفأر الصغير له أن شيئاً لم يكن أكثر من حجير لا قدرة له على أي عمل على الإطلاق.

وهمس ديانند وهو ينهض: أبداً، لن أعبد هذه الأصنام بعد الآن.

وعاد إلى البيت، وأفطر، ثم نام^(١).

ومنذ ذلك اليوم بدأ ديانند دراسة العقائد المختلفة الأخرى لبحث فيها عن حقيقة ما يؤمن به الناس.

وقالت أمه: إذا تزوج ديانند وأصبحت له أسرة يعولها، فلن يجد وقتاً لدراسة كتب العقائد الأخرى.

ووافق أبوه، واختاروا له عروساً جميلة، ولكن ديانند لم يوافق على الزواج، وظل يؤجله أسبوعاً بعد أسبوع، وشهراً بعد شهر.

(١) انظر المصدر السابق، ص (٢١)، (الأردية).

غير أن أباه أكرهه آخر الأمر على تحديد تاريخ للزواج، وأعدت له معدات الزفاف.

ولكن حدث قبل الموعد المحدد للزواج بأيام، أن اختفى ديانند، ولم يره أحد من أهله قط.

وهناك بعيداً، كان ديانند ينطلق في رداء راهب متسول، باحثاً عن معلم يمكن أن يهديه إلى حقيقة الدين، وأخذ ديانند يجوب أنحاء الهند لعدة أعوام يدرس مع علماء عديدين، ولكن لم يجد في تعاليم واحد منهم ما يرضيه، ولم يجد بداً آخر الأمر أن يذهب إلى شاطئ نهر غنغا ليدرس مع الرجال المقدسين المجتمعين حول أقدس الأنهار لديهم، فهو يعلم أن أحداً منهم لن يستطيع أن يكذب، لأن من يضع في يده بضع قطرات من ماء النهر لا يمكن أن يكذب قط - هكذا يزعم الهندوس -.

ومضى ديانند إلى شاطئ غنغا، ووجد بين المعلمين الدينيين رجلاً يكره الأصنام مثله، فارتاح إليه وقرر أن يدرس معه الحقيقة.

وقال المعلم لديانند: هل سمعت عن «ألن؟»

أجاب ديانند: نعم، هي تلك الجمعية التي نظمها «راجا رام موهون روي» في نفس السنة التي ولدت فيها.

قال المعلم: هذا صحيح، ففي السنة التي ولدت فيها لم يكن «رام موهون روي» راضياً عن جميع تعاليم البرهمية، ولقد كان عالماً عظيمًا درس اللغة العربية والفارسية والسانسكريتية والعبرية، كما درس الإنجيل المقدس لدى المبشرين المسيحيين الذين جاءوا إلى بلادنا لنشر عقيدتهم، ووجد في ذلك الكتاب بعض التعاليم التي رضي عنها كثيراً وحاول أن يدمج هذه التعاليم في عقيدتنا.

قال ديانند: إذن يجب أن أدرس إنجيل المسيحيين.

وظل عامين يدرس إنجيل المسيحيين وتعاليم راجا رام موهون روي، واقتنع بعد دراسة العامين بأنه يجب على المرء ألا يؤمن بألوهة متعددة بل بإله واحد فحسب، ولكنه

إلى جانب ذلك كله ظل مؤمناً بنظرية التناسخ وموكشا أو نرقانا، كما تؤمن بهما البرهمية عقيدة الهندوس.

وانطلق ديانند بعد أن اتضحت في ذهنه كل هذه الآراء - انطلق - في جميع أنحاء البلاد يعلم وينظم من تبعوه في طائفة سماها «آريا سماج»، وذلك بسنة ١٨٧٥ م، يتكون بنوده من ثمانية وعشرون بنداً^(١).

أهم مبادئه:

وكان من المبادئ المهمة لدعوة ديانند سرسفاتي ثلاثة أشياء:

(١) تحديد الشرع الهندوسي:

وذلك أنه هاله الكتب الهندوسية التي تدعي الهندوس قداستها، وهي مليئة بالخرافات والانحرافات السلوكية والتناقضات الصريحة، فادعى أنه لا يقبل إلا الكتب الآتية:

- ❖ الفيدات الأربعة، (ريگ، سام، ياجور، أثربا) واعتبرها ملهمة.
- ❖ الفيدات الإضافية (أوپا فید، وهي: آيور فید، دهنور فید، گندهرب فید، أرتها شاسترا)، هذه العلوم الأربعة.
- ❖ الفيدانغ الستة (علم رسم الفيدات، علم العروض، علم القراءات، علم القواعد، علم الهيئات وغيرها المتعلقة بالفيدات).
- ❖ بعض كتب برهمانا.
- ❖ الأوبانيشادات الفيدية (اثني عشر أوبانيشادة).
- ❖ بعض كتب السوترات*.
- ❖ كتاب يوغا.

هذه الكتب خلا كتب الفيدات يعتبرها ديانند سرسفاتي مقدساً إذا كان موافقاً للفيدات وإلا يردّها.

(١) انظر المصدر السابق، ص (٥٧-٦٠).

أما كتب مهابهارت ومنو سْمُرْتِي فيقبل منها بعض الأماكن، ويرد بقيتها.
وأما كتب البرانات* وكتب الفلسفات الستة فينكرها جملة وتفصيلاً^(١).

(٢) بيان وهن عبادة الأصنام:

يعتبر ديانند عبادة الأصنام أكبر الذنوب على الإطلاق، ومن هنا خالف الهندوس التقليديين الذين يعبدون الأصنام، وحصل بينهم وبينه نقاشات حادة ومناظرات عديدة، وكان يؤول نصوص الفيدات لإثبات كونها لا تشتمل على الأصنام^(٢).

(٣) نقد نظام الطبقات:

يعتبر ديانند نظام الطبقات بأنه تقسيم سياسي، ولم يعتبر هذا التقسيم على أساس الخلق واللون^(٣).

أهم عقائده:

ذكر ديانند سرسفاتى عقائده في نهاية كتابه «ستييارته پركاش»، وهي تشمل خمسين بنداً، من أهمها:

(١) إن برهمن أو پرماتما هو لم يلد، وهو الذي بنى هذه الكائنات، وهو موجود في كل مكان، عادل، رحمن، رحيم، وهو الذي يعطي بعدله الجزاء لكل الأكوان، وهو خالق الكائنات.

(٢) إن الفيدات الأربعة هي منبع جميع العلوم، وكلام ذاك الـ«پرماتما»، وإلهامي، لا يتطرق إليه أي خطأ على الإطلاق، إلا القصص الموجودة في الفيدات فهي مخالفة لمرضات الرب، وليس منه البتة.

(٣) ثلاثة أشياء قديمة، پرماتما (برهمن)، والروح والمادة.

(١) انظر ما ذكره لاله لاجيت رائى: آريه سماج كي تاريخ ص (٤٧-٤٨).

(٢) المصدر السابق ص (٥٠-٥١).

(٣) المصدر السابق ص (٥١-٥٣).

(٤) هناك فرق بين پرماتما (الروح العليا/ برهمن) والروح في الصفات، ولكنهما لا يفترقان افتراقاً كلياً.

(٥) خلق الكائنات لإظهار قوة الخالق.

(٦) سبب تعاسة الروح الجهل وعدم العلم، ويحصل النجاة منه بالسفر إلى پرماتما.

(٧) المقصود بالآلهة في الكتب المقدسة، العلماء والأساتذة، وليس هناك وجود حقيقي لهذه الآلهة.

(٨) المراد بالجنة في الكتب المقدسة حصول المسرات، والنار حصول المصائب^(١).

وقد كان لهذه المبادئ والعقائد قبولاً عاماً، وانتشرت هذه الجمعية في جميع أنحاء الهند حتى بلغ عدد أتباعها أكثر من مائتي مليون نسمة من الرجال والنساء^(٢). ولكنهم فيما بعد انقسموا قسمين^(٣):

فرقة گھاس: أو النباتيون، وهم الذين يحرمون أكل اللحوم.

وفرقة ماس: أو الذين يأكلون اللحوم.

(١) انظر المصدر السابق ص (٨٠-٨٤).

(٢) انظر ما ذكره سليمان مظهر: قصة الديانات ص (١٦٥-١٦٧)، وانظر ما ذكره الدكتور أورنج كاي رحمت: التفكير الديني قبل الإسلام ص (٢٢٨-٢٢٩).

(٣) وذلك بسنة ١٨٩٢م، انظر ما ذكره لاله لاجبت رائی: آريه سماج كي تاريخ ص (١٠٧).

المطلب الثاني

أهداف هذه الجمعية

من الأهداف الكبرى لهذه الجماعة:

- ١ - منع الهندوس من دين الله ﷻ الإسلام بشتى الوسائل.
- ٢ - إعادة الهندوس الذين أسلموا إلى ديانتهم، فإن من أخطر أهداف «آريا سماج» الدعوة إلى «شُدِّي» يعني التطهير. ويقصدون بذلك إعادة المسلمين الجدد إلى الهندوسية. وأنه بدخوله في الإسلام والنصرانية قد تنجس فلزم تطهيره، كما يذكر الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، وقد ذكر عدة أدلة على ذلك من الصحف والمجلات:

ذكرت الصحيفة الأردية التي تسمى «پرتاپ» يرأسها رجل هندوسي متعصب وهو «كى بريند» في ٢/٦/١٩٨١م قالت الصحيفة: «إن دخول المنبوذين في الإسلام يعتبر مؤامرة من الداخل والخارج ضد الطوائف الهندوسية، وقد طالب ثلاثة من كبار زعماء «آريا سماج» من الحكومة الهندية أن تتخذ خطوات لازمة لمنع انتشار الإسلام في طبقة المنبوذين، وإلا فسوف تضطر جماعة «آريا سماج» لأخذ موقف متشدد تجاه هذه القضية، وقد طالب هؤلاء أيضًا بإغلاق المركز الإسلامي في جنوب الهند الذي يقوم بتعليم المسلمين الجدد.

وكتبت صحيفة «الدعوة» اليومية التي تصدرها الجماعة الإسلامية في الهند تحت عنوان «بعد ظلم الهندوس اختار المنبوذون الإسلام» وغيروا اسم مدينتهم ميناكشي بورم وسموها (رحمت نكر) إن جماعة «آريا سماج» تقوم بحملة واسعة لارتداد هؤلاء

عن الإسلام.

وكتبت صحيفة «هندوستان تايمز» (HINDUSTAN TIMES) في ٥/٥/١٩٨١م أن جماعة «آريا سماج» اتهمت المسلمين بأنهم أكرهوا المنبوذين على الدخول في الإسلام، ولكن الحكومة لم تؤيد هذا الاتهام، وقالت الصحيفة: لم يثبت لدى الحكومة الهندية حتى الآن أنهم دخلوا في الإسلام مكرهين.

وفي مطلع عام ١٩٧٨م أقامت جماعة «آريا سماج» احتفالاً بمرور مائة عام على تأليف كتاب ستيارته پرکاش، فليتأمل المسلم العاقل كم أفسد هذا الكتاب من البشر في الشرق والغرب^(١).

٣- ولعل من أهم أهداف هذه الجمعية أيضاً: تجديد الديانة الهندوسية حتى تواكب العصر، حيث إن المثقفين منهم لما رأوا في الديانة أشياء تنكرها العقل القويم، ويمجها الفهم السليم، ويخالفها الطبع المستقيم، حاولوا قدر الإمكان أن يكون هناك نوع من التجديد لديانتهم لسلامة البقاء في هذا العصر الذي يترك الناس الخرافات والخزعات والتي لا يمكن البقاء عليها في المناقشة والحوار.

(١) نقلاً عما ذكره الدكتور الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٧٨-٥٧٩).

المطلب الثالث

الأصول العامة للأرية

إن آرية سماج فرع من فروع الهندوسية إلا أنهم يختلفون عن الهندوسية في أمور عديدة؛ في العقيدة، في الشعائر، في الاستدلال، في العادات والتقاليد.

ثم إن الهندوس يعتبرون ديانتهم ديانة مسموعة لا يمكن الجدل أو النظر إليها من ناحية العقل، بينما تدعي هذه الجماعة الآرية أنها لا تقبل شيئاً إلا إذا كان معقولاً، حتى جعلوا من بنودهم: «نكون مستعدين دائماً لقبول الحق أينما وجد وكيفما وجد».

ولكنهم لما رأوا بعد ذلك أن أغلب ما يقولون به لا يوجد له مستند في كتبهم المقدسة القيديات، وأن القيديات تخالف ما ذهبوا إليه، حاول مؤسس هذه الجماعة أن يفسر القيديات شرحاً يوافق نحلته، فحرّف وأوّل وغير وتصرّف في القيديات تصرفاً غير سائغ، كما أنكر قداسة غير القيديات عموماً، وإن كان يعترف بقداصة بعض الرسائل الفلسفية الأوبانيشادية؛ إلا أنه ينكر معظمها، كما ينكر البرهمانات أن تكون مسموعة كما هو اعتقاد جماهير الهندوس، ويعتقد في مُنْتُو سُمَرِتِي أن بعضاً منه منحول، فأنكر بعضه وصوب البعض الآخر، وحرف البعض الآخر^(١).

ولما اكتشفوا أن التحدي الأكبر للديانة الهندوسية أن كثيراً منهم إذا تعقلوا الحق يقبلون، ويتركون ديانة آبائهم، بدؤوا بنقد الديانتين الكبيرتين - النصرانية والإسلام - في كتاباتهم، وحملوا عليهما حملة شديدة بدون هوادة.

(١) انظر مقالة مولوي عبد الرؤوف صاحب مدرس مدرسة جهندئ نكر بستي : مجلة أهلحديث أمرتسر ١٩/ شعبان، ١٣٥٧هـ. وقد ذكر عدة أدلة على ذلك.

ولما كانوا يدعون أنهم يقبلون أي نقاش بناء، فإنني سأذكر أصولهم العامة.

الأصول العشرة لدى الآرية:

- (١) جميع العلوم منبعها برهمان.
- (٢) برهمان هو جميع أنواع العلوم والصدق والراحة، وهو غير مجسم، عادل، رحيم وكرِيم، خالق الجميع، لم يلد له أحد، لا أول له ولا آخر، لا ثاني له، وهو مالك كل شيء ومقدره ومدبره، موجود في كل مكان، لا تكون العبادة إلا له وحده.
- (٣) إن علوم القديسات مقدسة، لا بد وأن يتدارس القديسات ويقرأ ويسمع.
- (٤) لا بد وأن يكون الآري مستعداً دائماً لقبول الحق أينما وجد وكيفما وجد.
- (٥) لا بد وأن يفعل البر ويترك الآثام والذنوب.
- (٦) فعل الخير للعالم كله بتحسين الحالة الجسدية والروحية والاجتماعية للإنسانية.
- (٧) يجب أن يعامل جميع الكائنات بطيبة وعدالة.
- (٨) يجب أن يستأصل الجهل وأن تنشر المعرفة.
- (٩) يجب ألا يقنع أي إنسان برفاهيته الخاصة، بل يجب على كل فرد أن يعتبر سعادة الجميع قضيته الخاصة.
- (١٠) تعطى الحرية الشخصية لكل فرد في الأمور الخاصة، أما الأمور العامة فلا بد وأن يكون مع الجميع^(١).

(١) انظر ما ذكره لاله لاجپت راي: آريه سماج كي تاريخ ص (١١٠-١٢٢).

المطلب الرابع

افتراءات الآرية على الإسلام والردود عليها

قد قاوم المسلمون هذه الدعوة بشدة وكان على رأسهم المجاهد الكبير، والمناظر الموفق الشيخ ثناء الله الأمرتسري رئيس جمعية أهل الحديث في الهند الذي استطاع بما منحه الله من الذكاء والعلم أن يسترد ثقة المسلمين بدينهم وعقيدتهم، فقد ألف كتابًا سماه «حق پرকাশ» (إظهار الحق)، ثم قام الشيخ إمام الدين الرام نكري رَحِمَهُ اللهُ بِالله فآلف كتابا سماه «دلائل القرآن في افتراء ديانند والبهتان»^(١).

هكذا تمكن المسلمون من إخماد هذه الفتنة إلا أن «آريا سماج» لم يتخلَّوا عن فكرتهم.

وفيما يلي أنقل بعض افتراءاتهم المشهورة والردود عليها من قبل علماء المسلمين.

الأول: إن القرآن ليس كتابًا إلهاميًا.

وقد استدل الآرية على ذلك بأن القرآن لم يكتمل فيه شروط الكتب الإلهامية، وهي:

- (١) أن يكون قديمًا أزليًا.
- (٢) أن لا يكون فيه دعوة للقتال والتقاتل.
- (٣) أن يكون فيه تعليم الأخلاق، (لا يكون فيه فحش).
- (٤) أن لا يشتمل على القصص.

(١) انظر ما ذكره الدكتور الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٤٠).

(٥) ألا يشتمل على دعوة الناس إلى الجنة أو النار بعد الحصول على موكشا أو النجاة من خداع الدنيا^(١).

الجواب:

يجاب عن هذه الشبهة بأن هذه الشروط التي اشترطوها من عند أنفسهم هي ليست شروطاً صحيحة؛ فإن هذه الشروط لم ينطبق حتى على الفيدات؛ فإن الفيدات تدل صراحة على عكسها، وبيان ذلك فيما يلي:

أما قدم الفيدات فهذا غير صحيح لوجوه؛ من أهمها؛ اشتمالها على أسماء الريشيين (الحكماء)، ولا شك أن هؤلاء لم يكونوا في القدم، وإلا يلزم منه قدماء كثيرين.

أما دعوى عدم وجود القتل والقتال في الفيدات فهذا أيضاً غير صحيح؛ لأننا نرى فيها القتل والقتال؛ فإن ريگ فید كثيراً ما يذكر إنذاراً بأنه قاتل العشيرة، وهو يقتل المخالفين، ويسميه پورندر، أي هادم المدن المحصنة، وهذا لا ينكره إلا المكابر.

أما دعوى عدم اشتمالها على الفحش فهذا أيضاً غير صحيح؛ لأننا نلاحظ في الفيدات وجود الفحش والمنكرات^(٢).

أما دعوى عدم وجود القصص فهذا أيضاً غير صحيح، فإننا نجد فيها قصصاً كثيرة^(٣)، من أهمها ما جاء من قصة يام ويامي^(٤)، وقصة أوربشي وبوروربا^(٥)، وقصة ابنة سوريا^(٦)، وقصة قتل شونشيف^(٧)، وغيرها.

(١) انظر مقالة الشيخ مقصود حسن حنيف چتر ويدي: معيار الإلهام، مجلة أهلحديث أمرتسر ٢٥ أغسطس ١٩٣٩م.

(٢) انظر على سبيل المثال، ما جاء في ريگ فید (١٠/٤٠/١٩)، و(١٠/٤٣/١).

(٣) انظر ما جاء في مقدمة ريگ فید (الجزء الثاني) فقد ذكر عشرات القصص الموجودة في ريگ فید.

(٤) انظر ريگ فید (١٠/١٠/١).

(٥) انظر ريگ فید (١/٢٠/١)، (٤/١٨/٢)، (٥/٤١/١٩)، (١٠/٩٥/١).

(٦) انظر ريگ فید (١/١١٦/١٧). (٧) انظر ريگ فید (١/٢٤/١).

كما أن القيدات تشتمل على مئات المواضع تنادي الناس إلى الجنة، وتحث عليها، وترى أن من يعمل الصالحات يكون جزاؤه الجنة، وقد سبق معنا بيان نماذج ذلك. وبهذا البيان عرفنا أن الشروط التي اشترطوها لا عبرة لها في إثبات الكتب الإلهامية، وهي غير صحيحة مطلقاً.

الثاني: اعتراضاتهم على غفران الذنوب وقبول التوبة:

قالوا: إن قبول التوبة خلاف العدل، فكيف يقبل الله التوبة؛ لأنه إذا غفر الذنوب فإن الناس لا يتعظون، ولا يتركون المعاصي.

الجواب:

(١) الله أكبر، إن ربنا ﷻ نطق بالحق حيث قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١، الحج: ٧٤، الزمر: ٦٧].

إننا نعتقد أن عدم اعتقاد كون الله لا يستطيع أن يغفر الذنوب فيه توهينه ﷻ؛ فإننا إذا نظرنا إلى الإنسان سنجد أن السيد بعد ما يغضب على بعض عبيده، فإذا جاء العبد بالتواضع وعاهده بأن لا يفعل ذلك الفعل مرة أخرى؛ فإن السيد يغفر له ويعفو عنه، وقد علمنا من القديم أن الناس لا يعتبرون مثل هذا العمل مشيناً، بل يعتبرون من الأعمال العظيمة المحمودة من السيد، وإذا كان هذا في الإنسان فكيف الأمر بالله سبحانه؟

هذا ما ذكر الله عن نفسه في القرآن حيث قال: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَهُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، حيث جعل نفسه قادراً على قبول التوبة، فهو مالكننا، ونحن عبيده؛ فإن لم يقبل المالك توبة عبيده فمن الذي يستطيع أن يقبلها؟ ولهذا قال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَمَنْ يَعْفُرْ لِّلذُّنُوبِ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

(١) إن الآرية ترى «شدهي» أو التطهير لمن خرج من الديانة الهندوسية ودخل في الديانات الأخرى من الإسلام أو النصرانية، ويعتبرون كل من خرج من الديانة الهندوسية بأنه أصبح نجساً لا بد من تطهيره؛ فإن لم يكن هناك توبة

ولا استغفار ولا غفران الذنوب، فهل هؤلاء الذين تجرى لهم عملية التطهير يتطهرون؟ وإذا لم يتطهروا فما فائدة هذه الطقوس التي يزاولونها في حق من دخل في الإسلام أو النصرانية أو في ديانات أخرى؟

(٢) ثم إن سوامي ديانند كان في بداية عمره مشركاً، يعبد الأصنام، كما كان يعادي القديسات حتى باعتزافه، وهناك أعمال أخرى كان يزاولها وهي كلها مخالفة لتعاليم القديسات، فهل تغفر ذنوبه؟ أم لا تغفر؟ وإذا كان صاحبكم الذي قام بإرشاد آلاف الناس إلى الهدى لا يحصل على غفران الذنوب فما بالكم أنتم؟ هل تحصلون على النجاة^(١)؟

الثالث: اعتراضهم على بعض صفات الرب وأفعاله:

فهم ينكرون كونه سبحانه على عرشه بحجة أنها تلزم منها أن يكون الرب محدوداً، بل يعتقدون - كسائر النحل الهندية الأخرى - أنه في كل مكان، وأن ذاته غير منفصلة عن ذوات مخلوقاته.

كما ينكرون أن يكون له فعلٌ في تدبير شؤون عباده، ويعتبرون ذلك من الظلم والانحياز إلى جانب، فلا الرب يحكم ولا يدبر ولا يرحم البعض ويبغض البعض ولا يقدر لهم الخير والشر، ولا يشاء لهم شيئاً، ولا يدخلهم الجنة بمشيئته وإرادته، ولا النار بغضبه وعقابه، بل الرب عندهم لا فعل له مطلقاً.

الردود عليهم:

أما إنكارهم لأكثر الصفات فكما هو معلوم: أن من لا صفة له لا وجود له كما أن كثيراً من نصوص القديسات تثبت صفات عديدة للإله.

وأما إنكارهم لاستواء الرب على عرشه؛ بناء على دعوى أن يكون الرب محدوداً بهذه الصفة، فيجاب عنه بما يلي:

(١) من كلام الشيخ ثناء الله الأمرتسري رحمه الله في مجلة أهل الحديث ، ١٨ مارس، و ٢٥ مارس سنة ١٩٣٨ م.

أ- إن ذات الرب وصفاته من الأمور الغائبة، فلا يصح قياس الغائب على الشاهد.

ب- إن تصوركم كون الرب في كل مكان وفي كل مخلوقاته يجعل الرب أيضًا محدودًا في مخلوقاته، فما جوابكم فهو عين جوابنا.

ج- إن اعتقادكم في العرش غير مبني على علم، فإنكم لا تعرفون العرش حتى تنكروه.

د- ليس هناك نص من القيدات ينكر استواءه على عرشه، بل هناك نصوص صريحة في القيدات تدل على كونه في العلو، وإذا كان هو في العلو فكونه على العرش أمر لا يعارض ذلك، فقد كانوا فروا من إثبات العلو لاستلزام المكان له، ولما ثبت بالقيدات أنه في الجهة العليا لا يمكنهم إنكار كونه على عرشه^(١).

وأما بالنسبة لإنكارهم لأفعال الرب، فقد سبق معنا بعض الردود في المطلب الأول، عند الكلام على الربوبية لدى الهندوس، كما تطرقنا إلى بعضها عندما ردنا على إنكارهم إرسال الرسل وبعث الأرواح مع الأجساد، فلينظر هناك^(٢).

الرابع: اعتراضهم على مشروعية تعدد الزواج والطلاق في الإسلام
إن الآرية يعتبرون تعدد الزواج، والطلاق من الأمور المستهجنة.

الجواب:

إن تعدد الزواج ليس فيه ما يستهجن؛ فإن الإسلام شرع التعدد رحمة ووسيلة للنجاة من الفحش والمنكرات؛ بل هذه ميزة الإسلام؛ فإن الإنسان ربما لا يحصل على الأولاد

(١) أما بالنسبة لكونه في جهة العلو فقد سبق إيراد النصوص في بيان الربوبية في الهندوسية في المرحلة القيدية، فلينظر هناك.

(٢) انظر ص (٥٩٠-٦٠٣).

من زوجته فهو يضطر إلى الزواج، أو ربما تكون الزوجة الأولى مريضة، أو تكون غير صالحة، فلو لم يشرع التعدد لمال إلى الحرام، فالتعدد شرعه الله لمصلحة عظيمة وحكم عالية، وهذا عكس ما يمارسه الهندوس من نظام الاستبضاع؛ فإن الهندوس لديهم نظام يسمى «نيوك»، وهي تعني في اللغة: تعيين.

والمقصود منها: الاستبضاع، أي: إذا كان الزوج عقيمًا لا يمكن أن ينجب فإنه يحق للزوجة أن تعين رجلًا آخر فيجامعها حتى تتأكد أنها قد حبلت منه، وهذا الولد ينسب إلى الزوج عن طريق «نيوك».

وهذا الفعل في حقيقته فاسدٌ من وجوه:

١- لا شك أن هذه العادة من أفحش الفواحش، ومن الزنا الصريح القبيح، ومع ذلك يجعلون هذا من دينهم.

فإنه إذا كانت الروابط أو الخصائص العقلية والفطرية والاجتماعية والقانونية والوراثية أو العنصرية والأسرية للإنسان لا تربطه بها إلا عن طريق نطفة أبيه فكيف يُنسب الولد - المحصول عليه عن طريق نيوك - إلى زوج أمه الحقيقي والنطفة التي خلق منها ليست له؟؟ أليس هذا من قبيل تسمية النملة قمحاً؟ وهل يقبله عاقل؟ هل يجوز تسمية ولد الفيل حماراً، أو ولد الماعز فيلاً؟

٢- إننا إن سلمنا بصحة شريعة نيوك فلجميع طوائف الزواني أن يدعين أن أولادهم - من الزنا - كلهم شرعيون؛ لأنهم إنما حصلن على الأولاد عن طريق «نيوك» لإطفاء جوع بطونهن، والحفاظ على أرواحهن، والنجاة من شبح العنوسة وعدم الإنجاب، والضمان على استمرارية قبائلهن وبقاء أسمائهن من المحو والاندراس، وقد تكون الزواني مسموح لهن - في الغالب - بذلك من قبل أفراد عوائلهن.

فإن قيل: إن مقصود طالبة «نيوك» هو الحصول على الأولاد، ومقصود الزانية الحصول على القوت، قلنا: إن الزانية تعرف جيداً أن النتيجة الطبيعية والحتمية للزنا هي الحمل ومن ثم الأولاد أيضاً، كما أن طالبة «نيوك» - هي الأخرى - تعرف جيداً

أن العلاقة الجنسية مع مانح «نيوك» قد تبوء بالفشل ولا تثمر دائماً، وبهذا يلزم أن نسلّم بمشروعية زنا كلا الفريقين وجوازه. بل إن مقصود الزانية هو الغالب والمتفوق على مقصود طالبة «نيوك» لأنها اضطرت للزنا لسببين اثنين: الجوع، والأولاد، أما طالبة «نيوك» فإنما تقترف الزنا لسبب واحد فقط: هو الحصول على الأولاد^(١).

أما الطلاق، فمن رحمة الله جعل هناك مخرجاً للزوجين من مضايق الحياة؛ فإن فطرة الإنسان تختلف من شخص إلى شخص، فالزام الناس على الحياة الزوجية مع اختلافهما وكراهيتهما فيه من الفساد ما الله به عليم.

(١) انظر مقالة الشيخ عبد المنان قريشي بعنوان : سؤالات أز آريان صاحبان، في مجلة أهلحديث
أمرتسر، ١٩/ مايو ١٩٣٩م. (باللغة الأردنية).

المبحث الثالث

الهندوسية الحديثة ونشاطها الدعوي

الهندوسية الحديثة تشمل تيارات عديدة، فهناك تيارات متعصبة وقد سبق معنا، وهناك تيارات تتبع المنهج القديم مع دعوتها إلى ديانتها، وهناك تيارات إلحادية يوغية وغير يوغية تدعو إلى منهجها، وفيما يلي مجمل هذه الجماعات التي تدعو إلى الديانة الهندوسية أو إلى بعض عقائدها.

المطلب الأول

بعثة رام كريشنا (رام كريشنا ميشن)

هذه البعثة التي تدعو إلى فضائل الديانة الهندوسية - كما يعتقدون - تنتمي إلى شخص يسمّى رام كريشنا، وتلميذه البار فيثيكانند.

أما رام كريشنا (١٨٤٣-١٨٨٦م)، فاسمه الحقيقي «غداي شيتارجي»، ينتمي إلى عائلة برهمية فقيرة من البنغال، وكان منذ طفولته يشعر بحالات من الوجد، وفي سن العشرين غدا كاهن مذهب للإلهة الكبرى «كالي»، في مكان بعيد عن «كوليكتا» (عاصمة البنغال الغربي من الهند)، وقد ملأ هذه الوظيفة عشر سنوات قبل أن يعيش معيشة راهب شحاذ.

وكان لديه مقدرة فائقة في الإتيان بالأمثال والحكايات في معرض إفهام الناس حقيقة العقيدة، والتي كانت مرغوبة لدى عوام الناس من أهل الهند.

أما التلميذ البارز بين تلاميذ رام كريشنا فهو «سوامي فيثيكانند» (١٨٦٣-١٩٠٢م)، واسمه الحقيقي «نارندرا دوت»، وقد ولد في كوليكتا من عائلة مميزة تنتمي إلى طبقة الكهشترى، ودرس في يفاعته كتابات المقدسة الهندوسية والفلسفة والعلوم الأوروبية في بعض الحدود، وكان له من العمر سبعة عشر عامًا عندما التقى عام ١٨٨٠ للمرة الأولى بـ«رام كريشنا».

على أنه لم يقبل فورًا أن يخضع لنفذه؛ لأن فكره العقلاني الذي شكلته قراءته لكتابات الغربيين^(١)، وبعض أعضاء برهمن سماج^(٢)، احتفظ بموقف نقدي تجاه تقوى

(١) منهم ستوارت ميل، وهربرت سبنسر.

(٢) منهم كيشاب چندر شين.

رام كريشنا الصوفية، ومع ذلك فإن رام كريشنا مارس شيئاً فشيئاً سلطاناً متزايداً عليه وبخاصة بدءاً من الفترة التي تعرض فيها لصعوبات مادية، عند ما توفي والد فيثيكانند في عام ١٨٨٤، تاركاً أعماله في حالة من الفوضى وعائلته في إفلاس شامل، وكان على «نارندرا» أن يتناقش مع الدائنين وأن يتكفل برعاية أمه وإخوته، وقد تعرض في بادئ الأمر لليأس والثورة على إله يسمح بكل هذا الشقاء والضيق، ثم وصل بعد ذلك إلى الهدوء واعتاد أن يفهم تقوى رام كريشنا، وانتهى تطوره الروحاني هو أيضاً بحالات من الوجد كان يتعرض لها بصحبة معلمه.

وبعد موت معلمه عاش «نارندرا» حياة متشردة لبعض سنين طاف خلالها القسم الأكبر من الهند، وعندما علم أنه سيعقد في شيكاغو عام ١٨٩٣م بمناسبة المعرض الدولي مؤتمر عالمي للأديان قرر أن يشترك فيه، وعندما باشر هذه الرحلة حدد لنفسه هدفاً مضاعفاً: فقد أراد من جهة أن ينشر في العالم رسالة الهندوسية والتي تدعي أن لديها المعرفة السامية، وأن الهند حارسة لها، ومن جهة أخرى كان يأمل في أن يجمع من البلاد الغنية في أمريكا وأوروبا المساعدات المادية الضرورية لتخفيف حدة البؤس الذي كان شاهداً عليه أثناء تطوافه في الهند، وقد تبنى لنفسه اسم «فيثيكانند» في اللحظة التي سافر فيها إلى أمريكا.

في المؤتمر الذي انعقد في أيلول/ سبتمبر من عام ١٨٩٣م، بسط في خطاب آثار الحماسة فكرة رام كريشنا بأن التقوى الحقيقية موجودة في كل الأديان وأنها أعلى من كل المعتقدات، وبعد المؤتمر أقام أكثر من ثلاث سنوات في أمريكا وأوروبا لينشر فيهما المذهب الفيديانتي*، والأعمال الاجتماعية التي اطلع عليها في كلتا القارتين انتزعت منه الإعجاب، ولكنه لم ينفذ كثيراً إلى الفكر الغربي.

وفي كانون الثاني/ يناير عام ١٨٩٧م عاد فيثيكانند إلى الهند، وفي أثناء هذه السنة بذاتها في أيار مايو أنشأ مع آخرين من تلاميذ رام كريشنا «بعثة رام كريشنا» التي وضعت هدفاً لها أن تنشر أفكار المعلم في الهند، وفي كل أنحاء العالم، وأن تعمل على نهضة الهند، وأن تنظم المساعدة الاجتماعية لمصلحة الفقراء والبائسين.

وبما أنه كان مخلصاً لفكر معلمه؛ فإن فيفيكانند طرح مبدأ أن كل دين يجب أن يحكم عليه بالأعمال التي تفصح عنه، وتجراً إلى حدّ القول بأن أفضل شكل للدين هو أن يُرى شَيْئاً (هنا المقصود به الرب) في كل الناس وبخاصة في المساكين، وأن من يفعل ذلك هو وحده من يعبد الإله الذي وضع نفسه في خدمة كل الكائنات من أجل مساعدتها.

وكان مقتنعاً تماماً أشد الاقتناع بأن الدين الفيدي الحق إنما يطابق تماماً الديانة التي يدعو إليها، واعتمد على «بهاغافاد غيتا» التي فسرها بحرية وجرأة في منحى الحقيقة الأخلاقية العليا التي توصل إليها ليعلم أن النفس تصل إلى الاتحاد الصوفي بـ«برهمان» إما عن طريق العمل الذي يتفق مع الواجب والمحبة (KARMA YOGA)، أو عن طريق المعرفة والتركيز الروحاني (RAYA YOGA أو JANANA YOGA أو GIAN YOGA).

وما بين حزيران/ يونيو ١٨٩٩م، حتى كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٠م، وعلى الرغم من تعبهِ ومن صحة ملغومة بمرض السكر باشر رحلة ثانية إلى أوروبا وأمريكا عاد منها وقد وجد الحضارة الغربية أقل جدارة بالمدح والإعجاب مما رآها في المرة السابقة، ولم يستطع أن يفهم أنه كان قد وضعها في مكان أعلى، وقد أصبح مقتنعاً أكثر من أي وقت مضى أن على أوروبا وأمريكا أن تتعلما الكثير من الهند في الأمور الروحانية، وفي الرابع من تموز/ يوليو عام ١٩٠٢م، توفي وهو في التاسعة والثلاثين من العمر^(١).

ولهذه البعثة مؤسسات وجامعات وكليات ومعاهد وهيئات خيرية، وهي تعمل بقوة في الدعوة إلى الهندوسية، وأهم ما تتميز به هذه البعثة أن لديها:

- (١) مبدأ «اللاعنف*»، حيث تعمل بجهد وبدون إثارة مشاكل.
- (٢) الجمع بين الماضي والحاضر في العقائد (النظرة التوفيقية).
- (٣) كثرة الأعمال الخيرية.

(١) انظر ما ذكره ألبير شويتزر: فكر الهند ص (١٨٤-١٨٨).

وأهم هذه الأعمال الخيرية ما يلي:

- ❖ خدمات طبية.
- ❖ خدمات تعليمية.
- ❖ برنامج النساء الرفاهي.
- ❖ برنامج الشباب الرفاهي.
- ❖ أعمال في القرى والمناطق الجبلية القبلية (أعمال عامة زراعية، تعليمية، طبية، وغيرها).
- ❖ أعمال دينية وثقافية.
- ❖ أعمال تأهيلية، وإغاثية.
- ❖ إقامة الأعياد والحفلات في الأيام المقدسة للقديسين، والريشيين^(١).
- ولأجل هذه المبادئ وجدت لها فروع كثيرة في جميع أنحاء العالم^(٢).

-
- (١) مما أخبر به نائب رئيس رام كريشنا ميشن بداكا، بالبريد الإلكتروني الخاص بي.
- (٢) هذا، وقد ذكر نائب رئيس رام كريشنا ميشن بداكا، أن لهم ١٤٨ فرعاً في العالم، وهي على النحو الآتي:

في البنغال الغربي ٣٤

في أنحاء أخرى من الهند ٧٦

في بنغلاديش ١١

أمريكا ١٢

كما يوجد لهم فرع في كل من سريلانكا، وسنغافورة، جزر فيجي، موريشوس، فرنسا، سويسرا، بريطانيا، أرجنتين، برازيل، أستراليا، اليابان، ماليزيا، كندا، روسيا. وذلك إلى مارس سنة ٢٠٠٣م.

المطلب الثاني

جماعة أوروبندو غهوس

ولد أوروبندو غهوس عام ١٨٨٢م، وفي البداية كان يميل إلى السياسة، حتى لعب دورًا في الصراعات التي خاضها مواطنوه قبل الحرب العالمية الأولى ببضع سنوات من أجل تحرير الهند من السيطرة الإنكليزية، وفي عام ١٩١٠ انسحب من السياسة وعاش منذ ذلك الوقت نافيًا نفسه نفيًا اختياريًا في «پونديشيري»، غير مهتم إلا بتجديد فكر الهند، كان يريد أن يخرج مواطنيه من المعابد ومن الآفاق الضيقة للمدارس التقليدية ليأخذ بيدهم في الحياة، كان يقول: «ينبغي أن يكون الماضي مقدسًا عندنا، ولكن يجب أن يكون المستقبل أكثر قداسة أيضًا»، وقد اقتنع بأن فكر الهند مدعو لتوجيه الإنسانية نحو مصائرها الحقيقية، ووضع أمله في فكر يجمع الأفضل من فكر الشرق وفكر الغرب، وتوفي في عام ١٩٥٠م^(١).

من أهم ما تشتمل عليه فلسفته: يوغا روحاني، وله في ذلك كفاءات معينة، وترتيبات جديدة، كان يعتقد بالإنسان النهائي، مثل ما يعتقد بعض الغربيين^(٢) بـ«سوپر مان»، وكان يقول: ليس المقصد الأصلي الذهاب إلى الغابة، وإنما المقصود أن ترتقي بحياتك إلى «الإنسان الكبير أو النهائي».

هذا المفكر له أتباع كثيرون، ومن أهم الأعمال التي يقدمونها، ترجمة كتب الهندوسية إلى اللغات العالمية، حيث شرح هذا المفكر كتب الفيدات، وعلق على غيتا،

(١) انظر ما ذكره ألبير شويتزر: فكر الهند ص (٢١١).

(٢) وهو نيتشه.

كما شرح كتب الأوبانيشادات، وكان جميع شروحاته على طريقة خاصة يسمى يوغا روحاني، ولهذا كان لديه كثير من التأويلات الباطنية، والهندوس على العموم ينظرون إليه وإلى أعماله نظرة إعجاب وقبول^(١).

(١) انظر ما ذكره محمد فاروق خان: هندو دهرم كي جديد شخصيتين ص (٤٢-٤٤). (الأوردو).

المطلب الثالث

جماعة مهاريشية

التعريف بالجماعة:

مهاريشية نحلة هندوسية انتقلت إلى أمريكا وأوروبا متخذة ثوباً عصرياً من الأفكار التي لم تخف حقيقتها الأصلية وهي تدعو إلى طقوس كهنوتية من التأمل التصاعدي (التجاوزي) بغية تحصيل السعادة الروحية - كما يزعمون -

وهناك دلائل تشير إلى صلتها بالماسونية والصهيونية التي تسعى إلى تحطيم القيم والمثل الدينية وإشاعة الفوضى الفكرية والعقائدية والأخلاقية بين الناس.

مؤسسها:

مؤسسها يوغى* هندوسي لمع نجمه في الستينات اسمه مهاريشي - ماهيش - يوغى انتقل من الهند ليعيش في أمريكا ناشراً أفكاره بين الشباب الضائع الذي يبحث عن المتعة الروحية بعد أن أنهكته الحياة المادية الصاخبة.

- بقي في أمريكا مدة (١٣) سنة حيث التحق بركب نحلته الكثيرون، ومن ثم رحل لينشر فكرته في أوروبا وفي مختلف بلدان العالم.

معتقدات هذه الجماعة:

- لا يؤمن أفراد هذه النحلة بالرب، ولا يعرفون إلا (المهاريشي) إلهاً وسيداً للعالم.

- لا يؤمنون بدين من الأديان، بل يكفرون بجميع العقائد والمذاهب، ولا يعرفون

التزاماً بعقيدة إلا بالمهاريشية التي تمنحهم الطاقة الروحية - على حد زعمهم - وهم يرددون: لا رب .. لا دين.

- لا يؤمنون بشيء بالحياة بعد الموت، ولا يهتمهم أن يعرفوا مصيرهم بعد الموت لأنهم يقفون عند حدود متع الحياة الدنيا لا غير.

- حقيقتهم الإلحاد، لكنهم يظهرون للناس أهدافاً براقة لتكون ستاراً يخفون بها تلك الحقيقة فمن ذلك أنهم يدعون إلى التحالف من أجل (المعرفة) أو (علم الذكاء (الخلق)

- يخضع المنتسب للتدريب على هذه التأملات التصاعدية خلال أربع جلسات موزعة على أربعة أيام، وكل جلسة مدتها نصف ساعة.

- ينطلق الشخص بعد ذلك ليمارس تأملاته بمفرده على أن لا تقل كل جلسة عن عشرين دقيقة صباحاً ومثلها مساءً كل يوم وبانتظام.

- من الممكن أن يقوموا بذلك بشكل جماعي، ومن الممكن أن يقوم به عمال في مصنع مما يعينهم على تجاوز إرهاقات العمل ويساعدهم على زيادة الإنتاج.

- يحيطون تأملاتهم بجو من الطقوس الكهنوتية مما يجعلها جذابة للشباب الغربي الغارق في المادة والذي يبحث عما يلبي له أشواقه الروحية.

- ينطلقون في الشوارع يقرعون الطبول، وينشدون، دون إحساس بشيء اسمه الخجل أو العيب أو القيم، ويرسلون شعورهم ولحاهم، ولعل بعضهم يكون حليق الرأس على نحو شاذ، وهيئتهم رثة وسخة، كل ذلك جذباً للأنظار، وتعبيراً عن تحليلهم من كل القيود.

- استعاض المهاريشي عن النبوة والوحي بتأملاته الذاتية، واستعاض عن الرب بالراحة النفسية التي يجدها، وبذلك أسقطوا من اعتبارهم مدلولات النبوة والوحي والألوهية.

- يطلقون العنان لشبابهم وشاباتهم لممارسة كل أنواع الميول الجنسية الشاذة والمنحرفة إذ إن ذلك - كما يعتقدون - يحقق لهم أعلى مستوى من السعادة. وقد وجد بينهم ما يسمى بالبانكروز وما يسمى بالجنس الثالث.

- يدعون شبابهم إلى عدم العمل، وإلى ترك الدراسة، وإلى التخلي عن الارتباط بأرض أو وطن، فلا يوجد لديهم إلا عقيدة المهاريشي، فهي العمل وهي الدراسة وهي الأرض وهي الوطن.

- عدم إلزام النفس بأي قيد يحول بينها وبين ممارسة نوازعها الحيوانية الطبيعية.
- يحثون شبابهم على استخدام المخدرات كالماريجوانا والأفيون حتى تنطلق نفوسهم من عقالها سابحة في بحر من السعادة الموهومة.
- يلزمون أتباعهم بالطاعة العمياء للمهاريشي وعدم الخضوع إلاّ له إذ إنه هو الوحيد الذي يمكنه أن يفعل أي شيء.

- يلخصون أهدافهم ومجالات عملهم بسبع نقاط براءة تضيفي على حركتهم جواً من الروح العلمية الإنسانية العالمية:

- ١- تطوير إمكانات الفرد.
- ٢- تحسين الإنجازات الحكومية.
- ٣- تحقيق أعلى مستوى تعليمي.
- ٤- التخلص من كل المشكلات القديمة للجريمة والشر، ومن كل سلوك يؤدي إلى تعاسة الإنسانية.
- ٥- زيادة الاستغلال الذكي للبيئة.
- ٦- تحقيق الطموحات الاقتصادية للفرد والمجتمع.
- ٧- إحراز هدف روحي للإنسانية.

❖ أما وسائلهم المعتمدة لتحقيق هذه الأفكار فهي:

- ١- افتتاح الجامعات في الأرياف والمدن.
- ٢- نشر دراسات عن (علم الذكاء الخلاق) والدعوة إلى تطبيقها على المستوى الفردي والحكومي والتعليمي والاجتماعي وفي مختلف البيئات.

٣- إيجاد تلفزيون ملون عالمي لبث التعاليم من عدة مراكز في العالم.

نشاطاتهم:

- مؤسسها هندوسي لم يجد له مكاناً في الهند لمضايقة الهندوس له لخوفهم من استقطابه الأتباع بسبب اتباعه سياسة الانفتاح الجنسي.
- انتقل إلى أمريكا وأنشأ جامعة في كاليفورنيا، من ثم انتقل إلى أوروبا وصار له أتباع فيها، ورحل بحركته إلى أفريقيا ليقم لها أرضية في ساليسبورغ، ووصلت دعوته إلى الخليج العربي ومصر يزرع الأتباع هنا وهناك ويتحرك فوق ثروة مالية هائلة.
- وهم يملكون إمكانيات مادية رهيبية تدعو إلى التساؤل والاستغراب، وتشير إلى الأيدي الصهيونية والماسونية التي تقف وراءها مستفيدة من تدميرها لأخلاق وقيم الأمم.
- في عام ١٩٧١م أنشأ زعيمهم جامعة كبيرة في كاليفورنيا سماها جامعة المهاريش العالمية ويقول بأنه فعل ذلك بعد أن أحس بتقبل مذهبه في أكثر من (٦٠٠) كلية وجامعة في أنحاء العالم.
- أوجد علم جديد - علم الوعي، علم الذكاء الخلاق - ومزّن ٢٠٠٠ أستاذًا في هذا العلم (١٩٧٢) [أصبح عددهم الآن ٤٠,٠٠٠ أستاذ].
- وفي عام ١٩٧٤م أعلن عن قيام الحكومة العالمية لعصر الانبثاق برئاسة «مهاريشي مهيش يوجي» ومقرها سويسرا كما أن لهذه الدولة دستورًا ووزراء وأتباعًا وثروة طائلة واستثمارات في مختلف أنحاء العالم.
- في كانون الأول ١٩٨٧م ادعوا بأن حكومتهم المهاريشية قد أرسلت إلى إسرائيل بعثة من (٤٠٠) محافظ ليقموا دورة هناك لثلاثمائة رجل حتى تجعل الشعب أكثر اجتماعية وأقل حدة وتوترًا.
- يعتبر عام ١٩٨٧م عام السلام لديهم حيث إنهم قد أعلنوا أنه لن تقهر أمة في العالم بعد ذلك. وقد دعوا في ذلك العام إلى عقد مؤتمر في ساليسبورغ لتكوين نظام عدم القهر لأية أمة، كما أسس فيه المجلس النيابي لعصر الانبثاق.

- كتبهم ومطبوعاتهم تكتب بماء الذهب، وهم يمتلكون أكبر المصانع والعقارات في أوروبا، وقد اشترى قصر برج مونت مور في بريطانيا لتأسيس عاصمتهم الجديدة هناك.

- يحرصون دائماً على اعتبار مؤسستهم مؤسسة خيرية معفاة من الضرائب على الرغم من غناهم الفاحش.

- يخدم مع المهاريشي سبعة آلاف خبير، ويشتري هذا المهاريشي، الفقير أصلاً، عشرات القصور الفارهة فمن أين له ذلك؟

- إن اليهودية قد وجدت فيها خير وسيلة لنشر الانحلال والفوضى بين البشر فتبنتها ووقفت وراءها مسخرة لها الأموال والصحافة وعقدت لها المناقشات لطرح نظريتها والدعوة إليها.

- وصل بعضهم إلى دبي وعقدوا اجتماعاً في فندق حياة ريجنسي يدعون فيها علانية لمذهبهم وقد ألقى القبض على هؤلاء الأشخاص الأربعة الذين قدموا إليها بتأشيرة سياحية ثم أبعادوا عن البلاد.

- وصل بعضهم إلى الكويت وتقدموا بطلب للحصول على ترخيص لهم باعتبارهم مؤسسة خيرية غير تجارية، وقد نشروا في الصحافة الكويتية أكثر من مقال وبث لهم التلفزيون الكويتي بعض المقابلات قبل أن تتضح أهدافهم الحقيقية.

- نظموا دورة لموظفي وزارة المواصلات في الكويت في فندق هيلتون وقد دعوا الموظفين أثناء الدورة إلى مراجعة مواريتهم العقائدية والفكرية.

- طُرد المهاريشي من ألمانيا بعد أن ظهر أثره السيئ على الشباب.

- وضع خطة رئيسية لخلق الجنة على الأرض - على زعمه - من أجل إعادة بناء العالم كله، في الداخل والخارج (١٩٨٨م).

- افتتح رام راج العالمي - الإدارة العالمية من خلال القانون الطبيعي (١٩٩٣).

- يؤسس الآن جامعات مهاريشي القيدية وجامعات مهاريشي أيورفيد في كافة أنحاء العالم لإعطاء معرفة التحكم بالقانون الطبيعي لكل فرد ولتثبيت الحياة بالتوافق

مع القانون الطبيعي - الكمال في كل مهنة - وإيجاد حكومة متحررة من المشاكل ومرتكزة على القانون الطبيعي في كل بلد - حكومة تملك القدرة على تحاشي المشاكل (١٩٩٣-١٩٩٤). - كما يظنون -

- بنى عشه مؤخرًا في لبنان - مركز الفرق والنحل الباطنية - ومن هنا ينشر خرافاته عن طريق الإنترنت والوسائل الأخرى الحديثة.

هذا، وقد نشرت رابطة العالم الإسلامي في مكة بيانًا أوضحت فيه خطر هذا المذهب على الإسلام والمسلمين مؤكدة ارتباطه بالدوائر الماسونية والصهيونية^(١).

وللهندوس عدا هذه الجماعات جماعات أخرى عديدة حديثة، منها:

١) جماعة أچاريا رجنيش:

ولد أچاريا رجنيش بسنة ١٩٣١م، في مدها برديش، (المنطقة الوسطى الهندية)، وكان من صغره ناقدًا حادًا، وحصل على الماجستير بسنة ١٩٥٧م، ويدعي حصوله على العرفان! درس في بعض الجامعات سنوات عديدة، تجول خلالها في الهند بأكملها ينادي الناس إلى ما توصل إليه من المعارف الروحانية!

ترك التدريس بسنة ١٩٦٦م، وأنشأ مراكز باسم «جيون جاكرتي كيندر» مراكز إحياء الحياة، وكان مقصوده بذلك الربط بين التلميذ والأستاذ للحصول على المعارف الذي ادعاه، كما كان يهدف إلى نشر كتبه الكثيرة التي ألفها فيما يعتقد، وكان المركز الرئيسي في بمباي، ثم في سنة ١٩٧٠ انتقل أچاريا رجنيش بنفسه إلى بمباي، وفي تلك السنة أقدم إلى فتح باب الرهبة، وبدأ يدخل الناس في سلك الرهبة في مقره الذي سماه «سري رجنيش أشرم».

وفي سنة ١٩٨١ ذهب إلى أمريكا، وأنشأ هناك ديرًا للربان، وكان إذا قام للخطبة يخطب بين الناس على مذاهب هندية كلها، كأنه مكتبة متحركة.

(١) انظر ما جاء في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٨١-٧٨٦).

وكان له اهتمام خاص بالإسلام، حتى قال:

«إن محمداً لرسول، يعني حصوله على الوحي، وهم لا يسمونه أفتار، ولا يسمونه
 گاد إنكرنيت، God Incarnate، (تجسد الرب)، ولا يقولون له فاتح، ولا يقولون إنه
 مسيح، إن له عندهم (عند المسلمين) اصطلاح علمي عالي، وهو أنهم يقولون له نبي
 ورسول Messenger.».

وقال في موضع آخر: «إن محمداً صاحب البوق وإنما الذي ينفخ فيه غيره».

وقال في القرآن: «إن القرآن لا يوجد مثله في الحسن، وهو من النعمات العظيمة».

وقال: «اقرأوا القرآن فلعل بعض جماله يحيط بكم».

وله أقوال جميلة في القرآن والصلاة والشعائر الأخرى في الإسلام.

صنف رجنيش كتباً كثيرة في حياته، فقد كتب بالأردية (٤٨) كتاباً، وبالإنكليزية

(٤٢) كتاباً، وهناك كتباً أخرى بغير هاتين اللغتين.

توفي سنة ١٩٩٠م، وله أتباع في الهند وخارج الهند، خصوصاً له أتباع في الولايات

المتحدة الأمريكية^(١).

٢) جماعة هري كريشنا:

تأسس الاتحاد الدولي لوعي كريشنا (إسكون ISKCON) عام ١٩٦٥ لدى وصول

الراهب الهندوسي أ. س. بهاكتي فيدانتا سوامي، پر بهو پادا (ت عام ١٩٧٧م)، (A.C.

BHAKTIVEDANTA SWAMI PRABHUPADA)، إلى الغرب، وأصبح هذا الاتحاد

واحدًا من الأكثر شهرة بالنسبة للحركة الدينية الجديدة التي جاءت من الشرق، وأصبحت

فرق التابعين فقط منظراً مألوفاً في الشوارع وهم يشقون طريقهم بالرقص والغناء خلال

كثير من المدن الكبرى، ويبيعون الأسطوانات والكتب أو مجلات العودة إلى الرب، في

ثيابهم الزعفرانية (صفراء برتقالية)، والشباب حليقو الرؤوس سوى خُصلة (قرعة) بها

(١) انظر ما ذكره محمد فاروق خان، هندو دهرم كي جديد شخصيتين ص (٥٧-٧٥).

يعتقدون أن كريشنا* سيتنزع شعراتها عندما ينقذهم عند تحرير العالم. وقد اكتسبت إسكون شعبية إضافية ودعمًا ماليًا من خلال اهتمام بعض الغربيين. ومن خلال الغناء الكثير لـ«مانترا*» الرئيسة: هري كريشنا، هري كريشنا، كريشنا كريشنا، هري هري، هري رام، هري رام، رام هري هري هري، عرف التابعون على المستوى الشعبي باسم «هري كريشنا».

والأساس الديني لهذه الجماعة: هو بهاغافاد غيتا، كما فسرهما معلمهم. وكثير من الأعضاء في أيامهم الأولى جاءوا من الثقافة المقابلة لثقافة غربية أخرى، والتابعون الجادون على أي حال عندما يدخلون إلى المعبد عليهم أن يتخلوا عن المخدرات والكحول، ويمكنهم أن يتناولوا فقط طعامًا نباتيًا مطهرًا بشكل خاص، وأن يعيشوا حياة متبلة (باستثناء إنجاب الأطفال عن طريق الزواج)^(١).
(٣) جماعة ميهير بابا.

وهي حركة مفككة نسبيًا (لعشاق البابا)، تحاول اتباع تعاليم معلمها الهندوسي، ميهير بابا، الذي التزم الصمت من (١٩٢٥م)، حتى موته (١٩٦٩م)، والأتباع الغربيون هم بشكل رئيسي - وإن لم يكن حصريًا - موجودون في الولايات المتحدة الأمريكية، وهم يقبلون أن بابا كان إلهاً متجسدًا (أفْتَار)، وأن أكثر الطرق مباشرة لتحقيق الذات هي الحب والاستسلام التام لـ«ميهير بابا»^(٢).

(١) انظر المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم ص (٩٢٠-٩٢١).

(٢) انظر المصدر السابق، ص (٨٥٨).

الفصل السابع

دعوة الهندوس إلى الإسلام

(الوسائل والأساليب)

مما لا شك فيه أن نجاح الدعوة الإسلامية ومدى تأثيرها على الأفراد والمجتمعات يتوقف بدرجة كبيرة على حسن استخدام الوسائل والأساليب أو الكيفيات الدعوية التي تعرض من خلالها.

لذلك تنوعت أساليب القرآن في عرض هداياته تنوعاً كبيراً، فكان منها الأقيسة العقلية، وضرب الأمثال، والمؤكدات المختلفة، والترغيب، والترهيب، إلى غير ذلك. واعتنى رسول الله ﷺ بهذا الجانب عناية كبيرة، فاستخدم وسائل متنوعة لتبليغ دعوته، فكتب الرسائل، وبعث الرسل، وعقد ألوية الجهاد، ونوع كذلك أساليب عرضها حسب مقتضيات الأحوال فخطب العقل، وأثار العاطفة، واستغل الفرص المناسبة، وراعى أحوال المخاطبين إلى غير ذلك، فما انتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد شمل الإسلام الجزيرة العربية ومكن له لينتشر بعد ذلك في أرجاء المعمورة.

وهكذا سار سلف هذه الأمة على منهجه في العناية بوسائل الدعوة وأساليبها إدراكاً منهم لأهمية ذلك في نجاح الدعوة وتحقيقها للأهداف المرجوة^(١).

(١) راجع ما ذكره الأخ الفاضل الدكتور سليمان بن عبد الله الرومي: دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، فقد تمت الاستفادة من رسالته في معظم هذا الفصل بعد تغيير ما يلزم.

المبحث الأول

أهم وسائل الدعوة التي يمكن توجيهها للهندوس

وتحتة مطالب

المطلب الأول

وسيلة التعريف بالإسلام وبنبيه وبكتابه

وهذه الوسيلة يمكن أن أتحدث عنها في العناصر الآتية:

التعريف بالإسلام:

إن الإسلام دين الله، والعرض السليم بأسلوب حكيم كفيل بقبوله لدى الفطر السليمة، ولأجل هذا ينبغي على المسلم الداعي أن يعرض الإسلام على الكافر والمشرِك عرضاً سليماً، دون إفراط أو تفريط، فإننا إذا نظرنا إلى سنة نبينا ﷺ نجد أنه كان يعرض الإسلام على قبائل العرب في مكة طيلة بقاءه فيها، وما أروع هذا العرض!، حيث يتأثر الكافر الذي سلمت فطرته عن شهوات الدنيا ورغباتها بعرضه الطيب الجميل الأخاذ.

ومن الأمثلة على ذلك ما نرى في التاريخ عرض جعفر بن أبي طالب ﷺ للإسلام على النجاشي، حيث عرض عليه الإسلام بدون إفراط وتفريط، فأجهد النجاشي على البكاء، وقبل الإسلام^(١).

(١) انظر ما يدل عليه الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند (١/٢٠٢)، بإسناد حسن، وأبو نعيم في الحلية (١/١١٥-١١٦)، والبيهقي في الدلائل (٢/٣٠١-٣٠٢)، كما أورد مثله الإمام أحمد في المسند (١/٤٦١)، حسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (٧/١٨٩)، وجود =

ومن أمثلة ذلك أيضًا عرض الصحابي الجليل أبو سفيان صخر بن حرب الأموي رضي الله عنه وذلك قبل إسلامه لهرقل عظيم الروم، حيث سألَه عن الإسلام وما ذا يأمر به وما ذا ينهى عنه، فلما أخبره أبو سفيان عرضًا سليماً - وقد كان وقتذاك كافرًا - لم يجد هرقل بداً من أن يعترف بصدق الإسلام وصحته، وبشر ندماءه بأن لو ما قاله أبو سفيان حقًا، فإنه سيملك ما تحت قدميه، دولته وملكه وعزه^(١).

فالهندوس يحتاج من يعرض عليهم الإسلام عرضًا سليماً، كما يحتاج من يبين لهم محاسنه وجماله؛ فإن الحق أدعى بالقبول لدى الفطر السليمة.

ولكن للأسف الشديد مع وجود علماء كبار ودعاة عظام لم يقم أحدٌ من المسلمين بهذا العمل الجليل إلى اليوم، وقد ذكر الشيخ الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي حفظه الله هذا الشيء في كتابه القيم^(٢)؛ حيث قال: «إن الكتاب الهندوس لهم بعض العذر في سوء فهمهم للإسلام؛ لأن المسلمين رغم حكمهم للهند طوال ثمانية قرون لم يتوجهوا إلى ترجمة الكتب الإسلامية باللغة الهندوسية، بله السنسكريتية التي تعتبر إحدى أمهات اللغات، وفيها كتب الهندوس، فأكثر الكتاب منهم (أي من الهندوس) في معرفتهم للإسلام يعتمدون أساسًا على كتب المستشرقين الذين أساءوا إلى الإسلام، كما هو معلوم لدى الجميع، ثم على كتب الشيعة؛ لأن الذين اشتهروا في الهند بالكتابة عن الإسلام باللغات الأجنبية مثل الإنجليزية وغيرها أكثرهم من الشيعة... فما زالت الضرورة تقتضي على المسلمين بكل إلحاح أن يقوموا بأليف كتاب موسوعي عن الإسلام معتمدين على مصادر موثوق بها ليكون بأيدي غير المسلمين عامة والمؤلفين منهم خاصة»^(٣).

= إسناده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٧٤/٤)، الطبعة الجديدة بتحقيق عبد الله ابن عبد المحسن التركي وقال المحقق: (حديث حسن).

(١) انظر ما يدل عليه الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، برقم (٧). كتاب الإيمان.

(٢) انظر دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٣٥).

(٣) المصدر السابق ص (٣٥-٣٦).

ولاشك أن هذا يعتبر نقصاً كبيراً وفراغاً علمياً ودعويّاً ذات أهمية كبرى، وقد شعر الشيخ الأعظمي حفظه الله بهذه المسؤولية العظيمة، حيث ألف كتاباً مهماً سماه «قاموس القرآن الكريم» باللغة الهندية، وفيه شرح لما يقارب ٥٠٠ من الاصطلاحات الإسلامية على ضوء ما جاء في القرآن والسنة، وقد يكون هذا في الوقت الحاضر الكتاب الوحيد منذ دخول المسلمين في الهند لدعوة غير المسلمين، وقد انتهى المؤلف من إعداد ٨٠٪ من المادة العلمية، وهو الآن تحت الطبع، نسأل الله ﷻ أن يوفقه لما يحب ويرضى.

التعريف بنبي الإسلام:

وذلك عن طريق الدعوة إلى الإيمان بنبوة محمد ﷺ، إن نبوة محمد ﷺ كانت ولا تزال أساس الحوارات والمناظرات التي تجري بين المسلمين وغيرهم. ففي الوقت الذي يسعى الدعاة المسلمون إلى الإقناع بصدقه ﷺ وصحة رسالته، يسعى المعاندون إلى تكذيب ذلك بل وإثارة الشبه حول شخصه ﷺ وحول رسالته.

لذلك ما ترك علماء الأمة صغيرة ولا كبيرة في حياته ﷺ إلا كتبوا عنها، وما غادروا شيئاً من أقواله وأفعاله إلا قيدوه وميزوا صحيحه من ضعيفه، فكتبوا في سيرته، ومغازيه، وأخلاقه، وشمائله، ومناقبه، وفضائله، وحقوقه، ودلائل نبوته، ومعجزاته^(١)، وهديه. وصنفوا في أقواله وأفعاله فظهرت الموسوعات الحديثية كالصحيحين، والسنن، والمسانيد، والمصنفات، وغيرها من كتب الحديث، فصار القارئ في أي جانب من هذه الجوانب المتعلقة به ﷺ كأنه عاش معه لدقة ما نُقِلَ عنه.

هذه الوسيلة من أنجح الوسائل لدعوة الهندوس إلى الإسلام لأن أهل الهند

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المعجزات: «وتسمى دلائل النبوة، وأعلام النبوة، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ: الآية والبرهان».

الجواب الصحيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي بن حسن ابن ناصر وآخرين، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، (٥/١٢٤)، إلا أنني أثبت لفظه المعجزة لشهرتها.

الغالب عليهم العاطفة الجياشة، فلو عرفوا سيرة نبي الإسلام وصدقه وأمانته وعفته ودعوته وصبره عليها، ومحبه الخير للناس، والتسوية بين الناس في القول والعمل لما يجد الهندوس بدءاً من الرغبة إلى الإسلام.

وهذه الوسيلة يتبعها كثير من المسلمين في الهند، ولهم في ذلك طريقان:
الأولى: إثبات نبوته ﷺ.

الثانية: رد الشبه التي يثيرها الهندوس حول شخصه ﷺ أو نبوته.

أما الأولى: فالدعوة إلى الإيمان به ﷺ من خلال إثبات نبوته ﷺ:
ويمكن إثبات ذلك بالأمور الآتية:

أولاً: من خلال تأليف الكتب عنه ﷺ بشكل عام، خاصة ما يتعلق بدلائل نبوته، ومعجزاته، وشمائله، وأخلاقه، ومناقبه، وفضائله.

ثانياً: من خلال إثبات نبوته من صميم كتب الهندوس، فقد ألفوا عشرات الكتب من قديم الزمان إلى اليوم، من أبرز هؤلاء العلماء:

(١) الشيخ ثناء الله الأمرتسري رَحِمَهُ اللهُ حيث كتب كتاباً بعنوان: «محمد رشي»، ونقل نصوصاً كثيرة من كتبهم تثبت بها نبوة محمد ﷺ وأنه آخر الأنبياء والرسل.

(٢) الشيخ الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي - حفظه الله - حيث ضمن كتابه القيم دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، البشائر المحمدية الواردة من كتب الهندوس، وأجاد في بيانها، وشرحها.

(٣) كما ذكر الشيخ إم أكبر الأعظمي^(١) حفظه الله، حيث ألف كتاباً ضافياً في هذا المجال، فقد جمع ما تقدم وأضاف إليها إضافات جديدة بشرح مفصل.

(١) ثم تأكدت عن المؤلف فإذا هو الشيخ صفى الرحمن المباركفوري - حفظه الله وألبسه لباس الصحة والعافية-.

يمكن أن يستدل على إثباته نبوته ﷺ بصفاته الخلقية والخلقية ومن سيرته وقرائن أحواله، فما جبله الله عليه من الخلق العظيم الذي وصفه الله به بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، كالزهد في الدنيا، والعلم، والحكمة، والبيان، والتواضع، والرحمة، والوقار، والهيبة حتى وصل درجة الكمال في ذلك كله، هذا ولاشك من أعظم الدلائل على صدق نبوته ﷺ^(١).

وهي كثيرة جداً، وقد اهتم العلماء بالاستشهاد بها على صحة نبوة محمد ﷺ وصدق رسالته، ومن أهم هذه المعجزات ما يلي:

أ- انشقاق القمر: حيث ذكرت هذه المعجزة في الكتاب العزيز، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتِ﴾ [القمر: ١-٢].

السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيُقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ [القمر: ١-٢].

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال صلى الله عليه وسلم: اشهدوا» (٢).

ب- نبع الماء من بين أصابعه ﷺ: حيث تكررت هذه المعجزة منه ﷺ مرات عديدة. فمن ذلك:

ما رواه أنس رضي الله عنه قال: «أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء^(٣)، فوضع يده في الإناء

(١) انظر أمثلة على ما ألف في أخلاق المصطفى وشمائله في معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ. د. صلاح الدين المنجد ص (١٨٤) وما بعدها وص (١٩٢) وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، حديث رقم ص (٦٩٤)، (٣٦٣٦) ومسلم، الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، حديث رقم ٢٨٠٠، ص (١١٢٦).

(٣) الزوراء: البئر البعيدة القعر، وأرض زوراء أي بعيدة، واسم للجانب الغربي من بغداد، وهي هنا موضع عند سوق المدينة في العصر النبوي قرب المسجد. وقيل: بل هي سوق المدينة نفسه. انظر ما ذكره ياقوت الحموي: معجم البلدان (٣/ ١٧٥).

فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم»^(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبى ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: ما لكم. قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا...»^(٢).

ج - ومن معجزاته ﷺ كلام الجمادات: ومن أبرز الأمثلة على ذلك قول ابن عمر رضي الله عنهما: «كان النبى ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح يده عليه»^(٣).

وتسييح الطعام بين يديه وهو يؤكل حيث سمع ذلك من حضر من الصحابة رضي الله عنهم: «... ولقد كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل»^(٤).

وتسليم الحجر عليه، فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»^(٥).

د - ومن أشهر معجزاته إخباره عن بعض أمور الغيب فتقع كما أخبر ﷺ. ومن

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٥٧٢، ص (٦٨٤). وبنحوه مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبى ﷺ، حديث رقم ٢٢٧٩، ص (٩٣٥).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٥٧٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٥٨٣) ص (٦٨٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٥٧٩)، ص (٦٨٥).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبى ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، حديث رقم (٢٧٧٧)، ص (٩٣٥).

الأمثلة على ذلك والتي أوردها بعض علماء ذلك العصر في مناقشاتهم مع النصارى ما يلي:

إخباره عن فاطمة عليها السلام أنها أول أهل بيته لحوقاً به، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيها، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها فضحكت، قالت: فسألتها عن ذلك، فقالت: سارني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أنني أول أهل بيته اتبعه، فضحكت»^(١).

وإخباره بما يفتح الله على يدي أمته من الدنيا وما يؤتون من زهرتها، حيث قال: «... فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»^(٢).

وإخباره بزوال ملك قيصر، وملك كسرى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده، لتنفق كنوزهما في سبيل الله»^(٣).

وغير ذلك مما لا يمكن حصره. حيث وقع كل ما أخبر به ﷺ. وهذا من أظهر الأدلة على نبوته ﷺ.

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٦٢٥)، ص (٦٩٢-٦٩٣). ومسلم بنحوه، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة - رضي الله تعالى عنها -، حديث رقم (٢٤٥٠)، ص (٩٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة الحرب، حديث (٣١٥٦)، ص (٦٠٥)، ومسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم (٢٩٦١)، ص (١١٨٨).

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٦١٨. ص (٦٩٢)، ومسلم بنحوه، الصحيح، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، حديث رقم (٢٩١٨)، ص (١١٧٠).

هـ - ومن أدلة نبوته ما أظهره الله ﷺ على أيدي أصحابه من الكرامات في حياته ﷺ وبعد مماته ^(١)، منها:

ظهورهم ونصرهم على أعدائهم مع قتلهم وكثرة أعدائهم، وما أجراه الله ﷻ على أيدي بعضهم من الكرامات، وذلك: «آية لرسول الله ﷺ من أعظم الآيات وذلك أن الله تعالى إذا أكرم واحداً منهم بأن خرق له عادة فإن ذلك يدل على أنه الحق وأن دينه الحق.

نماذج من كرامات الصحابة رضي الله عنهم، منها:

ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلين خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما» ^(٢). وهذان الرجلان هما أسيد بن حضير وعباد بن بشر - رضي الله عنهما - ^(٣).

ومن ذلك: أن البراء بن مالك رضي الله عنه لقي جيشاً من المشركين «...وقد أوجع المشركون في المسلمين. فقالوا: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فأقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم. ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين. فقالوا: يا براء، أقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقني بنيك ﷺ. فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً» ^(٤).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كرامات الأولياء هي من دلائل النبوة، فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق، فصار وجودها كوجود ما أخبر به النبي من الغيب ... وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي أخبر به الرسول، لا تدل على أن الولي معصوم. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣/١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر، حديث رقم (٣٨٠٥).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) أخرجه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، وبذيله التلخيص للذهبي، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، (٣/٢٩١-٢٩٢).

أما الثانية، وهي: رد الشبه التي يثيرها الهندوس حول شخصه ﷺ أو نبوته:

ولاشك في أن الشبه التي يثيرها الهندوس حول رسول الله ﷺ لها أكبر الأثر في صد الكثيرين من بني ملتهم عن تصديقه والإيمان بنبوته، وإزالة هذه الشبه يجلو ستار الجهل عن العقل، فيكون ذلك أدعى للتسليم والتصديق به ﷺ.

وقد انبرى كثير من علماء الهند للرد على الهندوس الذين جعلوا رسول الله ﷺ ونبوته غرضاً لهم، فاستفرغوا الوسع في تفنيد شبههم، ورد باطلهم، انتصاراً لرسول الله ﷺ، وطمعاً في هداية من كانت مثل هذه الشبه حجاباً بينه وبين قبول الحق.

فهناك كتب مستقلة في هذا الباب^(١)، وهناك كتب أخرى متضمنة داخل كتب السيرة النبوية^(٢)، وهي كثيرة.

التعريف بكتاب الإسلام (القرآن):

إن القرآن الكريم معجزٌ بكل معنى الكلمة، فهو معجز بحفظه وسلامته من التحريف والتبديل، وبفصاحته من عجز العرب الفصحاء عن الإتيان بمثله، ومن طريقة نظمه وأسلوبه الغريب، وإخباره عن بعض المغيبات فتقع كما أخبر، حتى من قراءته، وصوته، إلى غير ذلك من وجوه الإعجاز.

ويستخدم الشيخ محمد رياض موسى حفظه الله هذا الأسلوب، فقد سألته عن أكثر ما يجذب الهندوس إلى الإسلام فقال: لا آتي بشيء من عندي، وإنما أقرأ عليهم القرآن، وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ [البقرة: ١٥١]

(١) من أهمها كتاب الشيخ ثناء الله الأمرتسري رحمه الله «مقدس رسول»، في الرد على كتاب «رنغيلا رسول»، حيث ردّ على الهندوسي المتعصب الذي افترى على سيرة الرسول، وأجاب عن كل شبهة ببراعة.

(٢) من أهمها كتاب العلامة السيد شبلي النعماني، والسيد سليمان الندوي: السيرة النبوية، وكتاب المودودي: سيرة سرور عالم، (سيرة سيد العالم).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ [القصص: ٥٩] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [الطلاق: ١١]، وقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢]، إذن تلاوة الآيات القرآنية على الكفار والمشركين وسيلة قرآنية في الدعوة إلى الإسلام، وهذا الأسلوب هو الذي أتبعه، حيث أقرأ عليهم الآيات القرآنية وأشرح لهم ما ذا قال الله فيه، وبعد هذا أرى دموعهم تسيل على خدودهم، وحينئذٍ أعرض عليهم الإسلام^(١).

فالقرآن الكريم وحده وسيلة عظيمة من وسائل دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وقد استنبط كثير من العلماء وجوه إعجازه البياني واللغوي والإخباري والعلمي لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ويمكن استخدام هذه الوجوه كلها في دعوة الهندوس إلى الإسلام.



(١) من مقابلة الشيخ في المدينة (شريط مفرع).

المطلب الثاني

وسيلة تأليف الكتب

لاشك أن الكتب من أهم وسائل الدعوة قديماً وحديثاً ومن أسهلها انتشاراً وأعمقها أثراً، فمن خلالها حُفظت علوم الأوائل، ونقلت إلينا سير العلماء والدعاة وتجاربهم. وأمكن عن طريقها الاستفادة من جهود السابقين حتى كأن أصحابها لا يزالون على قيد الحياة؛ وذلك لبقاء أفكارهم وانتشارها وتأثر الكثيرين بها.

ومما يؤكد أهمية وسيلة الكتب في الدعوة إلى الله؛ أن الله ﷻ أنزلها على رسله متضمنة الهداية لأممهم والنجاة لهم في الدنيا والآخرة.

وفي الإسلام كتاب الله ﷻ وكتب السنة المطهرة منذ مبعث النبي ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هما الوسيلة الأولى لنشر الإسلام من حيث كونهما مصدر العلوم الإسلامية الأخرى، وأساس كل الأعمال الدعوية المنضبطة بهديهما، والمبدولة في مجال نشر الإسلام.

وهذه الوسيلة يمكن أن ينظر إليها من جانبين:

أولاً: تأليف كتبٍ توضح عقائد الإسلام، وتبين الفرق بين عقيدة الإسلام وعقيدة الأديان الأخرى في قضايا عقدية مهمة، وكمثال على ذلك:

(١) لابد من التفريق بين عقيدة المسلمين وعقيدة الهندوس في التوحيد، فالتوحيد عند المسلمين يشمل التوحيد في الذات والصفات والأفعال، بينما التوحيد عند الهندوس ليس إلا اعتقاد بوجود واحدٍ مطلق، ليس له صفاتٌ ولا أفعالٌ، ولاشك أن هذا التفريق لو عرفها الهندوس ربما يفتح الله قلوبهم إلى الإسلام

لما يرون من حسن تصور الربوبية لدى المسلمين وضعف التصور ووهنه لديهم.

(٢) كما أن التوحيد عند المسلمين يشمل أعمال العباد، فالمسلم يعبد إلهاً واحداً فقط، وهو لا يرى الخضوع لقوة أخرى غير الله، ولا يرضي أحداً سوى الله، وأما الهندوس فهم يعبدون آلهة لا تعد ولا تحصى، ثم يتفلسفون في التوفيق بين هذه الآلهة المتصارعة، فلو عرفوا تصور الإسلام تصوراً صحيحاً لاقتنعوا أن عبادة الإله الواحد هو المقبول عقلاً وفطرةً، وأن العبد إنما يستطيع سيّداً ورباً واحداً لعبادته، لا أسياًداً متناحرة ولا أرباباً متعددة، كما هو حال الناس في الدنيا.

(٣) كما أن عقيدة اليوم الآخر لدى المسلمين أبسط وأظهر وأبين بكثير من عقيدة التناسخ لدى الهندوس؛ فإن الهندوس لو عرفوا أن وجوده في الدنيا ليس لخطيئة لا تغتفر، وإنما هو ابتلاء واختبار فمن عمل خيراً يجد جزاءه عند الله، ومن عمل سوءاً فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذب به وإن شاء غفر له؛ فإنه بهذه العقيدة يتفاهل بالحياة الدنيا، ولا يكون متشائماً كما هو الحال عند من يعتقد التناسخ.

ثانياً: تأليف كتب تبين عقائد الهندوس، وتبين فسادها، وقد استخدم علماء المسلمين هذه الوسيلة؛ فمن ذلك:

١- ما قام به أبو الريحان البيروني في كتابه القيم: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة؛ فإن من حسنات الكتاب تطرقه إلى بعض الجوانب الهندوسية وبيان نقاط الضعف فيها، والإشارة إلى سخافتها.

٢- ما قام به الشيخ ثناء الله الأمرتري رَحِمَهُ اللهُ حينما فند مزاعم الآرية وشبهاتهم حول الإسلام، وقام بدعوة صالحة وجهاد عظيم ضد هؤلاء الآرية.

٣- ما قام به الشيخ عبيد الله الهائي رَحِمَهُ اللهُ؛ حيث كتب كتابه القيم: تحفة الهند،

والذي تضمن عقائد القوم في الإيمان بالله، والملائكة والرسل، والكتب،
واليوم الآخر، ثم أردف ذلك ببيان عباداتهم ومعاملاتهم، وقارن ذلك كله بما
يوجد مثله لدى المسلمين، وأظهر تفوق المسلمين في هذه الأمور كلها.

المطلب الثالث

وسيلة الحوار

وهذا الحوار أصله كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بَالِغًا هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالحوار من أهم وسائل الدعوة، ومن أهم الأصول التي حددها القرآن الكريم في هذا أن يكون الحوار متنوعاً، فهناك من يحتاج الحوار معه إلى حكمة، ومنهم من يحتاج إلى موعظة، وهناك من يحتاج إلى جدال حسن، وكل هذه الأصول لها تفصيلات.

ومن وسيلة الحوار بالحكمة في الدعوة إلى الله ما كان يمارسه أسلافنا الكرام مع الهندوس من زمان قديم عندما ذهبوا للتجارة إلى تلك الديار، حيث كان إسلامهم بمجرد الحوار الحسن، والمعاملة الحسنة في القول والعمل، والصدق، وقد سجل التاريخ لنا: أن أغلب شبه القارة الهندية أسلم أهلها بالحوار مع تجار اليمن والجزيرة العربية الذين قدموا للتجارة، ولكن الله أجرى على أيديهم الهداية لمجموعة كبيرة من البشر ما كان بحسبانهم أن يتم لهم ذلك، لولا حوارهم الحسن وخلقهم الطيب.

المطلب الرابع

الرسائل

الرسائل من الوسائل الدعوية ذات الأهمية الخاصة؛ ذلك أنها توجه في الغالب إلى أعلام بذواتهم لهم مكانتهم وتأثيرهم في مجتمعاتهم، وبتأثرهم يتأثر الكثيرون من أتباعهم.

وهي من الوسائل التي استخدمها النبي ﷺ لتبليغ الدعوة في عصره للذين لم يتمكن عليه الصلاة والسلام من الاتصال بهم شخصياً، كرسائله إلى الملوك في عصره وغيرهم من أصحاب الرأي والنفوذ في أقوامهم. روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «كتب إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى»^(١).

ويمكن أن يستخدم هذه الوسيلة مع الهندوس بسهولة، بأن يكتب إليهم الرسائل بالدعوة إلى دين الله، وإلى التفكير فيما أنزل الله سبحانه على نبيه، ولا شك أن هذه الوسيلة أنجح الوسائل للدعوة إلى دين الله ﷻ لو استخدم استخداماً حسناً.

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ١٧٧٤، ص (٧٣٧).

المبحث الثاني

أساليب دعوة الهندوس إلى الإسلام

إن الأساليب الدعوية المقصود بها صيغ التعبير المختلفة التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها.

وهذه الصيغ تتغير أشكالها وتتنوع تبعًا لاعتبارات مختلفة، فمنها ما يتوجه إلى مخاطبة العقل وإقامة الحجة، ومنها ما يتوجه إلى العاطفة وإثارة الشعور، ومنها ما يكون معتمدًا على البيان والطرق الفنية والبلاغية. إلى غير ذلك.

وقد تنوعت أساليب القرآن في عرض هداياته بين أساليب عقلية تقوم على إقامة الحجة والبرهان من خلال السبر والتقسيم، أو الأقيسة، أو المحاجات العقلية، أو غيرها. إلى أساليب عاطفية تلامس القلوب وتثير المشاعر في النفوس من خلال الموعظة بالترهيب والترغيب وما شابه ذلك. إلى أساليب فنية بلاغية تعتمد على الألفاظ وطريقة سبكها بصور فنية وتشبيهات معبرة وقصص وتكرار وقسم وما إلى ذلك.

وما تنوعت أساليب القرآن إلا مراعاة لأحوال المخاطبين؛ ليكون ذلك التنوع أدعى للتأثير فيهم تبعًا لخصائص كل منهم.

وكان النبي ﷺ يهتم بهذا الجانب اهتمامًا كبيرًا، فتنوعت أساليب عرضه لتوجيهاته الكريمة بين سؤال وجواب، وتقرير، وموعظة، وقصة، وتكرار، وقسم، ومثل، وإلى غير ذلك.

وهذا التنوع منه ﷺ لزيادة سبل التأثير في المدعوين اعتبارًا لاختلاف أحوالهم وظروفهم؛ ليكون ذلك أدعى إلى قبول الحق لديهم.

وحيث أن الأساليب الدعوية تتنوع تنوعاً كبيراً، وتختلف وجهات النظر في تقسيمها وتبويبها، فقد رأيت تقسيمها على أساس ما تركز عليه في التأثير إلى عقلية وعاطفية وفنية.

المطلب الأول

الأساليب العقلية

المقصود بالأساليب العقلية تلك الأساليب التي تخاطب العقل وتستثيره بإقامة الحجج والبراهين والدلائل الإقناعية المختلفة.

والعقل نعمة وهبها الله ﷻ للإنسان وميزه بها عن بقية المخلوقات ودعاه جل وعلا في كتابه العزيز إلى إعمال هذا العقل وتدبر الآيات والنذر؛ ليزداد المؤمن بهذا التدبر إيماناً ويهتدي به الجاحد إلى الحق أو تقوم عليه الحجة.

وقد كان من مظاهر عناية الإسلام بالعقل أن جعل الجاحد الذي لا يستخدم عقله للوصول إلى الحق كالأنعام بل هو أضل منها، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وجعل العقل مناط التكليف كما قال ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل»^(١). ومدح ﷻ الذين يستخدمون عقولهم للتفكير والتدبر في الآيات كما في قوله جل وعلا: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

ولما كان الإقناع العقلي يفحم المعاند والجاحد ويلزمهما بالحق من خلال انقطاع حجتهما وإبطال شبهتهما بالحجج والبراهين التي لا مجال لإنكارها فإن استعماله أجدى وأعمق أثراً مع الكفار الذين لا يؤمنون بالقرآن ولا ينفع معهم الأمر والنهي والترغيب والترهيب وما شابه ذلك.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب الحد عليه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٦٤).

وفيما يلي نماذج لأبرز الأساليب العقلية التي يمكن استخدامها.

أولاً: أسلوب السبر والتقسيم^(١).

وهو: دعوى حصر أوصاف الأصل في جملة معينة وإبطال كل ما عدا المستبقى^(٢).

ويمكن أن يستخدم مع الهندوس هذا الأسلوب بأن يناقش معهم قضية تجسد الرب ونزوله (أفتار) بأن يقال: بأن التجسد لا يخلو من أن الله تعالى لا يعلم حالات العبد إلا بالنزول مباشرة وهذا محال؛ لأنه قادر مطلق وعالمٌ عندهم جميعاً، وإما أنه لا يستطيع أن يرسل إليهم رسولاً، ولا يكتفي بإرسال رسوله من الناس إلى الناس، وهذا أيضاً محال؛ لأنه يلزم منه عجزه، فلم يبق إلا أنه لا ينزل وإنما يرسل رسله إلى الناس لهدايتهم.

ومن هذا القبيل أيضاً الرد عليهم في قضية الروح العليا، فإنهم لم يروها، ولم يروا شبيهاً بها، ولم يخبرهم بهذا مخبر صادق يعول على قوله، فلم يبق إلا أن هذه المسألة خرافة من أساسها.

ثانياً: أسلوب قياس الأولى

وهو «ما يكون معناه في الفرع زائداً على معنى الأصل»^(٣). أو هو ما قطع فيه بنفي الفارق ويسمى القياس الجلي^(٤).

وهذا الأسلوب العقلي المنطقي يؤدي بالضرورة إلى إظهار حجة المناقش بشكل أوضح من عرض حجة الخصم؛ فيؤدي ذلك بالخصم - إذا سلم من الهوى - إلى الاقتناع بوجهة نظر المناقش والتسليم لها؛ إذ العلة التي بنى عليها الخصم حكمه متحققة بشكل أوضح وأكبر لدى المناقش.

(١) انظر لمعرفة معنى السبر والتقسيم ما ذكره ابن منظور: لسان العرب، (٤/ ٣٤٠)، والفيروزآبادي: القاموس المحيط ص (١٤٨٣).

(٢) انظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (٩/ ١٩٨).

(٣) انظر ما ذكره الزركشي، محمد بن بهادر البحر المحيط، (٥/ ٣٦).

(٤) انظر ما ذكره الطوفي، سليمان بن عبد القوي: شرح مختصر الروضة، (٣/ ٢٢٣).

ويمكن استخدام هذا الأسلوب مع الهندوس في أماكن كثيرة، من أهمها:

(١) غفران الذنوب، وعدم التناسخ:

وذلك أنه لو كان العفو يعتبر في الإنسان من الصفات الحسنة فإنه لابد وأن يكون في الإله من الصفات الحسنة، وإذا ثبت العفو بطل التناسخ.

(٢) إثبات الصفات لله ﷻ:

فإن من له الصفات الحسنة وهو محمود لدى الناس، وهذه حقيقة يعترف بها الهندوس أيضاً؛ فإنهم يحبون أصحاب الصفات العليا، ويعتقدون فيهم الاعتقاد الكبير، فإثبات الصفات الحسنة لله يعتبر محموداً أيضاً بالأولى.

(٣) كون الله لم يخلق الخلق عبثاً:

فإن الهندوس يرون أنه ليس لله أي مقصد ولا هدف في خلقه، بل الخلق كاللعبة من الرب، نقول لهم: إذا كان الجد والقصد خير من اللعب واللهو في المخلوقات، فكون الله سبحانه لم يخلق هذا الخلق للهو ولا عبثٍ أولى أن يكون هو الصواب^(١).

ثالثاً: أسلوب القياس المساوي

وهو ما يكون معناه في الفرع مساوياً لمعنى الأصل، ويسمى القياس الخفي^(٢).

وهذا الأسلوب العقلي يوقع الخصم في الحيرة والشك فيما يعتقده ويناقش فيه، فبمثل الحجة التي يبني عليها حكمه يكون الاعتراض عليه. فيلزمه حيثئذ التسوية في الحكم بين قوله وقول مناقشه؛ إذ لا فرق بين الحجتين.

ويمكن أن يستخدم هذا الأسلوب مع الهندوس في قضايا كثيرة، منها:

(١) قضية دوام الجنة:

(١) قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ {المؤمنون: ١١٥}، وقال: ﴿وَمَا

خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعِبَةِ﴾ {الدخان: ٣٨}.

(٢) انظر ما ذكره الزركشي: البحر المحيط، (٣٦/٥).

كأن يقال: إذا كنتم تقولون: إن الذي حصل على موكشا يحصل على سرور دائم؛ فإن المسلمين يقولون إن الجنة يحصل الإنسان فيها على سرور دائم، فلماذا تنكرون على المسلمين دوام الجنة، وأنتم تثبتون دوامها في حالة موكشا ونرفانا؟

(٢) قضية الجهاد في سبيل الله:

وذلك أن الفيدات تذكر نصوصاً كثيرة في الحض على قتال أهل الهند القدماء، وذلك لعبادتهم «ذكر» أو عدم تقربهم بالقرايين؛ فإن القرآن الكريم أيضاً يأمر بالجهاد حتى لا تكون فتنة، فهما في الحكم سواسية، فما الذي يمنعكم من قبول القرآن؟

(٣) قضية المعجزات:

فإنه يوجد في الفيدات والپرانات نصوص كثيرة تدل على أن هناك أموراً من خوارق العادات، فما بالكم أيها الآريون تنكرون على القرآن ذكر خوارق العادات فيه؟ وهما في الحكم سواء.

رابعاً: قياس الخلف

وهو «إثبات نقيض الحكم في غيره لافتراقهما في علة الحكم»^(١).

وقيل: «هو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه»^(٢).

ويمكن أن يستخدم هذا الأسلوب مع الهندوس في قضية الهدى والضلال، فإنهم ينكرون أن يكون الهدى والضلال بيد الله، فيقال لهم: وإذا أنكر نسبتهما إلى الله تعين وجود خالق لهما مما يعني وجود خالقين، وهذا محال، فلم يبق إلا أن يكون الفاعل هو الله إذ لا خالق إلا هو ولا مبدع سواه.

خامساً: أسلوب المحاكمات العقلية

إن المحاكمات كأسلوب من أساليب الدعوة هي طلب تحكيم العقل المجرد من

(١) الزركشي: البحر المحيط، (٥/٤٦).

(٢) د. زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص (٧٧).

الهوى في قضايا مسلم بها إظهارًا للحق وتقريرًا له.

ومن خلال هذا الأسلوب العقلي يعرض المناقش القضية مجردة أمام خصمه؛ ليرجع الخصم إلى عقله في الحكم فيظهر له ضعف موقفه وبطلان حجته. ويمكن أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوة الهندوس في بعض القضايا، منها:

(١) نفي الألوهية والعبادة للأصنام والأوثان، حيث إنها مصنوعة من الخشب والحجر والطين وما إلى ذلك، يجب على ذوي العقول أن يزجرهم عقلهم عن عبادة إله يصنعونه بأيديهم.

(٢) إثبات حدوث صفات آلهتهم، وأنها لا تستحق العبادة؛ فإن آلهتهم من الإنسان مثلاً - حسب اعترافهم - مرّت عليهم الآفات والبلبات وطرأت عليهم الموت والخوف وما إلى ذلك كما هو حال كريشنا ورام من كبار آلهتهم، فأى عقل يحكمهم بعبادة من حاله هكذا من الوهن والذل؟

سادسًا: أسلوب القلب

«وهو أن يبين القالب أن ما ذكره المستدل يدل عليه لا له، أو يدل عليه وله»^(١).

ويمكن أن يستخدم هذا الأسلوب مع الهندوس في مواضع، منها:

(١) عدم صحة كتبهم المقدسة، حيث إنهم يرون فيها قداستها، وفيها من الفواحش والمنكرات ما ينبئ الأسماع من سماعها.

(٢) عدم كون كريشنا إلهاً؛ إذ ثبت في كتبهم المقدسة من قصصه أنه أصابه دعوة بعض الصالحين، فلو كان إلهاً لما حصل ما حصل.

سابعًا: أسلوب إظهار تناقض الخصم

وهذا الأسلوب من أبرز الأساليب العقلية التي تهدم ما لدى الخصم من قناعات،

(١) الزركشي: البحر المحيط (٢٨٩/٥).

وتزعزع ثقته في اعتقاداته وما يؤمن به ويناقش فيه، إذ يؤدي به إلى أن ينقض بعض كلامه البعض الآخر فيقع في الاضطراب والحيرة. وهو أسلوب يستلزم من المناقش الإحاطة بموضوع خصمه الذي يجادل فيه لكي يبرز وجوه التناقض لدى خصمه. ويمكن أن يستخدم هذا الأسلوب مع الهندوس في قضايا كثيرة من أهمها:

(١) كون برهمن لا يتدخل في كارما:

وذلك أن الهندوس يعتقدون أن برهمن (پرمتما) ليس له أن يغير من مجرى «كارما» فإنهم بذلك يتناقضون؛ إذ يثبتون له القدرة الكاملة، ثم يقولون أنه ليس له أن يغير من مجرى كارما، ففيه تناقض واضح.

(٢) تناقض كتبهم في صفات الآلهة، وصفات برهمن، وكيفية الحصول على موکشا:

وذلك؛ أن كتبهم في المسائل المذكورة تناقضوا أيما تناقض، ومحاولة التنسيق بينها محاولة بائسة من بعض الهندوس، ولا يمكن الجمع بين النقيضين ولا بين المستحيلات.

ثامناً: أسلوب المقارنة

المقصود بالمقارنة هو: قرن النظر إلى قضيتين لإبراز وجوه التفاضل بينهما.

وهذا الأسلوب في الوقت الذي يظهر جوانب الخلل والنقص لدى الخصم فإنه في الوقت نفسه يبرز الجوانب الإيجابية لدى المناقش في القضية المطروحة بين الطرفين. فتزعزع ثقة الخصم بما لديه من قناعات ربما يؤدي به ذلك إلى الاقتناع أو على الأقل الاعتراف والتسليم بالحق.

ويمكن أن نستخدم هذا الأسلوب مع الهندوس، حيث إنهم يقولون إن پرمتما هو الذي خلق، ثم يقولون إن براهما هو الذي خلق، فما هو الصحيح؟ وهم في قضية الخلق لو قارنوا ما جاء به الله سبحانه في القرآن بأن الله هو الخالق، وكل ما سواه مخلوق، وأنه

ليس هناك خالقين متوسطين بين الله وبين عباده، لعرفوا أن الحق ما جاء به القرآن، وما سواه لا بد وأن يكون باطلاً؛ لأن الخالق لا يحتاج إلى خالقين متوسطين؛ لأن ذلك ينافي كمال قدرته على خلقه، ومن هنا يظهر بطلان عقيدتهم في الخلق بالمقارنة.

تاسعاً: أسلوب الاستدلال بمسلمات الخصم

وهذا الأسلوب يعتمد على استعمال المناقش ما يسلم به خصمه ويأخذ به؛ ليكون حجة له على ما يريد الحصول إليه. فهو يعتمد على ناحية منطقية عقلية تتمثل في عدم استطاعة الخصم إنكار ما يؤمن به ويسلم إليه.

ومن خلال هذا الأسلوب لا يستطيع الخصم إنكار أدلة المناقش ولا الطعن فيها، فليس له إلا التسليم والافتناع ما لم يمنعه الهوى فيدفعه إلى المكابرة والتهرب من حجة المناقش بالتأويل أو السكوت والانقطاع عن الجواب.

وهذا الأسلوب يمكن استخدامه مع الهندوس في أمور عديدة، منها: قضية الجنة، حيث إنهم يتفقون على أن القيادات فيها ذكر الجنة والدعاء لدخولها، والخلود فيها، فإذا كان هذا هو الثابت في القيادات ومن القواعد المقررة لديهم أن أي شيء خالف القيادات يُرد؛ فإن عليهم أن يقولوا بالجنة وخلودها، وخلود من بها، ولا يقولوا بالتناسخ تأثراً بما جاء في كتبهم المتأخرة؛ إذ أنها تخالف عقيدة القيادات صراحة.

المطلب الثاني

الأساليب العاطفية

المقصود بالأساليب العاطفية تلك الأساليب التي تعتمد في تأثيرها على مخاطبة العاطفة وإثارة المشاعر للحث على أمر ما أو المنع منه.

وتتميز هذه الأساليب في كونها تعتمد على النواحي الفطرية بالنفس البشرية والتي خلقها الله في الإنسان وجبله عليها، فتستثير هذه المشاعر والدوافع لدى الإنسان للحث على أمر ما أو المنع منه.

ومشاعر النفس الإنسانية ودوافعها وغرائزها يستوي فيها كل الناس على اختلاف أجناسهم ودياناتهم، فكل لديه الرغبة، والرغبة، والخوف، والرجاء، وحب الخير، وبغض الشر، وما إلى ذلك.

لذا تتسع دائرة استعمال الأساليب العاطفية لاتساع الأسس التي تعتمد عليها والتي يشترك بها الناس جميعاً؛ وقد تنوعت هذه الأساليب تنوعاً كبيراً، فمنها على سبيل المثال: الترغيب بأشكاله المختلفة، والترهيب بصوره المتعددة، والموعظة، والقسم، والثناء، والتلطف، والتهكم، والتوبيخ، وما إلى ذلك، وبقدر حسن استخدام هذه الأساليب تتحقق النتائج.

ولقد كانت الأساليب العاطفية من أبرز أساليب القرآن، كما كان الرسول ﷺ يسلك كثيراً من الأساليب العاطفية، سواء في دعوة المشركين إلى الإيمان، أو حث المؤمنين على الزيادة من الخير.

وكان ﷺ يتخوّل أصحابه رضوان الله عليهم بالموعظة فيذكرهم بما يهيج

عواطفهم ويؤثر في نفوسهم من خلال ذكر الجنة وما أعدّه الله فيها من النعيم للمتقين، والحديث عن النار وما فيها من العذاب المقيم للمجرمين، إلى غير ذلك؛ فيظهر أثر ذلك مباشرة على الصحابة متمثلاً في حب الخير وبغض الشر والابتعاد عنه وزيادة الإيمان. ومن الأمثلة على ظهور أثر هذا النوع من الأساليب على المؤمنين وتأثرهم بها حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب...»^(١).

وفيما يلي بعض الأساليب العاطفية التي يمكن استخدامها تجاه الهندوس:

أولاً: أسلوب الترغيب:

وقد كان أسلوب الترغيب من أبرز أساليب الرسل عليهم الصلاة والسلام في دعوة أقوامهم، فمن ذلك مثلاً ترغيب الرسل لأقوامهم بالمغفرة حال الإيمان كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠].

ودعوة نوح عليه السلام لقومه من خلال ترغيبهم بالخير حال الاستجابة، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبَغِ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقد كان أسلوب الترغيب من أبرز الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم للمشركين، حيث رغب المؤمنين بالجنة حال الاستمرار على التقوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٦٦﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٦٧﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْرَاجًا ﴿٦٨﴾ وَكَأْسَادَ هَاقًا ﴿٦٩﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٧٥﴾ جَزَاءً مِّنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٧٦﴾﴾ [النبا: ٣١-٣٦].

وينفع مع الهندوس أساليب الترغيب في الخير، وأن ما يقومون به في هذه الحياة الدنيا من أعمال البر لا تذهب سُدى، وأن الجنة دار الخلد، لا يخرج منها أحدٌ، ولا

(١) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧)، (٤/ ٢٠١)، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٧١).

يرجعون إلى الحياة الدنيا، فما عليهم إلا العمل للآخرة، وللجنة، فليس هناك تناسخ، ولا تكرار الميلاد، بل هذا ليس إلا وهمٌ وخرافةٌ منسوجة من قبل علمائهم المتأخرين.

ثانياً: أسلوب التهيب

التهيب يعني التخويف. وهو بصفته أسلوباً من أساليب الدعوة يعني «كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه»^(١).

وليس القصد من هذا التخويف إثبات ضعف المدعو وتهوين شأنه، بل إن ذلك في مصلحته ونجاته.

والتهيب قد يكون بما يحدث من العقاب الدنيوي، أو بما أعده الله في الآخرة من العذاب، أو يكون بهما معاً.

وقد استخدم الله ﷻ هذا الأسلوب في القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإيمان بالله من خلال ترهيبهم بما يحصل لهم من العذاب في الآخرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْهِمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ نُوحٍ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ قَوْمُهُ الْرُّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَنفِقُونَ إِن كُفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [الزمل: ١٥-١٧].

وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلطَّغْيَيْنِ مَتَابًا ﴿١٢﴾ لَّيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿١٣﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بِرَدًّا وَلَا شَرْبًا ﴿١٤﴾ إِلَّا حَيْمًا وَعَسَاقًا ﴿١٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿١٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿١٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿١٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿١٩﴾ فَذُقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبا: ٢١-٣٠].

وينفع أسلوب التهيب مع الهندوس الذين بقي لديهم لله وقارٌ، بأن الله لا يتركهم هملاً وسوف يؤاخذهم على أعمالهم، وأن الله أرسل رسله وأنزل كتبه، وأن السعيد من يؤمن بالله ولقائه، وأن الشقي من لم يؤمن بلقائه.

ثالثاً: أسلوب الاستهزاء والتهمك

قد يجدي هذا الأسلوب في تنبيه الغافل حين لا يستفيد من المواعظ ولا تفيد فيه

(١) د/ عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، ص (٤٣٦).

الحجج والبراهين فيحتاج لذلك إلى نوع من التقرير والتوبيخ وشيء من القسوة في الخطاب، لعل ذلك يحرك فيه بعض المشاعر الكامنة التي تدفعه إلى سماع الحق وربما قبوله.

وقد جاء استعمال هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم. ومن ذلك مثلاً قوله تعالى تهكمًا بالمعرض عن آيات الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]. وقوله تعالى سخرية بالذين لا يسمعون الحق: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

وهذا الأسلوب كان يستخدمها الشيخ عبيد الله البائلي الهندي في كتاباته عندما يتهم على الهندوس بذكر الأعمال الشنيعة لألهتهم، كما كان يفعل ذلك الشيخ مهر الله في كتاباته، عندما يذكر الأفعال القبيحة لألهتهم، وعندما يذكر حال الأرامل في المجتمع الهندوسي، وكان لهذا أثر كبير في إسلام كثير من الهندوس، حيث لفت أنظار بعضهم إلى ضلال ما هم عليه، وأن ما يقوم عليه اعتقادهم وأساس دينهم حقاً محل السخرية والتهمك، فربما كان ذلك دافعاً لتغييرهم منه وبحثهم عن الحق ومن ثم قبوله.

ومن أدل الدليل على أن بعض أنواع التهمك والسخرية نافعة تهكم بعض النصاري بالهندوس عندما رأى عبادتهم لا «ذكر» مهاديو، حتى قال غاندي: جاءنا الأوروبيون وعلمنا بفحشه.

رابعاً: أسلوب اللين والتلطف بالخطاب

وهذا الأسلوب في غالب الأحيان من أقصر الطرق للوصول إلى قلب المدعو أو على الأقل تهيئته لسماع الحق. فهو يشعره بحرص الداعي على منفعته ونصحه له فيما يدعوه إليه، مع ما يتميز به من ضمان عدم استثارة المدعو وقيامه برد فعل عكسي قد يترتب الكثير من المفاسد. لذلك تتسع دائرة استخدام هذا الأسلوب أكثر من غيره مع جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ومذاهبهم ودياناتهم.

وكان من أبرز أساليب النبي ﷺ في دعوته بشكل عام اللين والرفق والتلطف

بالخطاب؛ لذلك فتح الله ﷻ به قلوبًا غلفًا وآذانًا صمًا، قال تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»^(١)، وقال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٢).

وعندما أرسل الله ﷻ موسى وأخاه هارون إلى فرعون قال لهما جل وعلا: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

وهذا الأسلوب يتبعه الشيخ رياض موسى حفظه الله مع الهندوس المضطهدين من قبل المتعصبين أصحاب الطبقة العليا، حيث يذهب إلى بيوتهم ويتكلم معهم، ويجالسهم، وبهذا يكسب فيهم الثقة، بأنه يحبهم، ولا يريد منهم إلا الخير، ومن هنا يدعوهم الشيخ إلى الإسلام، ويقول: إنك إن أسلمت يغير الله حالتك التي عليها، فكثيرًا ما يسلم هؤلاء الهندوس الذين يحبون هذه الأخلاق الكريمة.

ومن هذا القبيل ما يقوم به كثير من الأعضاء النشطين من بعثة المسلمين الجدد، حيث يساعدون الهندوس الذين يعانون من بعض الأمراض فيعطيهم الأدوية وبعض الأموال، وهم يقدرّون هذا الشيء، ويسلمون في كثير من الأحيان.

(١) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم ٢٥٩٣، ص (١٠٤٣).

(٢) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم (٢٥٩٤)، ص (١٠٤٣).

المطلب الثالث

الأساليب الفنية

المقصود بالأساليب الفنية تلك الأساليب المتعلقة بجمال التعبير وتحسينه من الناحية اللفظية ليكون أكثر تأثيراً في السامع.

ويمكن استخدام الأساليب الفنية الآتية مع الهندوس في دعوتهم إلى الإسلام:

١ - أسلوب ضرب الأمثال:

والمثل هو «تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر»^(١).

والمثل فن بدیع من القول وضرب من ضروب الفصاحة يقرب المعنى ويبرزه بصورة محسوسة أدعى إلى الاستقرار في الذهن.

وقد فشا استعمال الأمثال في الكتاب والسنة بوصفها من أساليب الإقناع المؤثرة، وينفع مع الهندوس ضرب الأمثال، في مواضع كثيرة، منها:

في الرد على عبادتهم للأصنام، حيث يضرب لهم الأمثال بأن هذه الأصنام لم تخلقهم، وهم الذين خلقوها، وهل الذي يخلق مثل الذي يخلق؟ فمن الذي أحق أن يُعبد؟

إن أصنامهم الثلاثة الشهيرة من قِشْنُو وشِيفَا وبراهما إذا كانت خاضعة للموت، هل هم مثل الذي لا يخضع للموت؟ كلا، وهذا يدل على أن هذه الآلهة الثلاثة المشهورة ليسوا بآلهة، ولا تصلح للعبادة.

(١) ابن القيم: الأمثال في القرآن، ص (١٧٣).

٢- أسلوب القصة:

والمقصود بالقصة هنا: الإخبار عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، فهي من الكتاب والسنة واقعية حقيقية ليست من الخيال^(١).

وتمتاز القصة بقوة عنصر التشويق فيها يميل النفس إلى حب الاستطلاع واستشفاف ما خفي عليها، فبذلك تصل الفكرة إلى السامع وهو على قدر من التركيز والإصغاء فتحصل بذلك فرصة كبيرة لإقناعه بالفكرة.

وقد استخدم القرآن أسلوب القصة في مواضع شتى لأخذ العبرة منها والنظر والتدبر بأحداثها، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف:٣]. وقال: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف:١٧٦]. ولهذا الغرض أيضاً ورد استعمال أسلوب القصة كثيراً في حديث النبي ﷺ.

واستخدام القصص من أنجح الوسائل لدعوة الهندوس، حيث إن الهندوس أنفسهم كانوا يستخدمون هذا الأسلوب لجلب عامة الناس إلى ديانتهم، ومن هنا نشأت كتب البرانات القصصية التي بلغت أعدادها أكثر أربع وخمسين كتاباً، مع أن هذه القصص كلها خرافية وهي أساطير وسمر، فما بالك لو استخدم معهم قصص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولو استخدم معه قصص الحديث النبوي الذي هو من أرقى القصص في العالم لما يكون شكاً في ميل الهندوس إلى الاهتداء بهديها، والاستضاءة بنورها، والدخول في الإسلام.

ثم لو ذكر مع هذا ما جاء عن سلفنا الصالح من القصص المفيدة، من حياتهم وأعمالهم العظيمة فإنه سيكون موضع قبول بمشيئة الله.

وإن للشيخ محمد ضياء الرحمن الأعظمي حفظه الله كتاباً قيماً في هذا المجال هدى الله به مئات الهندوس، استخدم فيه هذا الأسلوب، فقد كتبه الشيخ قبل سنوات

(١) انظر ما ذكره مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ص (٣٠٦).

باللغة الهندية، لغة غالبية الهندوس الآن، سمّاه الشيخ «قرآن كي شيتل چهايا» (الحياة في ظل القرآن الكريم)، وقد طبعت ست طبعات، ولا شك أن هذا الأسلوب من الأساليب الناجحة بالنسبة لأهل الهند عمومًا الذين يحبون القصص، فما بالك إذا كان القصص حقًا.

٣- أسلوب التكرار

من الأساليب الفنية كثيرة الاستعمال أسلوب التكرار، والذي قد يكون تكرارًا لكلمة بعينها، أو لمعنى، أو لعبارة، أو لفكرة، أو لموضوع، ويكون التكرار عيبًا في الكلام إذا كان عاريًا عن الفائدة. ولا يكون له معنى بلاغيًا إلا إذا كان لهدف معين كأن يكون القصد منه التأكيد، أو المبالغة، أو الإيضاح، أو بيان الأهمية، أو إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة إلى غير ذلك. وعلى مثل هذه الوجوه ورد التكرار في القرآن الكريم وفي حديث النبي ﷺ.

إن أسلوب التكرار ينفع مع الهندوس في أمور عديدة، من أهمها: بيان تفاهة كتبهم التي يعتبرونها مقدسة، وأنها من وضع البشر، وأنها دائم التغير، وأنه لا مقارنة بينها وبين القرآن الذي لا يمكن أن يأتي أحدٌ بمثله، وهذا التكرار يؤثر في نفوسهم، فيتروكون تقديسها من تلقاء أنفسهم.

كما ينفع التكرار في بيان الأعمال القبيحة التي مارسها آلهتهم؛ فإن هذا يذهب الثقة بآلهتهم، ويسهل عليهم ترك دينهم بسهولة.

٤- أسلوب الاستفهام

والاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، بأدوات خاصة، وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي إلى معانٍ تفهم من السياق كالنفي، والنهي، والتقريب، والأمر، والإنكار، والتشويق، والتعجب، والوعيد إلى غير ذلك. وهذه المعاني تضيف على التعبير جمالًا وتزيد من تأثيره في السامع.

وكان الشيخ أبو الحسين باتراسارزا رحمه الله يستخدم هذا الأسلوب في كتاباته، حيث

يذكرهم عن أمور دينهم من أين أخذوها، وأين دليلها، ويأتي من كتبهم ما يناقضها، ثم يستفهم منهم ما الذي يهتدي إليه عقله؟ قبول هذه المتناقضات، أم حكم الإسلام الذي لا يحكم فيه إلا بنص من الكتاب أو السنة، ولا يوجد فيه المتناقضات؟

٥ - أسلوب التعجب

والتعجب يعني دهشة المتحدث واستغرابه من أمر ليس له تفسير في نفسه أو أن تفسيره غير متوقع لديه.

وبإدعاء هذا التعجب بالإضافة إلى كونه من الأساليب الفنية التي تزيد من جمال التعبير وحسنه فإن له معنى آخر في مجال إقناع السامع وذلك لأن هذا الاستغراب والدهشة من المتحدث قد تثير شيئاً لدى المخاطب تجاه قضية النقاش فتدفعه إلى مراجعة قناعاته فيها؛ تلك القناعات التي دعت خصمه إلى العجب منها والذي ربما يكون راجع إلى ضعفها بل وبطلانها.

وهذا الأسلوب ينفع مع الهندوس في بيان تناقض كتبهم في الأمور المتعلقة بالاعتقاد والعبادة، وتعددتها وتشعبها، ويمكن أن يتعجب من شأنهم كيف يقبلون هذه الخرافات التي ليس وراءها إلا روايات ملفقة من قبل أشخاص مجهولين.

٦ - أسلوب المطالبة بالدليل:

إن المطالبة بالدليل من أهم الأساليب التي يمكن استخدامها في دعوة الهندوس، حيث إن الهندوس لا يملكون تجاه عقائدهم أي دليل، مع أنهم يدعون كونها في القيدات، فالتناسخ مثلاً من شعار الهندوسية، مع أن هذه العقيدة غير موجودة في كتابهم الأصلي، القيدات، فلو طُلب بالدليل لم يهتدوا إليها مطلقاً.

كما أن اعتقادهم في القدماء الثلاثة - الرب والروح والمادة - ليس عليها أي دليل في القيدات، وكان بعض الهندوس الكبار في زمان شيخ الإسلام ثناء الله الأمر تسري رَحِمَهُ اللهُ تحدى الهندوس عن أن يأتوا بدليل على هذه العقيدة، ولكنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بشيء، فهذا الأسلوب من الأساليب الناجحة في دعوة الهندوس إلى الإسلام.

إن مطالبة الدليل مهم جداً بالنسبة للهندوس أكثر من الآخرين؛ لأنهم لا يجدون دليلاً كافياً لكثير من قضايا العقيدة التي يعتقدونها في كتبهم المقدسة.

الباب الثالث

تأثر بعض الفرق الإسلامية بالهندوسية

وفيه تمهيد وثلاثة فصول

تمهيد

فيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

الصلة بين العرب والهند قبل الإسلام وبعده

الصلة بين العرب والهند قبل الإسلام

إن الصلة بين العرب والهند وثيقة جداً من قديم الزمان؛ فقد ذكر المؤرخون أن هناك تشابهاً بين العرب والهند من الناحية الطبيعية والجغرافيا كما كان هناك علاقات تجارية وتاريخية بينهما، وفيما يلي بيان مقتضب للعلاقات الهندية العربية قبل الإسلام:

من الناحية الطبيعية والجغرافيا:

هناك صلات بين الناحية الطبيعية والجغرافيا، ويظهر ذلك بما يلي:

١ - التشابه من الناحية الطبيعية حتى قيل: إن تاريخ التطور الجيولوجي لبلاد العرب يشبه تماماً بالتطورات الجيولوجية التي مرّت على الأراضي الهندية، حيث يذكر علماء الجيولوجيا في شأن شبه الجزيرة العربية ما ذكروه في

شبه القارة الهندية؛ بأنهما كانتا تمثل في الماضي السحيق جزءاً من القارة الكبرى جوندوانا Gondwana، وأن شبه الجزيرة العربية تكونت بحركات تكوينية كالهزات الأرضية وغيرها، أدت إلى تكوين جبال عمان والبحر الأحمر والحجاز، وتكوين منخفض كالبحر الأحمر وما إلى ذلك من الطبيعة الجغرافية الحالية^(١).

٢- ليس في العالم الشرقي تقارب بين الإقليمين مثل التقارب الجغرافي الذي يربط بين شبه الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية؛ لأن شاطئ كل منهما ما هو إلا امتداد لشاطئ الآخر، وقد أحدث هذا التقارب في التكوين الطبيعي والموقع الجغرافي تقارباً في التاريخ البشري والحضاري بين شعوبها.

٣- كما يرجح هذا القول ما جاء في بعض الروايات أن أول إنسان في هذا الكون آدم عليه السلام كان في الهند^(٢)، ومن ثم جاء إلى مكة على رجليه^(٣)، وعلى هذا

(١) من الخطبة التي ألقاها المؤرخ الهندي الدكتور بي - إس - جوها - في قسم التاريخ الطبيعي للأجناس البشرية في مؤتمر العلوم الهندية Indian Science Congress، سنة ١٩٢٨ م، (ثقافة الهند عدد مارس سنة ١٩٥٦، وانظر ما ذكره الدكتور محيي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص (٢٥-٢٧)، وأشار إلى كتاب الجغرافية والجيولوجيا - وزارة التربية والتعليم - الجمهورية العربية المصرية سنة ١٩٦٥ م.

(٢) جاء في المستدرك للحاكم (٢/ ٥٩١)، برقم (٣٩٩٤): إن أول ما أهبط الله آدم إلى الأرض الهند، صححه الحاكم ووافقه الذهبي. وانظر أيضاً ما ذكره الطبري في تاريخه (١/ ١١٩)، وفي تفسيره (١/ ٢٨)، وابن قتيبة في المعارف ص (٩)، وقد حقق أخونا الفاضل أطفاف الرحمن قضية نزول آدم في الهند ودرس هذه الروايات كلها، ورجح ثبوت بعض هذه الروايات عن الصحابة منهم علي وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين وهو قول أغلب سلف هذه الأمة. انظر المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام ص (٥٥٢-٥٥٦).

(٣) جاء في صحيح ابن خزيمة (٤/ ٢٤٥)، برقم (٢٧٩٢): إن آدم أتى البيت ألف أنية، لم يركب قط فيهن من الهند على رجليه، إلا أن الشيخ الألباني ضعفه جداً، وقد ذكر الإمام ابن جرير الطبري في التاريخ (١/ ١٢٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٢١٥)، عن ابن عباس ما يدل على ذلك.

تكون هذه العلاقات أكثر متانة من أقدم العصور، فإنه يشير على أن الأراضي الجزيرة العربية والأراضي الهندية لم تكن متباعدة، بل كانت كتلة واحدة، ويدل بعض النصوص من الكتاب المقدس لدى أهل الكتاب أن التباعد بين الدور لم يحصل إلا بعد الطوفان^(١).

ومن هذا العرض الموجز للتكوين الطبيعي والجغرافي لكل من شبه القارة الهندية والبلاد العربية يتبين لنا كيف كانت العوامل والظروف مهيأة لتسهيل الاتصال بين هاتين البقعتين، وارتباط الأمتين الهندية والعربية منذ أقدم العصور.

من الناحية التجارية والتاريخية:

فضلاً عن هذا الموقع الجغرافي الفريد فإن الله ﷻ قد وهب لكل من العرب والهند المنطقتين الساحلتين حظاً وافراً من المناظر والثروات الطبيعية، فبينما نرى السواحل الهندية غنية ببساتين أشجار النارجيل (جوز الهند) نرى السواحل العربية مكسوة بواحات أشجار النخيل، ويفصل بينهما بحر العرب، وقد ساعد هذا التقارب الطبيعي على كثرة الرحلات بين القطرين بطرق برية وبحرية وازدياد معدل المصالح المشتركة التجارية والاقتصادية بينهما، وعلى هذه المناطق الساحلية كانت تقوم الروابط الاجتماعية والثقافية والحضارية بين الأمتين الهندية والعربية منذ القدم.

وقد كان اليمن سوقاً كبيراً للبضائع الهندية منذ عصور بالغة القدم، وكثيراً ما يتردد إليها التجار الهنود^(٢)، وكان لسكان اليمن قديماً علاقات بالهند والشرق الأدنى، وكانت

(١) ومن الكتاب من يذهب أكثر من ذلك، فيرى أن نوحاً عليه السلام كان رسولاً إلى الهند أيضاً، واستدل على ذلك بما جاء في القرآن من كلمة «تنور» في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَهْرَآ وَفَارَ التَّنُورُ﴾ [هود: ٤٠]، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَهْرَآ وَفَارَ التَّنُورُ﴾ [المؤمنون: ٢٧]؛ إذ التنور منطقة في كيرالا بالهند، قريب من الجهة المقابلة من الجزيرة العربية من جهة الهند، ويعتقد أنه لم يفرق بين هذه المنطقة والمنطقة المقابلة من الجزيرة العربية إلا الطوفان الذي عم العباد والبلاد في زمن نوح، فيكون هو مبعوثاً إلى أهل الهند وأهل العراق جميعاً.

انظر ما ذكره السيد عبد الله طارق: «أگر آب بهی نه جاکى تو ... ص (٥٢-٥٦).

(٢) انظر ما ذكره أحمد أمين: فجر الإسلام (١/٣).

التجارة قديماً في يد اليمينين وكانوا هم العنصر الظاهر فيها، فعلى أيديهم، كانت تنقل غلات حضرموت وواردات الهند إلى الشام ومصر.

وكانت البصرة في العراق ميناء كبيراً تصل إليه السفن التجارية الهندية، ولذا كان العرب يطلقون على هذا الميناء أحياناً (أرض الهند)، وأخرى (فرج الهند)^(١).

هذا هو الوصف الجغرافي الموجز للحدود الساحلية لكل من شبه القارة الهندية وبلاد العرب، وهي التي كان يسلكها الهنود في رحلتهم إلى بلاد العرب والتي كان يسلكها العرب في رحلتهم إلى السند والهند، وكانت المنطقة الساحلية الممتدة من عمان إلى البصرة الواقعة على الخليج العربي الطريق القديم الذي كان يسلكه الهنود في رحلتهم إلى بلاد العرب، كما كان التجار العرب يسلكونه في رحلتهم التجارية إلى السواحل الهندية^(٢).

ثم إن هناك ثلاث حضارات إنسانية كبرى قامت على وجه الأرض وهي:

- ١ - حضارة الهند في وادي إندس، ويرجع تاريخها إلى عام ٣٧٥٠ قبل الميلاد.
- ٢ - حضارة مصر القديمة في وادي النيل، ويعود تاريخها المدون إلى عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد في عهد الأسرة الأولى من الملوك الفرعنة.
- ٣ - حضارة السومريين على شواطئ الرافدين أي: دجلة والفرات في بلاد العرب، ويبدأ تاريخها المدون من عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد تقريباً.
- ٤ - والتكوين الطبيعي والمواقع الجغرافية والمعاصرة الزمنية لهذه الحضارات الثلاث تفرض أن تكون بينها اتصال مادي وفكري وتشابه في الآراء والمظاهر^{(٣)(٤)}.

(١) انظر ما ذكره الطبري في تاريخه، (٥/٤)، في حوادث سنة ١٢هـ.

(٢) انظر ما ذكره الدكتور محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص (٣٨-٤٣).

(٣) انظر ما ذكره الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل ص (٤).

(٤) انظر مقالة الدكتور تارا شاند «ثقافة الهند، عدد يناير ١٩٦٥م.

وكانت القرون العشرة السابقة للبعثة المحمدية فترة مهمة في تاريخ الأديان العالمية الشهيرة في كل من بلاد العرب والهند وإيران، فقد كان للزرادشتية رواجٌ فيما بين القرن السابع والرابع قبل الميلاد من مصر إلى الهند، وقد عاش بوذا مؤسس ديانة البوذية في شمال الهند بين عامي ٥٦٠، ٤٨٩ قبل الميلاد، وأصبحت ديانة رسمية لدى إمبراطور «أشوك» (٢٧٤-٢٣٦ ق.م) كما بذل جهودًا كبيرةً في نشرها في أنحاء العالم، حتى انتشرت في الهند وسيلان وبورما والصين واليابان، وكان له دور كبير في إيجاد الاتصال الفكري والعقدي بين الهند وبلاد العرب، حيث بدأ «أشوك» يرسل المبشرين بديانة البوذية إلى البلاد العربية والفارسية وخاصةً إلى مصر وسوريا، وازداد بعد استيلاء إسكندر المقدوني على العلاقات التجارية بين مصر والهند بطريق البحر، ولهذا نجد أثرًا كبيرًا للبوذية في مدينة الإسكندرية فيما بين القرن الثاني قبل المسيح والقرن الثاني بعده.

وأشار بعض المؤرخين الغربيين^(١) إلى: أن الفلسفة الهندية تأسست بصورة واضحة ودائمة في مصر، ويقال: إن أفلاطون نفسه، منشئ الفلسفة الأفلاطونية متأثر بالفلسفة الهندية القديمة. وكان بلاد آسيا الوسطى ومنها تركستان وخراسان مدينة بوذية قبل ظهور الإسلام، وذكر هذه الحقائق الرحال الصيني «هيو إن تشانج»^(٢)، وكانت البوذية تعرف في العراق والشام وما تجاورها من البلدان بـ«السمنية»^(٣)...

وأما العلاقات التجارية بين الهند وبلاد العرب في القديم، فكان لزامًا على جزيرة العرب أن تصبح بلادًا تجاريًا بطبيعتها المناخية وموقعها الجغرافي؛ لأن البحار تحيطها من ثلاث جهات، مع أن معظم أرضها كانت قاحلة وقليلة الإنتاج. ومن حسن حظها أنها تجاورها من الجهات الأربع بلاد عامرة وخصبة ومزدهرة بالتجارة، ومنها العراق

(١) هو دين ميلبرن.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر ما ذكره محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص (٤٧) -

والشام ومصر والهند، وكانت الهند أكثر البلاد ملائمة للتجارة البحرية مع البلاد العربية الواقعة على الشاطئ الغربي لبحر العرب المواجه لشبه القارة الهندية، وكانت السفن العربية التجارية منذ فجر التاريخ تتجه إلى موانئ الهند الغربية لتنقل بضائعها المختلفة إلى الموانئ التجارية العربية وبالأخص في البحرين وحضرموت وعمان واليمن ومسقط وغيرها، ثم تنقل تلك البضائع على ظهور الجمال براً إلى الأسواق التجارية في الحجاز، وإلى الشام ومصر عن طريق ساحل البحر الأحمر، ومن هناك تصل تلك البضائع الهندية عن طريق البحر المتوسط إلى أوروبا.

جاء في كتاب تاريخ الهند لبعض المستشرقين: إن تجارة الهند البحرية ظلت في أيدي العرب من عهد يوسف عليه السلام إلى أيام فاسكودي غاما ^(١) ^(٢).

إلا أنه حدث انخفاض في نطاق العلاقات التجارية بين الهند والعرب فيما بين القرن الثالث والقرن السابع للميلاد؛ إذ نشأت الإمبراطورية الساسانية في إيران، وجعلت عاصمتها «مدائن»، التي كانت تتولى زمام التجارة في الشرق إلى عهد ظهور الإسلام في جزيرة العرب. فانتقلت كفة الرحلات التجارية التي كانت تجري بين مصر والهند منذ عصور بالغة في القدم من أيدي العرب إلى أيدي الفرس، واستمرت هذه الحالة إلى أن فتحت اليمن بلاد الفرس، وقد تم هذا الفتح فيما بين عامي ٥٧٠م و٥٧٩م، أي بعد ولادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

(١) هو الرحالة البرتغالي الذي اكتشف طريق الهند بحرًا، عند رأس الرجاء الصالح، ولد سنة ١٤٦٠م، في البرتغال، أرسله ملك البرتغال إلى الهند بحرًا فوصل إلى كاليكوت، في سواحل مليبار الهندية سنة ١٤٩٨م، ومكث فيها مدة كتاجر اطلع خلالها على أحوال الهند وثروتها العظيمة ثم عاد إلى بلاده، ومهدت رحلاته البحرية السبيل للاستعمار الأوروبي في الشرق، وعين نائبًا للملك البرتغالي في «غوا» المستعمرة البرتغالية في الهند سنة ١٥٢٤م، وتوفي في كيرالا في ديسمبر سنة ١٥٢٤م، ثم نقلت رفاته إلى البرتغال سنة ١٥٣٨م. نقلًا عما ذكره الدكتور محي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها ... ص (٥٤)، هامش.

(٢) ألفستون: تاريخ الهند (١/ ١٨٢)، ترجمة عربية للأستاذ عادل زعيتير.

ثم دخلت العلاقات التجارية بين الهند والعرب عصرها الذهبي منذ ظهور الإسلام في القرن السابع للميلاد، وبدأت الدعوة الإسلامية في الحجاز، وانتشرت إلى النواحي الأخرى، وكان سكان الحجاز تجارًا بريين، وكانت مكة مركزًا لنشاطهم التجاري متخذين ميناءهم جدة، فكانوا يشترون البضائع الهندية بطريق اليمن، ويبيعونها في مكة وغيرها من المدن المهمة في الحجاز، ومن البضائع الهندية المنتشرة في أسواق الحجاز في تلك الأيام «السيف المهند» المعروف لدى العرب؛ حيث امتازت بليونتها وحدتها. كما يفهم مدى العلاقات بين الهند والعرب من بعض الأسماء لبعض الأماكن، حيث ما زالت تسمى بعض الأماكن منها باسم «الهندية»، وأسماء بعض النساء باسم «هند».

فهذه كلها شواهد قوية وجلية على العلاقات المتينة التي كانت بين الهند والعرب من قديم الزمان^(١).

الصلة بين العرب والهند بعد الإسلام:

واستمرت العلاقة بين العرب والهند بعد الإسلام، في زمن الرسول ﷺ وزمن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، والدليل عليه أمور:

(١) وجود بعض الألفاظ من بعض اللغات الهندية في اللغة العربية بعد تعريبها، وقد ذكر العلماء وجود بعض الألفاظ الهندية حتى في القرآن الكريم^(٢).

(٢) تحدث النبي ﷺ عن الهند، وغزوه، وبعض عطوره، وعن بعض أقوامه، فمن ذلك:

❖ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «وعدنا رسول الله ﷺ غزو الهند؛ فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي وإن قتلت كنت من أفضل الشهداء، وإن رجعت فأنا

(١) وللدكتور زيد أحمد أحد علماء الهند مقالة مستفيضة حول هذا الموضوع في مجلة ثقافة الهند، عدد يونيو، ١٩٥٣م بعنوان: إلى الأدب العربي، انظر ص (١١٠-١١٤).

(٢) انظر ما ذكره السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، النوع الثامن والثلاثون.

أبو هريرة المحرر»^(١).

❖ وما رواه ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عصابتان من أمتي أحرزهما

الله من النار عصابتان تغزو الهند وعصابتان تكون مع عيسى بن مريم عليهما السلام»^(٢).

❖ وقال ﷺ: عليكم بالعود الهندي...^(٣).

❖ وقال ﷺ وهو يشبه موسى عليه السلام: «مثل الزط»^(٤)، وهم قوم من الهنود^(٥).

❖ (٣) ثبت في آثار عن الصحابة معرفتهم عن الهند، منها:

❖ فقد جاء في بعض الروايات أن عائشة رضي الله عنها مرضت، فسألوا طبيباً هندياً من

الزط، ووصفوا له مرضها، فقال: إنها مسحورة^(٦).

❖ وجاء في بعض الروايات عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه وصف الجن الذين جاءوا

إلى رسول الله ﷺ وشبهوهم بالزط، في الوجوه والصورة^(٧).

امتدت العلاقات إذن بين الهند والعرب من زمن الرسول ﷺ، ولقد أقام بعض

الهنود في بلاد العرب، وكثر تردد العرب على سواحل الهند الغربية وموانئها، يقيمون فيه مدة، ثم يعودون، وربما أقام بعضهم فيها.

(١) أخرجه النسائي، كتاب الجهاد، (٢٥)، باب غزو الهند، (٤١)، حديث رقم الحديث (٣١٧٣)، (٣١٧٤).

(٢) أخرجه النسائي، كتاب (٢٥)، باب (٤١)، رقم الحديث (٣١٧٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٣٦٨)، ومسلم برقم (٢٢١٤).

(٤) صحيح البخاري، برقم (٢٣٥٥).

(٥) وهناك رواية أخرى رواها الحاكم في المستدرک (٤/٣٥)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه كل منهم قطعة، وأطعمني منها قطعة، وقد تناول الرسول لنفسه منها... فهو حديث ضعيف جداً؛ كما صرح بذلك الذهبي في التلخيص.

(٦) انظر ما ذكره البخاري في الأدب المفرد برقم (٦٨).

(٧) أخرجه الترمذي، (٥/٢٤٥)، برقم (٢٨٦١).

ومهدت هذه العلاقات لحركة الدعوة الإسلامية، فقد بدأ ذلك، كما يذكر عدد من الروايات التاريخية، في عهد رسول الله ﷺ. ومع أن هناك خلافاً حول عدد من هذه الروايات، يقول أحد مؤرخي الهنود: «إن محمد بن عبد الله ﷺ قد بعث الرسائل يدعو فيها إلى الإسلام ملوك أفريقيا وإلى ملك «ماليار»، وإن أول خطاب من الرسول العربي قد وصل إلى ملك «ماليار» في عام ٦٢٨م^(١)، وأن «چيرومان پيرومال»^(٢) ملك «كدنغور» قد زار النبي ﷺ، في السابع والخمسين من عمره ﷺ^(٣)، ووصلت في ذلك الزمن أيضاً إلى بلاد «ماليار» جماعة من الدعاة المسلمين العرب، وبنوا عشرة مساجد في أنحاء كيرالا أو «ماليار»^(٤).

٤) كما ثبت عن بعض الخلفاء الراشدين أيضاً أنهم رغبوا في الجهاد في سبيل الله إلى الهند، امتثالاً لأمر الرسول ﷺ، فمن ذلك:

❖ ما جاء في بعض الروايات أن الإسلام دخل في سرنديب، (سيلان/ سيرلانكا)، على يد التجار العرب، ووصل وفد من أهل سيلان إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه^(٥).

❖ ثم بدأت حملات متقطعة من الدعاة زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(١) ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني: أن رسول الله ﷺ كان قد أرسل حذيفة وأسامة وصهيب إلى «سرباتك» ملك إمارة «قنوج» بالهند يدعوونه إلى الإسلام، فأجاب وأسلم. الإصابة (٣/ ١٧٧). ولكن الذهبي كذب هذه القصة، ولعلها لا تصح إطلاقاً.

(٢) Cheraman Perumal اختلف في هذا الاسم اختلافاً كبيراً، فقد جاء في بعض النصوص، شكوروتي، وهو أقرب إلى ملوك الهنود، وجاء اسمه أيضاً: زاموري، (أو السامري). للدكتور محيي الدين الألوائي بحث مستفيض في هذا الموضوع في رسالته: الدعوة الإسلامية وتطورها ... ص (١٤٧-١٥٠).

(٣) هكذا يذكره أهل الهند، ولم يثبت لي هذا اللقاء من كتب معتمدة.

(٤) نقله الدكتور محيي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، ص (١٥٣).

(٥) المصدر السابق ص (١٥٤).

على الشواطئ الشمالية الغربية للهند، فعندما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه البحرين وُعُمان سنة (١٥هـ)، وجّه عثمان أخاه الحَكَمَ بن أبي العاص إلى البحرين، ومضى إلى عُمان، فأقطع جيشاً إلى «تانه» (وهي تقع على ساحل الهند الغربي شمال بومباي)^(١)، فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك، فكتب إليه: يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود، وإنني لأحلف بالله أن لو أصيبوا: لأخذت من قومك مثلهم^(٢).

❖ ثم تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة واستمر النظام نفسه؛ حيث وجه الحكيم بن جبلة العبدي إلى الهند، فنزلها، ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال: ماؤها وَشَلٌ^(٣)، ولصها بطل، وسهلها جبل، إن كثر الجند بها جاعوا، وإن قلوا بها ضاعوا، فلم يوجه عثمان رضي الله عنه أحداً حتى قتل^(٤).

❖ ثم تولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة فأجاز للحارث بن مرّة العبدي^(٥) أن يأخذ جماعة من المتطوعين ويتوجه إلى الهند، فحملوا على الحدود الشمالية والغربية للهند، وغنموا أموالاً كثيرة، واستشهد الحارث بن مرة وعدد كثير من المسلمين في معركة «قيقان»^(٦) سنة (٤٢هـ)^(٧).

(١) انظر ترجمة الحكم بن أبي العاص في نزهة الخواطر (١/ ٣١)، (٣).

(٢) نقله الشيخ عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر (١/ ٣١)، رقم الترجمة (٣).

(٣) أي القليل الذي يُتَحَلَّبُ من جبلٍ أو صخرةٍ ولا يتصل قطره. انظر القاموس المحيط مادة (وشل).

(٤) انظر ما ذكره عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر (١/ ٣٢)، رقم (٤).

(٥) انظر ترجمته فيما ذكره العلامة ابن كثير: البداية والنهاية (١٠/ ٥٨٥)، كما ذكره البلاذري: فتوح البلدان ص (٤٢١)، ونقله عنه الدكتور محيي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية.. ص (١٤١)، و(١٨٥)، و(١٩٧).

(٦) من بلاد السند مما يلي خراسان، انظر المصدر السابق الأخير، ص (١٩٧).

(٧) إلا أن الذي يذكره ابن كثير أن الخوارج هم الذين قتلوه، فلم يُقتل في الهند، انظر البداية والنهاية (١٠/ ٥٨٥).

❖ وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه توجه المهلب بن أبي صفرة ^(١) سنة ٤٤هـ إلى الهند، وحمل على «بنون»، وحمل عبد الله بن سوار العبدي ^(٢) على «قيقان»، وسلمى بن محيق الهذلي ^(٣) اتجه إلى «مكران» ^(٤).

فهذه حملات غير منتظمة، استمرت إلى أن دخل المسلمون بلاد الهند في حملات منتظمة، تحمل الدعوة الإسلامية وتنشر رسالة الله في الأرض، وقد هيأ الله لذلك سبباً، وهو:

❖ أنه كانت هناك سفينة تحمل بعض النسوة خارجة من جزيرة الياقوت (أو سرنديب أو سيلان كما تسمى)، متجهة إلى دار الإسلام، فاعتدى عليها قوم من «ميد» ^(٥) «الدليل» ^(٦)، فأخذوا السفينة بما فيها، فصرخت امرأة تستنجد بالحجاج بن يوسف الثقفي فبلغ ذلك الحجاج، فوجه الحجاج عبيد الله بن نبهان ^(٧)، لينقذ النسوة، فتوجه لذلك، ولكنه قتل، ثم وجه بعد ذلك بديل بن طهفة البجلي ^(٨) فقتل أيضاً.

❖ وبعد مقتل عبد الله بن نبهان وبديل بن طهفة البجلي بدأ التفكير والعمل في

(١) توفي سنة (٨٢هـ)، انظر ترجمته فيما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٣)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٨١-١٠٠هـ)، وابن سعد: الطبقات الكبرى (٧/ ١٢٩)، وابن قتيبة: المعارف ص (٣٩٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٤٤١)، والإصابة (٦/ ٣٨٦)، وابن كثير: البداية والنهاية (١٢/ ٣٢٢-٣٢٣).

(٢) لم أهدت على ترجمة له.

(٣) لم أهدت إلى ترجمة له، كأن هناك تصحيحاً في هذه الأسماء.

(٤) الدكتور محيي الدين الألوائي: الدعوة الإسلامية.. ص (١٤١)، (١٩٨).

(٥) قوم من الهنود، يقال إنهم قراصنة السفينة في البحر.

(٦) مدينة في السند على بعد ست مراحل من مدينة المنصورة، عاصمة السند القديمة، وقيل: إنها كراچی نفسها.

(٧) انظر ترجمته فيما ذكره السيد عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر (١/ ٣٣)، رقم (٩).

(٨) انظر ترجمته فيما ذكره السيد عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر (١/ ٣١)، (الترجمة الأولى في الكتاب).

نشر الدعوة الإسلامية بالعمل المنظم والجيش المعدّ لحمل الدعوة والجهاد في أرض شبه القارة الهندية.

(٥) دخول الإسلام لأول مرة إلى أرض الهند فاتحًا ومنتصلاً:

إن الدعوة إلى الله ورسوله، إلى دين الإسلام، هي الهدف الرباني الثابت الأول الذي ينتقل فيه المؤمنون من هدف ثابت إلى هدف ثابت أكبر وأسمى، وهو الجنة، في جهادٍ ماضٍ إلى يوم القيامة، حتى يبلغ هذا الدين إلى الناس كافة.

إذن ستمتد الدعوة الإسلامية في الأرض، ولن يكون هذا الامتداد عدوانًا وظلمًا، ولا نهبًا للثروات، ولا جريًا وراء دنيا، ولكنها رسالة ربانية يجب تبليغها، وشركٌ ممتد في الأرض يجب صدّه، وأوثان وأصنام يجب إزالتها.

ومن هنا بدأ العمل المنظم لغزو الهند ونشر الإسلام فيها زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك، حين وجه الحجاج بن يوسف الثقفي محمد بن القاسم الثقفي^(١)، ولما يتجاوز السابعة عشرة من عمره، قائدًا للجيش الذي تحرّك لفتح السند، وقد حقق محمد بن القاسم نصرًا بعد نصر في جولاته المظفرة التي ابتدأت سنة (٩١هـ)، (٧١٠م).

وكما أثبت محمد بن القاسم قدرته في القيادة العسكرية أثبت كذلك قدرته في الإدارة والسياسة، حتى أحبه أهل الهند، وبكوا عليه حين عُزل بسنة (٩٦هـ).

وتابع «عمرو بن جبل» الفتوح في زمن الخليفة المنصور، فقد فتح كشمير وملتان، وكان المسلمون يحسنون إلى الناس فاستبشر الناس بهم خيرًا، ومن هنا بدأت الدعوة الإسلامية تنتشر في الهند.

هذه مجمل العلاقات بين العرب والهند منذ قديم الزمان إلى دخول الدعوة الإسلامية في الهند بشكل منظم^(٢).

(١) انظر ترجمته فيما ذكره عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر (١/٣٤-٣٦)، رقم (١٢)، وقد أجاد وأفاد.

(٢) انظر ما ذكره الدكتور عدنان علي رضا النحوي: ملحمة الإسلام في الهند ص (٦٠-٧٦). مختصرًا.

ثم دخل السلطان محمود الغزنوي (٣٩٢هـ)، وتابع حملاته الجهادية على الهند، سبع عشرة مرة، ثم تابع السلطان شهاب الدين محمد الغوري هذه الحركات الجهادية، وأسسوا أول دولة إسلامية في الهند عاصمتها «دهلي»، بسنة (٥٩٢هـ).

المطلب الثاني

أسباب تأثر^(١) الفرق بأفكار الديانة الهندوسية

إن مما يحير العقول أن يتأثر بعض المسلمين بالعقائد الهندوسية؛ فإن لديهم كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وفيهما غنية لمن يريد الهداية، وهما وافيان بكل شيء، وفيهما الهدى والنور، وليس من شيء فيه صلاح للبشرية إلا وقد بين فيهما، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقال عليه الصلاة والسلام: «وأيّم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»^(٢)، وقال:

(١) التأثر، مصدر من الأثر، والأثر في اللغة العربية: الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي. يقال: أثر الشيء يأثره أثراً، وأثارةً وأثرةً: تبع أثره، وأثر السيف وغيره أثراً، وأثرةً: ترك فيه علامة يعرف بها، والأثر أيضاً: ما يُحدثه الشيء. والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، يقال: أثر في الشيء تأثيراً: ترك فيه أثراً.

وأما التأثر فكلمة تأثر فمعناها: ظهر فيه الأثر، فالتأثر: ظهور الأثر في شيء، وتأثر بالشيء: أي تطبع به، وتأثر الشيء: تتبع أثره.

انظر ما ذكره ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (١/ ٥٣-٥٦)، والجوهري: الصحاح (٢/ ٥٧٥-٥٧٦)، وابن منظور: لسان العرب (١/ ٦٩-٧١). والمعجم الوسيط ص (٥)، والرازي: مختار الصحاح (٤-٥).

وعلى هذا يكون معنى تأثر الفرق بالهندوسية أي ظهور أثر الهندوسية بها، أو بمعنى تطبع بها، أو المعنى أن تلك الفرق تتبعت أثر الهندوسية.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه، (١/ ٤)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٦/١).

«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه»^(١).

وقد كان سلفنا الصالح يعتزون بدين الإسلام، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولم يكونوا يتطلعون إلى منابع أخرى أو مصادر غير المصدر الذي تلقوه من لدن نبي هذه الأمة ﷺ، وكانوا ينظرون إلى أي منبع غير الكتاب والسنة على أنه خروج عن جادة الطريق، ولما فتحت أرض فارس ودخلها المسلمون وجدوا فيها كتباً كثيرة، فكتب سعد بن أبي وقاص ﷺ إلى الخليفة الراشد عمر ﷺ يستأذنه في نقل تلك الكتب إلى المسلمين، فكتب عمر ﷺ أن «اطرحوها في الماء؛ فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منها، وإن تكن ضلالاً فقد كفانا الله»، فطرحوها في الماء أو في النار^(٢).

وهذا الموقف من عمر ﷺ يمثل تطبيقاً لدرس عملي تلقاه عن المصطفى ﷺ حين نظر عمر في وريقات التوراة فرآه النبي ﷺ فغضب، وقال له:

«أمتهوكون»^(٣) فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية... والذي نفسي بيده لو كان موسى حيّاً لما وسعه إلا أن يتبعني»^(٤).

واستمر هذا الصفاء إلى أن تأثر بعض المسلمين لعوامل داخلية وخارجية، ببعض العقائد والعادات الهندوسية، وقد بحث العلماء في أسباب تأثرهم بهذه الديانة، وذكروا أسباباً عديدة، وهي ترجع إلى شيئين:

(١) الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغاً، برقم (١٧٠٨)، وصححه الشيخ الألباني: الحديث حجة بنفسه في الأحاديث والأحكام ص (٤).

(٢) ابن خلدون: المقدمة (٦٠٣/٢).

(٣) أي: متحIRON، انظر المعجم الوسيط، مادة (ه و ك).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/٣٨٧)، والدارمي في السنن (١/١١٥)، وابن أبي عاصم في السنة ص (٢٧)، وحسنه الشيخ الألباني في تحقيقه، وفي إرواء الغليل (٦/٣٤)، برقم (١٥٨٩).

الأول: الأسباب الداخلية:

من أهم هذه الأسباب ما يلي:

(١) البعد عن الكتاب والسنة والجهل بهما:

من أهم الأسباب في تأثر بعض المسلمين ببعض الآراء والعقائد الوثنية من الديانات الباطلة الهندوسية وما شاكلها بعدهم عن الكتاب والسنة، وجهلهم بهما، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ومن المعلوم: إن المعظمين للفلسفة ... المعتقدين لمضمونها هم أبعد عن معرفة الحديث، ...، وهذا أمر محسوس ... حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميّز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية فقال: لا نسلم صحة الحديث، وربما قال لقوله عليه السلام كذا، وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر»^(١).

(٢) ضعف الإيمان في النفوس:

نستطيع أن نقول إن ضعف الإيمان في النفوس كان من أهم أسباب تأثر بعض المسلمين ببعض آراء الأديان الوثنية، والفلسفات القديمة، فإنه إذا ضعف إيمان الشخص قل تعظيمه لكلام ربه وكلام نبيه عليه السلام، وسهل عليه معارضتهما بما يحلو له من الآراء والفلسفات، بل لا يجد حرجاً في رد كل حديث، وتحريف معنى كل آية لا توافق هواه ومعتقده، وربما تسلح لذلك بكلام الزنادقة من الفلاسفة، وأصحاب الأديان الباطلة.

(٣) اتباع الهوى: ومن مظاهر اتباع الهوى:

❖ كثرة الجدل وتبع المتشابه؛ لتأييد الرأي، والرد على الخصوم، حتى صرفوا عن الانتفاع بالقرآن والسنة والاهتداء بهديهما، إلى تتبع الأدلة من خارجهما، والوقوع في الزلل.

(١) مجموع الفتاوى (٤/٩٥-٩٦). وانظر الفرقان بين الحق والباطل، ضمن مجموع الفتاوى (١٣/١٧٥).

❖ الميل إلى الرهبة والاستدلال لها من خارج نطاق الكتاب والسنة، ومن ذلك ميل بعض المسلمين في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني وما بعدها، إلى المعنى الباطل من الزهد، والبحث لطرق مستحدثة إلى ولاية الله^(١).

الثاني: الأسباب الخارجية:

ذكر العلماء الباحثون أسبابًا خارجية عديدة لتأثر بعض الفرق الإسلامية بالديانة الهندوسية وما شابهها، وهي كلها لا تخرج عن أمرين:
الأمر الأول: اللقاء الحضاري بين الأمم^(٢):

يرى كثير من الباحثين أن سبب التأثير يرجع إلى احتكاك المسلمين ولقاءاتهم ببعض الهندوس، والدليل على ذلك أمور:

(١) توسع الفتوحات، وذلك: أنه لما توسعت الفتوحات الإسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجًا، واختلط المسلمون بأصحاب الأديان الأخرى من بقي على ديانتهم من أهل تلك الديار المفتوحة كان له أثرٌ فيما بعد على عقائدهم وتفكيرهم، وإثارة بعض المسائل التي لا طائل تحتها^(٣).

يقول الدكتور إبراهيم مذكور: «اعتنقت الإسلام أجناسٌ وشعوب مختلفة، واتصلت به حضارات وثقافات متعددة، وكان لها جميعًا شأن في نشر دعوته ورفع رايته، وأسهمت في درسه وبحثه، وبدت لها ثمار في مدارسه ولدى مفكره...»^(٤).

(١) انظر ما ذكره محمد العبد، وطارق عبد الحليم: الصوفية نشأتها وتطورها ص (٢٠-٢١).

(٢) انظر ما ذكره كل من الدكتور محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ص (١٩٠)، والدكتور علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ص (٣١)، والدكتور عرفان عبد الحميد: الفلسفة الإسلامية دراسة ونقد ص (٤٧)، وغيرهم.

(٣) انظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٩٤).

(٤) الدكتور إبراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه (٢/ ١٣٤).

ويقول أحد المستشرقين^(١): «قد ذاعت المعرفة بالحكمة الهندية بين العرب أيام السلم من طريق التجارة التي كان الفرس، في الأغلب، وسطاء فيها بين الهند والعرب؛ ثم انتشرت أيضاً بسبب فتح الهند على يد المسلمين».

(٢) تساهل بعض الخلفاء العباسيين، وذلك: أنه لما اشتدت اختلاط المسلمين بالأمم الأجنبية وتشعبت الأفكار والآراء أخذ كل فريق يعبر عن نحلته في حرية ومن غير حرج لتساهل الخلفاء العباسيين مع أرباب الأديان المخالفة للدين الإسلامي، وكثر الإلحاد والزيغ في العقائد^(٢).

(٣) دور الجامعة الإسكندرية، وغيرها من المعاهد التي قامت بنشر الفلسفات، نظراً لكونها مركزاً لالتقاء الأمم المختلفة من اليونان والمصريين واليهود، والعرب، والفرس، والأحباش، والسوريين، والهنود، والنوبيين، وغيرهم^(٣).

(٤) المناظرات التي كانت تقام بين بعض المشركين وبعض المسلمين، وكثيراً ما لا تكون لديه حصانة كافية ولا علوم صافية من الكتاب والسنة الصحيحة، فيقع في شراك بعض من قام بالمناظرة معه، ومن أدل الدليل على ذلك، ما كان من المناظرات بين الجهم وبين السمنية، والقصة معروفة في كتب العقيدة، ورواها علماء أجلاء في كتبهم^(٤)، ولأهميتها البالغة سأذكر بعض جوانب هذه القصة فيما يلي:

-
- (١) هو دي بور الأستاذ بجامعة أمستردام: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص (١٦).
 (٢) الأستاذ علي مصطفى الغرابي: تاريخ الفرق الإسلامية ص (١٣٥)، نقلاً عما ذكره الدكتور محمد أحمد لوح: جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية ص (٤١٤).
 (٣) انظر ما ذكره ول ديورانت: قصة الحضارة (٩٩/١١-١٠٠).
 (٤) انظر على سبيل المثال الحوار الذي نقله الإمام أحمد: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص (١٠٢-١٠٤)، وانظر قصة هذه المناظرة في كتب ابن تيمية التالية: نقض تأسيس الجهمية (٣١٩-٣٢٢، ٣٢٣-٣٢٥)، ودرء تعارض العقل والنقل (١٦٦/٥-١٧٤)، والفتاوى المصرية (٣٦٠/٦)، ومجموع الفتاوى (٢١٨/٤، ٢١٩).

إن جهماً «لقي أناساً من المشركين، يقال لهم السمنية، فعرفوا الجهم، فقالوا له: نكلمك، فإذا ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به الجهم، أن قالوا له: ألسنت تزعم أن لك إلهاً؟ قال الجهم: نعم. فقالوا له: فهل رأيت إلهك؟ قال: لا. قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا. قالوا: فشممت له رائحة؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له حساً؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له مجسأً؟ قال: لا. قالوا: فما يُدريك أنه إله؟ قال: فتحرير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يوماً... فاستدرك الجهم حجة^(١)... فقال للسمني:

(١) اختلف في هذه الحجة، من أين أخذها الجهم، فقد نص في هذه الرواية الإمام أحمد، أن جهماً استدرك هذه الحجة عن زنادقة النصارى، حيث قال: «ثم إنه استدرك حجة مثل زنادقة النصارى، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى، هو روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمراً، دخل في بعض خلقه، فتكلم على لسان خلقه، فيأمر بما يشاء، وينهى عما يشاء، وهو روح غائبة عن الأبصار».

بينما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن جهماً استدرك هذه الحجة عن الصابئة، فقد ذكر ذلك في نقض تأسيس الجهمية (١/ ٣٢٥)، وتفسير سورة الإخلاص ص (٢٠١، ٢٠٢): «فعدل الجهم حين انقطع في مناظرته مع السمنية إلى معتقد الصابئة هذا في الروح، فشبهه الرب تعالى «بالروح التي في الإنسان، من جهة أن كلاهما لا يشبه بشيء من الحواس الخمس، مع تدبيره لذلك الجسم، وهذا يشبه قول الصابئة».

ويرى الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي أن هذا الاعتقاد شبيه باعتقاد الصابئة في الروح «إذ أن معتقد الصابئة في الروح: أنها ليست جسماً، ولا يُشار إليها، ولا تختص بمكان دون مكان، لكنها مدبرة للجسم، كما أن الرب مدبر للعالم». عبد القادر عطا صوفي: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١/ ٦٦-٦٧).

قلتُ: فالذي يترجح لدي أن جهماً استدرك حجة مثل حجة هؤلاء السمنية والبراهمة نفسها، حيث إنهم يعتقدون أن هناك روحاً عليا، ويعتقدون أن فيهم جزءاً منها، وهي عقيدة البوذية، وعقيدة البراهمة، وقد سبق معنا استعراض ذلك مفصلاً في الباب الأول والثاني. =

ألمست تزعم أن فيك روحًا. قال: نعم. فقال: هل رأيت روحك؟ قال: لا. قال: فسمعت كلامه؟ قال: لا. قال: فوجدت له حسًا؟ قال: لا. قال: فكذلك الله، لا يرى له وجه، ولا يُسمع له صوت، ولا يُشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان»^(١).

= وأما قول الشيخ عبد القادر فلا يمنع ما ذهبت إليه لعدة أسباب:

أولاً: لا يمنع أن يكون لدى الصابئة نفس هذه العقيدة في الروح، ولكنها ألصق بعقيدة البراهمة يتضح ذلك لمن يطالع الفصل الأول من الباب الثاني من هذه الرسالة.

ثانياً: أن التشابه في الاعتقاد هذه سنة الأمم التي لا كتاب لهم ولا نبي مرسل، فهم يشبهون بعضهم بعضاً، فلعل الصابئة أخذوها من البراهمة لكونهم أقدم منهم بلا ريب، وقد قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

ثالثاً: وهناك قول قوي على أن الصابئة هم أمة ممتدة من العراق إلى الهند، يدل عليه وصف شيخ الإسلام بعض الصابئة بأنهم من البراهمة، حيث قال: «وأصل قولهم هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلاً» التحفة العراقية (١/ ٦٨).

وقد قيل: إن الصابئة قوم نوح، وأن أهل الهند أيضاً قوم نوح، انظر ما ذكره الدكتور سيد عبد الله طارق في كتابه: «أگر آب بهی نه جاکى تو ... ص (٣٢-٤٤)، وقد كان هذا البحث بحثاً مستفيضاً في إثبات كون الصابئة هم أهل الهند. والله أعلم.

ويقوى كون مقالات الصابئة المقصود بها هنا نفس مقالات البراهمة ما ينسب إلى الصابئة من أقوال هي كلها عقائد البراهمة، من ذلك: اعتقاد إن الله في كل مكان، وأنه لا يُشار إليه، وأنه ليس له صفات ثبوتية، وإنما صفاته إما سلبية وإما إضافية، بل هم نفاة صفات الله تعالى وأفعاله، انظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الفتوى الحموية الكبرى ص (٢٥)، ودرء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٧٥).

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على هذه المناظرة: (نقض التأسيس - المطبوع (١/ ٣٢٤، ٣٢٥): «وهذا الأصل الذي قالوه يعني - السمنية - عليه أهل الإثبات، فإن أهل السنة والجماعة المقربين بأن الله تعالى يرى، متفقون على أن ما لا يمكن معرفته بشيء من الحواس وإنما يكون معدوماً، لا موجوداً». وقد بين رحمه الله أن الجهم لو اهدى في مناظرته مع السمنية لأجابهم بالاستفصال.

كما جاءت هذه القصة في رواية أخرى: «أن بعض السمنية قالوا للجهم بن صفوان: هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة؟ قال: لا، قالوا: فحدثنا عن معبودك، هل عرفته بأيها؟ قال: لا، قالوا: فهو إذن مجهول؛ فسكت، وكتب بذلك إلى واصل، فأجاب واصل على ذلك بأن هناك وجهًا سادسًا للمعرفة، هو الدليل الذي يميز به الإنسان بين الحي والميت، وبين العاقل والمجنون؛ فلما قال ذلك جهم للسمنية قالوا: ليس هذا من كلامك، فأخبرهم، فخرجوا إلى واصل وكلموه، وأجابوه إلى الإسلام^(١).

وعلى كل حال: فقد ثبت تأثر بعض أهل البدع بالسمنية^(٢)، والذي يسميه شيخ الإسلام بالبراهمة السمنية^(٣) وتأثرهم البالغ بالبراهمة السمنية غير هؤلاء أهل البدع

= وكيفية الاستفصال؛ إن حقيقة قول السمنية: أن الموجود لا بد أن يمكن أن يكون محسوسًا بإحدى الحواس؛ لا أنه لا بد لمن أقر به أن يحس به، وهذا الأصل الذي قالوه عليه أهل الإثبات؛ فإن أهل السنة والجماعة المقرين بأن الله تعالى يرى متفقون على أن ما لا يمكن معرفته بشيء من الحواس فإنما يكون معدومًا لا موجودًا. فكان حق الجهم أن يقول لهم: إن أردتم أنني لا بد أن أحس بإلهي فلا يجب عندكم أن ينكر الإنسان ما لم يحسه هو، وإن أردتم أنه لا بد أن يمكن أن يحس به فإلهي يمكن أن يرى وأن يسمع كلامه، وإن أردتم أنه لا بد أن يكون قد عرفه بالحس بعض الآدميين فهذا مع أنه غير واجب فقد سمع كلامه من سمع من الرسل، وهو أحد الحواس، وقد رواه بعضهم أيضًا عند كثير من أهل الإثبات، وكأن يقول لهم: أتريدون أنه لا بد أن يحسه هذا الحس الظاهر أم يكفي إحساس الباطن إياه وشهوده إياه؟ الأول منقوض بأحوالنا الباطنية الجسمانية والنفسانية، وأما الثاني فمسلّم، وقد شهدته بعض القلوب. اهـ.

وشيوخ الإسلام من أعدل الناس في نقل كلام الملل والنحل، فإن كثيرًا من أصحاب المقالات والملل ينقل عن السمنية بأنهم ينكرون ما وراء محسوساتهم، وقد خطأهم شيخ الإسلام فقال: «ومن حكى من أهل الكلام أن من الأمم أمة لا تقر بشيء من المعقولات وإنما تقر بما أحسسته ويذكرون ذلك عن «البراهمة السمنية» فلا ريب أن هذا النقل وقع فيه غلط من هؤلاء، وتغليب من أولئك. نقض تأسيس الجهمية - المطبوع (٣١٨/١).

(١) ابن المرتضى: المنية والأمل، باب ذكر المعتزلة ص (١٩)، نقلًا عما ذكره المستشرق د/ س.

بينيس: مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقتها باليونان والهنود ص (١٢٩).

(٢) انظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: مجموع الفتاوى (٥/٢٢).

(٣) انظر نقض تأسيس الجهمية (٣١٨/١).

كثيراً من العقائد المتعلقة بالرب والربوبية والإله والألوهية، والبعث واليوم الآخر، حيث دخل فيهم كثير من الفلسفات الوثنية.

(٥) السياح الأجانب والرهبان الهندوس والبوذية الذين كانوا يجوبون البلاد الإسلامية، وكان لهم تقشف شديد، ولهم حالات مثيرة للاهتمام مما يجعل ضعاف النفوس تتأثر ببعض أعمالهم، وتتعمق ذلك في قلوبهم.

يقول أحد الكتاب : «... نزل بالعراق والشرق العربي متصوفون من الهند أقرب إلى المشعوذين من الحكماء الإلهيين؛ فإنهم أدخلوا على حلقات الصوفية صنوفاً من المخدرات الصناعية... وأطلقوا عليها اسم «بنج أسرار»، ثم دخلت على الذكر طرائق غريبة عنه مثل الرقص، الذي علله منتحلوه، وبرروه بتمثيل دورة الأفلاك، وهو لا يزال شائعاً إلى يومنا هذا في تكايا الدراويش...»

ثم أدخلوا عادة «التمزيق» بها تمزيق الثياب أثناء الذكر، وهذه القاعدة أقرب إلى تقليد الأمراء الذين كانوا يسمعون الغناء من القيان، فيطربون، فيمزقون ملابسهم، ثم انحدر الذكر إلى أعمال تقرب من الشعوذة... من ذلك أكل الحيات والأفاعي وشظايا الزجاج والذهب، ووخز البدن بإبر من الحديد المحمي^(١).

(٦) اللقاء الحضاري الإيراني والهندي والمؤامرة الفارسية؛ وذلك:

أن التصوف نشأ في بلاد فارس أيضاً، ولكنه كان متأثراً بالتصوف الهندي كثيراً، وبرزت علاماته على العقلية الفارسية، من الانعزال والانقطاع في الكهوف والغابات، ثم نظموا دعوتهم واتخذوا الأربطة الصوفية بأنواعها، ومجالس الذكر الصوفي، يقول أحد العلماء: «وهكذا لقيت جرثومة التصوف الهندي في العقلية الفارسية مرتعاً خصباً، فحملت فارس التصوف الهندي بحرمانه وأخيلته قروناً عديدة، توطدت فيه أركانه، وسادت تعاليمه حتى فتحها العرب، وأظلمها الإسلام تحت حراسته فأقبل الأعاجم على الدين الجديد يتلقونه، ولا يقولون فيه برأي قرنين من الزمان، إلى أن تهيأت لهم

(١) محمد لطفي جمعه: تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، ص (٢٨٥)

فرصة ضعف الدولة الإسلامية في حكم بني العباس، ونجاح المتأمرين الأعاجم في الاستيلاء على الحكم، عند ذلك قام شيوخ «خراسان» و«بلخ» ينادون بالتصوف على أنه من صميم الدين، وأنه مذهب الصفوة المختارين متأثرين في ذلك بما كانوا عليه من العادات والطباع أجيالاً طويلة، واختلطت التعاليم الإسلامية بالتقاليد الفارسية والهندية...»^(١).

الأمر الثاني: حركة الترجمة:

يرى كثير من الباحثين الآخرين أن سبب التأثير ترجمة الكتب الهندية إلى العربية: فلقد كانت حركة الترجمة من أهم العوامل - إن لم تكن أهمها - في تأثير بعض المسلمين ببعض عقائد الهندوس، وذلك لما أثارته وأفرزته ونشرته من المصطلحات، والمباحث الفلسفية والمنطقية البعيدة عن القرآن والسنة ومنهج سلف الأمة.

وقد كانت بدايات الترجمة في القرن الأول، لكنها لم تكثر، ولم تشتهر بينهم، لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها.

ثم اشتهرت في زمن البرمكي^(٢)، ثم قوي انتشارها في زمن المأمون^(٣).

وعلى هذا نجد الترجمة مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: بدأت في بني أمية^(٤).

المرحلة الثانية: وهي بداية عصر الترجمة بمعنى الكلمة، وذلك أيام أبي جعفر المنصور حتى خلافة الرشيد.

(١) سميح عاطف الزين: الصوفية في نظر الإسلام ص (٢٤).

(٢) يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل، مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه، وقد اشتهر بجوده وحسن سياسته، وقربه الرشيد، ثم سجنه، ونكب به وبأسرته، وبقي في السجن حتى مات سنة ١٩٠هـ. انظر ما ذكره ابن خلكان: وفيات الأعيان (٥/ ٢٦٥-٢٧٣)، وابن كثير: البداية والنهاية (١٠/ ٢٠٤، ٢٠٥)، والزركلي في الأعلام (٩/ ١٧٥، ١٧٦).

(٣) انظر ما ذكره السيوطي: صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص (١٢).

(٤) بيد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي بلغت فيها الترجمة أوج مراحلها على يد المأمون حيث طور معهد الترجمة المسمى «بيت الحكمة»^(١).

ولقد كانت بدايات الترجمة في العهد الأموي (القرن الأول) مقصورة على العلوم العلمية، كالصنعة والطب، وبعد ذلك ترجمت العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق^(٢).

وعلوم الطب المقصود بها على الأغلب علم الطب الهندي؛ لأنهم كانوا معروفين بالطب في ذلك الزمان، وقد أوردت قبل هذا شواهد من آثار بعض الصحابة الدالة^(٣) على أنه كان هناك أطباء هنود في الجزيرة العربية.

وأما في المرحلتين الثانية والثالثة، فقد شملت الكتب من جميع الأنواع، فهي من الكثرة بحيث يصعب إحصاؤها، وقد ذكر بعض المصادر أنه قد ترجم من اللغة السنسكريتية (لغة الهندوس المقدس) ٣٠ كتاباً لعدد من الفلاسفة.

ولاشك أن هذا لا يمثل إلا جزءاً ضئيلاً من تلك الأعمال الضخمة والرهبة، خاصة إذا علمنا أن بعض الباحثين ذكر أن الكتب المترجمة في عهد المأمون وحده وصل إلينا من أسمائها ٢٥٦ كتاباً، ولا ندري كم منها ترجمت من اللغة السنسكريتية بالفعل^(٤).

يقول أحد المستشرقين: «وترجم الكثير من هذه الحكمة (يقصد الحكمة الهندية) في عهد المنصور (١٣٦-١٥٨هـ = ٧٥٤-٧٧٥م)، والرشيد (١٧٠-١٩٣هـ = ٧٨٩-٨٠٩م)؛ وترجم بعض ذلك عن الترجمة الفارسية (اللغة الفهلوية) وبعضه الآخر عن اللغة السنسكريتية مباشرة؛ وأساطيرهم مثل قصص «پانتشاتانترا»^(٥) وغيرها التي نقلها عن الفهلوية ابن المقفع^(٦) في عهد المنصور.

(١) انظر ما ذكره محمد مصطفى حلمي: الإسلام والمذاهب الفلسفية ص (٩٨).

(٢) انظر ما ذكره أحمد أمين: فجر الإسلام (١/ ٢٧١).

(٣) انظر العنصر الأول من التمهيد في هذا الباب.

(٤) انظر ما ذكره محمد لطفي جمعه: تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب ص (ن-س)، والمستشرق دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص (٣٦-٣٧).

(٥) هي المسماة بـ«كلیلة ودمنة»، ومعنى «پانتشا تانترا» الأسرار الخمسة.

(٦) هو عبد الله بن المقفع، كان مجوسياً، يشك في إسلامه، كان من الزنادقة، أول من عني بالمنطق، =

غير أنه كان للرياضيات الهندية والتنجيم المتصل بالطب العملي والسحر أكبر الأثر في بواكير الحكمة العقلية في الإسلام؛ وعُرف كتاب السند هند لـ «برهمگوت»، وهو الكتاب الذي ترجمه إلى العربية، الفزاري^(١)، يعاونه علماء من الهنود، في عهد المنصور^(٢)... ولاشك في أن تأملات الهنود المرتبطة بكتبهم المقدسة والمتقيدة بالدين تقيداً تاماً، كان لها أثر متصل في الصوفية...^(٣).

ويقول مستشرق آخر: «ولا أستطيع أن أتكلم هنا عن جميع المسائل المتصلة بتأثير الهنود في العلوم الإسلامية؛ فإن من المعروف الذي لا يحتاج إلى دليل أن علومًا ثلاثة، هي: الفلك، والرياضيات والطب، عند المسلمين في أول عهدهم بالعلوم، تدل على تأثير هندي قوي؛ وقد ترجم الكثير من كتب الهنود، وكان أطباء من الهنود يعيشون في بغداد، وكانوا يتجاوزون حدود مهنتهم التي اقتصوا بها إلى الاتصال بعلماء الإسلام. ومما يدل على هذا نص في كتاب البيان والتبيين...^(٤) يتكلم فيه الجاحظ عن ترجمة كتاب هندي في الخطابة إلى اللغة العربية...^(٥).

وعلى هذا فقد ترجمت من الكتب الهندوسية كتب عديدة، ولكننا لا نظفر بكثير من أسمائها على التعيين^(٦)، إلا أن من المترجمين المشهورين من السنسكريتية:

= ولد سنة ١٠٦هـ، وهلك بسنة ١٤٢هـ، انظر ترجمته فيما ذكره الزركلي في الأعلام (١٤٠/٤).

(١) المتوفى سنة (٧٧٠م/١٥٤هـ).

(٢) وقيل: إن الذي نقله إلى العربية محمد بن موسى الخوارزمي، انظر ما ذكره الدكتور زبيد أحمد: إلى الأدب العربي، مقالة منشورة في مجلة ثقافة الهند عدد يونيو ١٩٥٢، ص (١١٦)، تعريب الأستاذ عبد الحميد النعماني.

(٣) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ص (١٦-١٧).

(٤) للجاحظ (٩٠/١).

(٥) المستشرق د/ س. بينيس: مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقتها باليونان والهنود ص (١١٧).

(٦) إلا ما ذكره ابن النديم في الفهرست، ص (٤٣٥-٤٤١)، و(٤٨٤-٤٩١)، ولا أرى أن كل ما ذكره النديم صحيحًا.

(١) منكه الهندي.

(٢) ابن دهن الهندي^(١).

ولم نعرف عن حياتهما وأعمالهما كثيرًا.

(١) انظر ما ذكره محمد لطفي جمعه: تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب ص (س).

المطلب الثالث

تأثر كثير من الفرق التي تنسب إلى الإسلام بالهندوسية

إن الفرق المنتسبة إلى الإسلام التي تأثرت بالهندوسية كثيرة جداً، من أهمها:

أولاً: بعض الفرق الباطنية^(١) المتأثرة بالهندوسية

لقد تأثر كثير من الفرق الباطنية بالهندوسية، من أهمها:

الأول: الإسماعيلية وتأثرها بالهندوسية:

التعريف بالإسماعيلية:

نسبةً إلى إسماعيل بن جعفر الصادق لزعمهم الانتساب إليه^(٢)، ظاهرهم الرافض، وباطنهم الزندقة، وقد انقسموا إلى أقسام عديدة، أهمها قسمان:

(١) الإسماعيلية المستعلية - وهم البهرة^(٣) الهندية -.

(٢) الإسماعيلية النزارية - وهم الآغاخانية الباكستانية الهندية الأفغانية -.

تأثر الإسماعيلية بالهندوسية:

من أبرز العقائد الإسماعيلية التي يظهر فيها تأثرهم بالهندوسية ما يلي:

(١) الباطنية: لقب عامٌ تنطوي تحته طوائف عديدة، تلتقي جميعها في تأويل النصوص الظاهرة وإثبات معانٍ باطنة لها.

من إفادات الدكتور محمود عبد الرحمن قدح حفظه الله، وانظر أيضاً ما ذكره الشيخ الدكتور غالب بن علي العواجي: فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر المصدر السابق ص (٢٨٢).

(٣) بفرعيها السليمانية والداودية.

(١) عقيدتهم في الألوهية تختلف من فرقة إلى فرقة، وفيما يلي بيان لأبرزها:

❖ يرى بعض الإسماعيلية عمومًا في الألوهية ما يسمونه بـ«التنزيه والتجريد»، وانتهوا في عقيدة الألوهية إلى تعطيل الله عن كل وصف وتجريده من كل حقيقة، وانتهى الأمر إلى القول بأنه سبحانه: «لا هو موجود، ولا لا موجود ولا عالم، ولا جاهل، وكذلك في جميع الصفات؛ فإن الإثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليه، وذلك تشبيه»^(١).

❖ كما نفى الإسماعيلية أن يكون الله قد خلق العالم خلقًا مباشرًا، يقول أحد أئمتهم: «ولما كان الله فوق العالم وهو غير محدود، فلا يمكن أن يخلق العالم مباشرةً، وإلا اضطر إلى الاتصال به مع أنه بعيد عنه، لا ينزل إلى مستواه، ولما كان واحدًا، فلا يمكن أن يصدر عنه العالم المتعدد، ولا يستطيع أن يخلق الله العالم؛ لأن الخلق عمل وإنشاء شيء لم يكن، وذلك يستدعي التغير في ذات الله والإله لا يتغير»^(٢)، ويرون وجود المخلوقات بواسطة العقل والنفس^(٣)، أو السابق والتالي^(٤).

ولاشك أن هذا الاعتقاد هو نفس اعتقاد الهندوس في «برهمن» حيث لا يصفونه بأي صفات ثبوتية، ولا يرون منه الخلق والإبداع، وإنما الخلق من قبل فُشْنُو أو شَيْقَا أو زوجاته، وقد سبق معنا تقرير ذلك مفصلاً.

❖ ومن جهة أخرى: هم يؤلهون أئمتهم، والدليل عليه:

فقد صرح سلطان البهرة محمد طاهر سيف الدين في المحكمة بـ«بومباي»،

(١) الشهرستاني: الملل والنحل (١/١٩٣).

(٢) نقله الدكتور غالب بن علي العواجي: فرق معاصرة ... (١/٣١٠-٣١١)، وذكر أنه كلام مصطفى غالب.

(٣) انظر ما نقله محمد بن أحمد الجوير: الإسماعيلية المعاصرة ص (٧٥).

(٤) انظر المصدر السابق.

سنة ١٩١٧م، بدعوى رقم (٩٢١)، حيث قال: أنه إله في الأرض حقيقة، له المميزات والصلاحات التي للرسول، ويحق له التغيير والتبديل في أحكام القرآن، له....^(١).

وهذا آغا خان الثالث، (محمد شاه الحسيني) يدعي الألوهية، ورضي لأتباعه أن يعبدوه، يقول الدكتور محمد كامل حسين: «حينما سألته قائلاً: لقد أدهشتني بثافتك وعقليتك فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك إلهاً؟»

فضحك آغا خان طويلاً جداً، وعلت قهقهاته، ودمعت عيناه من كثرة الضحك، ثم قال: «هل تريد الإجابة عن هذا السؤال؟ إن القوم في الهند يعبدون البقرة، ألسْتُ خيراً من البقرة»^(٢). فالآغاخانية تدعي الألوهية لإمامهم الحالي، كريم خان^(٣).

ولاشك أن هذه الألوهية امتداد للهندوسية، حيث إن كريشنا كان يدّعي الألوهية لنفسه، والهندوس يعبدون آلهة حية تمشي بين أظهرهم، وهذه هي نفس العقلية التي تعبد الإسماعيلية من أجلها أئمتهم.

(٢) أما النبوات فيجحدونها، واعتقاداتهم في النبوات تفسر لنا مدى تأثرهم بالهندوسية، وذلك:

أنهم يفسرون النبوة بأنها عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق، بواسطة التالي، قوة قدسية صافية، فالنبوة باعتمادهم مكتسبة اكتساباً، ليست هبة من الله ﷻ لأحد من خلقه، اختصه واختاره لها، فالإنسان باعتقاد الإسماعيلية يستطيع أن يصبح نبياً بعد الرياضات الشاقة والمجاهدة^(٤).

وهذا عين ما تراه الهندوس فيمن يسمونهم «رشي»، ودور الرياضة في الديانة الهندوسية معروف، وقد سبق معنا بيان ذلك مفصلاً^(٥).

(١) انظر: جريدة المسلمون، العدد (٢٣٧)، ١٧ محرم، ١٤١٠هـ، ص (٨).

(٢) محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية ص (١٢٦).

(٣) انظر ما ذكره محمد أحمد الجوير: الإسماعيلية المعاصرة ص (٨٠).

(٤) انظر المصدر السابق ص (٨١-٨٣).

(٥) انظر ص (١٣٠٦-١٣١٢).

(٣) أما الآخرة؛ فينكرونها، وذلك:

أن من معتقدات الإسماعيلية المعاصرة إيمانهم بالتناسخ، بوجود دورات متعاقبة لهذا العالم، في كل دور نبي ناطق، ووصي وأئمة ستة، فإذا جاء السابع، افتتح دورًا جديدًا وصار ناطقًا^(١).

وهذا بنفسه عقيدة الهندوس في التناسخ، حيث يرون دورات متعاقبة، في كل دورة مُتَو، وِندَرَا، ورشيين، وقد سبق معنا بيان ذلك مفصلاً^(٢).

(٤) دعوتهم بوحدة الأديان، وذلك:

تنادي الإسماعيلية بوحدة الأديان، فعندهم: إن الأديان كلها متساوية، ومن أجل هذا يقومون بالتوفيق بين الأديان، بالتأويلات، والتحريفات^(٣).

فهذا أحد أئمتهم الحاليين^(٤) يدعو إلى وحدة الأديان، ويقول: «إن العلاج»^(٥) مهد إلى إيجاد كتلة شعبية تدعو إلى أخوة روحية ... تنبثق منها الوحدة الكاملة في الشعور والمثل والمناهج والغايات»، كما يعتبر ابن عربي^(٦) من «كبار دعاة الأخوة والمحبة ووحدة الأديان على أسس الفرد والصفاء»^(٧).

(١) انظر ما ذكره محمد أحمد الجوير: الإسماعيلية المعاصرة ص (٩٩).

(٢) انظر ص (١٠٧٣-١٠٧٤).

(٣) انظر ما ذكره محمد أحمد الجوير: الإسماعيلية المعاصرة ص (١١٢-١١٤).

(٤) هو مصطفى غالب.

(٥) هو أبو مغيث، الحسين بن منصور، العلاج، من القائلين بالحلولية، أصله من مدينة البيضاء إحدى بلاد فارس، نشأ بواسط، والعراق، قتل سنة ٣٠٩هـ. انظر ما ذكره ابن خلكان: وفيات الأعيان (١/ ٤٠٥-٤٠٧)، الترجمة رقم (١٨١).

(٦) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي الأندلسي المرسي، أبو بكر الملقب: محي الدين، المعروف بابن عربي، وهو من أصحاب وحدة الوجود، اشتهر بابن عربي، بالتنكير، تمييزاً له من القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي. وسيأتي بيان عقيدته مفصلاً في الفصل الأول.

(٧) مفاتيح المعرفة، مصطفى غالب، نقلاً عما ذكره محمد أحمد الجوير: الإسماعيلية المعاصرة ص (١١٣-١١٤).

ويقول آخر: «إن جميع الأديان في جوهرها واحدة؛ لأن لها غاية واحدة، هي التعلق بالمثل العليا الفاضلة، والتشبه بالإله على قدر الطاقة الإنسانية»^(١).

وقد سبق معنا: أن من تعاليم الديانة الهندوسية وحدة الأديان، وأن كريشنا أول من نطق بهذه العقيدة، ونادى بها^(٢).

الثاني: النصيرية وتأثرها بالهندوسية

التعريف بالنصيرية:

هي إحدى فرق الباطنية الغلاة ظهرت في القرن الثالث للهجرة، حيث انشقت عن فرقة الإمامية الاثني عشرية، تنتسب الطائفة إلى رجل يقال له: محمد بن نصير النميري، معظمهم في سوريا، وفي بعض المناطق المجاورة لها^(٣).

تأثر النصيرية بالهندوسية:

(١) يظهر تأثر النصيرية بالهندوسية في عقيدة الألوهية من أمور عديدة، منها:

❖ القول بالتثليث؛ وذلك:

كما يقول الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي - حفظه الله - «إن نظرة فاحصة في عقائد النصيرية تجعل الناظر يجزم بهذا التأثير، بسبب ما يلمحه من تشابه كبير... فالإله عند النصيرية مكون من ثلاثة أقانيم؛ هم علي، ومحمد وسلمان...»^(٤)

❖ تأليه البشر؛ وذلك:

أنهم يعتقدون بألوهية علي عليه السلام، وبالغوا في كفرهم، فقالوا: إن الله تجلى في علي

(١) نقله محمد أحمد الجوير: الإسماعيلية المعاصرة ص (٩٩) عن بعض الذين يدافعون عن الإسماعيلية.

(٢) انظر ص (١٣٤٣-١٣٤٤).

(٣) انظر ما ذكره الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة... (١/ ٣٢١-٣٢٦).

(٤) أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام ص (٥٨)، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١٢٥)، السنة (٣٦)، ١٤٢٤ هـ.

فاتخذ علي محمدًا رسولًا، بل إن عليًا خلق محمدًا، ومحمد خلق سلمان الفارسي، وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض^(١).

ولاشك أن هذا نفس عقيدة الهندوس في تأليه البشر، وفي عقيدة الخلق حيث ينكرون الخلق المباشر من الله، ويثبتون لذلك وسائل^(٢).

❖ يرون حلول الله في البشر؛ فيقولون:

إن الله يحل في الأجسام متى يشاء وله التصرف وإليه ترجع الأمور، وعلي له ظاهر، الذي منه يأكل ويشرب ويلد ويولد.. وباطن الذي لا يأكل ولا يشرب. فهذه نفس ادعاءات الهندوس في كريشنا الذي سبق معنا.

(٢) إنكار الرسل؛ وذلك:

أن النصيرية تنكر الرسل، وتصفهم بصفات سيئة، فيقولون مثلاً: هم طلاب دنيا ورئاسة^(٣).

(٣) القول بالتناسخ:

وهذه أهم قضية في عقائد النصيرية، فإنهم لا يؤمنون بيوم القيامة ولا بالحساب والجزاء في الآخرة^(٤)، وقد اشتهر عنهم في ذلك تفصيلات لا مجال لذكرها^(٥).

(٤) نظرتهن إلى المرأة:

المرأة النصيرية من أجهل نساء العالم؛ إذ التعاليم النصيرية تقضي بعدم جواز اطلاع

(١) انظر المصدر السابق ص (٣٤٤).

(٢) انظر ص (٥٢٧، ٥٥٨، ٩٢٤-٩٣٦)

(٣) انظر بحث الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي: أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام ص (٦٣)، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١٢٥)، السنة (٣٦)، ١٤٢٤هـ.

(٤) انظر ما ذكره الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة... (١/ ٣٥١).

(٥) انظر المصدر السابق.

المرأة على أي سر من أسرار المذهب؛ لأنها في نظرهم ضعيفة العقل والإرادة، ولأنها أكثر شراً من الرجل وأكثر احتيالاً ومكرًا، وهنّ سبب كل شر، فالمرأة النصيرية لا دين لها، وأن الرجل قد يجازى أيضًا في التناسخ بأن يتحول إلى صورة امرأة عقابًا له^(١).

الثالث: الدروز، وتأثيرها بالهندوسية

التعريف بالدروز:

هي إحدى الفرق الباطنية الغلاة الذين ألّوها الحاكم بأمر الله^(٢) العبيدي^(٣)، ظهرت في بداية القرن الخامس الهجري في مصر^(٤).

تأثر الدروز بالهندوسية:

يظهر تأثر الدروز بالعقائد الهندوسية في الأمور الآتية:

(١) تأليههم للبشر، وذلك؛ أنهم يؤلهون الحاكم بأمر الله العبيدي^(٥).

(٢) إنكارهم الرسل؛ وتلقيبهم بألقاب سيئة للغاية^(٦).

(٣) القول بالتناسخ^(٧).

(١) انظر ما ذكره الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة... (١/ ٣٣٦)، وقد أشار إلى أنه نقله عن دائرة معارف القرن العشرين، مادة نصر، وكتاب العلويون ص (٥٧)، وطائفة النصيرية ص (٤٣).

(٢) أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي، ولد سنة ٣٧٥هـ، وهلك سنة ٤١١هـ. انظر المصدر السابق (١/ ٣٨٠-٣٨٣).

(٣) نسبة إلى عبيد الله بن ميمون القداح الذي أسس الدولة العبيدية في المغرب سنة (٢٩٦هـ)، ثم امتد نفوذهم إلى مصر وصارت القاهرة عاصمة لهم، انظر المصدر السابق (١/ ٣٦٥) هامش.

(٤) انظر ما ذكره الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة... (١/ ٣٦٥).

(٥) انظر المصدر السابق (١/ ٣٨٧).

(٦) انظر بحث الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي: أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام ص (٦٣-٦٤)، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١٢٥)، السنة (٣٦)، ١٤٢٤هـ.

(٧) انظر المصدر السابق (١/ ٣٩٠).

(٤) إنكارهم للقيامة ونهاية العالم^(١).

الرابع: البهائية، وتأثرها بالهندوسية

التعريف بالبهائية:

البهائية إحدى الفرق الباطنية الخبيثة التي تحاول هدم الإسلام وإخراج أهله منه بأساليب وطرق شتى قديمًا وحديثًا.

وهي في الأصل كانت تسمى البابية نسبة إلى رجل يقال له ميرزا محمد علي الشيرازي المولود بإيران سنة ١٨٢٠م، ادعى أنه الباب إلى المهدي، ثم ادعى أنه المهدي المنتظر، ثم أعلن عدم إيمانه باليوم الآخر، وأنكر الجنة والنار، وذكر أنها رموز لحياة روحية متجددة ونحى منحى البراهمة والبوذية، حيث اعتقد الحلول وادعى أن الله قد حل فيه، وأنه هو الذي به يظهر الله لخلقه، ثم زعم أنه يجمع بين اليهودية والنصرانية والإسلام وأنه لا فرق بينها^(٢).

تأثر البهائية بالهندوسية

ظهر من البيان السابق، أن البهائية تأثرت من الهندوسية في أمور عديدة، منها:

(١) عقيدة تأليه البشر، وذلك؛ أنهم يعتقدون أن الميرزا محمد علي المازندراني ربهم وإلههم حيًا وميتًا، ثم وصفوا الله ﷻ بصفات مفادها أنه لا وجود له إلا في أشخاص زعماء البهائيين^(٣).

(٢) عقيدة الحلول والاتحاد^(٤).

(٣) إنكار اليوم الآخر، واعتقاد بقاء العالم^(٥).

(١) انظر المصدر السابق (١/ ٣٩١-٣٩٢).

(٢) انظر ما ذكره الشيخ عبد القادر شيبه الحمد: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص (٩٣).

(٣) انظر ما ذكره الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة ... (١/ ٤٥٧).

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) انظر المصدر السابق ص (٤٥٧-٤٥٨).

(٤) وحدة الأديان^(١).

(٥) تحليل المتعة، وشيوعية النساء^(٢).

الخامس: القاديانية، وتأثرها بالهندوسية

التعريف بالقاديانية:

القاديانية إحدى الفرق الباطنية الخبيثة ظهرت في آخر القرن التاسع عشر الميلادي في الهند، وتسمى في شبه القارة الهندية بالقاديانية، وسموا أنفسهم في أفريقيا وغيرها من البلاد البعيدة بالأحمدية تمويهاً على المسلمين.

أسسها المدعو غلام أحمد بن غلام مرتضى القادياني، بإيعاز من الاحتلال البريطاني، مؤامرة على الإسلام ونبیه، وتغلغت في صفوف المسلمين في الهند، وانتشرت في العالم بمساعدة أعداء الإسلام، وبدأت تظهر في العراق وسوريا وتنتشر في إندونيسيا وبعض الدول الآسيوية، ولهم نشاط عجيب في الدول الأوروبية، ويوهمون الناس أنهم يمثلون الإسلام الصحيح^(٣).

تأثر القاديانية بالهندوسية

(١) تأثروا في التوحيد بعقيدة الهندوس؛ وذلك في أمور:

❖ شبهوا الله بالإخطبوط البحري^(٤)، إذن هم مثل الهندوس لا ينزهون الله عن تشبيه الله بالنقائص.

❖ جعل القادياني نفسه ندًا لله^(٥)، حيث أله نفسه مثل كريشنا في الهندوسية^(٦).

(١) انظر ما ذكره الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة ... (١/ ٤٣٤).

(٢) انظر المصدر السابق (١/ ٤٥٩).

(٣) انظر ما ذكره الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة ... (٢/ ٤٨٧-٤٨٩)، وانظر أيضًا: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٤٢٢).

(٤) القادياني: توضيح المرام ص (٦٨-٦٩).

(٥) القادياني: الاستفتاء ص (٥، ٢٨، ٨٨، ٨٩، ٩٤).

(٦) محاضرات الميرزا في سيالكوت في (٢/ ١١/ ١٩٠٤ ص (٣٤)، نقلًا عن فرق معاصرة (٢/ ٥٣٧).

❖ ادعاء وحدة الوجود، حيث قال: «أنت مني وأنا منك»^(١)، وقد سبق معنا: أن وحدة الوجود من صميم عقيدة الهندوس.

(٢) جعل الملائكة كجوارح الله^(٢)، وهذا يرجع إلى عقيدة الهندوس، حيث يعتقدون أنهم من أعضاء الله.

(٣) أما في عقيدة الآخرة، فاعتقد الدوريات، والتناسخ، مثل عقيدة الهندوس تماماً^(٣).

(٤) ادعاء الحلول، وذلك من وجوه:

❖ ادعاؤه حلول الله فيه^(٤).

❖ ادعاء الغلام بأنه وصل إلى النبوة عن طريق الحلول والتناسخ^(٥).

❖ ادعاؤه أنه كريشنا، عن طريق الحلول والتناسخ^(٦).

ثانياً: تأثير بعض الفرق الكلامية المنتسبة إلى الإسلام بالهندوسية

هناك مقالات لدى بعض الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي تشبه مقالات الهندوس في كثير من الوجوه، فإما أنهم أخذوها من الهندوسية مباشرة، وإما أنهم أخذوها من الفلسفات الوثنية، من الفلسفات اليونانية أو الفلسفات الهندية وما إلى ذلك.

من أهم هذه الفرق التي توجد لديها بعض مقالات الهندوس:

(١) القادياني: الاستفتاء ص (٨٨، و٩١).

(٢) القادياني: حماسة البشرى ص (٢٢١).

(٣) انظر كتاب القادياني: إعجاز المسيح في تفسير أم الكتاب ص (٢٩)، وانظر ما نقله الشيخ أبو الحسن الندوي: القادياني، والقاديانية، ص (٧٤).

(٤) انظر ما ذكره القادياني: الاستفتاء ص (٩٤).

(٥) انظر ما نقله الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة ... (٥٤٣/٢).

(٦) انظر ما نقله الشيخ أبو الحسن الندوي: القادياني والقاديانية، ص (٧٨).

الجهمية^(١):

أهم ما يظهر التشابه بين قولها وقول الهندوس:

(١) إنكار أسماء الله وصفاته، حيث إن الجهمية تنكر أي اسم أو صفة لله، فهم ينكرون أسماء الله وصفاته جملة وتفصيلاً^(٢)، وهو نفس فكرة الهندوس في «برهمن» الذي لا يمكن أن يوصف بأي صفة ثبوتية مطلقاً^(٣).

(٢) ادعائه أن الله قريب بذاته وأن الله مع كل أحد بذاته وَعَلَى^(٤)، وهذا هو الحلول العام الذي عليه الهندوس في مقالاتهم^(٥).

المعتزلة^(٦):

أهم ما يظهر التشابه بين قولها وقول الهندوس:

(١) إن الجهمية إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية، كانت لها آراء خاطئة في كثير من أصول العقيدة، ترجع نسبتها إلى الجهم بن صفوان الترمذي الخراساني، ظهر في المائة الثانية من الهجرة، وهو من الجبرية الخالصة، وأول من ابتدع القول بخلق القرآن، وتعطيل الله عن صفاته، كما يقولون بالجبر. انظر ما ذكره الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة ... (٢/٧٩٥).

(٢) انظر ما ذكره الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة ... (٢/٨٠٠).

(٣) وقد سبق معنا ذلك في ص (٢٥٢-٢٦٥).

(٤) انظر ما ذكره الدكتور غالب العواجي: فرق معاصرة ... (٢/٨٠٠).

(٥) انظر ص (٦٠٨-٦٢٥).

(٦) المعتزلة اسم لفرقة من المتكلمين ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري، أصحاب واصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد، تبعوا الجهمية في قولهم بتعطيل الباري تعالى عن صفاته، وقالوا: إن الصفات لا تقوم بذات الله، فحقيقة قولهم: نفي الكلام عن الله سبحانه، ولهم أصول خمسة، (التوحيد أي: نفي الصفات، والعدل أي: نفي خلق أفعال العباد، والوعد والوعيد، أي: خلود أصحاب الكبائر في النار، والمنزلة بين المنزلتين، أي مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي: الخروج على الحكام.

انظر ما ذكره البغدادى: الفرق بين الفرق، ص (٣٣)، وابن حزم: الفصل (٣/٢٢)، (٤/١٩٢).

(١) إنكار الصفات، فالمعتزلة ينكرون صفات الله تعالى مطلقاً، والهندوس مثلهم ينكرون إثبات الصفات لله.

(٢) إنكار الأفعال الاختيارية لله تعالى، وإنكار كون الله خالقاً لأفعال العباد، وقد سبق معنا أن الهندوس ينكرون كون الله خالقاً لأفعال العباد، بل يجعلون كارما هو الذي يحدد أفعال العباد، وأما الشبهات التي تشبث بها المعتزلة في إنكارهم لكون الله خالقاً لأفعال العباد، فهي شبهات الهندوس نفسها؛ فإن أهم شبهات المعتزلة في هذا الباب:

❖ أن العباد يمدحون على الحسن من أفعالهم، ويذمون على القبيح منها، فيلزمنا أن نمدح من يفعل الواجب، ونذم من يفعل الظلم والسرقة، بينما لا يحسن منا مدح أحدٍ على كونه وهيئته، ولا ذمه على طوله وصورته؛ لأنها من خلق الله، فهذا من أدل الدلالة على أن أفعال العباد من جہتهم وخلقهم^(١).

❖ إن أفعال العباد منها ما هو ظلم وجور، فلو كان الله خالقاً لها لوجب أن يكون ظالماً جائراً، وهذا كفرٌ من قائله^(٢)، كأنهم يرون أن الله ما دام خالقاً لها فهو فاعلٌ لها^(٣). هذه أهم شبهات المعتزلة، وهي نفس شبهة الهندوس في إنكارهم لكون الله فاعلاً لأفعال العباد، ولهذا هم ينسبون أفعال العباد إلى «كارما»^(٤).

(٣) القول بالجواهر الفرد^(٥)، (الجزء الذي لا يتجزأ)، وقد سبق معنا: أن نظرية

(١) انظر ما ذكره القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين ص (٢٢٢)، نقلاً عما ذكره عبد اللطيف عبد القادر الحفظي: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ص (٦٩).

(٢) انظر ما ذكره القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص (٣٤٥)، نقلاً عما ذكره عبد اللطيف عبد القادر الحفظي: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ص (٧١).

(٣) انظر ما ذكره سعد الدين الفتازاني: شرح المقاصد (٤/٢٥٦).

(٤) انظر للرد على شبهة الهندوس هذه ص (٦٠٣).

(٥) الجواهر الفرد، هو الجزء الذي لا يتجزأ، أو الذرة في الاصطلاح العصري، ويعرّف بأنه =

الجوهر الفرد، أو الجزء الذي لا يتجزأ، كان من أوائل القائلين بها الهندوس، حيث إن فلسفة فايشيشكا مبنية على هذه النظرية، وقد سبق معنا استعراض هذه الفلسفة مفصلاً^(١).

وإنما رجحتُ أخذ هؤلاء المتكلمين^(٢) نظرية الجوهر الفرد عن الديانة الهندوسية، حيث نص على ذلك كثير من الباحثين^(٣)، وذلك لما لاحظوا وجود الفوارق بين مذهب الجوهر الفرد اليونانيين، ومذهب الجوهر الفرد عند الإسلاميين، ووجود الشبه القوي في النظرية بين القائلين به من المسلمين وبين الهنود أصحاب فايشيشكا^(٤).

= الجوهر الذي لا يقبل الانقسام؛ فلا ينقسم، لا بالفك، ولا بالقطع، ولا بالوهم، ولا بالفرض العقلي. انظر ما ذكره السمرقندي: الصحائف الإلهية ص (٢٥٥)، والجرجاني: التعريفات ص (٧٥).

ولاشك: أن هذه العقيدة باطلة؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إذ ما من موجود إلا ويتميز منه شيء عن شيء، وإثبات انقسامات لا تنتهى فيما هو محصور بين حاصرين: ممتنع؛ لامتناع وجود ما لا ينتهى فيما يتناهى، وامتناع انحصاره فيه. لكن الجسم؛ كالماء يقبل انقسامات متناهية إلى أن تتصاغر أجزاؤه، فإذا تصاغت استحالت إلى جسم آخر، فلا يبقى ما ينقسم ولا ينقسم إلى غير غاية... كالقطرة الصغيرة من الماء إذا صغرت جداً، فلا بد أن تستحيل هواء أو تراباً، أو تنضم إلى ماء آخر، وإلا فلا تبقى القطرة الصغيرة جداً وحدها، وكذلك سائر الأجزاء الصغيرة جداً من سائر الأجسام). الصفدية (١/ ١١٨)، وانظر منهاج السنة (٢/ ٢١٠). وصدق شيخ الإسلام فالعلماء العصريون يقولون: إن المادة بعد تصغيرها تتحول إلى قوة، إذن لم يبق على ما يتصور من الجزء الذي لا يتجزأ أو الجوهر المفرد.

(١) انظر ص (٣٦٤-٣٦٧).

(٢) سموا بهم لكثرة خوضهم في صفة كلام الله تعالى، وهم المعتزلة والأشعرية والماتريدية، وغيرهم.

(٣) منهم د/ س. بينيس: مذهب الذرة عند المسلمين، وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ص (٩٩)، كما نقل المترجم عن عدة علماء شرقيين وغربيين ترجيح هذا القول.

(٤) انظر في هذه المسألة بحثاً مفصلاً في المصدر السابق، ص (٩١-١٢١).

ثالثاً: تأثر بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام في بعض المسائل بالهندوسية:

هناك العديد من الفرق يظهر لي تأثرها ببعض العقائد الهندوسية، وتجمعها

صفتان:

(١) أصحاب الحلول^(١).

(٢) أصحاب التناسخ^(٢).

وقد ذكر أصحاب الملل والنحل والمقالات وغيرهم هؤلاء الطوائف بتوسع.



(١) ذكر البغدادي هؤلاء، فقال: «الحلولية في الجملة عشر فرق، كلها كانت في دولة الإسلام، وعرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع، وتفصيل فرقها في الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض، وذلك أن السبئية والبيانية والجناحية والخطائية والنميرية منهم بأجمعها حلولية، وظهر بعدهم المقنعية بما وراء نهر جيحون، وظهر قوم بمرو يقال لهم رزامية، وقوم يقال لهم: بركوية، وظهر بعدهم قوم من الحلولية يقال لهم حلمانية، وقوم يقال لهم حلاجية، ... وقوم يقال لهم العذافرة، وتبع هؤلاء الحلولية قومٌ من الخرمية...». الفرق بين الفرق ص (٢٥٤) مختصراً.

(٢) وقد ذكر البغدادي هؤلاء فقال: «القائلون بالتناسخ أصناف: .. وصنفان آخران ظهرا في دولة الإسلام، أحدهما: من جملة القدريّة، والآخر: من جملة الرافضة الغالية. ... وأما أهل التناسخ في دولة الإسلام؛ فإن البيانية والجناحية والخطائية والراوندية من الروافض الحلولية، كلها قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة بزعمهم. وأول من قال بهذه الضلالة السبئية من الرافضة... وأما أهل التناسخ من القدريّة فجماعة؛ منهم: أحمد بن خابط، وكان معتزلياً منسباً إلى النظام...»

ومنهم أحمد بن أيوب بن بانوش، وكان تلميذ أحمد بن خابط في التناسخ، لكنهما اختلفا بعد في كيفية التناسخ. ومنهم: أحمد بن محمد القحطي، وافتخر بأنه كان منهم في التناسخ والاعتزال. ومنهم: عبد الكريم بن أبي العوجاء... الفرق بين الفرق ص (٢٧٠-٢٨١). مختصراً.

الفصل الأول

تأثر المتصوفة بالهندوسية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول

التعريف بالتصوف والمتصوفة ونشأته

التعريف بالتصوف والمتصوفة:

التصوف أصل تسميته من الصوف^(١)، وهذا ما ذهب إليه غالب المتصوفة

(١) وهناك أقوال أخرى في اشتقاقه، من أهمها:

- ١ - أنه مشتق من الصفاء، صفاء القلب.
- ٢ - أنه مشتق من صوفة، اسم شخص في الجاهلية.
- ٣ - أنه مشتق من الصفة، وهي موضع مظلل، ملحق بمسجد رسول الله ﷺ، كان يأوي إليه فقراء المهاجرين
- ٤ - أنه مشتق من الصف، حيث إنهم يقفون في الصف الأول في العبادات والزهد والجهاد.
- ٥ - إنه مشتق من الصوفانة، وهي بقلة تنبت في البراري.
- ٦ - إنه مشتق من كلمة أعجمية «سوفيا»، اليونانية، وتعني الحكمة.

هذه أهم الأقوال في اشتقاق التصوف، وهي كلها تنبئ عن اتجاهات التصوف والمتصوفة. راجع ما ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب: ١٦٧/٢، والسهوروردي في عوارف المعارف: ٦٠، وغيرهما من المتقدمين، ومن المتأخرين: د/ زكي مبارك في التصوف الإسلامي بين الأدب والأخلاق: ١/ ٥١-٥٢، والدكتور عبد الحليم محمود في أبحاث في التصوف: ١٥٧-١٥٩

المتقدمين^(١) والمتأخرين^(٢) وقد رجح^(٣) هذه النسبة كثيرون؛ منهم ابن خلدون^(٤)، وابن تيمية^(٥) وغيرهما^(٦).

أما التصوف في اصطلاح المتصوفة، فقد وجد لديهم عبارات تفوق المئات بل الآلاف^(٧) في تحديد هذا المصطلح، وفيما يلي بيان لبعض هذه الأقوال:

(١) قال الجنيد^(٨): «أن تكون مع الله بلا علاقة»^(٩). هذا التعريف فيه إشارة إلى الحلول.

(١) انظر ما ذكره الطوسي: اللمع ص (٤١).

(٢) انظر مثلاً ما ذكره السهروردي: عوارف المعارف ص (٦٠).

(٣) والذي يرجح هذا القول ثلاثة أشياء:

١- إن النسبة إلى الصوف صوفي، وهذا يستقيم من ناحية اللغة.

٢- إن الصوفية يفضلون لبس الصوف على غيره.

٣- إن لبس الصوف مدعاة للخشونة والزهد في الدنيا وهم يحبون أن ينسبوا لذلك.

ولأن المتصوفة في بلاد فارس يسمّون بـ«شمينة پوش» أي لابس الصوف.

انظر ما ذكره نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتأريخه، ص (٦٧)، والدكتور إبراهيم بن خلف التركي: التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة ص (١٤).

(٤) ابن خلدون في المقدمة: (٥٨٤/٢).

(٥) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٦/١١، ١٦-١٧، ١٩٥).

(٦) مثل أبي العلا العفيفي: التصوف والثورة الروحية في الإسلام ص (٣٤)، وياسين رشدي: التصوف ما له وما عليه، ص (١٢).

(٧) راجع مثل هذا القول عند السهروردي المقتول في عوارف المعارف، ص (٥٤)، وانظر ما نقله الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله: التصوف المنشأ والمصدر ص (٣٦).

(٨) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، مولده ومنشؤه بالعراق، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، من أقواله المشهورة: «ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسّنات». توفي سنة (٢٩٧هـ)، انظر ترجمته في ما ذكره ابن

النديم في الفهرست ص (٢٦٤)، والسلمي: طبقات الصوفية، (١٠/٢٥٥)، والزركلي: الأعلام ص (٢/١٤١). وانظر أيضاً ما ذكره الدكتور عبد الله نومسوك: البوذية ... ص (٣٧٨)، هامش (١).

(٩) الطوسي: اللمع ص (٤٥).

(٢) وقال أيضًا: «أن يملك الحق عنك ويحييك به»^(١).

هذا التعريف من الألفاظ، يشير إلى الاتحاد في النهاية.

(٣) وقال أبو الحسين النوري^(٢): «التصوف ترك كل حظ النفس»^(٣).

(٤) وقال أيضًا: «الصوفي الذي لا يملك ولا يملك»^(٤).

ولعل أصح ما قيل في تعريف التصوف قول أحد متأخريهم: (إنه لم ينته الرأي فيه إلى نتيجة حاسمة بعد)^(٥).

ومن الطريف أنهم يرجعون ذلك إلى عظمة قدر التصوف والصوفية حيث إن التصوف - كما يحلله هؤلاء - لا تدرك أغواره ولا تبلغ أبعاده، إذ هو مادة جميع العلوم والفنون، فيفوق الحدود والضوابط، ولا يقدر أحد أن يجمع كل جوانبه في ألفاظ قليلة حاصرة، بل غاية أمر المتعرض لتعريفه وحده أن يعبر عما أدركه هو في التصوف، وما رآه من مقامات الرجال وأحوالهم، فكل يعبر عن حاله وذوقه ومشاهداته التي يزعمها. ولا شك أن هذا دليل على بطلانه وفساد حال أهله بحيث أنه لم يضبط بضابط، ولم يجتمع أهله على حقيقة واحدة فيه، بل كل يسلك فيه مسلكًا ويلتزم فيه منهجًا وذلك لا شك في كونه مجانبًا لمنهج الدين الواحد الذي قال الله ﷻ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ونظرًا لبعض معالم التصوف يمكننا أن نعرف التصوف أو الصوفية: بأنها فرقة

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٥٥١)، والسهوردي: عوارف المعارف ص (٦٣).

(٢) هو أبو الحسين بن أحمد بن محمد النوري، ولد ونشأ ببغداد، وأصله من خراسان، كان من أقران الجنيد، توفي سنة (٢٩٥هـ)، انظر ترجمته فيما ذكره السلمي: طبقات الصوفية ص (١٦٤)، والرسالة القشيرية (١/ ١٢٣)، والهجوري: كشف المحجوب (١/ ٢٤٢).

(٣) الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ص (٣٤).

(٤) الهجوري: كشف المحجوب (١/ ٢٣٣). كأن المعنى: أن لا تملك شيئًا، ولا يملكك شيء، وانظر ما ذكره الطوسي: اللمع ص (٤٥).

(٥) د/ عبد الحليم محمود: أبحاث في التصوف، ص (١٥٣).

ذات عقائد وأخلاق فلسفية تدعي الزهد في الدنيا والانصراف إلى الروح، وتعتمد على التأمل، والتعبد، والتقشف، وما إلى ذلك من المجاهدات والرياضات، مما لم يستند إلى دليل شرعي صحيح، وذلك للوصول إلى الغاية البعيدة، ألا وهي الخلاص، والاتصال بالذات الإلهية والفناء فيها^(١).

المقصود بالمتصوفة عندنا في هذا البحث:

المتصوفة على أقسام عدة كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ والمقصود من هذه الأقسام عندنا ما يلي:

- ١ - المتصوفة الحلولية: وهم القائلون بحلول الله في بعض مخلوقاته.
- ٢ - المتصوفة الوجودية: وهم القائلون بوحدة الوجود .
- ٣ - المتصوفة الإباحية: وهم القائلون بسقوط التكاليف وإباحة المحرمات.
- ٤ - المتصوفة القبورية: وهم الداعون إلى دعاء الأنبياء والأولياء أحياء وأمواتا، من دون الله أو مع الله، والمستغيثون بهم، والطالبون لكشف الكربات وقضاء الحاجات منهم.

نشأة التصوف:

أول ظهور التصوف كان في القرن الثاني:

إذا تتبعنا كتب التاريخ التي كتبت عن نشأة الفرق في الإسلام فإننا سنجد أول بوادر ظهور التصوف وبروزه ظاهرة معروفة بهذا الاسم ولها تعاليم خاصة بها ومدرسة وتلاميذ تربيههم تربية خاصة تختلف مع التربية العامة التي يسلكها أهل السنة والجماعة في تربية الأجيال المسلمة، كان في القرن الثاني الهجري^(٢).

(١) انظر ما ذكره الدكتور عبد الله نومسوك: البوذية ... ص (٣٨٠-٣٨١).

(٢) انظر ما ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى : ١١ / ٥-٧ وما ذكره ابن الجوزي في تليس إبليس : ٢٣٠ ، وكامل الشيبني في : الصلة بين التصوف والنشيع : ٢٦٦، ٢٦٩ ،

وذلك حينما أقبل الناس على الدنيا، وجنح الناس إلى مخالطتها والانشغال فيها، عرف المقبلون على الزهد والعبادة باسم الصوفية والمتصوفة^(١).

واختلف في أول من لقب بالصوفي في الإسلام، والذي عليه الأكثر أنه أبو هاشم الكوفي^(٢)، وكانت البصرة مركزاً للتصوف^(٣)، وكان أصحاب التصوف في البداية يركزون على ركنين:

(١) الزهادة.

(٢) حب الله^(٥).

ولاشك أنهما مشروعان في الإسلام، وقد حدّد الإسلام معالمهما، إلا أن الكثيرين تجاوزوا الحد في ذلك، ثم مازالت تتجاوز حدودهما دون مراعاةٍ لحدود الشرع.

فمثال الزهد في ذلك الزمان: أن إبراهيم بن أدهم^(٦) المتوفى سنة (١٦١ هـ) كان

(١) انظر ما ذكره ابن الجوزي: تليس إبليس ص (١٦٣).

(٢) وهو عثمان بن شريك، أبو هاشم الزاهد، ذكر الجامي أنه أول من سمي بالصوفي، وما سمي بهذا الاسم قبله، اختلف المترجمون هل كان كوفيًا أم بغداديًا، أم شاميًا، وذكر بعضهم أن أبا هاشم اتهم بالزندقة، وأنه كان باطنيًا دهرًا، توفي سنة (١٥٠ هـ). انظر ترجمته فيما ذكره الخطيب: تاريخ بغداد (٣٩٧/١٤)، وأبو نعيم: حلية الأولياء (٢٢٥/١٠)، وإحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصدر ص (٤١).

(٣) انظر ما ذكره الدكتور كامل مصطفى الشبيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، ص (٢٦٩)، والدكتور عبد الله نومسوك: البوذية ... ص (٣٨٤).

(٤) انظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٦/١١)، ص (٧).

(٥) انظر ما ذكره أحمد أمين: ظهر الإسلام (٤/١٥٠).

(٦) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي، البلخي، أبو إسحاق، زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، وكان يلبس في الشتاء فروًا لا قميص تحته، ولا يتعمم في الصيف ولا يحتذي، يصوم في السفر والإقامة، توفي سنة ١٦١ هـ - ٧٧٨ م. انظر ترجمته فيما ذكره الذهبي: سير أعلام النبلاء (٧/٣٨٧-٣٩٦)، والزركلي في الأعلام (١/٣١).

زاهداً إلى درجة تخلى عن ملكه وأمواله، ولبس الصوف، وهام على وجهه في البلاد، متقشفاً منصرفاً إلى العبادة ودعوة الناس إلى الزهد في الدنيا وخيراتها.

وكان يقول: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات:

- ١- تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة.
 - ٢- تغلق باب العز وتفتح باب الذل.
 - ٣- تغلق باب النوم وتفتح باب السهر.
 - ٤- تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر.
 - ٥- تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت^(١).
- ولاشك أن مثل هذه الزهادة غير مطلوبة في الشرع^(٢).

وأما مثال حب الله في ذلك الزمان، فمثل ما اشتهرت به رابعة العدوية^(٣) المتوفى سنة (١٣٥هـ)، كانت داعية إلى حب الله حباً مطلقاً مجرداً عن الخوف والرغبة، وجعلت هذا الحب من أسس الصوفية، وركزت عليه طريقها^(٤).

وظهرت في نهاية القرن الثاني فكرة جديدة كانت لها أثرها في التصوف، متمثلة في أقوال معروف الكرخي^(٥) الذي عرّف التصوف بأنه الأخذ بالحقائق، واليأس مما

(١) انظر الرسالة القشيرية (١/ ٥٤-٥٦).

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى في الحب: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(٣) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية، صالحة مشهورة، لها أخبار في العبادة والنسك، توفيت بالقدس، وقيل: بالبصرة، سنة (١٣٥هـ)، وقيل سنة (١٨٥هـ)، والأول أصح. انظر ترجمتها فيما ذكره ابن الجوزي: صفة الصفوة (٤/ ٢٧)، والزركلي في الأعلام (٣/ ١٠).

(٤) الدكتور عبد الله نومسوك: البوذية ... ص (٣٨٧).

(٥) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، من كبار الصوفية المتقدمين، ولد في كرخ بغداد، وتوفي بها سنة (٢٠٠هـ)، انظر ترجمته فيما ذكره السلمي: طبقات الصوفية ص (٨٣)، وأبو نعيم: الحلية (٨/ ٣٦٠)، والزركلي: الأعلام (٧/ ٢٦٩).

في أيدي الخلائق^(١). وذلك؛ لأنهم سموا أنفسهم أرباب الحقائق وغيرهم أهل الرسوم والظاهر.

حال التصوف في القرن الثالث والرابع:

وظهر التصوف في القرن الثالث والرابع الهجريين، في صورة جديدة، تختلف عن سابقتها تمام الاختلاف، حيث لا يقف التصوف في هذه الفترة عند حد الزهد والرياضة والمجاهدة، وإنما تجاوز هذا كله إلى ما يسمونه بـ«فناء الإنسان عن نفسه واتحاده بربه، وحصوله على المعرفة العليا التي تتجلى فيها الحقائق عن طريق الكشف والشهود»^(٢).

والصوفية في هذه الفترة تعتبر من أكثرها تأثراً بالمذاهب الفلسفية الوافدة التي انتشرت في ذلك الوقت، في أنحاء المملكة الإسلامية، خاصة في خراسان وفارس، وذلك نتيجة توسع الفتوحات الإسلامية واختلاط الشعوب المتنوعة المختلفة في عقائدها وأجناسها ولغاتها، ولذا لا يستبعد أن يكون بعض المسلمين تأثروا بالعقائد التي كانت موجودة وسائدة هناك، خاصة وأن التصوف كان معروفاً قبل الإسلام في الأمم الماضية كالنصرانية المحرّفة، وبعض الديانات الوضعية، كالهندوسية والبوذية، واليونانية الوافدة^(٣).

ومن أشهر المتصوفة في هذا العصر^(٤):

١) أبو سليمان الداراني المتوفى سنة (٢١٥هـ)^(٥): الذي اشتهر بشدة التقشف.

(١) انظر الرسالة القشيرية (٢/٥٥٢)، والسهروردي: عوارف المعارف ص (٦٢).

(٢) انظر ما ذكره نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه ص (٤، ٥، ٧٠، ٧٤)، وانظر ما نقله الدكتور عبد الله نومسوك: البوذية... ص (٣٨٧).

(٣) انظر ما قال أحمد أمين في ظهر الإسلام: (٤/١٥٠-١٥١).

(٤) استفدت من كتاب الدكتور عبد الله نومسوك: البوذية... ص (٣٨٨-٣٩٠).

(٥) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، زاهد مشهور، من أهل داريا بدمشق، رحل إلى بغداد، وأقام بها، ثم عاد إلى الشام، له أقوال كثيرة في التصوف. انظر ترجمته فيما ذكره السلمي: =

(٢) بشر بن الحارث الحافي المتوفى سنة (٢٢٧هـ)^(١): الذي كان له شأن كبير في المجاهدة.

(٣) الحارث المحاسبي، المتوفى سنة (٢٤٣هـ)^(٢): واشتهر بوضع أصول التصوف، وبكتابه: الرعاية لحقوق الله، من الكتب القديمة في التصوف.

(٤) أبو تراب النخشي، المتوفى سنة (٢٤٥هـ)^(٣)، الذي عرف بالسياحة، قطع أودية كثيرة على التجرد.

(٥) ذو النون المصري، المتوفى سنة (٢٤٥هـ)^(٤): الذي كان له أكبر الأثر في

= طبقات الصوفية ص (٧٥)، والرسالة القشيرية (٩٦/١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٤/٩)، والزركلي في الأعلام (٢٩٣/٣).

(١) هو أبو نصر بشر بن الحارث المعروف بالحافي، من كباب الصوفية، له أخبار في الزهد والورع، أصله من مرو بخراسان، انظر ترجمته فيما ذكره السلمي: طبقات الصوفية ص (٣٩)، والزركلي في الأعلام (٥٤/٢).

(٢) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، من أكابر المتصوفة، ولد ونشأ بالبصرة، له تصانيف عديدة في الزهد، منها: التوهم، ومن أقواله: العلم بحركات القلوب في مطالعة الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح، انظر ترجمته فيما ذكره السلمي: طبقات الصوفية ص (٥٦)، والرسالة القشيرية (٧٨/١)، وأبو نعيم في الحلية (٧٤/١٠)، والزركلي: الأعلام (١٥٣/٢)، وأبي غدة في مقدمة كتاب «رسالة المسترشدين» للمحاسبي ص (١٧).

(٣) هو أبو تراب عسكر بن الحصين النخشي، اشتهر بكنيته، حتى لا يكاد يعرف إلا بها، كان وفاته في بادية البصرة حيث نهسته السباع، انظر ترجمته فيما ذكره السلمي: طبقات الصوفية ص (١٤٦)، والرسالة القشيرية (١٠٨/١)، وأبو نعيم: الحلية (٢١٥/١٠)، والهجوري: كشف المحجوب (٣٣٤/١)، وابن الجوزي: صفة الصفوة (١٧٢/٤)، والزركلي: الأعلام (٢٣٣/٤).

(٤) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري، أحد الزهاد العباد المشهورين من أهل مصر، نوبي الأصل من الموالي، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، وهو أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه، وسمع كلامه، ثم أطلقه، انظر ترجمته فيما ذكره فيما =

تشكيل الفكرة الصوفية كما قاله المستشرق نيكلسون^(١)، فيعزى إليه أنه أول من تكلم في مصر في المقامات والأحوال، وأول من بحث في المعرفة بحثاً نظرياً دقيقاً^(٢).

(٦) سري السقطي الفارسي المتوفى سنة (٢٥٧هـ)^(٣): الذي قال عنه الهجويري^(٤): أول من تكلم في بغداد في ترتيب المقامات وبسط الأحوال، وأن أكثر مشايخ العراق من مريديه^(٥).

= ذكره السلمي: طبقات الصوفية ص (١٥)، والرسالة القشيرية (٥٨/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٣١/٩)، والزركلي في الأعلام (١٠٢/٢).

(١) هو رينولد ألين نيكلسون، مستشرق إنجليزي، عالم بالتصوف، درس العربية والفارسية، ودرّسهما، واشترك في نشر عدد من الكتب الصوفية، مثل: تذكرة الأولياء للقطار، واللمع للطوسي، وغيرهما، من كتبه في التصوف: دراسات في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمه إلى العربية الدكتور أبو العلاء عفيفي، هلك بسنة ١٣٦٤هـ. ١٩٤٥م. انظر ما ذكره الزركلي: الأعلام (٣٩/٣).

(٢) نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه ص (٧، ٨، ٧٤).

(٣) هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي، خال الجنيد بن محمد القواريري، وأستاذه، قال عنه السلمي: إنه أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال، قيل توفي سنة (٢٥١هـ)، وقيل (٢٥٧). انظر ترجمه فيما ذكره السلمي: طبقات الصوفية ص (٤٨)، وأبو نعيم: الحلية (١٠/١١٦)، والرسالة القشيرية (١/٦٩)، والهجويري: كشف المحجوب (١/٣٢١).

(٤) هو أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري نسبة إلى الهجوير بمدينة غزنة، عاصر الإمام القشيري، وسمع منه بعض آرائه، توفي بمدينة لاهور (سنة ٤٦٥هـ) على الأرجح، له كتاب كشف المحجوب في التصوف ألفه بالفارسية وترجمه إلى الإنجليزية المستشرق نيكلسون كما ترجمه إلى العربية: الدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل، انظر ترجمته في كشف المحجوب ص (١/٣٩) وما بعدها، وانظر ما نقله الدكتور عبد الله نومسوك: البوذية... ص (٣٨١)، حاشية (٢).

(٥) كشف المحجوب (١/٣٢٢).

(٧) أبو يزيد البسطامي، المتوفى سنة (٢٦١هـ)^(١): الذي كان ظهوره سبباً في تطور الأفكار الصوفية تطوراً كبيراً؛ لأنه أدخل في التصوف فكرة الفناء، وفكرة وحدة الوجود^(٢).

(٨) الجنيد بن محمد البغدادي، المتوفى سنة (٢٩٧هـ): وهو فارسي من نهاوند، ويلقب بسيد الطائفة^(٣).

(٩) الحلاج، المتوفى سنة (٣٠٩هـ)^(٤): الذي نادى بالحلول، وكان يروم انقلاب الدولة، كان دجالاً مشعوذاً، اتفق الفقهاء على قتله.

(١٠) أبو بكر الشبلي المتوفى سنة (٣٣٤هـ)^(٥)، المشهور بإشاراته، وكان على

(١) هو طيفور بن عيسى البسطامي، فارسي، كان جده مجوسياً، يعد من كبار أئمة التصوف، له أخبار كثيرة، منها ادعاؤه لوحدة الوجود، والمعراج، وما إلى ذلك. انظر ترجمته فيما ذكره السلمي: طبقات الصوفية ص (٦٧)، والرسالة القشيرية (١/ ٨٨)، والهجويري: كشف المحجوب (١/ ٣١٧)، وأبو نعيم: الحلية (١٠/ ٣٣)، وابن الجوزي: صفة الصفوة (٤/ ١٠٧)، والزركلي: الأعلام (٣/ ٢٣٥).

(٢) انظر ما ذكره نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه ص (٢٢، ٢٣، ٢٤).

(٣) انظر ما ذكره الدكتور عبد الله نومسوك: البوذية... ص (٣٩٠).

(٤) هو الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيب، فارسي الأصل، كان قد اتصل بالجنيد وتلمذ له، وظهر تطرفه وقوله بالحلول، كان محتالاً مشعوذاً، مرتكباً للعتائم، يروم انقلاب الدولة، يدعي أن الإلهية حلت فيه، وأنه هو، هو، فلما شاع أمره وذاع وعرف السلطان خبره، أمر بضربه ألف سوط، وقطع يديه، ثم أحرق بالنار في آخر سنة (٣٠٩هـ)، وانظر ترجمته فيما ذكره السلمي: طبقات الصوفية ص (٣٠٧)، والهجويري: كشف المحجوب (١/ ٣٦٢)، والزركلي: الأعلام (٢/ ٢٢٦).

(٥) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، ناسك أصله من خراسان، كان في مبدأ أمره والياً، ثم ترك الولاية، وعكف على العبادة، وسلك مسالك التصوف، توفي ببغداد سنة (٢٣٤هـ)، انظر ترجمته فيما ذكره السلمي: طبقات الصوفية ص (٣٣٧)، وأبو نعيم: الحلية (١٠/ ٣٦٦)، والرسالة القشيرية (١/ ١٦٠)، والهجويري: كشف المحجوب (١/ ٣٦٧)، وابن الجوزي: صفة الصفوة (٢/ ٢٥٨)، والزركلي: الأعلام (٢/ ٣٤١).

مثل ما كان عليه الحلاج، إلا أنه كان يخفي.
هؤلاء أشهر المتصوفة في هذين القرنين، ويمكن أن يلخص أعمال هذين القرنين
كما يلي:

- شدة التقشف.
- المجاهدة الشديدة.
- بداية تصنيف المصنفات في التصوف.
- تحديد المقامات والأحوال.
- ظهور فكرة الفناء (الاتحاد).
- ظهور وحدة الوجود.
- ظهور الحلول.
- وضع النظام الخاص بالرهبة، كالأربطة، وحدودها، والسياسة وطرقها والتزام الشيخ وأدابه.

حال التصوف في القرن الخامس والسادس:

إن حال التصوف في القرن الخامس والسادس: توجه إلى التنظيم والتنسيق، فقد
ظهر في هذين القرنين مجموعة من العقائد، منها:

- ١- التحول من التصوف إلى التفلسف.
 - ٢- تغير معظم اتجاهات التصوف إلى وحدة الوجود والاتحاد (الفناء).
 - ٣- ظهور الطرق الصوفية الكبرى^(١).
 - ٤- ظهور أشخاص مدافعين عن التصوف بالكتب والترتيب الصارم لنظام الرهبة.
- من أهم الأشخاص في هذين القرنين:

(١) أبو عبد الرحمن السلمي، المتوفى سنة (٤١٢هـ)^(٢).

(١) وهي الطريقة القادرية والطريقة الرفاعية وغيرهما.

(٢) هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم، الأزدي، =

- (٢) أبو القاسم القشيري، المتوفى سنة (٤٦٥هـ)^(١).
 (٣) الهجويري، المتوفى سنة (٤٩٢هـ).
 (٤) الغزالي، المتوفى سنة (٥٠٥هـ)^(٢).
 (٥) شهاب الدين السهروردي المقتول بسنة (٥٨٧هـ)^(٣).

= من أزد شنوءة، واشتهر بنسبته إلى سليم، قبيلة والدته، لكون قبيلتها لها شأن كبير في نيسابور، ولأنه نشأ في حضن جده، ولد سنة ٣٢٥هـ، وقيل: ٣٣٠هـ، نشأ في رعاية المتصوفة، وكتب، وأحسن. انظر ترجمته فيما ذكره الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٧/٢٤٧)، والعبر (٢/٢٢٢)، وابن كثير: البداية والنهاية (١٢/١٢)، والزركلي: الأعلام (٦/٩٩)، ومقدمة كتابه طبقات الصوفية للأستاذ نور الدين شريبه ص (١٦-١٩).

(١) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، شيخ خراسان في عصره، ولد سنة ٣٧٦هـ، من أهم كتبه: الرسالة القشيرية، ولطائف الإشارات. انظر ترجمته فيما ذكره الزركلي في الأعلام (٤/٥٧).

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي، الطوسي، ولد سنة ٤٥٠هـ، في طوس، بخراسان، طلب العلم في طوس وجرجان، ثم اتجه إلى نيسابور، فاتصل بشيخ المدرسة النظامية أبي المعالي الجويني، وهو أكبر شيوخه وأعظمهم أثراً عليه. ثم دخل بغداد، وفيها ظهر علمه وصات صيته، ثم رجح طريقة الصوفية، ودخل في سلكهم، وألف كتبه العديدة في التصوف، منها إحياء علوم الدين، المنقذ من الضلال، مشكاة الأنوار، وغيرها، وفي آخر عمره أقبل على طلب الحديث، ومجالسة أهله حتى توفي. انظر ترجمته فيما ذكره الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٢)، والعبر (٢/٣٨٧)، وابن كثير: البداية والنهاية (١٢/١٧٣)، والزركلي: الأعلام (٧/٢٢).

(٣) هو يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، من أئمة الصوفية في القرن السادس الهجري، ولد في سهرورد، ببلاد فارس، ونشأ بمراغة، وسافر إلى حلب، كان من أذكاء العالم، ولذا فتن به ملك حلب الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي، ولما ظهر لعلماء حلب كفره وزندقته أفتوا بقتله، وكتبوا بذلك إلى صلاح الدين، فبعث بولده بأن يقتل السهروردي بلا مراجعة، له مؤلفات منها: حكمة الإشراق، وكلمة التصوف، والتنقيحات، قتل بحلب سنة (٥٨٧هـ). انظر ترجمته فيما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢١/٢٠٧)، والعبر (٣/٢٩٥)، والزركلي: الأعلام (٧/١٤٠)، وعمر رضا كحاله: معجم المؤلفين (١٣/١٨٩)، وأصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي لمحمد علي أبو ريان.

وأهم ما يتميز به هؤلاء المتصوفة التقعيد للتصوف، وتصنيف الكتب للدفاع عنها، وعن قضاياها، وتقديمها بشكل أبسط للناس، وأهم من قَدَّم للتصوف والصوفية هو الغزالي، حيث كان المتصوفة والفقهاء دائماً في طرفي نقيض، فحاول الغزالي أن يوفق بينهم بكتبه العديدة.

حال التصوف في القرن السابع والثامن وما بعده:

دخل التصوف في هذين القرنين في تطور خطير، ويمكن أن يلخص ذلك في الأمور الآتية:

١ - استمرار ظهور الطرق الصوفية^(١).

٢ - استمرار الدعوة إلى وحدة الوجود والاتحاد بصراحة.

٣ - ظهور الطوائف الفلسفية المحضة في التصوف.

٤ - وظهور ملحدين ظاهرين.

من أهم شخصيات هذين القرنين:

(١) السهروردي، عمر بن محمد المتوفى سنة (٦٣٢هـ)^(٢)، صاحب العوارف.

(٢) ابن الفارض، المتوفى سنة (٦٣٢هـ)^(٣).

(١) كالطريقة الشاذلية، والبدوية، والنقشبندية وغيرها.

(٢) هو عمر بن محمد بن عبد الله القرشي التيمي البكري السهروردي، من كبار الصوفية، ولد سنة ٥٣٩هـ في سُهرورد، مدينة قرب قزوین بفارس، وسكن بغداد، أخذ الطريقة السهروردية عن مؤسسها عمه أبي النجيب السهروردي، وانتهت إليه مشيخة الصوفية في العراق، له مؤلفات، منها: عوارف المعارف. انظر ترجمته فيما ذكره الذهبي في العبر (٢١٣/٤)، والزركلي في الأعلام (٦٢/٥)، وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، (٣١٣/٧).

(٣) هو عمر بن علي بن مرشد الحموي، حموي الأصل، مصري المولد والمنشأ والوفاة، عرف بابن الفارض؛ لأن والده كان يثبت الفروض للنساء على الرجال عند القضاة، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ، واشتغل في أول حياته بطلب العلم، فدرس الحديث والفقه الشافعي وعلوماً أخرى، ثم سلك مسلك التصوف، وأقام بمكة خمسة عشر عاماً، وكان سائحاً في شعاب مكة، وكان =

(٣) ابن عربي، المتوفى سنة (٦٣٨هـ)^(١).

(٤) ابن سبعين، المتوفى سنة (٦٦٩هـ)^(٢).

(٥) عبد الكريم الجيلي، المتوفى سنة (٨٠٥هـ)^(٣).

= يبقى أياماً لا يأكل ولا ينام، وبلغ في زعمهم إلى درجة الكمال الصوفي الذي هو وحدة الوجود، ثم عاد إلى القاهرة سنة ٦٢٨هـ، فاشتهر أمره لدى الناس، ولقبوه بسلطان العاشقين، أشهر قصائده، الثائية الكبرى، والميمية، ثم توفي بها. انظر ترجمته فيما ذكره ابن كثير: البداية والنهاية (١٤٣/١٣)، والذهبي: سير أعلام النبلاء (٣٦٨/٢٢)، والعبر (٢١٣/٣)، وابن حجر: لسان الميزان (٣١٧/٤)، والزركلي: الأعلام (٥٥/٥).

(١) هو محمد بن علي بن محمد، الحاتمي الطائي المرسي، الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، المشهور عند أهل المشرق بابن عربي، بدون أداة التعريف، ليميزوا بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي، وأما أهل المغرب فشهرته عندهم ابن العربي، بالألف واللام، كما يسمي هو نفسه بذلك في كتبه. ولد بسنة ٥٦٠هـ، بمدينة مرسية، بالأندلس، ولما بلغ الثامنة انتقلت أسرته إلى أشبيلية، وفيها بدأ بطلب العلم، فدرس القرآن والحديث والفقه، وعمل في شبابه كاتباً لبعض الحكام، ثم سلك مسلك التصوف، فانقطع عن الدنيا، وتزهد، واعتزل الناس، ثم جاء مكة، فأقام بها سنين، ثم أقام بمطوية من بلاد الأناضول، وتزوج بأمر تلميذه محمد القونوي، ثم استقر بدمشق إلى وفاته. انظر ترجمته فيما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٥٦/١٣)، والذهبي: ميزان الاعتدال (٦٥٩/٣)، وسير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣)، والشعراني: الطبقات الكبرى (١٨٨/١).

(٢) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد، ابن سبعين، المرسي، الأندلسي، ولد في بلدة رقوطة في مرسية بالأندلس، سنة ٦١٣ أو ٦١٤هـ. نشأ في الأندلس، وتعلم فيها مبادئ العلوم الشرعية والعربية، وتعمق في علوم الفلسفة والمنطق والسحر، وسلك في طريق المتصوفة على يد كبار صوفية الأندلس، وفي سنة ٦٤٠هـ نفى ابن سبعين من الأندلس، لسوء معتقده، فانتقل إلى المغرب، وألف رسائله هناك، ونشر طريقته السبعينية، ولما انكشف مذهبه وتبين انحراجه أنكر عليه العلماء فخرج إلى مصر، ثم خرج منها إلى مكة، وبقي فيها حتى وفاته. انظر ترجمته فيما ذكره ابن كثير: البداية والنهاية (٢٦١/١٣)، وابن حجر: لسان الميزان (٣٩٢/٢)، والشعراني: الطبقات الكبرى (٢٠٣/١).

(٣) هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم، الجيلي، أو الجيلاني، نسبة إلى جيلان، =

وأهم ما يتميزون به هؤلاء الفلاسفة هو القول بوحدة الوجود، وسيأتي معنا في المبحث الثالث تفصيل أقوالهم بمشيئة الله.

وخلاصة القول: إننا لو نظرنا إلى تاريخ التصوف ونشأته وتطوره نستطيع أن نجزم بأن التصوف من أول ظهوره كفرقة من الفرق، ما هو إلا استيراد أجنبي من خارج الإسلام، وليس من صميمه، وأن المتصوفة لم يظهروا بعلمهم هذا، ولا عرفوا بهذه الصفة إلا بعد أن تأثروا بعوامل خارجية متعددة المصادر^(١)، ومنها الهندوسية والبوذية والأديان الأخرى الهندية. وهذا ما سيأتي بيانه في المبحث القادم بإذن الله.

= منطقة في بلاد فارس، وقيل: نسبة إلى جده الأعلى عبد القادر الجيلاني، وهو بغدادي الأصل، ولد سنة ٧٦٧هـ وتنقل في بلدان كثيرة، كالهند وفارس ومصر وفلسطين، والحجاز، ثم اتجه سنة ٧٩٦هـ إلى مدينة زبيد في اليمن، فأقام فيها حتى وفاته. انظر ترجمته فيما ذكره الزركلي: الأعلام (٤/ ٥٠).

(١) انظر ما ذكره الدكتور عبد الله نومسوك: البوذية... ص (٣٩٥)، وسيأتي بيانه في المبحث الثاني مفصلاً.

المبحث الثاني

استمداد التصوف أصوله من الفكر الهندوسي والأدلة على ذلك

اختلف الكتاب والمؤلفون في تحديد مصادر التصوف على أقوال:

- (١) فمن قائل: إن مصادر التصوف كلها إسلامية.
- (٢) ويقال: إن التصوف لا علاقة لها بالإسلام إطلاقاً.
- (٣) ويقال: إن التصوف وليد الأفكار المختلطة من الإسلام واليهودية والنصرانية والمانوية والمجوسية والمزدكية والهندوسية والبوذية، وقبل ذلك من الفلسفة اليونانية وآراء الأفلاطونية الحديثة.
- (٤) ويقال: إن التصوف اسم للزهد المتطور بعد القرون المشهود لها بالخير كرد فعل للانغماس في ترف الدنيا ونعيمها، ثم تطورت ودخلت أفكار أجنبية وفلسفات غير إسلامية، وذهب إلى هذا الرأي كثيرون منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وَغِيْرَهُ.

هذه معظم الأقوال في مصادر التصوف، وإن أفضل طريق للحكم على طائفة معينة وفئة خاصة من الناس هو الحكم المبني على آرائها وأفكارها التي نقلوها في كتبهم المعتمدة والرسائل الموثوق بها لديهم بذكر النصوص والعبارات التي يبني عليها الحكم، ويؤسس عليها الرأي ولا يعتمد على أقوال الآخرين ونقول الناقلين، اللهم إلا للاستشهاد على صحة استنباط الحكم واستنتاج النتيجة.

وهذه الطريقة مع صعوبتها هي الطريقة الصحيحة المستقيمة التي يقتضيها العدل والإنصاف، وعلى ذلك نقول:

إننا إذا نظرنا إلى تعاليم الصوفية الأوائل والأواخر، وأقاويلهم المنقولة منهم، والمأثورة في كتب الصوفية، القديمة والحديثة نفسها، نرى بوناً شاسعاً بينها وبين تعاليم القرآن والسنة، وكذلك لا نجد جذورها وبذورها في سيرة محمد ﷺ، وأصحابه الكرام، بل بعكس ذلك نراها مأخوذة مقتبسة من الرهبة البرهمية الهندوسية، والنصرانية، وتنسك اليهودية، وزهد البوذية، والفكر الشعبي الإيراني المجوسي عند الأوائل، والغنوصية اليونانية والأفلاطونية الحديثة لدى الذين جاءوا من بعدهم^(١).

فالتصوف استمد أصوله من كل نحلة ودين^(٢)، فلو فتش فيه يجد الباحث فيه البرهمية والبوذية والزرادشتية، ومانوية وتجد فيه أفلاطونية وغنوصية، وتجد فيه يهودية، ونصرانية، ووثنية جاهلية^(٣).

وعلى هذا نستطيع أن نقول: إن التصوف استمد أصوله من أفكار مختلطة من أصحاب الأديان والفلسفة، تصل إلى عشرة مصادر، هي: الإسلام، واليهودية، والنصرانية، والمانوية، والمجوسية، والمزدكية، والهندوسية، والبوذية، والفلسفة اليونانية، والفلسفة الأفلاطونية.

والذي يظهر لي أن التصوف تأثر بالهندوسية أكثر من المصادر الأخرى، وذلك لما يأتي:

أولاً: تنصيب العلماء على ذلك قديماً وحديثاً:

نص كثير من العلماء على كون الديانة الهندوسية من مصادر التصوف، فمن العلماء المسلمين الذين نصوا على ذلك:

(١) أبو الريحان البيروني:

إن أبا الريحان البيروني أول من عقد مقارنات في المذاهب وكشف عن هذا التشابه

(١) انظر ما ذكره الشيخ إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصدر ص (٤٩، ٥٠).

(٢) انظر ما ذكره عبد الرحمن الوكيل: هذه هي الصوفية ص (١٩).

(٣) انظر المصدر السابق.

بين مذاهب الهند كالقيدانت، وبين مذاهب الصوفية، وكذلك بين يوغا باتنجل، وبين أقوال أبي يزيد البسطامي، والحلاج والشبلي فمن أقواله:

❖ عن التناسخ:

«وإلى هذا المعنى (التناسخ) ذهب من الصوفية من قال: «إن الدنيا نفس نائمة، والآخرة نفس يقظانة»، وهم يجيزون حلول الحق في الأمكنة كالسماء والجماد، ويُعَبَّرُ عن ذلك بالظهور الكلي، وإذا أجازوا ذلك فيه لم يكُ لحلول الأرواح بالتردد عندهم خطر»^(١).

❖ ويقول عن الفناء:

«وإلى مثل هذا إشارات الصوفية في العارف إذا وصل إلى مقام المعرفة فإنهم يزعمون أنه يحصل له روحان، قديمة لا يجري عليها تغيرٌ واختلاف بها يعلم الغيب، ويفعل المعجز، وأخرى بشرية للتغير والتكوين»^(٢).

❖ وعندما ذكر الاتحاد قال: «ولهذا قالت الصوفية في تحديد العشق: إنه الاشتغال بالخلق عن الحق»^(٣).

❖ وعندما ذكر حال من وصل إلى حالة «نرفانا» الهندوسية، وأنه يكون قادرًا على الانتقال إلى حيث أحبّ، فقال: «وإلى قريب من هذا يذهب الصوفية فقد حكى في كتبهم عن بعضهم: إنه وردت علينا طائفة من الصوفية، وجلسوا بالبعد عنا وقام أحدهم يصلي، فلما فرغ التفت، وقال لي: يا شيخ تعرف ها هنا موضعًا يصلح لأن نموت فيه؟ فظننت أنه يريد النوم، فأومأتُ إلى موضع وذهب وطرح نفسه على قفاه وسكن، فقمّت إليه وحركته، وإذا أنه قد برد، وقالوا: في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤] إنه

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٤٤).

(٢) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٥٢).

(٣) المصدر السابق ص (٥٦).

إن شاء طُويت له وإن شاء مشى على الماء والهواء يقاومانه فيه ولا تقاومه الجبال في القصد»^(١).

❖ وعندما تحدث عن وحدة الوجود قال: «وإلى طريق پاتنجل ذهبت الصوفية في الاشتغال بالحق، فقالوا: ما دُمت تشير فلسفَ بموحِدٍ حتى يستولي الحق على إشارتك بإفنائها عنك فلا يبقى مشير ولا إشارة، ويوجد في كلامهم ما يدل على القول بالاتحاد كجواب أحدهم عن الحق: وكيف لا أتُحقق من هو «أنا» بالإنية، و«لا أنا» بالأينية، إن عدت فبالعودة فُرقْتُ، وإن أهملتُ فبالإهمال خففتُ وبالاتحاد ألفتُ، وكقول أبي بكر الشبلي: اخلع الكل تصل إلينا بالكلية فتكون ولا تكون إخبارك عنا وفعلك فعلنا، وكجواب أبي يزيد البسطامي وقد سئل بم نلتَ ما نلتَ؟ إني انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها، ثم نظرتُ إلى ذاتي فإذا أنا هو، وقالوا في قول الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضًا﴾ [البقرة: ٧٣]: إن الأمر بقتل الميت لإحياء الميت إخبارٌ أن القلب لا يحيى بأنوار المعرفة إلا بإماتة البدن بالاجتهاد حتى يبقى رَسْمًا لا حقيقة له وقلبك حقيقة ليس عليه أثر من المرسومات، وقالوا: إن بين العبد وبين الله أَلْفُ مقام من النور والظلمة، وإنما اجتهد القوم في قطع الظلمة إلى النور، فلما وصلوا إلى مقامات النور لم يكن لهم رجوع»^(٢).

ويمكن إجمال أوجه الشبه التي ذكرها البيروني بين العقائد الهندية والعقائد الصوفية في الأمور الآتية:

مسألة الروح، وطريق الخلاص، وإلغاء التمايز ومحو الإشارة^(٣)، والتناسخ، والمجاهدة.

(١) المصدر السابق ص (٥٩).

(٢) المصدر السابق ص (٦٢).

(٣) انظر ما ذكره الدكتور قاسم غني: تاريخ التصوف الإسلامي، ترجمة غربية لصديق نشأت، وكتاب الدكتور التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي.

فالبيروني يؤكد أن قول المتصوفة في كثير من معتقداتهم شبيه بقول الهندوس، وأنهم قد تأثروا بهم، وأخذوا هذه المعتقدات الباطلة من الهندوس ومن سار على نهجهم وقلدهم وتأثروا بهم، يتضح هذا الحكم من كلامه الذي نقلته هنا، وفي مواضع أخرى من كتابه، حيث إنه نقل عقائد الهندوس في بعض الأشياء ثم أعقبه بذكر كلام الصوفية الذي يشابه كلام الهندوس مما يدل على أنهم تأثروا بها.

(٢) إحسان إلهي ظهير^(١):

ذكر الشيخ إحسان إلهي ظهير رَحِمَهُ اللهُ عَنْ مَصَادِرِ التَّصَوُّفِ وَمَا أَخَذَهُ فَقَالَ:

«وأما كون التصوف وتعاليمه وفلسفته، أوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعرفة، والمؤدية إلى الفناء مأخوذة مستقاة من المذاهب الهندية والمانوية والزرادشتية أيضًا فلا ينكرها منكر، ولا يردها أحد، ولا يشك فيها شاك، بل إن كبار الكتّاب عن التصوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين، وحتى الصوفية أقرّوا بذلك حيث لم يسعهم إلا الاعتراف بهذه الحقيقة الظاهرة الجلية التي لا يمكن تجاهلها ولا إغفالها البتة...»^(٢).

(٣) ويقول الأستاذ عبد الرحمن دمشقية:

«وعلى هذا نرى أن التصوف ... قد تأثر بالاتجاه الهندي عمومًا والبرهمي خصوصًا... إذن فالقول بالفناء الذي يدين به الصوفية هندي بحت، وحتى الطريقة الممهدة لحصول هذا الفناء - وهي طريقة الرياضة، ومخالفة الشهوة وتعذيب الجسد

(١) هو إحسان إلهي ظهير بن ظهور إلهي، رحمه الله، عالم سلفي، عالم بالفرق والأديان، ولد سنة (١٣٦٠هـ)، في سيالكوت، درس المرحلة الجامعية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم أكمل الماجستير في باكستان، شغل منصب الأمين العام لجمعية أهل الحديث، وترأس تحرير مجلة ترجمان الحديث، تخصص في الرد على أهل الأهواء والبدع، نقل إلى المستشفى العسكري بالرياض إثر إصابته بانفجار قنبلة من الشيعة، في اجتماع بباكستان، فتوفي بالرياض سنة (١٤٠٧هـ) ودفن بالبقيع.

(٢) التصوف المنشأ والمصدر ص (٩٧).

- هي طريقة هندية أخذها الصوفية عنهم.. وهذا ليس بسرّ، فالصوفية يصرحون بذلك ويشيرون إلى عبادة الهنود، ورياضاتهم ويمثلون بها مما يؤكد أخذهم عن هذا المصدر»^(١).

ويقول: «الطريقة الرفاعية»^(٢) إنما أخذت تقديس الحيوانات، والإحجام عن قتلها من مبدأ «أهمسا»، الهندي، بل كان الرفاعي إذا مرّ أمامه خنزير يقول له: «أنعم صباحاً»،^(٣) وقال: «لقد تأثر الرفاعي بعقيدة «أهمسا» الهندية، وهي الإحجام عن قتل المخلوقات أو إيذاؤها ولو كانت من القمل أو الجراد»^(٤).

(٤) ويقول الأستاذ أنور الجندي:

«وقد تأثر التصور الصوفي بمفاهيم الغنوصية والفلسفات اليونانية والهندية والمسيحية عليه، وكلها خارجة عن مفهوم التوحيد الخالص وبعيدة عن التصور الإسلامي وقيم الإسلام الأصيلة... يقوم الدين الهندي والفلسفة الهندوكية على وحدة الوجود على التناسخ، وقد ذهب الهندوكية والبوذية إلى ما يسمّى بالنرفانا.. وقد أسماه بعض الصوفية (الفناء)... ومن العناصر... الهندوكية استمدت هذه المذاهب: «تعذيب النفس... والواقع أن أفكار الإشراق ووحدة الوجود والاتحاد والحلول مستمدة كلها من فلسفات الهند ومصر واليونان، فوحدة الوجود مذهب هندي برهمي، والأدلة على وجوده ماثلة في كتب الهنود الدينية وفي أفكارهم الفلسفية... ولا ريب أن وحدة الوجود

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف ص (١٤٣-١٤٤).

(٢) طريقة من الطرق الصوفية، نسبةً إلى أحمد الرفاعي المتوفى سنة (٥٧٨هـ)، وأما أحمد الرفاعي: فهو أبو العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي، منسوب إلى بني رفاعة قبيلة من قبائل العرب، طريقته منتشرة في العراق وبلاد الشام، وهو الذي ينقلون من مناقبه أن الرسول ﷺ أخرج له يده الشريفة من قبره حتى قبله أو صافحه ومثل هذه الأكاذيب، انظر ما ذكره الشعراني: الطبقات الكبرى (١/١٣٩)، والشيخ إحسان إلهي ظهير: دراسات في التصوف ص (٢١٥-٢١٦).

(٣) الرفاعية ص (٣١).

(٤) المصدر السابق ص (٣٠).

والتناسخ مستمدة أساسًا من الفكر البرهمي ... قد حمله إلى الإسلام... عددٌ من أتباع الفلسفات من أمثال محي الدين ابن عربي والحلاج والسهروردي^(١).

ومن المستشرقين الذين نصّوا على أن الديانة الهندوسية من مصادر التصوف كثيرون، منهم:

(١) وليم جونز^(٢):

فقد قارن بين مذهب وحدة الوجود في التصوف ... وبين مذهب فيدانت، كما قارن بين قصائد جلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي وبين «گيت گوبندا».

ثم تلا من المستشرقين عدة أشخاص منهم:

ألفرد كريمر^(٣)، ثم روزن، وجولدتسيهر^(٤)، ثم مورينو^(٥)، إلا أن من أهمهم: ريتشارد هورتمان وماركس هورتين، كما ذكر لنا الأستاذ أبو العلا عفيفي حيث كتب بحثه عن المشتغلين من المستشرقين في دراسة التصوف فقال: «أما ريتشارد هارتمان، وماركس هورتين فتزعتهما واحدة، وهي أن التصوف يستمد أصوله من

(١) أنور الجندي: الإسلام والفلسفات القديمة ص (١٣٠-١٣٢) مختصرًا.

(٢) W. Jones: Asiatic Researches, 3/353, sqq., 376, London, 1803 نقلاً عما ذكره عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ص (٣٥).

(٣) A.Kremer: Culturgeschichte des Islams auf dem Gebiete des Islam 1873, Engl. Tr. in Khuda Bukh: Ist. Civilization, vol. 1, pp.112-120, Calcutta, 1929.

نقلاً عما ذكره الدكتور عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي من البداية إلى القرن الثاني ص (٣٥)، وانظر العقيدة والشرعية ص (١٦١-١٦٤).

(٤) I.Golziher: Vorlesugen uber den Islam, pp.87-133, 2, Autl. 1925 نقلاً عن المصدر السابق، وقد أكد «جولدتسيهر» وجود علاقة قوية بين العقائد الهندية وبين الآراء الصوفية الإسلامية. انظر ما نقله عنه الشيخ الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٣٢).

(٥) الدكتور عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ص (٣٥).

الفكر الهندي»^(١).

(٢) آراء هورتن:

إن هورتن قد بذل من المجهود في إثبات هذه النظرية ما لم يبذله أي كاتب آخر، فقد كتب في سنتي ١٩٢٧م، و١٩٢٨م، مقالتين حاول أن يثبت في إحداهما بعد تحليل تصوف الحلاج والبسطامي والجنيد، أن التصوف... في القرن الثالث الهجري كان مشبعًا بالأفكار الهندية، وأن الأثر الهندي أظهر ما يكون في حالة الحلاج، وفي المقالة الثانية يؤيد النظرية نفسها عن طريق بحث المصطلحات الصوفية الفارسية بحثًا فيلولوجيًا^(٢)، وينتهي إلى أن التصوف... هو بعينه مذهب الفيدانت الهندية.

(٣) آراء هورتمان:

يستند هورتمان في إثبات نفس الدعوى إلى النظر في الصوفية أنفسهم وفي مراكز الثقافة القديمة التي كانت منتشرة في بلادهم، لا إلى المصطلحات الصوفية كما فعل هورتن، وقد نشر في مسألة أصل التصوف مقالاً مهمًا سنة ١٩١٦ في مجلة Dear Islam وخلاصة بحثه: أن التصوف .. مدين للفلسفة الهندية التي وصلت إليه... من جهة، وللقبالة اليهودية^(٣) والرهبنة النصرانية والغنوصية والأفلاطونية الحديثة من جهة أخرى، وهو يرى: أن الذي جمع هذه العناصر كلها ومزجها مزجًا تامًا في التصوف هو أبو القاسم الجنيد البغدادي (المتوفى سنة ٢٩٧هـ)، فإليه يجب أن تتجه عناية الباحثين، أما حججه في تأييد الأصل الهندي فهي:

أولاً: أن معظم أوائل الصوفية من أصل غير عربي كإبراهيم بن أدهم، وشقيق

(١) الشيخ إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصدر، ص (٩٧).

(٢) فيلولوجيًا: أي فقه اللغة. انظر قاموس المورد لروحي البعلبكي، ص (٨٣٩).

(٣) القبالة معناها: التقليد، وأما حقيقتها فهي ما سرى إلى أعماق الديانة اليهودية من أشكال الغنوص، عقائدهم فيها العقيدة الهندوسية برمتها، من وحدة الوجود، والتناسخ والحلول وما إلى ذلك. انظر ما سبق معنا في ص (٨٥٥-٨٧١).

البلخي^(١)، وأبي يزيد البسطامي^(٢)، ويحيى بن معاذ الرازي^(٣).

ثانيًا: أن التصوف ظهر أولاً وانتشر في خراسان.

ثالثًا: أن تركستان كانت قبل الإسلام مركز تلاقي الديانات والثقافات الشرقية والغربية، فلما دخل أهلها في الإسلام صبغوه بصبغتهم الصوفية القديمة.

رابعًا: أن المسلمين أنفسهم يعترفون بوجود الأثر الهندي.

خامسًا: أن التصوف الإسلامي الأول هندي في نزعه وأساليبه، فالتسليم الكامل دون فعل الأسباب فكرة هندية الأصل، واستعمال الزهاد للمخلة في سياحتهم، واستعمالهم للصبح عادتان هندية^(٤).

(٤) ويقول نيكلسون:

«أما الفناء في عُرف أصحاب وحدة الوجود، فربما كان أشد اتصالاً بفكرة الفيدانت وما مثلها من الأفكار الهندوسية»^(٥).

(١) هو شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي، زاهد صوفي من مشاهير المشايخ في خراسان صاحب إبراهيم بن أدهم، وقد جاء عنه مع زهده أنه كان من رؤوس الغزاة، وقتل بغزوة كولان (بما وراء النهر) سنة (١٧١هـ).

(٢) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، كان يسميه ابن عربي: أبا يزيد الأكبر، ولد في بسطام - بلدة بين خراسان والعراق - سنة (١٨٨هـ) ومات بها سنة (٢٦١هـ). انظر سير أعلام النبلاء (١٣/٨٨-٨٦) والأعلام (٣/٢٣٥).

(٣) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، الواعظ الزاهد، له كلام جيد ومواعظ مشهورة، وهو من أهل الري ببلخ، مات في نيسابور سنة (٢٥٨هـ). انظر سير أعلام النبلاء (١٣/١٥-١٦) والأعلام (٨/١٧٢).

(٤) انظر ما ذكره الدكتور أبو العلا العفيفي: مقدمة كتاب نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه ص (ح، ط)، وانظر ما نقله الشيخ إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصدر ص (٩٨).

(٥) نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه ص (٧٥).

(٥) آر سي زاهنز:

هذا المؤلف في دراساته العديدة التي يدرس فيها الديانة الهندوسية بتوسع، ويبحث في نفس الوقت العلاقات بين الهندوسية والتصوف المحسوبة على الإسلام توصل إلى أن المتصوفة تأثرت بهذه الديانة، وقد ألف في ذلك كتابًا مستقلًا، وقارن بين أقوال أبي يزيد البسطامي والجنيد والغزالي، وبين فلسفة فيدانت ويرجح تأثرهم بها، ويأتي بالنصوص تلو النصوص التي تدل صراحة تأثرهم بهذه الفلسفة^(١).

ثانيًا: تصريح بعض علماء التصوف بأخذهم عن الهنود:

ويظهر تأثر المتصوفة بالمذاهب الهندية اعتراف كثير من المتصوفة بأنهم يأخذون من بعض الهنود، ومن ثبوت سفر كثير منهم إلى الهند، وتمني بعضهم إلى الاستقرار في الهند، فمثلاً:

هذا أبو يزيد البسطامي (٢٦١هـ)، الذي يقول عن نفسه أنه أخذ الفناء الصوفي عن أبي علي السندي^(٢)، فيقول: صحبت أبا علي السندي، فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفًا.

وحكي عن أبي يزيد أنه قال: دخل علي أبو علي السندي وكان معه جراب، فصبه بين يدي، فإذا هو ألوان الجواهر! فقلت له: من أين لك هذا؟ قال: وافيت واديًا ههنا، فإذا هي تضيء كالسراج! فحملتُ هذا منها، قال: فقلت له: كيف كان وقتك وقت ورودك الوادي؟ قال: كان وقتي وقت فترة من الحال^(٣) الذي كنت فيه قبل ذلك، وذكر الحكاية.

(١) انظر كتابه: Hindu & Muslim Mysticism ص (٨٦-١٨٨) (الإنكليزية).

(٢) هو الشيخ الكبير، أبو علي السندي، كان من أهل الحقائق والمواجد كما يسميه عبد الحي الحسني، صحبه أبو يزيد طيفور، لم تذكر المصادر عن ترجمة كافية عن موته، إلا أن الشيخ عبد الحي الحسني جعله من أعيان القرن الثالث الهجري. انظر نزعة الخواطر (١/٥٣)، برقم (١).

(٣) المقصود من الحال: الحال الصوفي.

وقال أبو يزيد: قال لي أبو علي السندي: كنتُ في حال: (مني، بي، لي) ثم صرْتُ في حال: (منه، به، له)^(١).

فهذه القصة تنبئنا مدى تأثر أبو يزيد بالفلسفة الهندية؛ فإن المقصود بأقواله واضح؛ إذ يقصد من دقائق التوحيد وحدة الوجود، والدليل عليه الكلام الأخير، وقد ثبت أيضًا أنه كان يعلمه طريقة الذكر وهي المعروفة بمراقبة الأنفاس، والتي يسميها الصوفية بأنها ذكر أو عبادة العارف بالله^(٢).

فهذا من أوائل المتصوفة، فلنأخذ نموذجًا آخر من أوساطهم، فمثلاً: الحسين بن منصور الحلاج، كان كثير السفر إلى الهند، وما ادعى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، إلا بعد رجوعه من الهند، يذكر لنا مؤرخ الإسلام^(٣) فيقول:

«أخبرني حمد بن الحلاج قال: مولد أبي بطور البيضاء ومنشؤه بتستر، وتلمذ لسهل ستين، ثم صعد إلى بغداد، كان يلبس المسوح.. فأول ما سافر من تستر إلى البصرة، .. ثم إنه خرج وغاب عنا خمس سنين، بلغ إلى ما وراء النهر، ثم رجع إلى فارس... ثم خرج إلى مكة، ... ثم قصد إلى الهند وما وراء النهر ثانيًا، ... وألف لهم كتبًا ثم رجع، فكانوا يكتابونه من الهند بالمغيث، ومن بلاد ماصين وتركستان بالمقيت، ومن خراسان بأبي عبد الله الزاهد، ومن خوزستان بالشيخ حلاج الأسرار...»^(٤).

فهذا دليل وحده كافٍ في بيان مصدر هذا الحلولي في دعواه بالحلول والاتحاد. ومن المتصوفة المتفلسفة ابن سبعين، الذي كان يحب الهند، وكان يحب أن ينزل بها، فقد نقل لنا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «حدثني الثقة أن ابن سبعين كان يريد

(١) انظر نزهة الخواطر ص (٥٣).

(٢) انظر ما ذكره نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه: ص (٧٥)، وانظر أيضًا ما ذكره فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء (١/١٦٢).

(٣) الإمام الذهبي.

(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/٣١٥).

الذهاب للهند، وقال: «إن أرض الإسلام لا تسعه؛ لأن الهند مشركون يعبدون كل شيء حتى النبات والحيوان»^(١).

فهذه الأدلة على كون الأديان الهندية من مصادر التصوف، وأن المتصوفة كانوا يستمدون كثيرًا من أصولهم من هذه الأديان والملل والنحل الباطلة.

ثالثًا: نظرًا لتوافق الأصول بين الهندوسية والصوفية:

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير رَحِمَهُ اللهُ: «هذا والقارئ لأقوال الصوفية، والعارف بأحوالهم ورياضاتهم ومجاهداتهم يلاحظ بنفسه تشابها كبيرًا بين هؤلاء وأولئك، وخاصة في تعذيب النفس، وتحمل المشاق والتجوع وحبس النفس وإماتة الشهوات، والهروب من الأهل والأولاد، والجلوس في الخلوات، ومراقبة صورة الشيخ، وطرق الذكر، وكثير من العادات والتقاليد والرسوم، حيث لا يرى إلا مشابهة تامة بتلك المذاهب وأصحابها [يقصد المذاهب الهندية]، كما لا يرى فيها أي أثر للإسلام وتعاليمه، ولا ثبوت من حاملي رايته، ومتمسكي سبيله، ومتبعي طريقه»^(٢).

يقول الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي:

وهنا نشأ القول بوحدة الوجود في الديانات الهندية، وأثرت هذه العقيدة على أفكار الصوفية في الهند أولاً، ثم انتقلت إلى البلاد المجاورة لها مثل تركستان، ومن هنا انتشرت في البلاد الأخرى، ومن هذا المعين يقول ابن عربي:

فما نظرت عيني إلى غير وجهه وما سمعت أذني خلاف كلامه

ومما لا شك فيه أن التصوف تأثر كثيرًا بالعقائد الهندية. ففكرة الاتحاد أو وحدة الوجود عند الحلاج وابن عربي وغيرهما من المتصوفين مصدرها «فيدانت» حيث ترجم في عهد المأمون في دار الحكمة، وبقي ابن عربي مدة من الزمن في الشرق بعد أن خرج من موطنه بلاد الأندلس، وكان يتلقى مبادئ التصوف من مشايخ الشرق وألف كتابه

(١) مجموع الفتاوى (٢/٤٧٨).

(٢) التصوف، المنشأ والمصدر ص (٩٩).

«الفتوحات المكية» بمكة المكرمة، وهو شبيه بتعليمات التصوف الهندي. وكان يدعي أن الحقيقة المحمدية هي شكل آخر لوحدة الوجود.

أليس قول ابن عربي: الاعتقاد بصحة كل عقيدة حتى ولو كانت عبادة الحجر والشجر. شبيه بفكرة «الفيدانت» القائلة: وفي النهاية كل هذه الأفكار توصل إلى ذات الله»^(١).

وقد أكد بعض المستشرقين أن الطريقة الأكبرية (وهي المنسوبة إلى ابن عربي الذي لُقّب بالشيخ الأكبر) في الأصل تأسست في الهند على يد صاحبها محيي الدين ابن عربي في القرن السادس الهجري، وانتشرت بين مسلمي الهند^(٢).

ويرى الشيخ الأعظمي: أنه لا يبعد أن يكون ابن عربي أيضاً ممن خرج إلى الهند لتلقي مبادئ الفلسفة الهندية مثل شيخه في وحدة الوجود الحلاج، إلا أن هذه الدعوى تحتاج إلى إثبات^(٣).

هذا، وقد نبه الدكتور علي زيعور على بعض نقاط الالتقاء والشبه بين الأفكار الهندية والتصوف، وأهمه في رأيه هو الآتي:

❖ المريد الصوفي شديد التشبه بما يسميه الهندود مرحلة التلميذ ثم البادئ المتميز: «أنتيفاشين» ثم «أدهيكارين».

❖ الصوفي الفاني عن ذاته هو و«الغورو»: كلاهما فقد الشعور بالدنيا والحس...

❖ المسبحة مأخوذة من الهند، أما الخرقة، الركوة، والعصا، فهي أدوات لها نفس الدلالة عند الجينية.

❖ النرفانا والفناء في الله مفهومان يتحققان بنفس الطرائق، ولهما نفس الغاية، مع بعض الفروقات بين «تات تفام آشي» (أنت هو ذاك)، وبين «أنا الحق»، «سبحاني ما أعظم شأني».

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٣١-٦٣٣).

(٢) انظر مقال الطريقة الأكبرية ص ٣٠٦، للدكتور أبو الوفاء التفتازاني. الكتاب التذكاري في الذكرى المئوية الثامنة لميلاد ابن عربي. نقلاً عن المصدر السابق ص (٦٣٢).

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٦٣٣).

❖ إن المراقبة والتأمل وضرب الإنسان نفسه، و«تاپاس»* هي طرائق ومكابدات متماثلة.

❖ مبدأ الـ«أهمسا» (اللاعنف) انتقل إلى التصوف...

❖ التناسخ، والحلول، ووحدة الوجود، تشبه ألواناً هندية.

❖ وكذلك الأساطير المحدثنة عن قوة الصوفي الخارقة، نجد لها جذوراً في الهند.

❖ وكذلك حلقة الذكر، وما يصاب به «الوجداوي» (أي صاحب الوجد) في حالة النشوة أو الانجذاب.

❖ الأقوال المكثفة، أو أساليب التعبير الصوفية بجمل قصيرة ومثقلة، تجد في الهند نظيرها.

❖ بعض أشكال السحر والشعوذة، وما يسمى بالطب الروحاني، وكتابة التعاويذ، وما إلى ذلك من الطقوس الهندية، تأصلت في المتصوفة^(١).

إذن، يتضح لنا بوضوح: أن التصوف يستمد أصوله من الديانة الهندوسية، ولكي نحدد العقائد والعادات التي تأثرت بالهندوسية علينا أن نحدد أولاً عقائد المتصوفة ومبادئها حتى ينظر في مصدرها لدى المتصوفة هل هي من الأديان الهندية أم من غيرها، وفيما يلي بيان ذلك على سبيل الإجمال:

إن أعمال المتصوفة تنقسم قسمين:

الأول: وهو ما يسمى بالمقامات والأحوال، وذلك؛ أن للتصوف غاية وهي:

الوصول إلى الفناء، وللوصول إلى الفناء حدّوا ما يسمّونه بالمقامات^(٢)، والأحوال^(٣)

(١) انظر ما ذكره علي زيعور: الفلسفة في الهند ص (٩٠-٩١).

(٢) المقامات جمع مقام، والمقام هو استمرار الحال واستقراره ودوامه بحيث يصبح صفة دائمة لصاحبه.

(٣) الأحوال جمع حال، والحال: ما يرد على القلب من طرب وحزن أو بسط وقبض (وغیرها)، وتسمى أيضاً: الوارد، وقيل: هو ما يرد على القلب فجأة ودون تعمد، ثم يزول بسرعة، وهو أوائل المقام. انظر معجم مصطلحات الصوفية (مادة حال).

وقد اختلفوا في تحديد المقامات نوعها وعددها:

فهي عند الطوسي^(١) سبعة: التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا الذي هو آخر المقامات^(٢).

وعند أبي طالب المكي^(٣) تسعة: التوبة، والصبر، والشكر، الرجاء، والخوف، والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة^(٤). ولم يتفقوا على شيء فيما بعد.

وأما الأحوال: فهي حسب ما يرد على السالك، فمنهم من يعتري عليه حالة السكر، وهو الحلول، ومنهم من يعتري عليه حالة الوحدة، (وحدة الوجود)، ومنهم من يحصل على الغاية بالوصول إلى الفناء - كما يزعمون -.

وأما الثاني: فهو ما يسمّى عندهم بالطريق إلى الله، أو كيفية الوصول إلى ولاية الله، إن المسلم ليعتقد أن صلة الإنسان بربه، صلة العبد مع المولى، وأن العبد لا بد وأن يبقى عابداً مادام حياً، وأنه لا أحد يتقرب إلى الله ﷻ إلا بالفرائض والنوافل التي شرعها على لسان نبيه، فهو الطريق الوحيد للحصول على مرضات الله سبحانه، وأن المؤمن التقي هو الولي لله سبحانه، وأن الولاية محض عناية الله سبحانه، لا يمكن لعبد أن يحصل عليه بالمجاهدات، وأن أقصى ما يطلب من الله دخول الجنة والنجاة من النار.

والمتصوفة يخلقون طرقاً عديدة للوصول إلى الله، ويشرعون شرائع عديدة، ويرون

(١) هو عبد الله بن علي السراج الطوسي، شيخ الصوفية، الملقب عندهم بطاووس الفقراء، أخذ التصوف عن جعفر الخلدي، ومحمد الدقي، وأخذ عنه أبو عبد الرحمن السلميّ، كان كثير التنقل في البلدان، ينشر علوم الصوفية، ويتعرف على أعلامهم، واشتهر بكتابه للمع، توفي سنة ٣٧٨هـ. انظر ما ذكره الذهبي في العبر (٢/ ١٥١)، والزركلي: الأعلام (٤/ ١٠٤).

(٢) اللع ص (٦٨-٨٠).

(٣) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب، واعظ زاهد، فقيه، من أهل الجبل (بين بغداد وواسط)، نشأ واشتهر بمكة، ورحل إلى البصرة، فاتهم بالاعتزال، وسكن بغداد فوعظ فيها، فحفظ الناس أقوالاً هجروه من أجلها، وتوفي ببغداد سنة ٣٨٦هـ. انظر ما ذكره الزركلي: الأعلام (٦/ ٢٧٤).

(٤) قوت القلوب (١/ ١٧٨).

حصول القربة بطرق عديدة، بالمجاهدات والرياضات، كما أن كثيرًا منهم ليس مطلبهم الأخير الفوز بالجنة والنار بل الوصول إلى مرتبة الفناء في الله - كما يدعون -.

وطرق الحصول على الولاية التي يحددها المتصوفة للوصول إلى الغاية التي ينشدونها يمكن أن نحددها في الأمور الآتية:

أولاً: الوسائل التي يرون أنها توصل العبد إلى ربه:

١- أخذ الشيخ:

٢- المجاهدة: ويشتمل على:

أ- تعذيب النفس:

ب- العزلة والانقطاع والخلوة.

ج- الذكر والمراقبة.

د- السياحة.

هـ- التسول وترك العمل.

و- إماتة الشهوات.

ز- التجويع. وما إلى ذلك.

ثانياً: المقدمات التي يرون أنها توصل العبد إلى ربه:

١- الحب.

٢- الشوق.

ثالثاً: النتيجة التي ينتظرونها بعد الحصول على الغاية أو الفناء:

١- المعرفة (العلم اللدني).

٢- إسقاط التكاليف^(١).

(١) راجع ما ذكره الدكتور أحمد محمد بناني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من التصوف والصوفية.

فهذه جملة الأمور التي يرومها المتصوفة للوصول إلى ولاية الله، ولتكون تأثر المتصوفة بالهندوسية واضحة في هذه الأشياء أعرض في المبحث الآتي نماذج من عقائد وعادات المتصوفة مع ما يشبهها بالهندوسية، ومن الله أستمد العون والتوفيق والسداد.

المبحث الثالث

ذكر بعض عقائد وعادات وتقاليد المتصوفة المستمدة من الهندوسية

وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول: عقيدة الحلول.

المطلب الثاني: عقيدة وحدة الوجود.

المطلب الثالث: عقيدة الاتحاد.

المطلب الرابع: عقيدة الفناء وعقيدة رفع التكاليف عن الشيخ الكامل.

المطلب الخامس: اتخاذ الشيخ والغلو في تعظيمه.

المطلب السادس: تقسيم الناس إلى الخواص والعوام.

المطلب السابع : العزلة والانقطاع.

المطلب الثامن: تعذيب النفس وتحمل المشاق والتجويع وإمالة الشهوات.

المطلب التاسع: ترك التكسب والاتكال على الناس.

المطلب الأول

عقيدة الحلول

معنى الحلول:

يقال: حل المكان وحل به يحُلُّ ويَحِلُّ حِلًّا وحلولا إذا نزل به ^(١).

أما في الاصطلاح: فقد عرف بتعريفات، منها:

- (١) اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر.
- (٢) أن الله حال في كل شيء ^(٢). ولا شك أن هذا أحد نوعي الحلول كما سيأتي.
- (٣) الحلولية فرقة من المتصوفة تعتقد مذهب الحلول على غير ما قال به أهل السنة ^(٣).
- (٤) محو الصفات البشرية العائقة دون الوصول إلى الله، وحلول الصفات الإلهية محلها ^(٤).
- (٥) عند بعض الصوفية وبعض فرق النصاري: الحلول: هو حلول اللاهوت ^(٥) بالناسوت ^{(٦)(٧)}.

(١) الفيروز آبادي: القاموس المحيط: مادة (حلل) ٣/ ٣٧٠.

(٢) المعجم الوسيط: ١/ ١٩٤، مادة (حلل) (٣) المصدر نفسه.

(٤) أبو العلا عفيفي في تعليقه على فصوص الحكم (٢/ ١٧). نقلاً عما ذكره الدكتور إبراهيم خلف التركي: التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة ص (٩٢).

(٥) المقصود به الروح الإلهية الغير مخلوقة.

(٦) المقصود به: الجسم البشري المخلوق.

(٧) الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٧٣، (ترجمة الحلاج)

وعلى هذا: يكون الحلول خاصاً من الخالق إلى المخلوق، أو تجسد الخالق في المخلوق بحلوله فيه، وامتزاجه امتزاجاً كلياً في الطبيعة والمشية، بحيث تتلاشى المخلوق في الخالق، وتنمحي الإثنينية والتغاير في وحدة غير منفصلة بين ذاتين كانتا متميزتين فصارتا متحدتين ومتجانستين^(١).

أقسام الحلول:

وينقسم عندهم باعتبار تمكنه إلى قسمين:

١- الحلول الجوارى، وهو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكأس.

٢- الحلول السرياني، وهو عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، وكحلول الماء في المادة السكرية^(٢).

وينقسم باعتبار المحل إلى قسمين أيضاً:

١- الحلول الخاص، وقد قال به مجموعة من الملل والنحل، منها:

أ- قول الهندوس في حلول الرب على بعض المخلوقات، وهم عموم الهندوس يرون نزول الرب على بعض المخلوقات لإنقاذ البشرية، ويسمون هؤلاء المنزلين بـ«الأفتار»، وقد سبق معنا بيان ذلك.

ب- كما أن هذا قول بعض فرق النصارى ومن نحا نحوهم ممن يقول: إن اللاهوت حل في الناسوت.

فمصدر هذا القول إنما هو من الهندوس، والنصارى أخذوها من الديانة الوثنية الهندوسية.

(١) انظر ما ذكرته الأميرة سارة بنت عبد المحسن: نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام ص (٣٥).

(٢) انظر ما قال الجرجاني في التعريفات: ٩٢. وعبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية: ٧-٨.

ج- ثم دخل في الإسلام بواسطة الرافضة الغلاة الذين قالوا: إن الله حلّ بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته^(١).

د- كما قال به كثير من الصوفية المنتسبة إلى الإسلام الذين يقولون بأن الله حلّ في الأولياء^(٢).

٢- الحلول العام، وقد قال به مجموعة من الممل والنحل وكثير من الفلاسفة قديماً وحديثاً، من هؤلاء:

أ- الهندوس الذين يرون الله حالاً في كل ذرة من المخلوقات، وأن وجوده عين وجود خلقه، وقد سبق معنا بيان ذلك.

ب- ويدخل في هذا أيضاً: المتصوفة القائلين بوحدة الوجود.

والمقصود بدراستنا هنا: الحلول الخاص، وأما الحلول العام، فهذا والاتحاد العام ووحدة الوجود عند التحقيق شيء واحد.

المتصوفة الحلولية:

ولعل أول من صرح بالحلول من المتصوفة في الإسلام هو الحلاج^(٣)، فمن أقواله في هذا الباب:

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال^(٤)

(١) راجع ما ذكر البغدادي في الفرق بين الفرق: ٢٥٤-٢٦٦

(٢) انظر ما قال الأشعري في مقالاته: ٨١، والبغدادي في الفرق بين الفرق: ٢٦٠-٢٦٤ والرازي

في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ١١٦

(٣) أما السبق العام في القول بالحلول، فللرافضة، وسيأتي معنا ذلك فيما بعد.

(٤) ديوان الحلاج: ٨٢.

ويقول أيضا :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ليس في المرأة شيء غيرنا
قد سها المتشد إذا أنشده نحن روحان حللنا بدنا
لا أناديه ولا أذكره إن ذكرى وندائي يا أنا^(١)
ويقول:

سبحان من أظهر ناسوته سرّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الأكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب^(٢)

ويقول الحلاج: (من هذب نفسه في الطاعة، وصبر على اللذات والشهوات، ارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجة المصافاة حتى يصفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ، حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم، ولم يرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد، وكان جميع فعله فعل الله)^(٣).

ومن القائلين بالحلول الخاص: الشبلي^(٤): حيث قال هو بنفسه: (أنا والحلاج في شيء واحد خلصني جنوني وأهلكه عقله)^(٥).

(١) محمود عبد الرؤوف القاسم : حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ: (١١١).

(٢) ابن الجوزي: تليس إبليس (١٧١).

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق ص (٨٢).

(٤) انظر ترجمته فيما كتبه عنه الذهبي في السير: (٣٦٧/١٥).

(٥) انظر ما نقله الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٣١/١٤)، وعبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية ص (٢٤)، والجامي: نفحات الأنس ص (٥٢٥)، وانظر رسالة الأخ الفاضل إدريس محمود إدريس: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ص (٣١٧).

ويقول الشبلي:

فلما أراني أنك حاضري شهدتك موجودًا بكل مكان^(١)

وقول فريد الدين العطار^(٢):

(أقول لك السرّ، اعلم يا أخي أن النقش هو النقاش، أنا الحق، أنا الله)^(٣).

ويقول البريلوي^(٤): في بيت شعر بالأردية ما ترجمته:

(إن الذي كان مستويًا على العرش بصورة الإله هو الذي نزل في المدينة بصورة

المصطفى)^(٥).

نماذج من أقوال الهندوس في الحلول:

ثبت في الهندوسية القول بالحلول العام، وهذا سيأتي معنا عند الكلام على وحدة الوجود لدى الصوفية، وأما الحلول الخاص، فأيضًا ثبت القول به عند الهندوس في عقيدتهم في الأفئدة، وقد سبق معنا استعراضها، ولا بأس أن أشير هنا إلى بعض هذه النصوص:

جاء في كتب الأوبانيشادات بعض النصوص الدالة على أن الحلول من عقائد

(١) الرسالة القشيرية ص (٣٨٤).

(٢) هو فريد الدين أبو حامد أو أبو طالب محمد بن أبي بكر بن أبي يعقوب إسحاق، اختلف في تاريخ مولده، فقيل ولد سنة ٥١٣هـ، وقيل: غير ذلك، عاش في نيسابور، امتحن الطب والعطارة، درس علم الكلام، تأثر بكتابات الغزالي، أمضى ثلاثين عامًا في السياحة، واختلف في تاريخ وفاته، فقيل: سنة ٥٨٦هـ، وقيل: ٦٢٧، وقيل غير ذلك. انظر ما ذكرته الدكتور سارة بنت عبد المحسن: نظرية الاتصال عند الصوفية ص (٤٠) هامش.

(٣) د. عبد القادر محمود: الصوفية في الإسلام ص (٣٩٨).

(٤) هو أحمد رضا خان بن نقي خان الحنفي الماتريدي، الوثني، القادري، البريلوي، إمام البريلوية القبورية الوثنية في الهند، وبنغلاديش وباكستان وأفغانستان وما والاها لقب نفسه بعبد

المصطفى، كان عدوا للسلف والسلفية عموما: انظر نزعة الخاطر: ٨ / ٤٢ - ٤٥

(٥) انظر ما ذكره عنهم الشيخ إحسان إلهي ظهير: البريلوية عقائد وتاريخ ص (١٠٥).

الهندوس، منها:

- (١) جاء في تائيطريا أَرَنْتُكَ: «إن برجاتي خلق روحه بنفسه، ثم دخل فيه»^(١).
- (٢) كما جاء «فكر برامتا أنني واحد أريد أن أتكثر، فجاهد فيه أي: فكر فيه، وبمجرد التفكير خلق الكون، بعد ما خلق الكون دخل فيه»^{(٢)(٣)}.
- (٣) وجاء مثله في بريَهْدَ أَرَنْتُكَ أوبانيشادة: «إن «إيشفر»^(٤) يكمن في داخل كل كيان، ويديره من داخله»^(٥).
- (٤) كما جاء فيه مصرحاً بأنه: داخل كل أنواع الآلهة»^(٦).
- (٥) وجاء في مُنْدُك: «هو في جهة السفلى، وفي جهة العلوى، وهو في الخلف وهو في الأمام، وهو في اليمين وهو في الشمال، وهو كل هذه الأشياء، رأسه السماء، القمر والشمس عيناه، الجهات أذنه، الكلام هو الفيدات، الهواء روحه، وقلبه هذا العالم الكبير، ولد الأرضين من قدميه، وهو نفس نفوس كل دقيق وغلظ»^(٧). فهذه النصوص تدل أن من الآراء الهندوسية الحلول.

(١) تائيطريا أَرَنْتُكَ (١/٢٣).

(٢) (١/٦/٢).

(٣) هذا، ولما رأى بعض الفيدانتيين أن مذهبهم في وحدة الوجود تخالف هذه النصوص أولوها حتى توافق مذهبهم، يقول شنكرأجاريا: إن المقصود بدخول برهمان فيه مخلوقاته: أنه خيل إلى المتكلم أنه دخل فيه، وإلا هو لم يخلُ من مكان، ومثل بيت مظلم فيه كأس، ولكنه لا يرى من شدة الظلمة، فلما جاء النور رآه الناس، فظن أن الكأس دخل في الغرفة؛ إذ الكأس موجود من قبل وإنما لم يره الناس لأجل جهلهم وظلمتهم. انظر شرح تائيطريا أوبانيشادة، لسوامي لوكيشرانند ص (٥١٤-٥١٥).

(٤) الفاء في هذه الكلمة لا تنطق وإنما تعطي قوة للحرف السابق.

(٥) بريَهْدَ أَرَنْتُكَ (٣/٧/١٥).

(٦) انظر بريَهْدَ أَرَنْتُكَ (٣/٧/١٦-٢٢).

(٧) مُنْدُك أوبانيشادة (٢/١/٤).

وجاء في كتاب «غيتا» من قول كريشنا:

(٦/٤): «رغم الثبات في الطبيعة وعدم الولادة، رغم أنني إله الموجودات، فإني أقيم ذاتي في الطبيعة (التي لي) وأجيء إلى الوجود بقوتي غير المرئية»
(٧/٤): «حيثما يكون هناك انحسارٌ للحق يا بهارتا! وسطوة للباطل، فإني أخلق نفسي بقوتي».

(٨/٤): «من أجل تسليم الخير (إنقاذ الأبرار)، وتدمير الشر ومن أجل إقامة الحق فإني آتي للوجود عصرًا بعد عصرٍ».
ومن هذا المنطلق كان في الهندوسية مدعي الألوهية كثيرون، وهم يدعون أنه برهمان متجسد، لإكمال مهمة ما.

وانظر إلى قول كريشنا في دعواه الألوهية في غيتا:

(٢٢/٣): إذا توقفت عن العمل، ستنهار هذه العوالم، وأكون أنا سبب الإرباك والدمار للبشر.

(٢٩/٣): سلم كل أعمالك لي، وحافظ على وعيك في الذات الكلية، متحرراً من التشوق والشعور بالتملك...

(٣١/٣): لكن أولئك الذين يرتكبون الخطايا ولا يتبعون تعاليمي، سيكونون مضللين في كل معرفة، أنهم هالكون وتافهون.

(٥/٤): لقد مررتُ أنا في عدة ولادات، كما أنت مررت أيضاً، يا أرجونا، أنا أعرف ولاداتي كلها، ولكنك أنت لا تعرف ولاداتك.

(٩/٤): إن ولادتي هي ولادة إلهية، وعملي هو عملٌ إلهي، ومن يدرك ذلك بعمق، لن يولد مرة أخرى بعد ترك جسده، إنه يأتي إلي يا أرجونا.

(١٠/٤): متحررون من التعلق والخوف والغضب، ممتثلون بي، يتخذوني ملجأً، أنقياء بتقشف الحكمة، كثيرون أتوا إلى كياني.

(١١ / ٤): كما يتقارب مني الناس، أتقارب أنا منهم، وبطرقهم المتعددة سوف يتبعوني في الطريق.

(١٣ / ٤): أنا خلقت النظام الرباعي طبقاً لأقسام الغونات (الصفات) والعمل، ومع أنني أنا مؤلفها إلا أنني لست بالفاعل، أنا ثابت لا أغير.

(١٤ / ٤): أنا المتحرر من قيود العمل، ولا أتشوق إلى ثمار العمل، إن من يعرف صفاتي هذه هو أيضاً غير مقيد برابط العمل.

(٢٩ / ٥): إن من يعرف أنني المتمتع باليغيا (القرايين) والتكشف، وأني الرب العظيم لكل العالم، وصديق كل الكائنات، يصل إلى السلام.

(١٥ / ٦): مجمع ذاته دوماً، وسيد لعقله، يصل إلى سلام النرفانا، التحرر الأبدي، السلام الأسمى المقيم في.

(٣١ / ٦): إن من هو في أحادية الحب، يحبني في كل ما يرى، كيفما يعيش وأينما يعيش، فهو يعيش حقاً في.

(٤٧ / ٦): ومن بين كل اليوغيين، إن أكثرهم توحداً بي من يبجلني بإيمان، ومن تكون ذاته الكلية مستغرقة في.

(١ / ٧): بتثبيت عقلك عليّ، ... وباتخاذك لي كملجئك لي كملجئك الأسمى، وبممارستك لليوغا، هكذا ستعرفني بالكامل ودون أدنى شك، هذا ما عليك أن تسمعه.

(٢ / ٧): من بين آلاف الناس ربما هناك واحد يجاهد من أجل الاكتمال، ومن بين آلاف المجاهدين ربما هناك واحد يعرفني حقاً.

(٣ / ٧): إن طبيعتي الظاهرة لها ثمانية أشكال: الأرض، والماء، والنار، والهواء، والأثير، والعقل، والمنطق، والأنا.

(٤ / ٧): هذه طبيعتي الدنيوية، ولكن خلفها، ... تكمن طبيعتي العلوية، الذات الكلية، إنها نبع الحياة التي بها وجد هذا الكون.

(٥/٧): اعلم أن هاتين الطبيعتين هما رحم كل الكائنات؛ وأنا البداية والنهاية للكون كله.

(٦/٧): لا يوجد ما هو أعلى مني في هذا الكون المترامي الأطراف، كل العوالم تستقر فيّ، كما تنعقد حبات اللؤلؤ حول الخيط.

(٧/٧): أنا الذوق في مياه الحياة... أنا النور في الشمس والقمر، أنا المقطع أوم في القيدات كلها، أنا الصوت في الأثير، والمقدرة في الإنسان.

(٨/٧): أنا العبير الصافي العابق من الأرض ولمعان النار هو أنا. أنا الحياة في كل الكائنات، والتكشف في المتكشفين.

(٩/٧): اعرفني يا ابن بارتا، أنني منذ الأزل بذرة الحياة الأبدية لكل الكائنات. أنا ذكاء الأذكياء. أنا بطولة الأبطال.

(١٠/٧): أنا قوة الأقوياء، عندما تكون هذه القوة خالية من الغضب والرغبات الأنانية. أنا الرغبة عندما تكون صافية ومنسجمة مع الدهزما.

(١٢/٧): واعلم أن الغونات (الصفات) الثلاث، ست، رُج تَم تأتي مني؛ النور السامي والحياة النابضة والظلمة بلا حياة. أنا لست فيها؛ لكن هي فيّ.

(١٣/٧): مضللّ بهذه الحالات، حالات الغونات الثلاث، هذا العالم كله لا يعرف أنني خلفها، ولا يعرف أنني كائن أبداً!

(١٤/٧): من الصعوبة حقاً، تجاوز مايا (الوهم) التي تخصني، والمكوّن من الغونات. ولكن من يكرّس ذاته لي وحدي، يتجاوز هذا الوهم.

(١٥/٧): إنما فاعلوا الشر لا يبحثون عني، لقد أظلمت روحهم بالضلال. وحُجب نظرهم بالوهم، واتخذت قلوبهم طريق الشر.

(١٧/٧): إن أعظم هؤلاء الرجال هو الحكيم المثبت بالذات، إنه هو واحداً أبداً، مثبتٌ بالأحد. أنا مثبتٌ فيه وهو مثبتٌ فيّ.

(١٨ / ٧): نبلاء هم الأنواع الأربعة من الناس؛ ولكني أنا واليوفي الحكيم المثبت بالذات واحد، إن ذاته هي فيّ، وأنا طريقه السامية.

(١٩ / ٧): وبعد عدة ولادات [٤] يأتي إليّ هذا اليوفي العظيم المثبت بالذات، قائلاً: «الذات هي في الكل»، إنه حقاً يصعب وجود مثل هؤلاء الرجال.

(٢١ / ٧): إنما إذا شاء الإنسان بالإيمان أن يكرّم هذا الإله أو ذاك، أمده الإيمان، الإيمان الثابت الذي لا يتزعزع.

(٢٢ / ٧): وعندما يكرّم هذا الإنسان ذلك الإله وهو ممتلئ بالإيمان، يحقق منه رغباته، أما في الحقيقة فكل هذا يأتي مني وحدي.

(٢٣ / ٧): ولكن ثمار ما يرغب هؤلاء الناس أصحاب المعرفة الضئيلة، قليلة ومحدودة. من يكرّم الآلهة يذهب إلى الآلهة، ومن يكرّمني يأتي إليّ.

(٢٤ / ٧): يعتقد الجهلة أنني ذلك الشكل من طبيعتي المتدنية التي تُرى بالعيون الفانية. إنهم لا يعرفون طبيعتي الأسمى الخالدة والتجاوزية.

(٢٥ / ٧): لأن مجدي محجوب عن الكل، أنا المخيّ بحجابي الخفي. والعالم في ضلاله لا يعرف أنني لم أولد وأني كائنٌ للأزل.

(٢٦ / ٧): أنا أعرف كل ما كان وما يجري وما سيكون، يا أَرْجونا، ولكن لا أحد يعرف حقيقتي.

(٢٧ / ٧): خلقت الكائنات كلها في الضلال، ضلال الانقسام الآتي من الرغبة والكره.

(٢٨ / ٧): ولكن هناك أناس يفعلون ما هو الصواب، وقد انتهت آثامهم. إنهم متحرّرون من ضلال الانقسام ومثبتون بي في ذاتهم.

(٣٠ / ٧): يعرفونني في مملكة الأرض وفي مملكة النور، وفي نار التضحية. هكذا يعرفونني بذاتهم الثابتة والمتوازنة حتى عندما يأتي أجلهم.

(٥ / ٨): ومن يترك جسده عند حلول أجله وهو يتأمل بي وحدي، يأتي حقاً إلى كياني؛ إنه حقاً يأتي إليّ.

(٦ / ٨): يذهب الفرد إلى ما يفكر به في آخر لحظة حياته، يا ابن كونتي، وذلك لانسجامه مع طبيعة ما يفكر به.

(٧ / ٨): لذلك اذكرني دوماً في كل وقت؛ تذكرني وقاتل. وبثبيت عقلك ومنطقك في ستأتي حقاً إليّ.

(٨ / ٨): لأنه إذا تأمل الإنسان بالذات السامية التجاوزية بعقل ثابت غير متأرجح، مكتسب ذلك من ممارسة اليوغا، يا ابن بريتا، يذهب إلى نور الذات الكلية.

(٩ / ٣): ولكن مَنْ ليس لهم إيمان في هذه الحقيقة، لن يأتوا إليّ، بل يعودوا إلى دورات الحياة والموت.

(٩ / ٤): إن هذا الكون الظاهر يأتي من كياني غير الظاهر. والكائنات جميعها تسكن فيّ، ولكنني لا أسكن فيهم.

(٩ / ٦): مثلما تستقر الرياح العظيمة في الفضاء الأثيري الفسيح، هكذا تستقر فيّ كل الكائنات. اعلم هذه الحقيقة، يا أرجونا.

(٩ / ٧): هكذا بتفاعل طبيعي أولد كل الخليفة مراراً وتكراراً، ودون أي مساعدة، بل نتيجة التفاعل الذاتي لطبيعتي.

(٩ / ٢٤): لأنني أقبل كل توضحية، وأنا ربهم الأسمى، ولكنهم لا يعرفون كياني الصافي، وبسبب ذلك سيعودون إلى عالم الممات.

(٩ / ٣٣): أهب لي عقلك وأهب لي قلبك، أهب لي مقدماتك، وإخلاصك، وبذلك وبثبات ذاتك، وبجعلك لي هدفك السامي، ستأتي حقاً إليّ.

(١٠ / ٣): من يدرك أن لا بداية لي، وأني غير مولود وأني سيد العوالم، يكون هذا الإنسان الفاني، متحرراً من الضلال، وبعيداً عن كل شر.

(٨/١٠): أنا الأحد نبع الكل، وتطور الكل يأتي مني، الحكماء يعرفوني ويكرموني بإخلاص ومحبة.

(١٢/١٠): قال أرجونا: أنت برهمان السامي، النور السامي، والطهور السامي، الذات الإلهية الأبدية، الله غير المولود الموجود منذ البدء، رب الكل الدائم الوجود.

(٣٨/١١): قال أرجونا: أنت الله منذ البدء، أنت الله في الإنسان منذ أن وجد الإنسان، أنت الكنز الأسمى لهذا العالم الفسيح، أنت الأحد المعروف، وأنت العارف، أنت مرقد الراحة النهائي، أنت الحضور اللامتناهي، الذي فيه يكون كل شيء.

هذه بعض النصوص الدالة على الحلول في الديانة الهندوسية، وهي مطابقة تمامًا لما تدعيه المتصوفة من الحلول.

المطلب الثاني

عقيدة وحدة الوجود

التعريف بوحدة الوجود:

أما لغةً: فكلمة «وحدة» تعني: الانفراد^(١)، أو المنفرد بذاته في عدم المثل والنظير^(٢)، وأما كلمة الوجود، فمعناه الثبوت، والحصول، مصدر من وُجد الشيء، يطلق الوجود على الظفر بالضالة وإدراك المطلوب، ويطلق أيضًا على الوصف الذي تشترك فيه الكائنات فيميزها عن المعدومات^(٣).

أما في الاصطلاح: فيطلق على (مذهب فلسفي صوفي يوحد بين الله والعالم، ولا يقر إلا بوجود واحد هو الله وكل ما عداه أعراض وتعينات له)^(٤).

وصف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مذهبهم بقوله: (ويقولون: إن وجود المخلوق هو وجود الخالق، لا يشتون موجودين خلق أحدهما الآخر، بل يقولون: الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، ويقولون: إن وجود الأصنام هو وجود الله، وأن عباد الأصنام ما عبدوا شيئاً إلا الله)^(٥).

(١) انظر ما ذكره ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (٦ / ٩٠).

(٢) انظر مادة وحد فيما ذكره الفيروزآبادي: القاموس المحيط (١ / ٣٤٣)، وابن منظور: لسان العرب (١٥ / ٢٣١).

(٣) انظر مادة (وجد) فيما ذكره الفيروزآبادي: القاموس المحيط (١ / ٣٤٣)، وابن منظور لسان العرب (١٥ / ٢٢٥).

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ٢ / ١٩٤٥ بإشراف: محمد شفيق غربال.

(٥) ابن تيمية: مجموع الفتاوى: ٢ / ٣٦٤-٣٦٥.

وهؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أن الله عين وجود الكائنات، وهو المعبر عنه بوحدة الوجود وهو شر الأقوال كلها؛ لأن أصحاب الحلول والاتحاد قالوا: إن الرب يتحد بعبده الذي قرب به واصطفاه فخصوا ذلك بمن عظموه كال المسيح والأولياء، وهؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب والخنازير والأقذار والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قد قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والأنتان وكل شيء^(١).

دعائم وحدة الوجود

ويمكن أن نذكر أهم دعائم وحدة الوجود لدى الصوفية على النحو الآتي:

(١) إنكارهم ثنائية الوجود، فمن ذلك قول النابلسي^(٢):

ليس الوجود كما يقال اثنان

حق وخلق؛ إذ هما شيان

هذا المقال عليه قبح عقيدة

عند المحقق ظاهر البطلان^(٣)

(١) انظر ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: ١٧٢/٢ - ١٧٣ ومجموعة الرسائل

٢٨/٤ - ٣٠، وما ذكره محمود عبد الرؤوف القاسم في الكشف عن حقيقة الصوفية: ٩٢.

(٢) هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل الدمشقي الحنفي، المشهور بالنابلسي، ولد سنة ١٠٥٠ هـ، في مدينة دمشق، ونشأ بها، وترعرع صوفيًا على طريقة ابن عربي، لزم الخلوة بعد ما بلغ الأربعين، فأقام في بيته سبع سنين، لا يخرج منه، تاركًا الجمعة والجماعة، معفيًا شعره، مطيلًا أظفاره، ملازمًا للرياضات الصوفية، مواظبًا على قراءة كتب وحدة الوجود، ولما بلغ مرتبة اليقين عند الصوفية واستشعر بوحدة الوجود، خرج من خلوته، وقطع عزلته، وقام برحلات بين مصر والشام، ثم عاد إلى دمشق، وتوفي بها سنة ١١٤٣ هـ. انظر ترجمته فيما ذكره الزركلي في الأعلام (٣٢/٤).

(٣) النابلسي: ديوان الحقائق (١٧١/٢). نقلًا عما ذكره الدكتور أحمد بن عبد العزيز القصير: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية ص (٢٩).

ويقول أيضًا: (الوجود عندهم [أي: عند الصوفية] حقيقة واحدة)^(١).

(٢) اعتقادهم عدم الكائنات، فمن ذلك قول ابن عربي: (الكون خيال)^(٢)، وقول عبد الكريم الجيلي:

ليس الوجود سوى خيال عند من

يدرّي الخيال بقدره المتعاضم^(٣)

(٣) اعتقادهم أن الكائنات هي الله، فكل شيء هو الله، فمن ذلك؛ قول ابن سبعين: الله فقط، هو الكل بالمطابقة^(٤).^(٥)، وقول القاشاني^(٦): (كل خلق تراه العيون فهو عين الحق، ولكن الخيال المحجوب سماه خلقًا؛ لكونه مستورًا بصورة خلقية)^(٧).

(٤) اعتقادهم تجلي الله في صور المخلوقات، فهو الظاهر في جميع هذه المظاهر، فمن ذلك قولهم:

(إن الله ما يتجلى إلا على نفسه، ولكن تسمى تلك اللطيفة الإلهية عبدًا باعتبار أنها عوض عن العبد، وإلا فلا عبد ولا رب؛ إذ بانتفاء اسم المربوب انتفى اسم الرب، فما

(١) النابلسي: الوجود الحق، ص (١٤٠)، نقلًا عما ذكره الدكتور أحمد بن عبد العزيز القصير: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية ص (٢٩).

(٢) ابن عربي: فصوص الحكم، مع شرح القاشاني ص (٢٤٣).

(٣) الجيلي: الإنسان الكامل (٢/ ٤٠).

(٤) معنى المطابقة: دلالة اللفظ على تمام ما وضع له. انظر ما ذكره الجرجاني: التعريفات ص (١٠٨)، مادة (الدلالة).

(٥) رسائل ابن سبعين ص (١٩٢).

(٦) هو عبد الرزاق بن أحمد بن أبي المغانم القاشاني، أو الكاشاني، أو الكاشي، شارح كتب الصوفية، وأحد مشايخ السهروردية، له مؤلفات، منها: شرح الفصوص، وغيره، انظر ترجمته فيما ذكره الزركلي في الأعلام (٣/ ٣٥٠)، وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين (٥/ ٢١٥).

(٧) شرح فصوص الحكم ص (١٥٢).

ثم إلا الله وحده^(١). قولهم:

أطلق عنانَ الحق في كل ما ترى فتلك تجليات من هو صانع^(٢)

(٥) ادعائهم أن الكائنات الدنسة هي الله:

فمن ذلك قول ابن سبعين: اختلط في الإحاطة الزوج مع الفرد، واتحد النجو مع الورد^(٣)، ويقول آخر متغزلاً في الذات الإلهية:

محبوبي قد عم الوجود

وقد ظهر في بيض وسود

وفي النصارى مع اليهود

وفي الخنازير مع القروء^(٤)

وعلى هذا علمنا: أن مراد المتصوفة من وحدة الوجود صعب التصور، لا يمكن بيانه على وجه معقول، فإنه على هذا التصور الذي مضى معنا يشمل الموجودات والمعدومات والممتنعات، والكائنات الدنسة وغيرها، وقد اعترف كثير منهم بأنه معتقد مناقض للعقول^(٥)، ومذهب هذا شأنه لا بد أن يتضمن بيان معناه ظهور اضطرابه وبطلانه.

(١) الجيلي: الإنسان الكامل (١/٦٢).

(٢) نقلاً عما ذكره الدكتور أحمد بن عبد العزيز القصير: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية ص (٣٤)، عن عبد الكريم الجيلي، وهو في كتاب الجيلي باسم: قصيدة النادرات العينية، ص (٧٧).

(٣) رسائل ابن سبعين ص (١٤٣) باختصار.

(٤) نقله ابن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم: ص (٥٥)، وقد نسبته ابن عجيبة إلى علي بن عبد الله الششتري النميري الأندلسي، المتوفى سنة (٦٦٨هـ).

(٥) منهم ابن عربي نفسه في الفتوحات تحقيق عثمان يحيى (٢/٣٩٩)، والجيلي في المناظر الإلهية ص (١٤٦)، والناقلي: الوجود الحق ص (١٠٩) نقلاً عما ذكره الدكتور أحمد بن عبد العزيز القصير: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية ص (٢٩).

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وهو يبين حقيقة وحدة الوجود: «اعلم أن المذهب إذا كان باطلاً في نفسه؛ لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يُتصور تصوراً حقيقياً؛ فإن هذا لا يكون إلا للحق، فأما القول الباطل فإذا بَيَّن فيبانه يُظهر فساده، حتى يقال: كيف اشتبه على أحد؟!»^(١).

المتصوفة الوجودية:

يبدو لي من خلال الدراسة أن القول بوحدة الوجود هو عقيدة بعض كبار المتصوفة أعني الملاحدة والمتفلسفة منهم^(٢)، وفيما يلي بعض النصوص الدالة على ذلك من أرباب التصوف المشهورين:

١ - أبو يزيد البسطامي: (٢٦١هـ، وقيل: ٢٦٣هـ) ومن أقواله في هذا الباب:

أنه أخذ وحدة الوجود عن رجل هندي، اسمه أبو علي السندي، وكان حديث عهد بالإسلام، قال أبو يزيد عنه (أنا أعلم منه الفناء في التوحيد، وهو يقرأ عندي الحمد وقل هو الله أحد...)^(٣).

فهو رائد وحدة الوجود، وقد تبعه جلُّ المتصوفة؛ سأذكر فيما يلي أبرزهم:

٢ - أبو الحسين أحمد النوري (٢٩٥هـ):

يقول النوري: (كان الله ولا أين، والمخلوقات في عدم، فكان حيث هو، وهو الآن حيث كان؛ إذ لا أين ولا مكان...)^(٤).

(١) ابن تيمية: حقيقة مذهب الاتحاديين ص (٧).

(٢) انظر ما ذكره الشيخ عبد الرحمن الوكيل: مصرع التصوف (١٥)، وعبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي ص (٦٩٠)، والشيخ أبو بكر الجزائري: إلى التصوف يا عباد الله ص (٣٥)، ومحمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (١٠٥)، والدكتور موسى الدويش: رسائل وفتاوى في دم ابن عربي ص (٣٧)، والدكتور محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/ ٤٧٣-٤٧٤).

(٣) الجامي: نفحات الأنس ص (١٧٦-١٧٧).

(٤) ابن عجيبة الحسني: إيقاظ الهمم ص (٤٦).

وقال أيضاً: (عزُّ ظاهرٍ، وملك قاهر، ومخلوقات ظاهرة به وصادرة عنه، لا هي متصلة به ولا منفصلة عنه)^(١).

فقوله: (لا هي متصلة به) ينفي الاتصال؛ لأن كلمة الاتصال وما اشتق منها تعني وجود اثنين متصلين ببعضهما؛ لذلك فهو ينفي الاتصال نفياً لتوهم الاثنينية، ثم ينفي الانفصال لإثبات الوحدة^(٢).

٣- العلاج: (٣٠٩هـ) من أقواله وأبياته:

أنه سئل كيف الطريق إلى الله تعالى؟ قال: الطريق بين اثنين، وليس مع الله أحد، فقلت: بين، قال: من لم يقف على إشارتنا لم ترشده عبارتنا.
ثم قال:

أأنت أم أنا هذا في إلهين حاشاك حاشاك من إثبات اثنين^(٣)

فقوله: (ليس مع الله أحد) ليس إلا القول بوحدة الوجود^(٤).

وقوله: حاشاك من إثبات اثنين واضح في أن العلاج ارتقى إلى وحدة الوجود.
وقوله:

رأيت ربي بعين قلب فقلت: من أنت؟ قال: أنت^(٥)

وقال:

وأي الأرض تخلو منك حتى تعالوا يطلبونك في السماء

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر ما ذكره الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (١١٥).

(٣) أخبار العلاج ص (٥٧).

(٤) اظر ما ذكره الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (٢١).

(٥) الطواسين (طاسين النقطة)). نقلاً عن المصدر السابق ص (٢١).

تراهم ينظرون إليك جهراً وهم لا يبصرون من العماء^(١)
ويقول:

جحدوي لك تقديس وعقلي فيك منهوس
فما آدم إلا كما وما في الكون إبليس^(٢)

ويقول: فالحقيقة، والحقيقة خليقة، دع الخليقة لتكون أنت هو، أو هو أنت من حيث الحقيقة^(٣).

ويقول: وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس، حيث إبليس تغير عليه العين، وهجر الألفاظ في السير وعبد المعبود على التجريد^(٤).

٤ - أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ):

وله مواقف عديدة؛ وقد حوى كتبه كثيراً من الأغايز والرموز الصوفية، وهي بين البوح والستر، في وحدة الوجود، إلا أنه في عدة أماكن صرح بوحدة الوجود، فمن ذلك: أنه قسم التوحيد أربع مراتب:

(الأولى: أن يقول الإنسان بلسانه (لا إله إلا الله) وقلبه غافل عنه، أو منكر له كتوحيد المنافقين.

الثانية: أن يصدق بمعنى اللفظ كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام.

الثالثة: أن يشاهد ذلك بطريقة الكشف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين وذلك؛ بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

(١) أخبار الحلاج ص (١٢٥).

(٢) نقله صاحب جلاء العينين ص (٩٤).

(٣) طاسين الصفاء نقلاً عما ذكره الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (١١١).

(٤) طاسين الأزل والالتباس، نقلاً عما ذكره الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (١١١).

الرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحداً، وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية: الفناء في التوحيد؛ لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان فائتاً عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق^(١).

ويقول في موضع آخر: (فاعلم أن هذا قرع باب من المعارف، وهي أعلى من علوم المعاملة، ولكننا نشير إلى ملامح، ونقول: هاهنا نظران؛ نظر بعين التوحيد المحض، وهذا النظر يعرفك قطعاً أنه الشاكر وأنه المشكور، وأنه المحب وأنه المحبوب، وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره ... لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام، ومثل هذا الغير لا وجود له، بل هو محال أن يوجد ... فإذا ليس في الوجود غير الحي القيوم، وهو الواحد الصمد، فإذا نظرت من هذا المقام، عرفت أن الكل منه مصدره، وإليه مرجعه، فهو الشاكر وهو المشكور، وهو المحب وهو المحبوب...) ^(٢).

ويقول: (... الفريق الثاني: ليس بهم عمى، ولكن بهم عور؛ لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه، والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق، فأثبت موجوداً آخر مع الله تعالى، وهذا مشرك تحقيقاً... فإن جاوز حد العمى إلى العمش أدرك تفاوتاً بين الموجودين، فأثبت عبداً ورباً، فبهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد. ثم إن كحل بصره بما يزيد في أنواره، فيقل عمشه، وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبتته سوى الله تعالى، فإن بقي في سلوكه كذلك، فلا يزال يفضي به النقصان إلى المحو، فينمحي عن رؤية ما سوى الله، فلا يرى إلا الله، فيكون قد بلغ كمال التوحيد، وحيث أدرك نقصاً في وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد... وترجمته قول (لا إله إلا الله)، ومعناه: أن لا يرى إلا الواحد الحق، والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقلون ... إذ عبدة الأوثان قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣]، فكانوا داخلين في أوائل

(١) انظر قول الغزالي هذا في إحياء علوم الدين: ٢٦٢ / ٤ - ٢٦٣

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين (٤ / ٧٤).

أبواب التوحيد دخولاً ضعيفاً^(١).

ويقول: (...) ومن هنا ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى يفاع الحقيقة، واستكملوا معراجهم، فرأوا بالمشاهدة العيانة أن ليس في الوجود إلا الله تعالى، وأن (كل شيء هالك إلا وجهه) لا أنه يصير هالكاً في وقت من الأوقات، بل هو هالك أزلاً وأبداً، لا يُتصور إلا كذلك.. فإذا لا موجود إلا الله تعالى ووجهه، فإذا كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبداً... ولم يفهموا من معنى قوله «الله أكبر» أنه أكبر من غيره، حاش لله؛ إذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه، بل ليس لغيره رتبة المعية، بل رتبة التبعية...^(٢).
ويقول الغزالي في تائيته:

وهل أنا إلا أنت ذاتاً ووحدةً

وهل أنت إلا نفسي عين هويتي

كأنني لم أحجب بها وكأنما

هي احتجبت بي فازدهى الناس عشقتي

فدنتُ بأمر حرمة شريعتي

وأحييتُ حكماً قد أماته سنتي^(٣)

ويقول:

يكل لساني عن صفاتي وإنما

يعبر عني أنني ذاتٌ وحدة^(٤)

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين (٧٥ / ٤).

(٢) الغزالي: مشكاة الأنوار ص (٥٥).

(٣) النفحات الغزالية ص (١٧٣)، نقلاً عما ذكره الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (٤٣).

(٤) المصدر السابق.

٥- فريد الدين العطار:

يقول العطار: (والعرش مستقر على الماء والعالم سابح في الفضاء، فتجاوز الماء والفضاء فالجميع هو الله، والعرش والعالم لا يزيدان عن مجرد طلسم، والوجود لله وحده، وليس لهذه الأشياء جميعاً إلا الرسم، ولتمعن النظر فما هذا العالم أو ذاك إلا الله وحده ولا وجود إلا له، وإن كان هناك موجود فهو الموجود وحده)^(١).

ويقول: (فيا من لا وجود لسواك في طلعك، أنت العالم أجمع ولا وجود لأحد غيرك، الروح خفية في الجسد، أما أنت ففي الروح اختفيت، فيا خفياً فيما هو خفي، ويا روح الروح ويا من هو أعظم من الجميع، ومقدم على الكل، إنها جميعاً ترى من خلالك، كما ترى أنت من خلال الجميع)^(٢).

ويمضي العطار في توضيح هذه الصلة بين طرفي الوجود فيقول: (فصورة طير العالم جميعاً ما هي إلا صلة، فاعلم هذا أيها الجاهل)^(٣).
وعليه، فالعالم ما هو إلا ظل للذات الإلهية..^(٤).

٦- ابن الفارض (٦٣٢هـ) ويدل عليه ما جاء في تائيته:

ولم أله باللاهوت عن حكم مظهري ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتي

(١) فريد الدين عطار: منطق الطير ص (١٤٣)، نقلاً عن ما ذكره الدكتور الفاضلة سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي آل سعود: نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام ص (٤٠-٤١).

(٢) فريد الدين العطار: منطق الطير ص (١٤٣)، نقلاً عن ما ذكره الدكتور الفاضلة سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي آل سعود: نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام ص (٤١).

(٣) المصدر السابق ص (٢١٢).

(٤) نقلاً عن ما ذكره الدكتور الفاضلة سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي آل سعود: نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام ص ٤٢، وانظر أيضاً من هذا الكتاب ص (٤٢-٤٣).

وقد جاءني مني رسول عليه ما عنْتُ عزيز بي حريصٌ لرأفة
ومن عهد عهدي قبل عصر عناصري إلى دار بعث قبل إنذار بعثة
إليّ رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بأيأتي علي استدلت^(١)

يقول القاشاني في شرحه: (فالذات الإلهية باعتبار التجرد والابتداء تكون مرسلًا، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسلًا إليها)^(٢).

وقوله أيضًا:

ولما شعبت الصدع والتأمت فطو ر شمل بفرق الوصف غير مشمت
تحققت أني في الحقيقة واحد وأثبت صحو الجمع محو التشتت^(٣)
وقوله أيضًا:

فكلي لكلي طالب متوجه وبعضي لبعضي جاذب بالأعنة
وفي شهدت الساجدين لمظهري فحققت أني كنت آدم سجدي^(٤)
ويقول:

تعانقت الأطراف عندي وانطوى بساط السوي عدلاً بحكم السوية^(٥)
ويقول:

فإن دعيتُ كنتُ المجيب وإن أكن منادى أجابت من دعاني ولبت^(٦)

وقال - وهو يصف الذات الإلهية بالتجلي في مظهر الإناث - تعالى الله عن ذلك:

(١) ابن الفارض في ديوانه: ٨٩

(٢) نقلاً عما ذكره عبد الرحمن الوكيل: مصرع التصوف ص (٧٣)، هامش (٣).

(٣) المصدر نفسه: ١٠

(٤) ابن الفارض: الثانية ص (٩٠). (٥) ابن الفارض: الثانية ص (٩٢).

(٦) ابن الفارض: الثانية ص (٣٩)، وانظر ما نقله شيخ الإسلام أيضًا (٣١٦/٢) من مجموع الفتاوى.

وما برحت تبدو وتخفى لعة
وتظهر للعشاق في كل مظهر
ففي مرة لبنى وأخرى بثينة
ولسن سواها، لا، ولا كن غيرها
كذاك بحكم الاتحاد بحسنها
وقال:

وشاهد إذا استجلبت نفسك ما ترى
أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر
وأصغ لرجع الصوت عند انقطاعه
أهل كان من ناجاك ثم سواك أم
ويقول:

وما شأن هذا الشأن منك سوى السوى
كذا كنت قبل أن يكشف الغطا
متى حلت عن قولي «أناهي» أو أقل
وسرُّ «بلى» لله مرأة كشفها
ودعواه حقاً عنك إن تُمح تثبت
من اللبس لا أنفك عن ثنوية
- وحاشا لمثلي - «أنها في حلت»
وإثبات معنى الجمع نفى المعية^(٣)

يقول مؤرخ أهل السنة الحافظ الذهبي عنه:

(١) ابن الفارض: التائية ص (٧٠-٧١).

(٢) ابن الفارض: التائية ص (١٠٨).

(٣) ابن الفارض، التائية الكبرى، نقلاً عما ذكره الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (٢٦).

(صاحب الاتحاد الذي ملأ به التائية ... فإن لم يكن في تلك العقيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى وأعدنا من الهوى، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله...) (١).

ووصفه في ميزان الاعتدال بقوله: (ينعق بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة فتدبر نظمه ولا تستعجل ... وتحت الزري والعبارة فلسفة وأفاعي، فقد نصحتك، والله الموعد) (٢).

وقد نسبته شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر والباقعي وغيرهم إلى القائلين بوحدة الوجود (٣).

٧- ابن عربي الملقب عند المتصوفة بالشيخ الأكبر (٦٣٨هـ):

ويدل عليه كثير من كتبه، وبالخصوص: فصوصه. والذي جاء فيه:

(فكل ما ندركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات. فمن حيث هوية الحق هو وجوده، ومن حيث اختلاف الصورة فيه هو أعيان الممكنات) (٤).

ويقول: (فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء) (٥).

ويقول: (...) والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يُعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك...) (٦).

ويقول: (فإن الإله المطلق لا يسعه شيء؛ لأنه عين الأشياء وعين نفسه، والشيء لا

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء (٣٦٨/٢٢).

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال (٢١٤/٣).

(٣) انظر مثلاً ما ذكره ابن تيمية: مجموع فتاوى (١١٥/٢، ١٢٣، ١٢٤-١٢٤، ٢٩٤)، والحافظ ابن حجر:

لسان الميزان (٣١٨/٤)، والباقعي: تنبيه الغبي ص (١٦٢)، وتحذير العباد ص (٢١٤).

(٤) ابن عربي في فصوص الحكم: ١٠٣.

(٥) فصوص الحكم (فص حكمة إمامية في كلمة هارونية) ص (١٩٢).

(٦) الفصوص ص (١٩٥).

يقال فيه: يسع نفسه ولا لا يسعها، فافهم^(١).

ويقول: (...) ولا يُشْهَد، ولا تدركه الأبصار، بل هو يدرك الأبصار، للطفه وسريانه في أعيان الأشياء^(٢).

ويقول: (...) ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وما خص إنساناً من إنسان، فالقرب الإلهي من العبد لا خفاء به في الإخبار الإلهي، فلا قرب أقرب من أن تكون هويته (هوية الله) عين أعضاء العبد وقواه، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى، فهو حق مشهود في خلق متوهم، فالخلق معقول، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود، وما عدا هذين الصنفين فالحق عندهم معقول والخلق مشهود...^(٣).

ويقول: (...) فمن عرف أن الحق عين الطريق، عرف الأمر على ما هو عليه، فإن فيه، جل وعلا، تسلك وتسافر؛ إذ لا معلوم إلا هو، وهو عين الوجود، والسالك والمسافر...^(٤).

ويقول: (...) إلا أنه تعالى وصف نفسه بالغيرة؛ ومن غيرته حرم الفواحش، وليس الفحش إلا ما ظهر، وأما فحش ما بطن فهو لمن ظهر له، فلما حرم الفواحش، أي منع أن تعرف حقيقة ما ذكرناه، وهي أنه عين الأشياء، فسترها بالغيرة، وهو أنت من الغير، فالغير يقول: السمع سمع زيد، والعارف يقول: السمع عين الحق^(٥).

ويقول في الفص الإدريسي وهو يوضح معنى الفرق والجمع، فيضرب بالأعداد مثلاً، فإن كان وحدة عددية^(٦) يطلق عليها اسماً خاصاً يميزه عن غيره، وإذا نظرت إليها

(١) الفصوص، (قص حكمة فردية في كلمة محمدية) ص (٢٢٦).

(٢) الفصوص ص (١٩٦).

(٣) الفصوص، (فص حكمة أهدية في كلمة هودية) ص (١٠٨).

(٤) الفصوص ص (١٠٩). (٥) المصدر السابق ص (١١٠).

(٦) مثل : واحد، اثنان، وثلاثة... إلى ما لا نهاية له.

بعين الجمع وجدت أن الجميع يقع تحت اسم واحد^(١). ثم قال: (ومن عرف ما قرناه في الأعداد وأن نفيها عينٌ إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق، فالأمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق الخالق، كل ذلك من عين واحد، لا، بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة فانظر ما ذا ترى ﴿قَالَ يَبْنَ أَفَعَلَ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصفات: ١٠٢] والولد عين أبيه، فما رأى من يذبح سوى نفسه، وفداه بذبح عظيم، فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة إنسان، وظهر بصورة ولد - لا، بل بحكم ولد - من هو عين الوالد. ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] فما نكح سوى نفسه فمنه الصاحبة والولد والأمر واحد في العدد... فعالم الطبيعة صورة في مرآة واحدة، لا، بل صورة واحدة في مرآيا مختلفة، فما ثم إلا حيرة لتفرق النظر، ومن عرف ما قلناه لم يخر... يتنوع الحق في المجلى فتتنوع الأحكام عليه، فيقبل كل حكم وما يحكم عليه إلا عين ما تجلى فيه، وما ثم إلا هذا.

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا وليس خلقاً بذاك الوجه فادكروا
من يدر ما قلت لم تخذل بصيرته وليس يدره إلا من له بصر
جمعٌ وفرقٌ فإن العين واحدة وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر^(٢)

يقول القاشاني في شرح هذه الآيات: (أي الوجود الواحد الحق في مرتبة الجمع الأسمائي إله، وفي مرتبة الفرق مخلوق، فليس في الوجود غيره؛ فإنه العين الواحدة، وهي بعينه الكثيرة بالتعينات، وهي نسب لا تحقق لها بدونه فلا موجود إلا وحده)^(٣). ويقول ابن عربي في موضع آخر: (وصاحب التحقيق يرى الكثرة في الواحد، كما يعلم أن مدلول الأسماء الإلهية، وإن اختلفت حقائقها وكثرت أنها عين واحدة،

(١) مثل: عشر، مائة، ألف.. إلخ. والتعليقان مأخوذان من الدكتور محمد أحمد لوح: تقديس

الأشخاص في الفكر الصوفي (١/ ٥٣١).

(٢) الفصوص ص (٧٧-٧٩).

(٣) شرح القاشاني على الفصوص ص (٨٤).

فهذه كثرة معقولة في واحد العين، فتكون في التجلي كثرة مشهودة في عين واحدة... فمن عرف نفسه بهذه المعرفة فقد عرف ربه فإنه على صورته خَلَقَهُ، بل هو عين هويته وحقيقته^(١).

ويقول في أماكن أخرى:

نبات على قدر يكون وأوزان	فلا خلق أعلى من جماد وبعده
بخلافه كشفا وإيضاح وبرهان	وذو الحس بعد النبت والكل عارف
بعقل وفكر أو قلادة إيمان	وأما المسمى آدمما فمقيد

وقال:

من الصور ما يخفى وما هو ظاهر	فللواحد الرحمن ي كل موطن
وإن قلت أمراً آخرًا أنت عابر	فإن قلت هذا الحق قدتك صادقاً
ولكنه بالحق للخلق سافر	وما حكمه في موطن دون موطن

وقال:

أنت لما تخلق جامع	يا خالق الأشياء في نفسه
فيك فأنت الضيق الواسع	تخلق ما لا ينتهي كونه

وقال:

ووقتاً يكون العبدُ عبدًا بلا إفك	فوقتاً يكون العبد ربًّا بلا شك
وإن كان ربًّا كان في عيشه ضنك	فإن كان عبدًا كان بالحق واسعاً
وتسع الآمال منه بلا شك	فمن كونه عبدًا يرى عين نفسه
لذا تر بعض العارفين به يبكي	ويعجز عما طالبوه بذاته

(١) الفصوص ص (١٢٤، ١٢٥).

وقال:

كل الجمال غذاء وجهك مجملًا	لكنه في العالمين مفصل
فأنت عبد وأنت رب	لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد	لمن له في الخطاب عهد
فكل عقد عليه شخص	يحلّه من سواه عقد
فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن	فما ثم موصول وما ثم باين
بذا جاء برهان العيان فما أرى	بعيني إلا عينه إذ أعاين

وقال: (وإذا كان الأمر على ما ذكرته لك فالعالم متوهم ما له وجود وهذا معنى الخيال، أي خيل لك أنه أمر زائد قائم بنفسه خارج الحق، وليس كذلك في نفس الأمر...) (١).

وقال: (وإذا كان الأمر على ما قررناه، فاعلم أنك خيال وجميع ما تدركه مما تقول فيه ليس أنا خيال، فالوجود كله خيال في خيال والوجود الحق إنما هو الله الحق خاصة)

يقول القاشاني: أي ما قررناه من أن الوجود الإضافي المسمى بالظل ليس إلا نسبة الوجود الحق إلى العين المتجلى هو فيها، فإنك على ما تخيلت وتوهمت من نفسك أنك موجود قائم بنفسه خيال باطل، وكذا جميع ما تدركه مما سواك هو غير الحق، فالوجود الإضافي الذي تدركه وتتصور أنه وجود مستقل خيال في خيال؛ لأنك خيال، والذي توهمته وتخيلته فيك مما سوى الحق خيال في خيال، والوجود الحق إنما هو الله الحق خاصة أي وما هو إلا الله وحده لا غير (٢).

(١) الفصوص ص (١٤٢) مع شرح القاشاني.

(٢) شرح القاشاني على الفصوص ص (١٤٤-١٤٥).

هذه كلها بعض كلام هذا الشيخ الأکفر، وإلا فالكلام الذي في الفصوص - . كما قال الإمام الذهبي - فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفرٌ، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله! (١). وأما كلامه في فتوحاته الدالة على وحدة الوجود، فلا تعد ولا تحصى (٢).

٨- ابن سبعين: (٣) (٦٦٩هـ):

ومن الأقوال الدالة على كونه من أصحاب وحدة الوجود ما يلي:

قوله: (فهو الوجود كله، ولا وجود لشيء معه، إلا لعلمه به، أنت علمه فأنت به ثابت من حيثية مغايرة علمه إياه وهي التعيين، وبه هو موجود من حيثية أن علمه عين ذاته، وهي أن لا تعيين، وأنت المتعين من حيث أنت صورة في العلم لا من حيث إطلاق العلم) (٤).

معنى الكلام: أن الله عندهم هو الوجود كله ولا شيء معه إلا علمه، وهذه الكائنات هي عين علمه، وعلمه عين ذاته، والاستثناء ي قوله (إلا لعلمه) ليس إثباتاً للغير والسوي؛ لأنه صرح أن علمه عين ذاته. يقول شيخ الإسلام في بيان مذهب ابن سبعين: (فإنه جعل علمه بالأشياء عين الأشياء؛ إذ جعل لا وجود معه إلا لعلمه بذلك الشيء، وجعل نفس الأشياء علمه، ولهذا أثبت التغير من وجه وعدمه من وجه) (٥).

(١) سير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣).

(٢) انظر ما ذكره الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (٥٨، ١٤٩-١٥٢، ٥٥٥).

(٣) هو أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد الإشبيلي، من أئمة أهل الإلحاد والاتحاد، ويقول: إن النبوة مكتسبة، ويسخر من الطائفين بالبيت، ويقول: كأنهم حمير حول المدار، ولو طافوا بي كان طوافهم أفضل من طوافهم بالبيت.

انظر ترجمته في جلاء العينين ص (٨١-٨٢)، وما ذكره ابن كثير: البداية والنهاية (٢٧٦/١٣).

(٤) رسائل ابن سبعين ص (١٩٢).

(٥) ابن تيمية: بغية المراتد ص (٤٤٣).

ويقول ابن سبعين: (فإن عرفته في كل شيء عين كل شيء لا الصورة المتعينة لم تجهله في صورة أصلاً)^(١).

ويقول أيضاً: (وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ولا تبال وأي شيء يخطر ببالك سمه به من اسمه (الوجود) كيف بأسماء منحصرة هيهات؟ الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض، فإن قلت: نسميه بما سمى به أو نبيه، يقال لك: من سمى نفسه (الله) قال لك إن كل شيء وجميع من تنادي أنا)^(٢).

ويقول أيضاً: (الله فقط، الله المستعان والمستعين والإعانة معنى فيه في كونه معيناً مستعيناً، الحمد لله في الأزل والأبد والمجد ومن هو بهما عين الحامد والحمد ولا حول ولا قوة إلا بالساري بذاته في أفعاله عن أسمائه بصفاته أحب فتسمى بالحي وأحاط فتسمى بالعالم... هو عين كل ما ظهر فحق له أن يتسمى بالظاهر وهو معنى كل معنى فحق له أن يتسمى بالباطن)^(٣).

ويقول أيضاً: (فإن الحق واحد وما عداه وهم، والأوهام هي المستندة والمستند إليها بوجه ما ونحن تلك الأوهام بل نحن بل هو هو، بل لا يقال نحن ولا هو من حيث الإشارة والميل، ولكنها تشعر بالشيء الذي يجد ذلك الشيء من كل الجهات ويصرف هو والهو هو إلى أنا ويجد الإنية^(٤) والهوية معاً^(٥)).

هذا، ولما كان يرى أن عوام المسلمين على غير عقيدته كان يتضايق من هذا، فضاقت عليه بلاد الإسلام بما رحبت، ولهذا كان يريد الذهاب إلى الهند، وقال: إن

(١) رسائل ابن سبعين: (١٩٢-١٩٣).

(٢) المصدر السابق ص (١٨٤). (٣) المصدر السابق ص (١٩٠).

(٤) الإنية: أو الأنانية، أو الأنية: عبارة عن الحقيقة التي يشار إليها كل شيء من العبد، كقولك: نفسي وروحي ويدي، وتكون حقيقتك وباطنك غير الحق ونفي الإنية هو عين معنى الإله، ثم إثبات الحق سبحانه في باطنك، ثانياً: هو عين معنى إلا الله. انظر معجم مصطلحات الصوفية ص (٢٦).

(٥) المصدر السابق ص (٢٧٦).

أرض الإسلام لا تسعني، وذلك أن أهل الهند مشركون يعبدون كل شيء حتى النباتات والحيوانات، وهذا حقيقة قول أصحاب وحدة الوجود^(١).

ومن شدة تأثره بالفلسفة الهندية كتب كتاباً سماه: كتاب البد، وكلمة البد وإن كان قد عرف بأن المقصود به الصنم، أو بيت الأصنام، إلا أن كون المقصود بالبد هو بوذا أقرب، يظهر ذلك لمن يقارن ما كتب في هذا الكتاب من صفات البد، وما جاء من صفات بوذا في كتب تراجمه.

٩- الصدر القنوي^(٢) (٦٧٣هـ):

وهو صاحب ابن عربي، أبعد عن الشريعة والإسلام؛ لأن حقيقة قوله في الإلحاد والاتحاد: أنه ليس لله وجود أصلاً؛ بل وجوده عين وجود المخلوقات، وكان هو وشيخه ومن شاكلة هؤلاء يصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجود الله تعالى^(٣).

١٠- العفيف التلمساني^(٤) - الفاجر -^(٥) (٦٩٠هـ):

يقول شيخ الإسلام: - وكان معاصراً له - (وأما التلمساني ونحوه فلا يفرق بين ماهية ووجود ولا بين مطلق ومعين، بل عنده ما ثم سوى ولا غير بوجه من الوجوه، وإنما

(١) انظر ما ذكره شيخ الإسلام: مجموع فتاوى (٢/ ٢٧٨)، والآلوسي: جلاء العينين ص (٩٧).

(٢) هو محمد بن إسحاق بن محمد الرومي، الملقب لدى المتصوفة بـ«صدر الدين»، تلميذ ابن عربي، قال العلامة نعمان الآلوسي: كان أبعد عن الشريعة والإسلام، وكان ممن يقول: إن الكلب والخنزير والبول والعذرة عين الله تعالى.

انظر ترجمته في جلاء العينين (٩٢-٩٣)، وغاية الأمانى (١/ ٤٠١-٤٠٣)، والكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (١٥٨-١٦١)، وما ذكره الصفدي في الوافي (٢/ ٢٠٠).

(٣) انظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع فتاوى (٢/ ٤٧١)، و(٩٢-٩٣)، والآلوسي: جلاء العينين (٩٢-٩٣).

(٤) هو عفيف الدين سليمان بن علي المغربي، من كبار الملاحدة، أخصب القوم وأعمقهم كفراً، انظر ترجمته في النجوم الزاهرة (٨/ ٢٩)، وشذرات الذهب (٥/ ٤١٢).

(٥) سماه شيخ الإسلام هكذا، انظر: مجموع الفتاوى: ٢/ ٤٧٧، ٤٧١.

الكائنات أجزاء منه وأبعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر وأجزاء البيت من البيت. فمذهبه أكثر إيغالاً في الوحدة من جميع ما قبله من المذاهب؛ لأن أولئك بنوا مذاهبهم في الوحدة والاتحاد على الفرق والجمع، أما التلمساني، فلا يرى الفرق أبداً. وهو أخبث القوم، وأعمقهم كفراً؛ وكان إباحياً يستحل جميع المحرمات، وكان يقول: البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون [يعني علماء الإسلام] قالوا: حرام؛ فقلنا: حرام عليكم، وكان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا، وكان يقول: أنا ما أمسك شريعة واحدة، وكان إذا أحسن القول يقول: القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى، وله ديوان شعر في صناعة الشعر جيد، ولكنه كما قيل: لحم خنزير في طبق صيني^(١)، وقد صنف هذا التلمساني للتصيرية عقيدة، وحقيقة أمرهم: أن الله تعالى بمنزلة البحر، والموجودات بمنزلة أمواجه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: لم أر قط أحداً فيهم كفر مثل كفر التلمساني، وآخر يقال له البلياني من مشايخ شيراز^(٢).

والذي يدل على أنه كان من أصحاب وحدة الوجود: ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية - (مر التلمساني ومعه شخص بكلب، فركضه الآخر برجله، فقال: لا تركضه، فإنه منه)^(٣).

(ومر شيخان منهم التلمساني هذا والشيرازي على كلب أجرب ميت فقال الشيرازي للتلمساني هذا أيضاً من ذاته فقال التلمساني هل ثم شيء خارج عنها؟)^(٤).

١١ - ابن عطاء الله السكندري (٧٠٧هـ)^(٥):

(١) انظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: (٢/ ٤٧١-٤٧٢، ١٧٥، ٢٠١، ١٢٧، ٦٦)، وانظر ما ذكره صاحب جلاء العينين (٩٢-٩٣، ٩٦)، وصاحب غاية الأمانى (١/ ٤٠٠).

(٢) انظر ما ذكره ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢/ ٤٧٢-٤٧٣)، وانظر ما ذكره الألوسي: جلاء العينين (٩٣-٩٤).

(٣) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى: ٢/ ٣٠٩.

(٤) ابن تيمية: مجموع فتاوى (٢/ ٣٤٢).

(٥) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله تاج الدين أبو الفضل الاسكندراني الشاذلي،

ويظهر كونه على عقيدة وحدة الوجود، ما جاء في كتابه من التصريح بهذه العقيدة، فقد قال:

(الأولياء وليان:

١- ولي يفنى عن كل شيء فلا يشهد مع الله شيئاً.

٢- ولي يبقى في كل شيء فيشهد الله في كل شيء، وهذا أتم؛ لأن الله سبحانه لم يظهر المملكة إلا كي يشهد فيها، فالكائنات مرايا الصفات، فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها هو لا هي، فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها: تراها من حيث ظهوره فيها، ولا تراها من حيث كونيتها).

ثم أنشد الأبيات التالية:

ما أبينت لك العوالم إلا لتراها بعين من لا يراها

فارق عنها رقي من ليس يرضى حالة دون أن يرى مولاها

ثم قال: (فالنظر في الكائنات غير شاهد للحق فيها غافل، والفاني عنها عبدٌ بسطوات الشهود ذاهل، والشاهد للحق فيها عبدٌ مخصص كامل، وإنما ترفع الهمة عن الكون من حيث كونيته لا من حيث ظهور الحق فيه، وذلك لعدم نفوذهم إليه من كل شيء لا لعدم ظهوره في كل شيء؛ فإنه ظاهر في كل شيء حتى إنه ظاهر فيما احتجب به فلا حجاب.

ثم أنشد الأبيات التالية:

وأنت الذي أظهرته ثم ظهرت في جميع المبادي مثل ما شهد العرف

صحب الشيخ الشاذلي أبا العباس الشاذلي، وصنف مناقبه، ومناقب شيخه، وكان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه، وهو من المتصوفة الذين قاموا على شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد بالغ في عداائه لشيخ الإسلام إلى أبعد الحدود.

انظر ما ذكره الحافظ ابن حجر في ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ٢٩١).

ظهر لكل الكون فالكون مظهر وفيه له أيضاً كما جاءت الصحف^(١)

١٢- عبد الكريم الجيلي:

ألف الجيلي حوالي ثلاثين كتاباً، شحنها بالخرافات، وأهم كتبه: «الإنسان الكامل»^(٢).

وفيما يلي بعض أقواله في هذا الباب نقلاً عن كتابه: الإنسان الكامل:

يقول: (إذا تجلى الله تعالى على عبد من عبده في اسم من أسمائه اصطلم العبد تحت أنوار ذلك الاسم، فمتى ناديت الحق بذلك الاسم أجابك العبد لوقوع ذلك الاسم عليه، فأول مشهد من تجليات الأسماء أن يتجلى الله لعبده في اسمه الموجود فيطلق هذا الاسم على العبد وأعلى منه تجليه له في اسمه الواحد وأعلى منه تجليه في اسمه الله فيصطلم العبد لتجلي ويندك جبله فيناديه الحق على طور حقيقته أنه أنا الله هنالك يمحو الله اسم العبد ويثبت له اسم الله، فإن قلت: يا الله ! أجابك هذا العبد ليك وسعديك، فإن ارتقى وقواه الله وأبقاه بعد فثاته كان الله مجيباً لمن دعى هذا العبد، فإن قلت: يا محمد، أجابك الله لبيك وسعديك، ثم إذا قوي العبد في الترقى تجلى الحق له في اسمه الرحمن ... فينتهي العبد في هذه التجليات الأسمائية إلى حقيقتها ذاتية إلى أن تطلبه جميع الأسماء الإلهية طلب وقوع كما يطلب الاسم المسمى فحينئذ يغرد طائر أنه على قدسه قائلاً:

ينادي المنادي باسمها فأجيبه وأدعى فليلى عن ندائي تجيب
وما ذاك إلا أننا روح واحد تداولنا جسمان وهو عجيب
فذا تي لها ذات واسمي اسمها وحالي بها في الاتحاد غريب

(١) ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن ص (٩٠-٩١)، تحقيق: عبد الحليم محمود.

(٢) انظر لمعرفة المزيد عنه وعن آرائه الفلسفية الإشراقية، وعن آثاره على المتصوفة الفلاسفة الذين جاءوا بعده، ما ذكره محمد علي أبو ريان: حركة الصوفية في الإسلام ص (٢٨٣-٢٩٩).

ولسنا على التحقيق ذاتي لواحد ولكنه نفس المحب حبيب (١)
ومن أقواله:

خبثني فكانت في عني نيابة أجل عوضًا بل عين ما أنا واقع
فكنت أنا هي وهي كانت أنا وما لها في وجود مفرد من ينازع
بقيت بها وفيها ولا تاه بيننا وحالي بها ماضٍ كذا ومضارع
ولكن رفعت النفس فارتفع الحجا ونبهت من نومي فما أنا ضاجع
وشاهدتني حقًا بعين حقيقتي فلي في جبين الحسن تلك الطلائع
جلوت جمالي فاحتليت مرئيًا ليطلع فيها للكمال مطالع
فأوصافها وصفني وذاتي ذاتها وأخلاقها لي في الجمال مطالع
واسمي حقًا اسمها واسم ذاتها لي اسم تلك النعوت توابع (٢)

ويقول: (إن الذات عبارة عن الوجود المطلق بسقوط جميع الاعتبارات والإضافات والأوجه، لا على أنها خارجة عن الوجود المطلق، بل على أن جميع تلك العبارات وما إليها من جملة الوجود المطلق، فهي في الوجود المطلق لا بنفسها ولا باعتبارها بل هي عين ما هو عليه الوجود المطلق، وهذا الوجود المطلق هو الذات الساذج الذي لا ظهور فيه لاسم ولا نعت ولا نسبة ولا إضافة ولا لغير ذلك...) (٣).

فهذا الجيلي مع ادعائه وحدة الوجود، جعل محمدًا ﷺ في كل عصر يتكون ويتكيف بكيفيات ويتجلى بتجليات في كل زمان، وأنه وجود كامل للحق، وأنه حقًا وصف بالإنسان الكامل مع كونه هو والإله شيء واحد؛ لأنه هو الذي عبر عنه تعبيرًا كاملاً - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - ولاشك أن هذه الأفكار لا توجد إلا في

(١) الجيلي: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل (١/ ٣٥-٣٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٣).

الهندوسية في اعتبار الأفطار المظهر الإلهي الأرضي، وأعظم هذه الأفطار عند الهندوس، كريشنا، حيث يرون أنه المظهر الكامل للإله، وأنه أظهر في نفسه العالم لتلميذه، وأنه كان يأتي في كل زمان، ويأتي في الأيام القادمة. وقد سبق معنا بيان ذلك مفصلاً.

نماذج من أقوال الهندوس في وحدة الوجود:

مرّ معنا: أن الهندوس يقولون بوحدة الوجود، وهم على مذاهب، فمنهم من يرى الوجود واحداً، وما خلا ذلك وهمّ، ومنهم من يرى الوجود واحداً، ولكنه منقسم إلى أحياء وموات، ومنهم من يرى الوجود واحداً فيصفونه بالوجود المطلق، وما خلا ذلك فمظاهر لهذا الوجود.

وهذه العقيدة الهندوسية بدأت في الفيدات وتطورت في الأوبانيشادات، وأجملت في الفيدانت، ثم اختلفت اتجاهات الناس في شرحها وبيانها.

وفيما يلي نماذج من أقوال الهندوس في هذا الباب: فمن ذلك ما جاء في ريگ فید:

(١) «إن أغني» هو واحد؛ ولكن عرف بأسماء كثيرة وعبد بأنواع من المدائح، وأن أوشا واحد هو الذي أظهر الجميع، وأن الواحد هو الذي ظهر في كل هذه الأصناف»^(١).

(٢) ومثله في نص آخر (٣/ ٥٥ / ١ - ٢٢): ذكر كثيراً من المعبودات الموجودة لديهم ولكن كان يختتم كل ريگ بقول: «إن قوى الآلهة واحدة» أو المعنى: «فإن القوة الحقيقية لهذه الآلهة واحدة».

(٣) ومثله في نص آخر والمعروف بـ «بورش سوكت»^(٢):

(١) ريگفید (٨/ ٥٨ / ٢).

(٢) ريگفید (١٠/ ٩٠).

«هذا الإنسان له ألف رأس، ألف عين، وألف رجل، هو محيط بكل الأرض وزاد عليه قدر عشرة أصابع. ...

وقطعوا هذا الإنسان إربًا، فكم كانت أجزائه؟ أين ذهب فمه؟ ويداه؟ وفخذه؟ ورجلاه؟.

«خلق من رأسه البراهمة، ومن ذراعيه كهشتريا، ومن فخذه بيشا، ومن رجله «شودرا....^(١).

«إن القمر نشأ من نفسه، والشمس من عينه، و«إندرا» و«أجني» نشأ من فمه، والرياح من نفسه، ومن سرته نشأت السماء الوسطى، ومن رأسه نشأت السماء العليا، ومن قدميه نشأت الأرض، وهكذا خلق العالم...^(٢).^(٣).

فهذا النص فيه خلط فظيع ولكنه في الأخير يدل على وحدة الوجود.

٤) وجاء في (١٠/٨١/٢): هو إله واحد، عينه محيط بكل شيء، وجهه في العوالم، يده ورجله في كل شيء، وهو الذي أثبت الجنة بساعده كما تنبغي، وهو الموجود كذات واحدة بعد ما خلق الجنة والأرض.

٥) وجاء مثله في ريگ فيد (٤/٢٦/١-٣):

(١) لا يوجد في ريگفيد تقسيم الناس بهذه الأقسام الأربعة، والطبقية، وقد أثبت أصحاب القواعد السنسكريتية أن هذه الأبيات غير موافقة للسنسكريتية القديمة، مما يقوي احتمال كونه مدرجاً فيما بعد، أو إلحاقاً في الزمان اللاحق. (من تعليقات المترجم على ريگفيد).

(٢) ريگفيد (١٠/٩٠ من ١-١٦).

(٣) يقول مترجم هذه النصوص إلى البنغالية في تعليق على هذه الأبيات: إن فكرة التضحية بخالق السموات والأرضين لا توجد في أماكن أخرى من ريگفيد، ولم يكن انتشرت هذه الفكرة في زمان ريگفيد، وهذا يدل على أن هذه الأبيات أحدث الأبيات في ريگفيد، كما نقل عن ويليام مور ما يدل عليه.

انظر Muir's Sanskrit Texts. ويذكر عن ويليام مور ما يدل عليه.

أنا برجاتي، أنا مرسل الجميع الشمس، أنا الملهم الذكي كهكشيان، أنا الريشي*
كوتشي بن أرجوني، أنا الريشي «أشنا» العالم بما يكون في الأزمان.

أيها الناس! انظر أيها الناظر إلى الصدق، انظر إليّ، أنا الذي منحت الإنسان لآري
الأراضي، أنا الذي أنزل المطر لمن يتقدم بالقرايين، أنا الذي أرسل المياه إلى كل مكان،
الآلهة تحمل نواياي، وإراداتي، أنا إندرا الذي شربت وخربت ديار الملك شنبر، وهيات
مئات القصور لـ«ديوداس».

(٦) ومنها: ما جاء في (٤/٤٢/٣-٤):

«أنا إندرا وبورون، شأني غير محدود، ومدائي لا تنتهي، صورة الأرض الحقيقي،
أنا العالم، أنا الذي أعطي الإحساس كل ما خلق بالخواص، وممسك الأراضي.
«أنا ناضح الماء وناثره، رقشت الماء ومسكت السماء مكان الماء، أنا أصبحت
بالماء ريتابا ابن أديتي بدمج أنواع السماء»^(١).

(٧) ومثل هذه النصوص وغيرها كثير^(٢)؛ منها:

ما يسمى بـ«هغشيتي ريگ»، (٤/٤٠/١-٥) من ريگ فید، و(١٠/٢٤)
و(١٢/١٤) من زجور فید الأبيض، فقد نص فيها على وجود الإله في كل شيء.

(٨) وجاء في ياجور فید الأبيض:

«هو النار وهو الشمس، وهو الريح، وهو القمر، ... وهو برهمان، وهو إله المياه،
وهو برجاتي»^(٣).

فهذه أشهر النصوص الفيدية التي تدل على وحدة الوجود.

(١) ريگفید (٤/٤٢/١-٦).

(٢) انظر مثل هذه النصوص في الفيدات؛ ريگفید المنديل العاشر، وعلى سبيل المثال:
(١٠/١٢٥/٢-١)، (١٠/١٦٤/٤٦)، (٣/٥٥). و(٨/٥٢/٢)، ومثله في أثربا فید
(١٩/٣/٢٤/٨).

(٣) ياجور فید الأبيض ص (٣٢/١).

وحدة الوجود في الأوبانيشادات:

(١) جاء في إيشا أوبانيشاد:

أ- (٦): الذي يرى في كل شيء نفسه، ويرى نفسه في كل واحد هو الذي لا يأنف أحداً، (لأن النفس موجودة عند كل واحد، وهو برهمان)^(١).

ب- (٧): إذا رأى أحد كل شيء النفس المتفردة فإنه حيثئذ يرى النفس لا محالة، ويعرف أنه هو أصبح كل شيء، فلا يأنف أحداً ولا يرغب في شيء.

ج- (٨): هي (النفس) في كل شيء، مضيء، بدون صورة، غير مجروح، نظيف، خبير، الضابط لنفسه، أحسن من كل شيء، جاء بنفسه، الأبدي، هو الذي يحدد للجميع أعمالهم.

د- (١٦): أيها الشمس! أيها السابح لوحدها، والمدير لكل شيء، يا ابن برجاتي، (الشمس عندهم ابن برجاتي)، خفف من ضيائك، وقلل من حدتك، أريد أن أرى صورتك الخيرة، فإن فيك ذاك الرجل، أنا ذاك الرجل.

(٢) وجاء في كينا أوبانيشاد:

أ- (٢ / ١): هذا (برهمان) هو أصل أذن الآذان، وأصل قلب القلوب، أصل قوة الكلام، أصل تنفس التنفس، وأصل عين العيون، (أي هو الذي يدير هذه الأشياء كلها)^(٢)، ولهذا يصبح خالداً من لا يراه في الجسد.

ب- (٤ / ٢) الذي يحس برهمان في كل المحسوسات، فهو الذي حصل على علم برهمان، ويحصل على الخلود، إذا عرف النفس يحصل على القوة الخارقة، وإذا حصل على العلم الحقيقي يحصل على الخلود.

(١) ما بين القوسين من تفسير سوامي لوكيشرانند: لترجمته وشرحه لأوبانيشاد (٩ / ١).

(٢) هذا الشرح مأخوذ من مجموعة أوبانيشاد، لمجموعة من العلماء الهندوس ص (٣٥-٣٦).

(وذلك أن برهمن أو پرماتما لا موت له ولا تغيير، فإذا عرفه أحدٌ يصبح مثله، وپرماتما واحد، وهو الذي يجعل ظله في كل شيء وهو النفس الموجودة فيه)^(١).

ج- (٤ / ١ - ٤): هذا الـ«برهمن» هو المحترم، والمقبول، فلا بد من عبادته، ثم قال: إن إندرًا وأغني وبايو هم الذين عرفوا برهمن كما هو، ولهذا هم حقًا من المعبودات (ديوتا)، وإن أكبرهم «إندرًا» لأن معرفته به أكثر، وألصق، وقال: إن من علم أن برهمن هو في نفس كل شخص، وأن النفس ليست إلا ظل لهذا الـ«برهمن»، فهو الذي عرف برهمن، ويصبح خالدًا.

(٣) وجاء في كآته أوبانيشاد:

أ- (١ / ٣ / ١٢): إن پرماتما كامن في كل شيء، وهو في غيب عن الجميع، الأذكياء هم الذين يحسون به بذكائهم.

ب- (٢ / ١ / ٥): إن النفس البشرية والنفس الكلية شيء واحد، والنفس البشرية هي التي تذوق جزاء الأعمال، وأما النفس الكلية فلا، فمن عرف هذا، فقد تجاوز الخوف والحزن.

ج- (٢ / ١ / ٦): ... من رأى هذا النفس البشري فقد رأى النفس الكلية.

د- (٢ / ١ / ٩): لا يمكن أن يكون هناك شيء متميزًا عن برهمن.

هـ- (٢ / ١ / ١٠): من رأى الفرق بين العالم وبرهمن فهو يموت مرارًا.

و- (٢ / ١ / ١٢): ... برهمن يسكن في داخل الجسد مقدار الإبهام، وهو الذي يتحكم في الماضي والمستقبل والحاضر... ومثله في (٢ / ٣ / ١٧).

ز- (٢/١/١٤): ... إذا أمطر في رأس الجبل الوعر يتساقط المياه منه متناثرة، وهي تتغير في لونه ومجره حسب ما تسقط عليه، وهكذا النفس واحدة، ولكنها تتغير حسب ما يأخذ من الجسد.

ح- (٢/١/١٥) يا غوتم ! إن المياه الصافية إذا اجتمعت مع المياه الصافية فإنها تجتمع معها بدون تفريق، هكذا النفس البشرية الصافية تتحد مع النفس الكلية الصافية.

ط- (٢/٢/٢): إن أتمان هو الموجود في كل شيء، وهو الشمس في الأعالي، وهو الآلهة التي تسمى بشوس، وهو ملجأ الجميع، وهو الهواء في الفضاء، وهو صاحب الأغنية عند القرايين؛ وهو نار القرايين، وهو برهمي الضيف، وهو شراب سوما، وهو الواحد الموجود في الإنسان، في كل شيء طيب، وفي السماء، وهو الذي ينبت في الأرض كالرز والقمح وغيرهما من الأشجار التي تستخدم للأدوية، وهو «ريتا» القانون الأبدى، وهو الذي يجري كالمجاري والأنهار، هذا الأتمان هو الأعلى، وهو ذات كل نفس.

ي- (٢/٢/١٢): إن پرماتما واحد، ولكنه يدبر كل شيء، وهو نفس النفوس لكل حي، فمن رأى هذا النفس في ذاته بقلبه فهو الذي يحصل على السعادة، والبقية غير موفقين لها.

ك- (٢/٣/١): إن هذا العالم كشجرة أشفاط (نوع من الأشجار لها جذور داخل الأرض، وجذور تأتي من الأغصان ثم تحيط الأرض بها وما يجاورها)، فهذه الشجرة جذورها فوق، أي في برهمان، وفروعها وأغصانها (الرجل والنساء والحيوانات والثدييات والشجيرات والنباتات) تحت، هذه الشجرة تتجاوز الأزمان، فجذور هذه الشجرة برهمان، وهو طاهر وأبدى، كرتنا الأرضية هذه والأماكن الأخرى كلها في هذه الشجرة، لا يتجاوزها شيء.

ل- (٢/٣/٢): كل شيء في هذا العالم مصدره برهمان، كل شيء ينشط ويستغل اعتمادًا عليه، وهو مخيف كالرعد، الذين يعرفون برهمان هكذا يتغلبون على الموت.

(٤) برشنا أوبانيشاد:

(٣/٣): إن النفس البشرية جاءت من أتمان (برهمان)، فكما أن وجود الظل مرتبط بوجود الجسد، هكذا تكون النفس البشرية في النفس الكلية، متى ما تريد النفس البشرية تأخذ الجسد. ومثله في (٣/١٢).

(٥) بريَهْدَارْتْكَ أوبانيشاد:

(١/٤/١-٧): كان هذا العالم المشهود روحًا، فنظر إلى الجوانب الأربعة، فلم ير أحدًا، فقال: أنا موجود... ثم خلق من نفسه زوجه... ثم وقع عليه، فخلق الإنسان... ثم اختبأت الزوجة وأخذت صورة البقرة، فأخذ الروح صورة الثور فواقع عليه، فخلق الأبقار...

(٦) شانديوغا أوبانيشاد:

أ- (٣/١٤/١): كل موجود هو برهمان، يأتي من برهمان، ويرجع إلى برهمان، كل شيء يعتمد على برهمان، ولهذا يجب أن تعبد برهمان بسكينة...

ب- (١٦-١/٦) جاء في هذا الفصل السادس بأكمله شرح المقالة المشهورة الأوبانيشادية: تات تفام أشي، أي أنت هو ذاك، وأصل ذلك الحوار الذي كان بين الوالد الذي يسمّى أدالوك أروني، وولده الذي كان يسمّى: شفيتاكتيو، والحوار تضمن أمثلة عديدة في إثبات وحدة برهمان والنفس البشرية، كما تضمن الحوار إثبات الوجود لا يمكن أن يأتي من لا وجود، فلا بد أن يكون برهمان هو مصدر المخلوقات، والمخلوقات منه خلقت وإليه تعود.

ج- (٧/ ٢٥/ ٢) قال ستكمار لنارد: «أتمان تحت، أتمان فوق، أتمان خلف، أتمان في الأمام، أتمان في جهة اليمين وأتمان في جهة الشمال، كل هذه الأشياء أتمان فقط، ومن يرى أنه هو أتمان، ويدعن ويوقن أنه هو، فهو في خصب العيش من نفسه، تلعب نفسه مع نفسه، وزوجه هي نفسه، وتلذذ عينيه بعينه، وكأنه ملك الجنة، وهو الفائز المفلح في العالم كله».

(٧) مُنْذُكَ أُوْبَانِشَاد:

أ- (١/ ١/ ٦): الذي هو غيب، بعيد عن الحس، والذي جاء بنفسه، عالي عن الإدراك، علماً وعقلاً، أبدي، والمحيط بكل شيء، والذي هو لطيف، ومصدر كل خلق، يراه العلماء في كل شيء وفي كل مكان.

ب- (١/ ١/ ٧): كما أن العنكبوت يخرج الخيوط من نفسه لكي يبني عشه، ثم يخفيه في نفسه، هكذا برهمان الأعلى أخرج من نفسه هذا الوجود، ثم يخفيه متى ما يشاء.

ج- (٢/ ١/ ١): ذاك برهمان هو الحق، كما تخرج الشرارة من النار، أيها الجميل! هكذا يتولد كل شيء من برهمان ثم يندمج فيه.

د- (٢/ ١/ ٢): ... هو الذات المنور لا يوجد له صورة، هو موجود بالداخل وفي الخارج، لم يلد، غير منفوس...

هـ- (٢/ ١/ ١٠): هذا البرهمان هو العالم، وهو أعمال «أغني هوترا»، وهو العلم، وهو الذات النهائي، أبدي، وهو السعادة، وهو كامن في كل قلب، أيها الجميل! من يعرف هذا فهو يتخلص من الجهل في حياته.

و- (٢/ ٢/ ١): برهمان هو الظاهر بنفسه، يسكن في حفرة قلب كل شيء، ولهذا يقال له: الساكن في الغار، وهو ملاذ كل موجود، كل ما هو متحرك وساكن، حي وجماد، فهو بيده، أيها الجميل! ... اعلم أنه ونفسك واحد.

ز- (٥/٢/٢): السماء والأرض والأعضاء والقلوب مع النفوس، كل هذه الأشياء قائمة على ذاك الـ«برماتما»....

ح- (٧/٢/٢): الذي يعرف على العموم وعلى الخصوص، أن كل ما في العالم الذي هو مظهر لقدرة الواحد، ذاك «برماتما» يسكن في سماء القلب، ولهذا يقال لـ«القلب» بيت برهمان....

ط- (٨/٢/٢): الذي يستطيع أن يحس برهمان السبب وبرهمان العامل ما هو إلا نفسه فهو الذي يتخلص عن جميع مشاكل قلبه، ويذهب جميع شكوكه، وينجو من جزاء أعماله.

ي- (١١/٢/٢): برهمان هو السعادة أمامك، وخلفك، في الجنوب والشمال، فوق وتحت، هو في كل مكان، هو محيط بكل شيء، هذا العالم نفسه برهمان.

ك- (٣/١/٣): إن الإله يُظهر نفسه في كل شيء، وهو روح كل حي، الذي يعلم هذا يحصل على السعادة والسرور، ويصبح أفضل من عِلَمٍ بـ«برهمان».

(٨) تائيطريا أوبانيشاد:

أ- (١/٦/٢): فكر برماتما إنني واحد أريد أن أكثر نفسي، فأراد جازماً، فكان كل شيء من الأحياء والموات، ثم دخل فيه، ... وبما أنه أظهر نفسه في كل شيء، ولهذا يقول العالمون بـ«برهمان» هو حق.

ب- (١/٧/٢) لم يكن هناك شيء يسمى عالمًا، وكان برهمان هو الموجود، وكان العالم كامناً بـ«برهمان»، ثم ظهر هذا العالم المسمى، والموصوف، فكان برهمان خلق نفسه هكذا، ولهذا يقال له «شوكريت» أو الخلق الجميل، أو خالق نفسه.

ج- (٥/٨/٢): إن الموجود في سماء قلب هذا الجسد، هو نفسه الموجود في الشمس...

د- (١/١/٣): ... فكر في هذه الحقيقة بأن كل شيء جاء من برهمان، ويعيش معتمداً على برهمان، ويرجع إلى برهمان حيث يفنى فيه، هذا هو برهمان.

(٩) شفتشفترا أوبانيشاد:

أ- (١١/١): الذي يحس بأنه هو وپر ماتما موحد، هو الذي يتخلص عن كل القيود الناشئ عن الجهل، ولم يتقيد بالولادة والموت بعد هذا ...

ب- (١٢/١): لا بد أن تعرف أن برهمان هو الذات في نفسك، لا بد أن تعرف أنه في داخل نفسك، لا يوجد علم أعلى من هذا العلم.

ج- (١٦/١): كما أن زبدة الحليب في كل أجزائه، هكذا برهمان في كل أجزاء الموجود، يتسع لكل شيء ...

د- (١٧/٢): ذاك الذات المنور پر ماتما موجود في النار، والماء وشجيرات الأدوية، وفي شجرة أشفاط، على الإجمال، هو في كل العالم، أسلم عليه مراراً وتكراراً.

هـ- (١/٣): إن پر ماتما يخلق السراب، هو يسوس العالم بقدرته، وهو بهذه القدرة نفسها سبب وجود العالم وفنائه، لا ثاني له، الذين يعرفون هذا يصبحون خالدين.

و- (٤/٣): كل العيون عينه، كل الأفواه فمه، كل الأيدي يده، كل الأرجل رجله، هو إله واحد في السماء والأرض وما بينهما، خلق الإنسان وأعطاه اليدين، وخلق الطير وأعطاه الجناحان. ومثله في (١١/٣).

هذه بعض النصوص الأوبانيشادية الدالة على وحدة الوجود.

في بهاغافاد غيتا:

أ- (٢٤ / ٤): عمل التضحية هو بُرْهْمَان، والذبيحة هي بُرْهْمَان، وتسكب بواسطة بُرْهْمَان في النار التي هي بُرْهْمَان، إلى بُرْهْمَان وحده سيذهب من هو مثبت ببُرْهْمَان من خلال عمله.

ب- (١٠ / ٧) تثبت عقلك علي... وباتخاذك لي كملجئك الأسمى، وبممارستك لليوغا، هكذا ستعرفني بالكامل ودون أدنى شك، هذا ما عليك أن تسمعه، سأكلمك عن المعرفة والاختبار، وبمعرفتهما لن يبقى شيء آخر تحتاج أن تعرفه.

من بين آلاف الناس ربما هناك واحد يجاهد من أجل الاكتمال، ومن بين آلاف المجاهدين ربما هناك واحد يعرفني حقاً.

إن طبيعتي الظاهرة لها ثمانية أشكال: الأرض والماء والنار والهواء والأثير والعقل والمنطق والأناء، هذه طبيعتي الدنيوية، ولكن خلفها، يا أيها المسلح الجبار، تكمن طبيعتي العلوية، الذات الكلية، إنها نبع الحياة التي بها وجد هذا الكون.

أنا الذوق في مياه الحياة، يا ابن كونتي، أنا النور في الشمس والقمر، أنا المقطع أوم في الفيدات كلها، أنا الصوت في الأثير، والمقدرة في الإنسان.

أنا العبير الصافي العابق من الأرض ولمعان النار هو أنا. أنا الحياة في كل الكائنات، والتكشف في المتكشفين.

اعرفني يا ابن بارتا، أنني منذ الأزل بذرة الحياة الأبدية لكل الكائنات. أنا ذكاء الأذكاء. أنا بطولة الأبطال.

أنا قوة الأقوياء، عندما تكون هذه القوة خالية من الغضب والرغبات الأنانية. أنا الرغبة عندما تكون صافية ومنسجمة مع الدهرما.

واعلم أن الغونات الثلاث، الساتفا والرجس والطمس، تأتي مني؛ النور السامي والحياة النابضة والظلمة بلا حياة. أنا لست فيها؛ لكن هي في.

ج - (٤-٣/٨): بُرْهْمَانُ هُوَ الْأَسْمَى الْأَبَدِي، وَعِنْدَمَا يَحِلُّ فِي الْإِنْسَانِ يُسَمَّى أَتْمَان. كَارْمَا هِيَ قُوَّةُ الْخَلْقِ الَّتِي مِنْهَا تَسْتَمِدُّ كُلُّ الْأَشْيَاءِ حَيَاتَهَا.

المادة هي مملكة الأرض، التي تزول مع الزمن. ولكن الذات الكلية هي مملكة النور. في هذا الجسد أنا أقدم التضحية وجسدي هو القربان، يا أرجونا يا أفضل الناس. ومن يترك جسده عند حلول أجله وهو يتأمل بي وحدي، يأتي حقًا إلى كياني؛ إنه حقًا يأتي إليّ.

د - (١٨-١٦/٩): أنا التضحية وأنا مقدمات التضحية، أنا الهدية المقدسة والنبته المقدسة. أنا الكلمة المقدسة والقوت المقدس والنار المقدسة وأنا المقدمات المصنوعة في النار.

أنا آب هذا الكون، وحتى أنني مصدر الآب. أنا أم هذا الكون، وأنا خالق الكل. أنا الأعلى الممكن أن يُعرف، أنا طريق الصفاء، أنا الكلمة المقدسة آوم، أنا الفيدا الثلاثية. أنا الطريق، وأنا المعلم السيد الذي يشاهد في السكون؛ صديقك وملجؤك ومقرّك للسلام. أنا البداية والوسط والنهاية لكل الأشياء، وأنا بذرة أبديتها، وكنزها السامي. حرارة الشمس تأتي مني، أنا من يُهطل المطر ومن يحبسها. أنا حياة الخلود والموت، أنا كل ما يكون وكل ما لا يكون، يا أرجونا.

هـ - (٢٩/٩): إن ذاتي هي في كل الكائنات، ومحبتي هي ذاتها للكل دائمًا، ولكن الذين يكرموني بإخلاص هم فيّ وأنا فيهم.

و - (٦/١٠): الكهنة (الريشيون) السبعة منذ دهر الدهور، والمؤسسون الأربعة للجنس البشري، كونهم فيّ، أتوا من فكري، ومنهم ولد عالم البشر هذا.

ز - (٨/١٠): أنا أصل كل شيء، وكل شيء انبثق مني ...

ح - (٢٠/١٠): ... أنا روح موضوعة في قلب جميع الموجودات، أنا

البداية والمتصف ونهاية الوجود... (ومثله ١٠ / ٢١ - ٣٨) حتى قال (١٠ / ٣٩): وأنا يا أرجون بذرة الوجود، ومن دوني لا يوجد ما يتحرك أو ما هو ساكن.

ط - (١٣ / ١٢ - ١٥): له أيدي وأقدام في كل مكان، وله أعين ورؤوس وأفواه في كل مكان، يرى الكل ويسمع الكل، وهو موجود في الكل. يستنير بعمل قوى الإدراك كلها، ويبقى هو فوق كل هذه القوى، إنه مطلق، فوق الكل، وأيضاً يدعم الكل. إنه خلف عالم المادة، وأيضاً يتمتع بعالم المادة.

إنه في كل الكائنات وخارجها. هو لا يحرك ويحرك أيضاً؛ إنه أعظم من أن يفهم؛ هو بعيدٌ وقريب.

هو واحدٌ في الكل لا يجزأ، ومع ذلك يبدو كتعددية مجزأ بين الكائنات. يدعم كل الكائنات وأيضاً يهدمها ويحييها من جديد. هو نور الأنوار يشع ويقال أنه وراء الظلمة. إنه الكشف، وغاية الكشف، ويُدرَك بالكشف، ويقيم في قلوب الكل. هذه بعض النصوص الدالة على وحدة الوجود من بهاغافاد غيتا.

هذا، وقد مثل الهندوس لهذه العقيدة ببعض الأمثلة؛ لتقريبها لدى أتباعها، وهي برمتها موجودة في بعض كتب التصوف، فمن الأمثلة التي ذكرها الهندوس:

(١) الملح الذائب في الماء، هو موجود مع أننا لا نشاهده بأبصارنا، وكذلك الإله سارٍ في الكون، مع أننا لا نشاهده^(١).

(٢) الأنهار تنساب نحو المحيط لمتزج به، تاركة أسمائها وأشكالها، وكذلك الهندوسي الكامل يمتزج بالإله بعد فنائه بالإله بعد فنائه عن نفسه^(٢).

(١) علي زيعور: الفلسفة في الهند ص (١٣٢)، وأصل المثال نصبه شفتياكيو لولده في الأوبانيشادات، وقد سبق معنا عند دراستنا للأوبانيشادات.

(٢) المصدر السابق ص (١٣١).

(٣) كما أن الأمواج تندمج في مياه البحر، هكذا الأرواح تندمج في الأصل^(١).

هذه بعض الأمثلة التي وضعوها في كتبهم لتقريب وحدة الوجود في الأذهان.

وقد سبق معنا الاتجاهات الهندوس بالتفصيل في تفسير وحدة الوجود، وهي مطابقة تمامًا بما عند المتصوفة من اتجاهات في تفسير وحدة الوجود.

تأثر المتصوفة من فلسفة فيدانت:

بعد هذا العرض الطويل الدال على أن المتصوفة استمدت وحدة الوجود من الديانة الهندوسية يحسن بي أن أذكر بعض ما تأثر به المتصوفة من فلسفة فيدانت؛ إذ اللاحق عصرًا متأثر بالسابق فمن ذلك:

(١) سريان روح الله في الكائنات:

❖ في فلسفة فيدانت:

لقد قال فلاسفة الفيدانت أن الله حل بجميع الموجودات، وقد سبق معنا: أنهم يرون أن جزءًا من الإنسان أزلي وأبدي، وهو جزء من برهمن، وهو موجود في كل كائن حي، ومن ذلك قولهم: (سرت منه - أي برهمن - روح في الجماد والنبات والحيوان...) (٢).

وقد نقل البيروني عن كريشنا نصًا قريبًا من هذا وهو قوله:

«أما عند التحقيق فجميع الأشياء إلهية؛ لأن «فِشْنُو» جعل نفسه أرضًا ليستقر الحيوان عليها، وجعله ماء ليغذيهم، وجعله نارًا وريحًا لينميهم وينشئهم، وجعله قلبًا لكل واحد منهم» (٣).

(١) انظر التمثيل بوحدة الوجود بنفس المثال كما نقله شيخ الإسلام عن التلمساني، مجموع الفتاوى (١٦٩/٢-١٧٠).

(٢) نقله الدكتور علي عبد الواحد وافي الأسفار المقدسة ص (١٥٧). ولم أجده حتى الآن في كتب الهندوس.

(٣) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٢٨).

ومما ورد: «إن فِشْنُو وحده يسكن فيك وفيّ وفي الآخرين...»^(١).

كما ورد فيه: «إن من يرى الأشياء رؤية الحكيم، يرى أن برهمان المقدس، والبقرة والفيل، والكلب النجس، والمنبوذ وهو يلتهم لحم الكلب كلها كائن واحد»^(٢).

وورد فيه: «أن جميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود... وأن الجبال والبحار والأنهار... تفجر من ذلك الروح المحيط الذي يستقر في سائر الأشياء»^(٣).

❖ أما عند الصوفية:

فقد قسم عبد الباقي سرور القائلين بوحدة الوجود إلى فريقين: الفريق الأول: (يرى الله روحًا ويرى العالم جسمًا لذلك الروح ...) ^(٤).

فهذا هو ما قاله الدكتور عبد القادر محمود عن وحدة الوجود الباطنة أي: (أن الله حالٌ في الكون)^(٥).

وقال ابن عطاء الله السكندري: (من عرف الحق شاهده في كل شيء)^(٦).

والفريق الثاني: يزعم أن جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله، فكل شيء في زعمهم هو الله...^(٧). فهذا نفس ما ذهب إليه فريق آخر القائلين بالوهم لغير الله.

٢) بداية الخلق ووحدة الوجود:

❖ عند فلاسفة فيدانت:

ورد في أحد أساطير بدء الخلق عند الهندوس أن الإله پرجايتي هو في نفس الوقت

(١) قصة الحضارة (٣/ ١/ ٢٧٦).

(٢) سليمان مظهر: قصة الديانات ص (٦٧).

(٣) أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى ص (٦٨).

(٤) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني (١/ ٨٩).

(٥) الفلسفة الصوفية في الإسلام ص (٣٠، ٣١).

(٦) ابن عجيبة: إيقاظ الهمم ص (٢٩٥).

(٧) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني (١/ ٨٩).

خالق وخلق... فاشتاق إلى التكثر وتمناه...^(١).

وورد في أسطورة ثانية: أن جميع (الأشياء إلهية؛ لأن قُسْتُو جعل نفسه أرضاً ليستقر الحيوان عليها وجعله ماءً ليغذيهم...) ^(٢).

وفي أسطورة أخرى عن بدء الخلق عند الهندوس: أن برهمان أوجد جميع الموجودات من ذاته، وأول موجود هو الإنسان، (حتى أدرك برهمان أنه هو هذا الخلق نفسه... لأنه أخرجه من نفسه) ^(٣).

❖ بداية الخلق عند المتصوفة:

يستدل المتصوفة على بدأ الخلق بحديث موضوع يروونه عن الله ﷻ وهو: «كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني» ^(٤). ولا شك أنه من وضع الزنادقة أو المتصوفة الوجودية.

ويقول ابن عربي عن بدأ الخلق: (لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها وإن شئت قلت أن يرى عينه... فكان آدم...) ^(٥). وقال: (... وقد علمت نشأة روح آدم أعني صورته الباطنة، فهو الحق الخلق...) ^(٦). وقال: (كانت الخلافة لآدم... لكون الله خلقه على صورته) ^(٧).

وانتقلت خصائص آدم إلى بنيه وكان الكامل منهم هو محمد ﷺ لكمال صورة

(١) وقد سبق معنا ذلك، وينظر أيضاً: پوريش سوكت في ريگ فید (٩٠ / ١٠).

(٢) نقله البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ص (٣١، ٣٢).

(٣) وقد سبق معنا توثيقه عند الكلام على نشأة الخلق.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سندٌ صحيح، ولا ضعيف. أحاديث القصاص، رقم الحديث (٣). وانظر أيضاً ما ذكره القاري: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص (٢٦٩).

(٥) الفتوحات المكية (٣٢١ / ٢).

(٦) فصوص الحكم (٥٥ - ٥٦ / ١).

(٧) الفتوحات المكية (٢٦٣ / ١).

الله فيه، ولكمال جميع أسماء الله تعالى وصفاته فيه «الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك...»^(١).

وحقيقة الإنسان الكامل موجودة قبل آدم وهو ما يسمى «الحقيقة المحمدية»، يقول ابن عربي: (بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية.. ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء... فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ.. فكان وجوده من ذلك النور الإلهي... وعين العالم من تجليه...) ^(٢).

٣) وحدة الأديان:

❖ وحدة الأديان لدى بعض الهندوس:

سبق معنا استعراض عقيدتهم في وحدة الأديان^(٣)، وسأشير إلى بعض هذه الأقوال هنا لإظهار التشابه، منها: قولهم:

(يجوز للفيلسوف أن يعبد الله في أي معبد شاء، ويركع أمام أي إله... إنه سيقدر الكون نفسه، على أنه الكائن الأعلى...) ^(٤).

ويقول رام كريشنا: (أن الله روح تجسد في الناس جميعاً)^(٥)، ولذا دعا أتباعه إلى (أن كل الديانات خيرٌ وكل منها طريقٌ يؤدي إلى الله...) ^(٦).

❖ وحدة الأديان عند الصوفية:

يفسر الصوفية قول الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، بمعنى حكم وقدر أزلاً أن لا يعبد إلا الله، ويقولون: (وما حكم الله بشيء إلا وقع... والعارف

(١) الجيلي: الإنسان الكامل (٧٧/٢).

(٢) الفتوحات المكية (١١٨/١-١٢٠).

(٣) انظر ص (١٣٤٥-١٣٤٦).

(٤) قصة الحضارة (٣/١، ٣٤)، كما ذكره سليمان مظهر: قصة الديانات ص (٦٩-٧٠).

(٥) نقله ول ديورانت: قصة الحضارة (٣/١، ٤٠٨).

(٦) المصدر السابق.

المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه...^(١).

يقول ابن عربي:

عقد الخلائق في الإله عقائدا وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه^(٢)
وقال أيضًا:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح تورا ومصحف وقرآن^(٣)

وهكذا سار مشايخ الصوفية على طريق فلسفة فيدانت في القول بوحدة الوجود،
وفي نظرتهم لبدء الخلق الذي هو أساس القول بوحدة الوجود عند كليهما وبنتيجتهما
وحدة الأديان^(٤).

وهذا كله دالٌّ على أن التصوف أخذ وحدة الوجود من الهندوسية، وقد نص العلماء
قديمًا وحديثًا على ذلك^(٥).

(١) الفتوحات المكية (٣/ ١٣٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ترجمان الأشواق، ص (٤٣-٤٤)، نقلاً عما ذكره الدكتور إبراهيم بن خلف التركي: التصوف
وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة ص (٢٨١-٢٩٣).

(٤) المصدر السابق ص (٢٩٤).

(٥) منهم الدكتور محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص (١٧٥)، وعلي عبد الواحد وافي: الأسفار
المقدسة ص (١٥٧)، وول ديورانت: قصة الحضارة (٣/ ١/ ٢٧٦)، وسليمان مظهر: قصة
الديانات ص (٦٧)، وأحمد شلبي: أديان الهند الكبرى ص (٦٨)، وغيرهم كثير.

المطلب الثالث

عقيدة الاتحاد

معنى الاتحاد:

الاتحاد في اللغة: أن يصير المتعدد واحداً، مصدر من اتحد يتحد، يقال اتحد الشيئان: أو الأشياء، أي صارت شيئاً واحداً^(١).
والاتحاد في مصطلح الصوفية: اختلاط وامتزاج بين الخالق والمخلوق، فيكونا بعد الاتحاد ذاتاً واحدة^(٢).

أقسام الاتحاد:

وينقسم الاتحاد إلى قسمين:

- ١ - الاتحاد العام: وهو قول الذين يزعمون أن الله عين وجود الكائنات، وهذا القول هو المعبر عنه بوحدة الوجود، وقد سبق معنا.
- ٢ - الاتحاد الخاص: وهو قول بعض النصاري القائلين: إن اللاهوت والناسوت^(٣) اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء، وهو قول يقول به بعض المنتسبين إلى الإسلام في بعض الأشخاص.

(١) انظر ما ذكره الجرجاني في التعريفات، ص (٩)، وانظر مادة (وحد) في القاموس المحيط (١/٣٤٢)، ولسان العرب (١٥/٣٣٠)، والمعجم الوسيط (٢/١٠١٦).
(٢) انظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: مجموع الفتاوى (٢/٣٨٦)، والجرجاني: التعريفات ص (٦)، والتهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون (٤/٣٠٩). وانظر ما ذكره شيخ الإسلام: الجواب الصحيح لمن بدل الدين المسيح (٤/٧-٨).
(٣) اللاهوت أي الإله، والناسوت أي الإنسان، انظر المعجم الوسيط ص (٨٤١).

ومما ينبغي التنبه له أيضاً: أن المتصوفة الذين يسمّون اتحادية؛ لهم في هذه التسمية موقفان: أحدهما لا يرضونه؛ لأن الاتحاد على وزن الاقتران، والاقتران يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر، وهم لا يقرون بوجودين أبداً، والطريق الثاني: صحة ذلك بناءً على أن الكثرة صارت وحدة^(١).

فالالاتحاد عندهم ليس امتزاج الخالق والمخلوق ليكونا ذاتاً واحدةً، وإنما هو اتحاد الموجودات في وحدة واحدة، من حيث كون كل شيء موجوداً بالله، لا من حيث إن له وجوداً خاصاً اتحد به، فالكثرة الموهومة صارت وحدة^(٢).

ومما تجدر الإشارة إليه: إن من وقع منه الاتحاد فلا يتصور معه أن تبقى منه باقية بل يفنى ويدوب ويصير جوهره جزءاً لا يتجزأ عن جوهر من اتحد به، يقول عبد الرحمن بدوي: (والالاتحاد بالله... أن يصير المحب والمحبوب شيئاً واحداً فعلاً سواء في الجوهر والفعل أي في الطبيعة والمشئة لانعدام المشير، فلا يصير ثمة غير واحد أحد هو الكل في الكل)^(٣).

وقال أيضاً في معرض تحليله لقول أبي يزيد البسطامي يخاطب الله: (كنت لي مرآة فصرّت أنا المرأة): (أما وقد بلغ أبو يزيد هذه المرتبة التي تعلو فوق مقام الأنبياء، فليشب الوتبة الأخيرة ليلحق بالألوهية نهائياً فيصير هو والله شيئاً واحداً)^(٤).

والفرق بين الحلول والاتحاد: أن الحلول هو شوق الحق إلى الخلق^(٥).

(١) انظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: حقيقة مذهب الاتحادية ص (٥).

(٢) انظر ما ذكره عبد الرزاق القاشاني: اصطلاحات الصوفية ص (٢٤)، والجرجاني: التعريفات ص (٢٢)، ود. عبد المنعم الحفني: معجم مصطلحات الصوفية ص (١٠)، وانظر ما نقله الدكتور أحمد بن عبد العزيز القصير: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية ص (٥٢-٥٣).

(٣) عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية: ٧-٨

(٤) عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية: ٢٦

(٥) وله مظهران:

أ - اشتياقه إلى الظهور بعد البطون أو التقييد بعد الإطلاق.

وأما الاتحاد، فهو شوق الخلق إلى الحق، ومن هنا تنتج الاتحاد.

وبعبارة أخرى: يرى الاتحادي أن المخلوق المصطفى يرتفع بنفسه ويصفو ويسمو بروحه إلى حضرة الذات العلية حتى يتحد بها ويفنى فيها فلا يبقى له أثر^(١).

ومن هنا يفهم العلاقة بين الاتحاد والفناء؛ إذ الفناء منزلة من منازل الاتحاد، والمتصوفة يحبون أن يعبروا بالفناء أكثر من الاتحاد؛ لأن الفناء عندهم كلمة ثناء، والفناء آخر منزلة التصوف، كما أن هذا الفناء هو آخر منزلة الهندوس في حياتهم الذي يعبرون عنه بالـ«نرقانا».

المتصوفة الاتحادية:

إن الاتحاد مطلب كل متصوف؛ إذ عقيدة وحدة الوجود شعور محض، ولكن الاتحاد يعني العمل لأجل الاندماج والارتفاع إلى الذات العلية، ولأجل هذا مهدوا السبل وحددوا الطرق وهي ما يقال الطرق الموصلة إلى ولاية الله، وعلى هذا: فإن الاتحاد هو نتيجة الفناء، وقد سبق معنا نصوص كثيرة عن المتصوفة مثل ابن الفارض وابن عربي وابن سبعين وغيرهم الدالة على الاتحاد، ولا بأس أن أذكر بعضاً منها:

١ - قول أبي يزيد البسطامي:

(للخلق أحوالٌ، ولا حال للعارف؛ لأنه محيت رسومه، وفنيت هويته بهوية غيره، وغيت آثاره بآثار غيره)^(٢).

وقد قيل له: (بم نلت؟ فقال: انسلختُ من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها، ثم نظرتُ إلى نفسي فإذا أنا هو)^(٣).

= ب - اشتياقه إلى العودة إلى الإطلاق بعد التقيد أو التجرد بعد التعين.

ومن هذه الناحية حيث يشترك الحق إلى الخلق، تنتج الحلول.

(١) انظر ما ذكره الدكتور صابر طعيمة: الصوفية معتقداً ومسلماً، ص (٢٥٤)، والدكتور محمد

أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/ ٤٦٢).

(٢) القشيري: الرسالة القشيرية ص (١٤١).

(٣) النور من كلمات طيفور المطبوع مع شطحات الصوفية ص (١٠٠).

وقال أيضًا: (سبحاني سبحاني، ما أعظم شأني، ثم قال: حسبي من نفسي حسبي)^(١).

٢- قول ابن الفارض:

وجاء حديث اتحادي ثابت
يشير بحب الحق بعد تقرب
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر
وقال:

وها أنا أبدي في اتحادي مبدئي
جلت في تجليها الوجود لناظري
وأشهدت غيبي إذ بدت فوجدتني
وطاح وجودي في شهودي وبنت عن
وعانقت ما شاهدت في محو شاهدي
ففي الصحو بعد المحولم أك غيرها
فوصفي إذا لم تدع باثنين وصفها
فهذه بعض أقوال الاتحادية من الصوفية.

القول بالاتحاد مأخوذ من الديانة الهندوسية:

اتبع الصوفية بقولهم بالاتحاد فلاسفة الأوبانيشاد حيث ساروا على طريقهم واقتفوا أثرهم، وهذا واضح من عدة أوجه:

(١) المصدر السابق ص (١٠١)، وانظر ما نقله ابن الجوزي: تلبس إبليس ص (٣٤٥).

(٢) عمر بن الفارض: الديوان ص (١١٣).

(١) بتنصيب من العلماء:

من أقدمهم البيروني حيث أشار إليه بقوله: (وإلى طريق پاتنجل - أي في الاتحاد - ذهب الصوفية في الاشتغال بالحق، فقالوا: ما دمت تشيرُ فلست بواحد حتى يستولي الحق على إشارتك بإفنائها عنك، فلا يبقى مشير ولا إشارة)^(١).

فالصوفية قد ساروا في القول بالاتحاد على طريق الفكر الهندوسي الداعي إلى الخلاص عن طريق الاتحاد بـ«برهمان»^(٢).

(٢) باتحاد الغاية لكل من المتصوفة وفلاسفة الأوبانيشادات في الاتحاد:

وذلك أن غاية فلسفة الأوبانيشادات: الاتحاد بـ«برهمان»، وهو الغاية القصوى التي يسعى إليها فلاسفة الأوبانيشادات؛ إذ أن روح كل كائن تعود في نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذي نشأت منه فتتحد معه كقطرة الماء المتبخرة من البحر تعود إلى البحر بعد أن تقطع مراحل طويلة من التحولات^(٣).

وهكذا غاية التصوف، معرفة الاتحاد المطلق - وحدة الوجود - والسعي إليه والتحقق به - بزعمهم - هو الغاية القصوى من التصوف كما قيل: (... ولا يزال المريد يترقى من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد - أي وحدة الوجود - والمعرفة التي هي الغاية...) ^(٤).

(٣) وهكذا بمعرفة الاتحاد عند كليهما:

أ- معرفة الاتحاد عند فلاسفة الأوبانيشادات:

(١) البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص (٦٢).

(٢) انظر ما ذكره الدكتور إبراهيم خلف التركي: التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة ص (٣٠٦).

(٣) انظر ما نقله ول ديورانت: قصة الحضارة (٣/ ١ / ٥٠)، وما سبق من التصورات الأوبانيشادية لبرهمان، ص (٢٥١-٢٦٧) و(٦١٢-٦٣٢)، و(٧٠٥-٧٠٧).

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص (٢٩٥).

المعرفة - أي معرفة إمكان الاتحاد بين النفس الجزئية «أتمان» والنفس (الروح) الكلية «برهمان» هي الوسيلة الوحيدة الموصلة لتحقيق الاتحاد.

يقول شنكرأچاريا: (إذا ما عرفت وحدة أتمان وبرهمان اختفت على الفور الروح الجزئية)^(١)، وعند ذلك يكون برهمان في كل شيء وكل شيء هو برهمان^(٢).

ب- معرفة الاتحاد عند الصوفية:

المعرفة عند الصوفية هي معرفة الاتحاد المطلق - أي: وحدة الوجود - كما قال الجنيد في تعريفه للمعرفة (المعرفة وجود جهلك عند قيام علمه، قيل له: زدنا، قال: هو العارف وهو المعروف)^(٣).

وكما قال الغزالي: (...) والعارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق^(٤).

٤) قيمة الأعمال الصالحة عند كليهما:

أ- قيمة الأعمال الصالحة عند فلاسفة الأوبانيشادات:

(إن أعمال الخير لا تهيم للإنسان خلاصاً؛ لأن أعمال الخير إنما تكون ذات قيمة أو معنى في عالم المكان والزمان... وما الخلاص إلا في إدراك الاتحاد بين النفس والكون)^(٥).

(إن الطقوس الدينية لا تصلح أن تكون وسيلة للنجاة...)^(٦).

ب- قيمة الأعمال الصالحة عند الصوفية:

(١) ول ديورانت: قصة الحضارة (٣/ ١ / ٢٧٤، ٢٧٥).

(٢) انظر ما ذكره محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص (١٧٥، ١٧٦).

(٣) الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ص (٨١).

(٤) الغزالي: مشكاة الأنوار ص (١٢٢).

(٥) ول ديورانت: قصة الحضارة (٣/ ١ / ٢٧٤).

(٦) الدكتور محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص (٧٥).

يدل على قيمة الأعمال الصالحة عند الصوفية ما قاله أبو يزيد البسطامي: (اطلع الله على قلوب أوليائه: فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة)^(١).

وقوله أيضاً: (لم أر من الصلاة إلا نصب البدن، ولا من الصوم إلا جوع البطن)^(٢).

٥) عدم طلب الجنة في كليهما:

أ- عدم طلب الجنة في فلسفة الأوبانيشادات خصوصاً وفي الهندوسية عموماً: وذلك لوجهين:

١- الجنة ما هي إلا عوض للأعمال، ولا يريدون العوض.

٢- أن الجنة مدتها عندهم محدودة ولا بد وأن تنتهي.

ب- عدم طلب الجنة عند الصوفية:

يعتبر كثير من أئمة التصوف العبادات والطاعات عادة متبعة لا توصل الناس إلى مرامها الحقيقي، الفناء أو الاتحاد، يقول ابن فارض:

ولكن لصد الضد عن طعنه على غلا ولكن أولياء المنجدين بنجدي

رجعت لأعمال العبادة عادة واعدت أحوال الإرادة عُدَّتِي^(٣)

ويقول الغزالي في ذلك: (قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم، ولا رجاؤنا للحرور العين، أي الجنة وما فيها - ... وقالوا: من يعبد الله بعوض فهو لثيم كأن يعبد له لطلب جنته أو لخوف ناره)^(٤).

(١) النور من كلمات طيفور ص (١٧٢).

(٢) المصدر السابق ص (١٢١).

(٣) ديوان ابن الفارض ص (٣٩).

(٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٧).

وتقول رابعة العدوية: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، وإنما عبدتك لذاتك»^(١).

٦) السرية عند كليهما:

أ- السرية عند فلاسفة الأوبانيشادات:

تعاليم فلاسفة أوبانيشادات (اعتبرت وكأنها سرية، ولكننا نرى أن هذه الأسرار تفشى لمن هم أهل لفهمها دون ما نظر إلى الأصل أو إلى الطبقة...) ^(٢).

ويفهم السرية من معنى كلمة الأوبانيشادات وقد سبق معنا استعراضه.

ب- السرية عند الصوفية:

مما يدل على سرية بعض تعاليم المتصوفة قول الجنيد للشبلي: (نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً، ثم خبأناه في السرايب، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملائكة).

فقال: أنا أقول، وأنا أسمع، فهل في الدارين غيري) ^(٣).

وقف الشبلي على العلاج وهو مصلوب فنظر إليه وقال: (ألم ننهك عن العالمين) ^(٤).

يقول الدكتور إبراهيم بن خلف التركي - حفظه الله - بعد نقله لهذه الموازنة العديدة: وهكذا ظهر لنا التشابه بين التعاليم الصوفية وتعاليم فلاسفة الأوبانيشادات وبما أن هذه التعاليم الصوفية مخالفة للإسلام وأنها متأخرة زمنياً عن تعاليم فلاسفة الأوبانيشادات، لذا فالمتأخر متأثر بالمتقدم ^(٥).

(١) عبد الرحمن الوكيل: هذه هي الصوفية ص (١٥٠).

(٢) جان فيليوزات: فلسفات الهند ص (١٢، ١٣).

(٣) الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف ص (١٠٧).

(٤) نقله الذهبي: سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٣١).

(٥) الدكتور إبراهيم بن خلف التركي: التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة ص (٣٢١). وقد تمت الاستفادة من هذا الكتاب بشكل كبير.

المطلب الرابع

عقيدة الفناء وإسقاط التكاليف

(رفع التكاليف) عن الشيخ الكامل

وتحتة فرعان

الفرع الأول : عقيدة الفناء واستمدادها من الهندوسية

معنى الفناء:

الفناء مصدر فنى يفنى فناءً: إذا اضمحل وتلاشى وعُدم، وقد يطلق على ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه^(١).

وأما الفناء في اصطلاح المتصوفة: فالمتصوفة القدماء لم يعرفوا الفناء بتعريف جامع، بل كانت تعريفاتهم كلها منصبة على الإضافات، مثلاً: الفناء هو فناء عن كذا وكذا، والبقاء هو بقاء بكذا كذا، فتعريف الفناء، تعداد للفاني من الصفات، وتعريف البقاء تعداد للباقي منها، وهكذا كانت النظرة إلى الفناء والبقاء نظرة إضافة لا إطلاق، يُضاف إلى ذلك أنهما حالتان متتاليتان: بقاء بعد فناء^(٢).

ولأجل كثرة التعاريف يقول السهروردي عن الفناء: (إن أقاويل الصوفية في الفناء كثيرة فبعضها إشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات، وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل، وبعضها إشارة إلى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف

(١) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين (١/١١٨).

(٢) انظر ما ذكرته الدكتورة سعاد الحكيم: المعجم الصوفي ص (٢٠٢)، نقلاً عما ذكره الدكتور إبراهيم خلف التركي: التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة ص (٢٠٠).

المحمودة، وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء المطلق، وكل هذه الإشارات فيها معنى الفناء من وجه، ولكن الفناء المطلق هو ما يستولي من أمر الحق ﷻ على العبد، فيغلب كون الحق ﷻ على كون العبد!!^(١).

وقد وردت تعريفات متعددة عن بعض المتصوفة بين معنى الفناء، منها:

(١) قال الشبلي: (من فنى عن الحق بالحق، لقيام الحق بالحق فني عن الربوبية، فضلاً عن العبودية)^(٢).

(٢) وقال الجنيد وقد سئل عن الفناء: (استعجام كلك عن أوصافك واشتغال الكل منك بكليته)^(٣).

(٣) وقال أبو سعيد الخراز^(٤): (الفناء فناء العبد عن رؤية العبودية والبقاء بقاء العبد بشاهد الألوهية)^(٥). وقال أيضاً: (الفناء: هو التلاشي بالحق)^(٦).

(٤) ويقول عطار: أن الوسيلة الموصلة إلى الفناء هي بالخلاص من الأنا أو من النفس، لينتهي بالخلاص من كل هذا العالم^(٧).

(٥) ويقول آخر: (الفناء اضمحلال ما دون الحق، علماً ثم يقيناً ثم حالاً)^(٨).

(١) السهروردي: عوارف المعارف ص (٢٤٧).

(٢) الطوسي: اللمع ص (٢٨٥).

(٣) المصدر السابق، وعوارف المعارف ص (٢٤٧).

(٤) هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، من أهل بغداد، صاحب ذا النون المصري وبشر الحافي وغيرهم من أئمة التصوف، يقال أنه أول من تكلم في الفناء والبقاء، مات سنة ٢٧٩هـ، انظر ما ذكره الذهبي سير أعلام النبلاء (١٣/٤١٩)، والشعراني: الطبقات الكبرى (١/٧٩).

(٥) الهجویری: كشف المحجوب (٢/٤٨٥).

(٦) السهروردي: عوارف المعارف ص (٥٢٠).

(٧) انظر منطق الطير ص (٤٠٥-٤٠٦) نقلاً عما ذكرته الدكتورة سارة بنت عبد المحسن: نظرية الاتصال ص (١٧٧).

(٨) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف (١/٢٥٤-٢٥٥).

يقول الهجويري بعد نقله لآراء الصوفية في الفناء: (إن كل الأقاويل من وجه المعنى قريبة من بعضها البعض، ولو أنها مختلفة في العبارة وحقيقة هذا كله هو أن فناء العبد عن وجوده يكون برؤية جلال الحق وكشف عظمته، حتى ينسى الدنيا والعقبي في غلبة جلاله، وتبدو الأحوال والمقامات حقيرة في نظر همته، ... فيفنى العقل والنفس، ويفنى أيضاً في عين الفناء عن الفناء، فينطق لسانه بالحق، ويخشع جسده ويخضع...) (١).

أسماء الفناء:

الفناء، ويسمى أيضاً: المحو، والشُّكر: أو لذة الشعور بالألوهية، والغيبة، والطي، والحضور بالحق، والجلوة، والإحسان، والجمع ... وكلها أسماء لمسمى واحد، وهو مقام الجمع (٢)، فهذا الجمع الذي يلهم به المتصوفة دائماً هو نفس الفناء. وفهم هذه الألفاظ يساعد بعض الشيء على فهم السر والألغاز الموجودة في كتب المتصوفة.

وهناك منزلة فوق الفناء يسمّى: البقاء، وهو التنزل عن عالم الجمع إلى عالم التفرقة (الفرق)، ويقال لهذا «البقاء» (٣)، ومن الأسماء التي تطلق على البقاء: الفرق الثاني، أو الجمع في التفرقة، أو الفرق في الجمع، أو صحو الجمع، أو الإطلاق... فهو مقام أعلى من مقام الجمع، يجتمع فيه الفناء مع الصحو، أو الجمع مع الفرق، والاستغراق في مقام البقاء يسمى «جمع الجمع»، وهو الاتحاد.

وبيت من تائية ابن الفارض قد يلقي أمام القارئ بعض النور، يقول:

وَمِنْ «أنا إياها» إلى «حيث لا إلى» عرجت وعطرت الوجود برجعتي

ففي هذا البيت يخبرنا ابن الفارض أنه بدأ عروجه إلى الله، من «أنا إياها» الذي

(١) الهجويري: كشف المحجوب (٢/ ٤٨٦). وانظر ما ذكره الدكتور إبراهيم بن خلف التركي:

التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة، فقد تمت الاستفادة منه.

(٢) نقلاً عما ذكره الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في

التاريخ ص (٤٩).

(٣) حاشية العروسي (٢/ ٦١).

هو مقام الفناء، أو الجمع... إلخ، حتى وصل إلى «حيث لا إلى» ويكني بذلك عن مقام جمع الجمع.

أنواع الفناء:

اختلف المتصوفة في بيان أنواع الفناء إلى أقوال مختلفة، ولكن الذي تولى كبره ابن عربي قسمه إلى نوعين:

الأول: أدناه: أن يستغرق الفاني في فئائه إلى درجة تجعله لا يشعر بما وبمن حوله.

والثاني: أعلاه الذي هو فناء الفناء، وحقيقته أن لا يعلم الفاني أنه فانٍ، بمعنى أنه لا يبقى عنده شعور بأنه فانٍ، وحاله كصاحب الرؤيا الذي لا يعلم في حال رؤياه بأنه في رؤيا^(١).

وبعضهم يقسمه إلى نوعين:

الأول: سقوط الأوصاف المذمومة والطريق إليه بكثرة الرياضة.

الثاني: عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق^(٢).

وبهذا علمنا أن الفناء يشتمل على أمور، وهي:

(١) أن الفناء غاية التصوف.

(٢) أن في حالة الفناء لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء.

(٣) أنه لا بد وأن يغيب عن الصفات البشرية.

(٤) أن بالفناء يظهر بعض الخوارق والكرامات.

ولاشك أن هذه الأشياء كلها من الهوس، لا علاقة له بواقع والشرائطين تملي عليهم بعض هذه الأعمال وتعينهم على حصول بعض هذه المقاصد.

(١) ابن عربي: الفتوحات المكية (٢/٥١٣-٥١٥).

(٢) انظر ما ذكره الجرجاني: التعريفات ص (٢١٧).

تطابق الفناء الصوفي ونارثانا أو موكشا الهندوسي:

تبين مما سبق أوجه كثيرة في التشابه بين الفناء ونارثانا أو موكشا الهندوسي، من أهمها:

(١) غموض نارثانا والفناء عند أصحابهما:

سبق معنا تعريف نارثانا، وهي تتضمن معاني عديدة، ولكن تصورها غير واضحة، وهكذا الأمر بالنسبة للفناء عند الصوفية؛ فإنهم اختلفوا في تصوير هذه الحالة، وهي أيضًا غير واضحة، ولكنهما يتفقان على أن من معانيهما: النهاية أو الخلاص.

(٢) كون كل منهما غاية لدى أصحابها:

فإن الخلاص أو موكشا/ نارثانا في الديانة الهندوسية هو غاية كل هندوسي، حيث لا يرجع بعد هذا إلى عجلة تناسخ الأرواح جديد، وحيث ينعم بنعم وفيرة، ويحصل له قوى عظيمة، ويكون هو نفسه برهمن، هكذا الأمر بالنسبة للفناء عند المتصوفة؛ فإن الفناء عند الصوفية هو الغاية من التصوف؛ إذ بالفناء يحصل الاتحاد بنوعيه، فالإتحاد الخاص وهو فناء ذات الصوفي بقاء ذات الله، فهو مرحلة يتجاوزها السالك إلى الفناء بالفناء، فلا يرى في الوجود غير الله، وهو الاتحاد المطلق أو وحدة الوجود، وهو الغاية النهائية للتصوف، لذا من بلغ هذه المرحلة يسمى عارفاً^(١).

(٣) تشابه كل منهما في تحديد الطريق إلى نارثانا والفناء:

ولما كان نارثانا أو الخلاص/ موكشا غاية كل هندوسي، فإنهم وضعوا للحصول عليه أصولاً وطرقاً وحددوا لكل طرق منارات، فمثلاً حددت الهندوسية للحصول على موكشا ثلاث طريق رئيسة: طريقة العلم ببرهمن، وطريقة العبادة، وطريقة الحب/ البهاكتي، وهناك طرق أخرى كثيرة، كما حددوا لها مراحل متعددة، وقد سبق أن ذكرتها.

وهكذا الأمر بالنسبة للتصوف؛ فإن المتصوفة لما كان الوصول إلى الفناء ونتيجته

(١) على ضوء ما ذكره الدكتور إبراهيم بن خلف التركي: التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة ص (٢٣٢).

الاتحاد هي الغاية وضعوا له طرقاً وأصولاً، وقد حددوا للحصول عليه طرقاً متعددة، ومراحل عديدة، فمن هذه الطرق:

- قسم الغزالي وغيره الطريق إلى الله تعالى إلى أربعة مراحل هي: اجتهد وسلوك وسير واطر... (وهذا مثل تقسيم الهندوس حياتهم إلى أربعة أدوار).
- جعل القشيري مراحل الفناء ثلاثة:

- ❖ المرحلة الأولى: يفنى عن نفسه وعن صفاته ببقائه بصفات الحق، وهي مرحلة العوام، والمبتدئين في سلوك طريق الصوفية ويسمّون أهل الشريعة.
- ❖ المرحلة الثانية: يفنى عن صفات الحق بشهود الحق، وهي مرحلة أهل الطريق أو الخواص.
- ❖ المرحلة الثالثة: يفنى عن شهود فناءه باستهلاكه في وجود الحق وهي مرحلة أهل الحقيقة أو خواص الخواص.

٤) الحصول على اللذة والسرور لدى أصحابها بعدها:

إن الهندوس يزعمون أنهم يحصلون على اللذة والسرور، والذي يسميه بعضهم بالغبطة السامية^(١)، وينكرون دخول الجنة ويرونها قليلاً وحقيقياً، وهكذا نلاحظ المتصوفة يرونها غبطة وسروراً ويحتقرون بالجنة والنار.

وهكذا رأينا مدى التشابه بين نرفانا/ موكشا أو الخلاص في الهندوسية وبين فناء الصوفية، كما أن الفناء الصوفي لا يمت بصلة إلى الإسلام؛ فإن الذي يظهر لي ولكل بصير تأثر المتصوفة بالفناء الهندوسي بدون أي شك أو ريب^(٢).

(١) وهذا المقام يختلف نرفانا الهندوسية عن البوذية، فبينما البوذية تنظر إلى النرفانا بأنه فناء تام، مطلق ونهائي، ليس هناك شعور بعده، يرى الهندوسية أن السالك يحصل على سرور ولذة بعد الحصول على الفناء، وعلى هذا يكون الفناء الصوفي وليدة نرفانا الهندوسية بكل معنى الكلمة.

(٢) قد سبق معنا في المبحث الثاني نقل أقوال العلماء الدال على ذلك.

الفرع الثاني: سقوط التكليف عن الشيخ الكامل

هذه المسألة متعلقة بالفناء؛ لأنها من آثار الفناء على الفاني^(١)، لقد تشابه في هذه المسألة كل من المتصوفة والهندوسية ومن هنا يظهر تأثير المتصوفة بهم، حيث أن المتأخر يأخذ من المتقدم.

آراء المتصوفة في سقوط التكليف:

وقد ذهب المتصوفة إلى أن الفاني تذهب بشريته وآدميته بالفناء، فيصير حقيقة أخرى، ولهذا هم يرون سقوط التكليف عنها في هذه الحالة.

وهذه الحقيقة هي الوصول إلى حالة وحدة الوجود؛ فإن من وصل إلى الوحدة رأى أن العابد هو المعبود، والشاكر هو المشكور، فمن الذي يثيب العباد الطائعين؟ ومن الذي يُعاقب العاصين؟ بل من هم الطائعون، ومن هم العاصون، أليسوا - على زعم أهل الوحدة - هم الله تعالى؟!!!^(٢).

يقول شيخهم الأكبر ابن عربي:

الرب عبد والعبد حق يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبدٌ فذاك ميت أو قلت رب أني يكلف^(٣)
ويقول أيضًا:

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبد^(٤)

ويقول آخر: (إذا ظهر الحق على السرائر، لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا

(١) انظر ما ذكره الدكتور أحمد محمد بناني: موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ص (١٥٩).

(٢) انظر ما ذكره زكي مبارك: التصوف الإسلامي ص (١/ ١٨١).

(٣) الفتوحات المكية (١/ ٤٢) تحقيق عثمان يحيى.

(٤) فصوص الحكم ص (٩٥) مع شرح القاشاني.

لخوف^(١)، قال القشيري بعد نقله: لأن الخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية^(٢).

وهذا صوفي آخر يقول: (إن الولي صاحب التصرف يمد يده إلى جيب من شاء فيأخذ منه ما شاء من الدراهم، وذو الجيب لا يشعر...) ^(٣).

ويقول أيضاً: (إن غير الولي إذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة الكرام؛ لأن الحياء يغلب عليهم، ... وأما الولي فإنها لا تنفر منه إذا وقع له ذلك) ^(٤).

ويقول: (إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاصٍ، وإنما روحه حجبت ذاته، فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية...) ^(٥).

قال أبو طالب المكي: (... وفوقها... ما لا يصلح رسمه في كتابٍ، ... منها: أنه أعطاهم «كُن» بإطلاعه إياهم على الاسم...) ^(٦).

والصوفية يعبرون عن هذا المنزل بقولهم:

فمن اللّٰه فاسمعوا وإلى اللّٰه فارجعوا ^(٧).

هذه بعض النماذج، وهم يفعلون الأفعال بعد الوصول إلى مرتبة الفناء، وهي مبثوثة في كتب التصوف ^(٨).

(١) الرسالة القشيرية ص (٢٣٩).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) الدباغ: الإبريز ص (٢٠٥).

(٤) المصدر السابق ص (٢٣٣).

(٥) المصدر السابق ص (٢٣٢).

(٦) قوت القلوب (٩/٢).

(٧) نقلاً عما ذكره الدكتور الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٨٩).

(٨) انظر ما ذكره الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (٥٥٤، ٥٨٢، ٥٩١) وغيرها.

آراء الهندوس في سقوط التكليف:

إن الهندوس ينظرون إلى بعض الأشخاص بأنهم لا يسألون عما يفعلون، منهم:
 (١) الرهبان: وذلك عندما يبلغ السالك إلى مرتبة سنّاس، وهو الدور الرابع
 من أدوار الحياة الهندوسية، وفي هذا الدور يفعل ما يشاء، جاء في كتابهم
 المقدس مَنُو سُمَرِتِي:

(٣٣ / ٦): على العابد أن يعيش زاهدًا في الدور الرابع، وأن يترك علاقاته الدنيوية،
 وكل مستلزماتها.

(٧٤ / ٦): إن من يملك نظرًا عميقًا سليمًا، في أمور الكون؛ لا يتكبل بأعماله، على
 الضد ممن كان نظره سطحيًا، فإنه يتقيد بأعماله.

يقول الدكتور الأعظمي - حفظه الله -: «يدخل هذا الإنسان (الراهب في الدور
 الرابع من الحياة - الذي مرّ بالمراحل السابقة في حياة جديدة وهي الحياة الرهبانية
 والمعلمية، ويظهر أمام الناس كالشيخ الكامل المطاع، مرفوع التكليف، ويصير عقلًا
 بلا شهوة، وتحل ناسوتيته في لاهوتيته، فهو معبودٌ يُعبد كما يُعبد الله»^(١).

(٢) البراهمة على العموم:

كما جاء في كتبهم عن البراهمة مثل هذا النظام، فالبراهمة هم الآلهة حقًا، لهم أن
 يفعلوا ما يشاء ليس لأحد السيطرة عليهم، ولا ينبغي أن يمنعهم من أعمالهم.

(٣) وكما جاء في بعض كتبهم أن من حصل على المعرفة بـ«برهمان» يساوى بينه
 وبين الجهل قد سبق معنا في دراسة الأوبانيشادات بيان ذلك، حيث جاء في
 بعض الأوبانيشادات: أن من عرف الحق فإنه لا يحتاج أن يفرق بين الخير
 والشر، بل له أن يفعل ما يشاء.

وأساس هذه النظرية: أن الفضيلة توجد في المعرفة، فمن أراد الحياة الطيبة بحث

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ص (٥٨٩).

عنها في هذه المعرفة، وأن المعرفة تطهر الشخص من كل ذنوبه في الماضي وتخول للعارف أن يفعل ما يحلو له.

ولكن الخطر في مثل هذه النظريات يكمن في النظر إلى قواعد الأخلاق، التي اتفقت عليها الديانات والتقاليد والعقل الاجتماعي، من أنها تنزل إلى مستوى تصبح فيه لا معنى لها، ويصبح الشخص الذي يصل إلى الدرجة المقول عنها إنساناً لا ينظر إلى الفعل الذي يقوم به أنه خلقي أو غير خلقي^(١).

وتقول أوبانيشادة كوشيتيكي: «من وصل الأعلى فقد تعالى عن القوانين».

وفي أوبانيشادة تائيطريا: «فلا يصيبه خوف من أنه لم يعمل الخير، أو أنه قد ارتكب الفواحش».

وعلى هذا تتفق الهندوسية على أنه متى ما تمت المعرفة فلا تثريب على الشخص مهما اقترب من سيئات^(٢).

على أن تطور العقلية الهندوسية دفع بعض المفكرين أن يروا في هذا المنطق خطراً عظيم البلاء فعارضوه^(٣)، ولهذا نرى الهندوس تحت على الصدقات والرحمة والصدق والعفة والعدل وغيرها من الأعمال الصالحة، وتنتهى عن الظلم وقتل النفس حتى المؤذيات من الحيوان، والكذب وسوء الخلق وغيرها من الأعمال السيئة، ولكنها تراها وسائل للوصول إلى برهمان لا المقاصد، فإذا وصل إلى برهمان أو معرفة برهمان فإنه حينئذ لا فرق بين الخير والشر على الإطلاق.

(١) وهذه جناية على المجتمع نستطيع أن نرى أثرها في الكوفة وغيرها، في أعمال الغلاة ومن سعا سعيهم حين ارتكبوا جرائمهم الخلقية وسفكوا الدماء وعملوا على إفساد الشباب في عصر المنصور والمهدي . راجع ما ذكره الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني في كتابه: حركات الشيعة المتطرفين، ط ١٩٦٧م، دار المعرفة.

(٢) وهذه النظرية نقلها الغلاة من الشيعة إلى عقائدهم، وصوروها في قولهم: إن معرفة الإمام تجيز للشخص أن يفعل أي شيء دون أن يأثم، وتسقط عنه الالتزام بالفرائض التي يتحتم على كل مسلم أداؤها.

(٣) انظر ما ذكره محمد جابر عبد العال الحيني: في العقائد والأديان ص (١١١).

فالمثل الأعلى الأوبانيشادي إنما هو ترك الأهواء والميول، وفقد العواطف والهواجس، وأما أخلاقها الإيجابية التي تحض عليها فإنما هي درجات للرفي إلى المكانة العظمى، حتى إذا بلغ العارف إليها، لا يحتاج إليها بل لا تأثير لها في حظه ورقه^(١)، جاء في بعض الأوبانيشادات: «هو أي: الذي صار أزليًا، علا على الاثنين: الخير والشر، لا يمسه ما يعمل وما لا يعمل، ولا ينقض حماه عمل، ويصير هو روح الكائنات وآتماء، يتلاشى في برهمان، فأعماله هي أعمال برهمان لا له، ولا يهوي إلى شيء، ولا يريده»^(٢).

يقول برينهذارتك: «فمن يصير أتمان فلا يبقى معه شيء من لذائذ النوم واليقظة، فكأنه نائم نومًا ليس في شيء حتى الرؤيا، وتفني العواطف كلها، فينجو من كل قيد، من الآباء والأمهات بل من جميع العالم، فلا يبصر شيئًا وتصير البصارة عينه، ليس بينه وبينها حجاب، وهذه البصارة لا زوال لها، فليس شيء سواه، فيرغب فيه ويتمناه، ومن عرف أنه هو أتمان فأى أمنية له حتى يؤدي لها جسده»^(٣).

وفي بعض الأوبانيشادات: «فالسعيد من لا يميل إلى شيء فيطمعه ويطلبه، فيتأذى إذا خاب أو يتألم إذا فقد ما كان قد فاز به». وكان العرفاء لا يتمنون الأولاد قائلين ما ذا نفع بالآبناء، ونحن العالم بأنفسنا!^(٤)

(٤) وقد سبق معنا في بيان الفرق الهندوسية أن هناك فرقًا عديدة مترتبة في الديانة الهندوسية تفعل الفواحش والمنكرات، وترتكب العظائم، وهم يدعون أنهم وصلوا الغاية المنشودة، وأنهم لا يحاسبون على ما يفعلون. فهذه الأدلة على أن المتصوفة أخذوا نظريتهم في سقوط التكليف عن الديانة الهندوسية.

(١) انظر ما ذكره عبد السلام رامبوري: فلسفة الهند القديمة ص (٢٩-٣٠)، مجلة ثقافة الهند، مارس ١٩٥٣.

(٢) انظر برينهذارتك (٤/٥/١٥).

(٣) راجع برينهذارتك (٤/٣/١٩، ٢٠، ٢٢-٣٣). (٤) انظر برينهذارتك (٤/٤/٢٢).

المطلب الخامس

عقيدة اتخاذ الشيخ والغلو في تعظيمه

وجوب اتخاذ الشيخ والغلو في تعظيمه

سبق معنا في دراسة الهندوسية، أن للشيخ منزلة سامية عند الهندوس، بحيث يعتبرون ملازمة الشيخ من لوازم النجاة، وأن مرحلة معينة من العمر لابد وأن يكون التلميذ مع الشيخ، ويكون في خدمته ليلاً ونهاراً، ولا يمكنه الرجوع من عنده إلا بإذنه، وبعد الحصول على الكمال بفضل تربيته الخاصة - كما يظنون - وفي أثناء هذه المدة يكون التلميذ لدى المعلم كالعبد لدى المولى، ويعتبرون المعلم إلهاً له، يرشده ويهديه.

هكذا نرى الشيخ عند المتصوفة، فيقدسون الشيخ ويسلمون له القياد، ولا يفكرون في أنفسهم ولا في أي شيء آخر إلا فيما يأمر به الشيخ، ولا يخطر ببالهم أن يعرضوا أفعال الشيخ أو أقواله على الشريعة؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى الاعتراض الذي هو السبب المباشر للطرد والخسارة عندهم.

وهو الأساس في كل طريقة، وما تفرقت الطرق إلا اتباعاً للشيخ، وتسمى كلها باسم مشايخها ومؤسسيها، ومع الزمن تتفرع الطريقة الواحدة إلى طرق كثيرة تحمل أسماء مشايخها الجدد، وهم بذلك يأخذون طريقة الهندوس حذو القذة بالقذة.

فمن أقوالهم في وجوب أخذ الشيخ ما يلي:

(١) يقول أبو حامد الغزالي: (..فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة، ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض، وسبيل الشيطان

كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة ... فمُعْتَصِمُ المريد، ... شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في وَرْدِهِ ولا صَدْرِهِ، ولا يُبْقِي في متابعته شيئاً ولا يذر؛ وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه - لو أخطأ - أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب؛ فإذا وجد مثل هذا الْمُعْتَصِمِ، وجب على مُعْتَصِمِهِ (أي شيخه) أن يحميه ويعصمه بحصن حصين...^(١).

(٢) ويقول الشعراني^(٢): (فعلم من جميع ما قررناه وجوب اتخاذ الشيخ لكل عالم طلب الوصول إلى شهود عين الشريعة الكبرى، ولو أجمع جميع أقرانه على علمه وعمله وزهده وورعه ولقبوه بالقطبية الكبرى؛ فإن لطريق القوم شروطاً لا يعرفها إلا المحققون منهم دون الدخيل فيهم بالدعاوى والأوهام، وربما كان من لقبوه بالقطبية لا يصلح أن يكون مريداً للقطب)^(٣).

(٣) ونقل الفتوي^(٤) عن القشيري عن أبي علي الثقفي قوله: (لو أن رجلاً جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدبٍ ناصح)^(٥).

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين (٣/ ٦٥).

(٢) هو عبد الوهاب بن أحمد الحنفي، نسبةً إلى محمد بن الحنفية، من المتصوفين الغلاة، ولد بمصر سنة ٨٩٨هـ، ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية وإليه نسبته الشعراني، والشعراوي، مات في القاهرة سنة ٩٧٣هـ، له مؤلفات غالبها في التصوف، منها الطبقات الكبرى. انظر ما ذكره الزركلي في الأعلام (٤/ ١٨٠-١٨١).

(٣) الشعراني: الميزان الكبرى (١/ ٢٢).

(٤) هو عمر بن سعيد تال التكلوري الفتوي، ولد سنة (١٢١١هـ)، بالسنگال الشرقية، وأخذ العلم عن علماء شنقيط، ثم لحق بجامعة پير الإسلامية بالسنگال، وأخذ الطريقة التجانية، ثم جاء حاجاً وبقي بمكة عشر سنوات، ثم سافر إلى السودان ونشر التجانية. انظر ما نقله الدكتور محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/ ٨٥) هامش.

(٥) الفتوي: الرماح (١/ ٩٨). نقلاً عما ذكره الدكتور محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/ ٣٥٣).

(٤) وقال الفتوي: (الفصل الثالث عشر في إعلامهم أنه لا يصل السالك الناسك إلى حضرة الله، وحضرات صفاته وأسمائه ولو جمع علوم الأولين وصحب طوائف الناس وعبد عبادة الثقليين إلا على يدي أصحاب الإذن الخاص)^(١).

(٥) ويقول الشعراني: (وأما بغير شيخ فلا يعرف أحد يخرج من ورطات الدنيا ولو كان أعلم الناس بالمنقول في سائر العلوم)^(٢).

ومن أقوالهم على إطاعة الشيخ طاعة عمياء ما يلي:

(١) يقول أبو يزيد البسطامي: (إذا أمر الأستاذ التلميذ أمرًا من أمور الدنيا وبعثه في إصلاحه، فيقيم مؤذن في بعض طرقاته على مسجد من المساجد؛ فيقول: أدخل أولًا المسجد وأصلي ثم أكون وراء ما بعثني إليه، فقد وقع في بئر لا يتبين أسفلها، يعني ليس لها مقر)^(٣).

(٢) يقول ذو النون المصري: (طاعة المريد لشيخه فوق طاعته لربه)^(٤).

(٣) ويقول ابن عربي:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله	فقم بها أدبًا لله
هم الأدلاء والقربى تؤيدهم	على الدلالة تأييدًا على الله
كالأنبياء تراهم في محاربهم	لا يسألون من الله سوى الله
فإن بدا منهم حالٌ تولَّهم	عن الشريعة فاتركهم مع الله ^(٥)

(١) الفتوي: الرماح (١/٩٦)، نقلًا عن المصدر السابق (١/٣٥٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) شطحات الصوفية ص (١٨٢).

(٤) المتوفي: تذكرة الأولياء (١/١٧١)، نقلًا عما ذكره الدكتور محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/٣٦١).

(٥) ابن عربي: الفتوحات المكية، الباب ١٨١، في أوله.

(٤) ونقل عن الدسوقي^(١) قوله: (المريد مع شيخه على صورة الميت لا حركة ولا كلام، ولا يقدر أن يتحدث بين يديه إلا بإذنه، ولا يعمل شيئاً إلا بإذنه من زواج أو سفر أو خروج أو دخول أو عزلة أو مخالطة أو اشتغال بعلم أو قرآن أو ذكر أو خدمة في الزاوية... فعليك يا ولدي بطاعة والدك - يعني شيخك - وقدمه على والد الجسم فإن والد السر أنفع من والد الظهر)^(٢).

(٥) وقال آخر: (... فإن تعذر عليه (أي: على المريد) الوصول إلى الشيخ، وقد عرض له مرضٌ أو أمرٌ، فليشخص شيخه بين عينيه بصفته وهيأته ويشكو له، فإنه يبرأ بإذن الله، وإن كان مع جماعةٍ واستحيا فليشتك إليه في قلبه...) ^(٣).

(٦) ويقول أحمد الفاروقي السرهندي: (... وهذه المحافظة إنما هي إلى زمان الوصول إلى الشيخ الكامل المكمل، ثم بعد الوصول إليه، لا شيء عليه سوى تفويض جميع مراداته إليه، وكونه كالمت بين يدي الغسال لديه؛ والفناء الأول هو الفناء في الشيخ، ويكون هذا الفناء وسيلة الفناء في الله ^(٤).

(٧) ويقول آخر: (... ومنها أن لا يعترض عليه (أي: على شيخه) فيما فعله، ولو كان ظاهره حراماً، ولا يقول: لِمَ فعل كذا؟ لأن من قال لشيخه: لِمَ؟ لا يفلح أبداً، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن...) ^(٥).

(١) هو إبراهيم بن أبي المجد الدسوقي، صوفي كبير من أهل دسوق بغربية مصر، تفقه على مذهب الشافعي، ثم اقتفى آثار القوم، وكثر مريدوه الذين نقلوا عنه كلاماً كثيراً على طريقة القوم، فيه الكثير مما لا معنى له. ولسد سنة (٦٣٣هـ)، وتوفي سنة (٦٧٦هـ)، انظر ما ذكره الزركلي في الأعلام (٥٩/١).

(٢) الشعراني: الطبقات الكبرى (١/١٥٣). (٣) المصدر نفسه، ص (٣٣٩).

(٤) المنتخبات من المكتوبات ص (٢١)، نقلاً عما نقله الدكتور محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (٣٢٧).

(٥) تنوير القلوب ص (٥٢٨)، نقلاً عما ذكره الدكتور محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (٣٢٣).

(٨) ويقول آخر: (قد انعقد إجماع مشايخ على وجوب الاستسلام للشيخ والاطراح بين يديه كالغسيل بين يدي الغاسل)^(١).

(٩) ويقول آخر: (خدمة أستاذك مقدمة على خدمة أبيك؛ لأن أباك كدرك وأستاذك صفاك، وأباك سفلك وأستاذك علاك، وأباك مزجك بالماء والطين وأستاذك رقاك إلى أعلى عليين)^(٢).

فالصوفية يعلمون المريد منذ الخطوة الأولى في رحاب الشيخ، أن يقدر الشيخ، وأن يكون عبداً للشيخ.

وهم يقدمون حق الشيخ على حق الوالد، مع أن الله أكد على الإحسان إلى الوالدين في مواطن كثيرة من كتابه، وقرن ذلك بطاعته وتوحيده في غير ما آية، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وهذه مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وشرعه سبحانه، فالصوفي ليس بمتبع للنبي ﷺ بل لشيخه المخترع لتلك الوسواس^(٣).

كما أنهم يفرضون على أتباعهم الطاعة العمياء، وهذا يجعل المريد مسلوب الإرادة والفكر بل قد يدخله في الضلالة والردى إذا لم يعرض أقوال شيخه على الكتاب والسنة، وعلى العموم فإن هذا المسلك فيه تأثير واضح بالهندوسية حيث إن من مسالكهم مع الناشئين أن يربى تحت يد الشيخ، ويخدمه، ويطيعه ويبحث عن رضاه، ويعتبره رباً، فقد جاء في كتابهم المقدس مَنُو سُمَرِتِي في الباب الثاني منه، البيان المستفيض على ذلك، وقد سبق معنا بيانه، ولا بأس أن أنقل هنا بعض المقتطفات:

(١) الفتوي: الرماح (١٢٢/١) نقلاً عما ذكره الدكتور محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص.. (٣٥٨/١-٣٦٤).

(٢) الشعراي: الطبقات الكبرى (١/١٦٩).

(٣) انظر ما ذكره الشيخ صالح المقبل: العلم الشامخ ص (٢٥٠-٢٥١)، وما ذكره الدكتور الشيخ محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/٣٥٨-٣٦٤).

- ٥٠) يقدم التلميذ إلى أستاذه، كل ما جمعه في يومه، من غير أن يغفل منه شيئاً...
- ٧٠): عليه أن يلمس بيديه كل يوم رجلي الأستاذ، عند الابتداء بالقراءة، وبعد الانتهاء منها، وأن يقرأ، وهو مكتوف اليدين، تعظيماً للقيّد.
- ٧١): وأن يأتي من أمام أستاذه، ويلمس بيده اليمنى؛ رجل أستاذه اليمنى، ويديه اليسرى رجل أستاذه اليسرى.
- ٧٢): وعليه: أن يقرأ، ويكف عن القراءة؛ بأمر من الأستاذ.
- ١٢٩) قف، وعظم: خالك، وعمك، وحماك، والعلماء الذين يقومون بالأعمال الدينية، وأستاذك؛ ولو كانوا أصغر منك سنّاً.
- ١٤٣) يجب ألا يُغضب، من يملأ الأذنين بالقيّد؛ لأنه كالأب والأم، للتلميذ.
- ١٤٥) إن المعلم الذي يغذي الروح بالقيّد، والأب يغذي الجسم، ولذا؛ فالمعلم؛ أعظم من الأب؛ لأن القيّد؛ يكفل للإنسان سعادة أبدية، في هذه الحياة، وبعد الموت.
- ١٤٨) على التلميذ: أن ينظر إلى كل من يفيد به شيء؛ قليل أو كثير، من القيّد؛ نظره إلى أستاذه گورو.
- ١٧٠) يقال للأستاذ: أب؛ لأنه يعلم القيّد الذي لا تكون عبادة إلا به.
- ١٨١) على التلميذ: أن يأتي إلى أستاذه - يوميّاً - بالماء والزهور، وخشي البقر، والطين...
- ١٩٠) على التلميذ: أن يجهد نفسه، في قراءة القيّد دائماً، سواء أمره أستاذه بذلك؛ أم لم يأمره، وعليه: ألا يقصر ي خدمة أستاذه.
- ١٩١) وعليه: أن يتغلب على: جسمه، ولسانه، وحواسه، وقلبه، وأن يقف أمام أستاذه؛ ضامّاً يديه إلى صدره، ناظرًا إلى وجهه.
- ١٩٢) وعليه أن يبقى يده اليمنى؛ مكشوفة دائماً، وأن يستر باقي جسمه، وأن يجلس؛ إذا أمره أستاذه بالجلوس، قبالة وجهه.

(١٩٣) ليكن طعام التلميذ أقل من طعام أستاذه، ولباسه وحليته؛ دون لباس أستاذه وحليته، وعليه أن يستيقظ قبل أستاذه وينام بعده.

(١٩٤) يجب على التلميذ: ألا يكلم أستاذه، وهو مضطجع، أو جالس على حصير، أو وهو يأكل، أو منحرف الوجه عنه.

(١٩٥) بل يكلمه قائماً؛ إن كان الأستاذ جالساً، ويتقدم إليه ويقرب منه؛ إن كان قائماً، ويسرع نحوه؛ إن كان قادماً، ويركض خلفه؛ إن كان سائراً.

(١٩٦) وعليه أن يأتي إليه من أمامه؛ إن كان منحرف الوجه عنه، ويقرب منه؛ إن كان بعيداً عنه، وينحني أمامه؛ إن كان مضطجعاً، أو جالساً في موضعٍ منخفض عنه.

(١٩٨) على التلميذ: ألا يذكر أستاذه، وهو غائب، باسمه المجرد، ولا يقلده في مشيته وكلامه، ولا في حركاته وسكناته.

(٢٠١) يجب على التلميذ: ألا يخدم أستاذه بالواسطة ولا يسلم عليه؛ إذا كان غاضباً، أو قريباً من زوجته، وعليه أن ينزل من المركبة؛ إن كان راكباً، ويتنحى عن المقعد؛ إن كان جالساً، ثم يسلم عليه.

(٢٠٢) على التلميذ: ألا يجلس أمام أستاذه، والهواء آتٍ من قبله إليه، أو بالعكس، ولا يتكلم بكلام؛ لا يستطيع الأستاذ أن يسمعه.

(٢٠٨) على التلميذ أن يدلك رجل أستاذه فقط.

(٢٢٤) على التلميذ أن يعامل الأستاذ، والأب، والأخ الأكبر؛ بكل تعظيم، حتى ولو آذوه.

(٢٢٥) الأستاذ؛ تمثال پرمتا (الإله الأعلى)، والأب؛ تمثال براهما، والأم تمثال الأرض، والأخ الأكبر؛ كالإنسان نفسه.

(٢٢٧) على التلميذ: أن يقوم على خدمة الأبوين والأستاذ؛ بما يرضيهم، وبذلك؛ ينال ثواب عباداته كلها.

(٢٣٦) إن أعظم واجبات الإنسان؛ خدمة هؤلاء الثلاثة، وما سوى ذلك؛ فهو دونه، وكل عمل؛ يعمل برضاهم؛ يتم.

(٢٤٢) على التلميذ، الذي يرغب: أن يقضي حياته، عند أستاذه؛ أن يقوم بخدمته، بكل أمانة وإخلاص، حتى الموت.

(٢٤٣) كل تلميذ، يخدم أستاذه حتى الموت، ينال النعيم الأعلى.
هذه بعض ما جاء في كتب الهندوس من مكانة الشيخ لدى التلميذ.

المطلب السادس

تقسيم الناس إلى الخواص والعوام

سبق معنا: أن الهندوس يقسمون الناس إلى عوام وخواص في العقيدة والعادات والمعاملات، ويجعلون فئة منها فوق جميع قيود القوانين والضوابط، ولقد تسربت هذه الأفكار بعينها إلى المتصوفة، فهم يقسمون الناس إلى عوام وخواص، وبعضهم يقسمون الناس إلى عوام وخواص وخواص الخواص، ولهم في ذلك عدة أنواع من العبارات، فتارةً يقولون:

(١) أهل الظاهر وأهل الباطن.

(٢) العوام والخواص.

(٣) أهل الشريعة وأهل الحقيقة.

(٤) أهل الرسوم وأهل الحقائق.

(٥) العامة والخاصة، وخاصة الخاصة.

(٦) أهل الأوراق وأهل الأذواق.

وما إلى ذلك من ألفاظهم، وسأذكر فيما يلي بعض عباراتهم الدالة على هذا التقسيم: فمنها:

(١) قول سهل التستري: (للعالم ثلاثة علوم، علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله)^(١).

(١) إحياء علوم الدين (٤/٢٨٨).

(٢) ويقول ابن عجيبة: (العلوم ثلاثة: ظاهر، باطن، وباطن الباطن، كما أن الإنسان له ظاهر وباطن، وباطن الباطن. فعلم الشريعة ظاهر، وعلم الطريقة باطن، وعلم الحقيقة باطن الباطن)^(١).

(٣) ويقول الطوسي: (إن العلم ظاهر وباطن... ولا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر،... فالعلم ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، وحديث رسول الله ﷺ ظاهر وباطن، والإسلام ظاهر وباطن)^(٢).

(٤) وقالوا:

هل ظاهر الشرع وعلم الباطن إلا كجسم فيه روح ساكن
والعلم الظاهر هو علم العبودية والعلم الباطن هو علم الربوبية^(٣)

(٥) ويقول ابن عربي: (ما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته، العارفين به من طريق الوهب الإلهي، الذين منحهم أسرارهم في خلقه، وفهم معاني كتابه وإشارات خطابه)^(٤).

وهذه التقسيمات لاشك في بطلانها، وإنها باب من أبواب الزندقة، يقول ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ: (فإن الله، في الإصغاء إلى هؤلاء... إنما هم زنادقة؛ جمعوا بين مدائح العمال مرقعات وصوف وبين أعمال الخلصاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة، فأول ما وضعوا أسماء وقالوا: حقيقة وشريعة، وهذا قبيح؛ لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع)^(٥).

(١) ابن عجيبة: الفتوحات الإلهية ص (٣٣٣).

(٢) الطوسي: اللمع ص (٤٣، ٤٤).

(٣) ابن عجيبة: الفتوحات الإلهية، ص (٣٣٣).

(٤) ابن عربي: الفتوحات المكية، الباب الرابع والخمسون.

(٥) ابن الجوزي: تلبس إبليس ص (٢٧٤).

وقال ابن الجوزي: (وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة وهذا جهل من قائله؛ لأن الشريعة كلها حقائق)^(١).

فعرفنا من هذا أن تقسيم الصوفية للناس عوام وخواص تقسيم باطل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالتقسيم الصحيح الذي يمكن أن يكون هو العالم والجاهل، والعالم هو الذي يلتزم بالكتاب والسنة، ويتقي الله ويتقه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وأما تقسيمهم الناس إلى خواص وعوام على أن الخواص هم أصحاب الحقيقة والعوام هم أصحاب الشريعة فهذا تقسيم باطل، بل الصحيح: أن الخواص هم الذين يتقيدون بتعاليم الشريعة تقيداً تاماً، والعوام هم الذين لا يتقيدون بهذا لأجل جهلهم وضلالهم وعدم معرفتهم لأوامر الشرع. والله تعالى أعلم.

وأما تقسيم الصوفية فكأنهم أخذوه عن الهندوس الذين قسموا الناس إلى أربعة أقسام؛ براهمة وكهشتريا وفايشا وشودرا، وجعلوا البراهمة هم أهل الاختصاص بالشريعة، فلا تؤخذ إلا عنهم، وفيما يلي جملة من النصوص الدالة على ذلك مما جاء في كتابهم المقدس مَنُو سَمَرْتِي:

- ١ - «تقوم طائفة البراهمة بتعلم أسفار الفيدات وتعليمها»^(٢). وقال: «وقد عهد إلى البراهمة بقراءة الفيدات وتعليمه والقيام بأعمال القرابين، لأنفسهم ولغيرهم، وخصّهم بإعطاء الصدقات وقبولها»^(٣).
- ٢ - «أفضل الأعمال للبراهمة تعلم الفيدات، وأفضل الأعمال لكهشتريا الدفاع عن الوطن، وأفضل الأعمال لفائشا الاشتغال بالتجارة»^(٤).
- ٣ - «البراهمة لهم السيادة على جميع الطبقات الأخرى»^(٥).

(٢) الباب العاشر: ١.

(٤) الباب العاشر: (٨٠).

(١) المصدر السابق.

(٣) الباب الأول، (٨٨).

(٥) الباب العاشر: ٣.

- ٤ - «بما أن البراهمة، خلقوا من أشرف وأطهر عضو، وهو الوجه، وهم القائمون على القيادات، وهم أصحاب الدين، فهم أفضل الجميع»^(١).
- ٥ - «لقد خلق براهما بفضل رياضته القاسية، البراهمة من وجهه، ليحفظوا العالم، وليرضوا الآلهة والأجداد.
- ٦ - ومن يستطيع أن يفضل البرهمي، الذي بفمه؛ تأكل الآلهة والأجداد؟!
- ٧ - إن أفضل المخلوقات؛ هو البرهمي^(٢)، ودونه الإنسان، ودونه؛ الدواب، ودونها؛ الحشرات، ودون ذلك؛ الجماد والنبات.
- ٨ - إن أفضل البراهمة؛ هم الذين يعرفون براهما، ودونهم الذين يعلمون بأحكام القياد....
- ٩ - إن البرهمي؛ هو تجسد الدين الأبدي، خُلق ليعمل عليه، وليتحد بـ«براهما»، ويمتزج به.
- ١٠ - إن البرهمي؛ بمجرد ولادته يكون العالم له، ووضع في الصف الأول من صفوف الدنيا، وحري به حفظ الدين.
- ١١ - إن كل ما في هذا العالم؛ هو ملك للبراهمة؛ لأن براهما خلقهم من وجهه.
- ١٢ - إن البرهمي يأكل من ماله، ويلبس من ماله، ويتصدق من ماله، وغيره؛ يعيش بفضل.
- ١٣ - إن حضور برهمي بمجلس ما؛ يظهر أهل المجلس جميعًا، كما يظهر سبعة أجداد لهم، وسبعة أبناء، وهو وحده - خليف بهذه الدنيا وما عليها^(٣).

(١) الباب الأول (٩٣).

(٢) يقول الدكتور إحسان حقي في تعليقه عليه ص (٣٨): كأن البرهمي ليس بإنسان، وذلك؛ لأن البرهمي قطع كل المراحل بالتناسخ، حتى لم يبق بينه وبين الاندماج في الله؛ إلا درجة واحدة.

(٣) مَنُوتُ سَمَرَتِي، الباب الأول، (٩٣-١٠١، ١٠٥).

- ١٤- «يكون البرهمي موضع تقديس وعبودية ولو عمل عملاً مخالفاً للشرف»^(١).
- ١٥- «كما أن «أغني» يعد من الآلهة الكبيرة، فكذلك البرهمي يعد إلهًا من الآلهة الكبيرة»^(٢).
- ١٦- «يجوز للبرهمي إذا ما افتقر أن يتسول، ولا يعاب عليه، كما يجوز له أيضا أن ينهب أموال الآخرين»^(٣).
- ١٧- «على السلطان أن يتجنب قتل برهمي ولو ارتكب أبشع الجرائم، ولكن له أن يطرده إذا رأى ذلك على أن يترك له جميع أمواله، وألا يصيبه بأذى».
- ١٨- «لا يجوز للسلطان أن يتعامل مع البرهمي معاملة الضيق حتى في حالة القحط، لأن ذلك سيعدم حكمه»^(٤).
- ١٩- «الولد البرهمي البالغ من عمره عشر سنوات يكون موضع احترام لدى غيره وإن كان عمره مائة عام»^(٥).
- ٢٠- والبرهمي إذا ما افتقر حق له أن يمتلك مال الشودري الذي هو عبد له من غير أن يجازيه الملك على ما فعل، فالعبد وما يملك لسيده.
- ٢١- ولن يندس البرهمي بذنب ولو قتل العوالم الثلاثة.
- ٢٢- لا ينبغي للملك أن يجبي خراجاً من برهمي عالم بالكتاب المقدس ولو مات الملك محتاجاً، ولا يجوز له أن يصبر على جوع برهمي في ولايته.
- ٢٣- وليتجنب الملك قبل برهمي ولو اقترف جميع الجرائم، وليطرده - إذا رأى - من مملكته، على أن يترك له جميع أمواله وألا يصيبه بأذى.

(١) الباب التاسع: ٣١٩.

(٢) الباب التاسع: ٣١٧.

(٣) الباب العاشر: ١٠٣-١٠٤.

(٤) الباب التاسع: ٣١٣.

(٥) الباب الثاني: ١٣٥.

- ٢٤- وعلى الملك ألا يقطع أمرًا مهما كان دون استشارة البراهمة.
- ٢٥- وعلى عامل التقديمات: أن يقدم إلى البرهمي، العالم بالقيادات صدقة، ولو قليلاً من الطعام، أو كأس ماء...
- ٢٦- إن التقديمات التي تقدم بضم البرهمي الغني بعلم القيادات والقائم بالعبادات حتى قيام تحفظ فاعلها من التعاسة والشقاء وتكفر عن الإنسان حتى الذنوب الكبيرة.
- ٢٧- إذا لم يكرم البرهمي في دار ما؛ فإنه يأخذ معه - بخروجه منها - كل حسنات صاحبها، حتى ولو كان صاحبها؛ يعيش على حبوب اللقاط^(١)، ويقوم بالعبادات الخمس النارية^(٢).
- ٢٨- إن الكهشتريا وفايشا والشودرا... إذا أتوا دار برهمي؛ لا يسمّون ضيوفاً^(٣).
- ٢٩- البراهمة الذين يطهرون - بحضورهم - المجالس...^(٤).
- ٣٠- إن من يضرب برهمياً عمداً، وهو في حالة الغضب، حتى ولو بضغث؛ فإنه يولد إحدى وعشرين مرة، من أرحام مخلوقات؛ لا يولد منها، إلا المذنبون.
- ٣١- إن من يسبب إخراج دم برهمي من جسمه، من غير أن يبدأ البرهمي بالشجار؛ يصاب بعذاب أليم، بعد الموت، إذ يقاسي، بكل ذرة من ذرات الأرض، التي تمتزج بدم البرهمي؛ سنة من العذاب، تفترسه - خلالها - الضواري، في العالم الثاني^(٥).

(١) وهذا آخر مراحل الزهد، وذلك بأن يستغني المرء عن هذا العالم، خيره وشره، ويعيش على ما يلتقطه من الحبوب، والسنابل الساقطة على الأرض ويأكلها. شرح مُؤَوِّسْمَرْتِي لِلدكتور إحسان حقي ص (١٤٩).

(٢) انظر مُؤَوِّسْمَرْتِي، الباب الثاني، الفقرات (٩٦-١٠٠).

(٣) حتى لا يلزمه إكرامهم؛ لأنه أعلى منهم.

(٤) مُؤَوِّسْمَرْتِي، الباب الثالث، (١٨٣).

(٥) مُؤَوِّسْمَرْتِي، الباب الرابع (١٦٥-١٦٨)، ص (٢٤٤).

٣٢- على الملك أن لا يغضب البرهمي، حتى ولا في أوقات المصائب؛ لأنه إن فعل ذلك، فإنه يببده مع جيشه ومراكبه.

٣٣- إن البرهمي خليق بكل احترام سواء أ كان عالمًا أم جاهلاً شأنه شأن النار سواء أكانت لعمل يكيه (قربان) أم لم تكن.

٣٤- يجب تعظيم البرهمي، على كل حال، ولو مارس كل الأعمال الدنيئة؛ لأن كل واحد من البراهمة إله.

٣٥- على البراهمة أن يوقفوا الكهشترين عند حدّهم إذا أرادوا أن يعلوا عليهم لأن الكهشترين خلقوا من البراهمة.

٣٦- على الملك الذي يشعر بقرب دنو أجله أن يهب كل أمواله، التي أخذها من المغانم للبراهمة... (١).

٣٧- إن البرهمي هو خالق العالم وهو المعاقب وهو المعلم، فهو إذن محسن إلى جميع المخلوقات، ويجب ألا يخاطب بما لا يليق به من الكلام ولا بغليظ القول.

٣٨- البرهمي العالم بكل القيادات هو رب كل العالم (٢).

هذه هي تصورات الهندوس في البراهمة، وبالمقابل يرون الطبقات الأخرى وبالأخص طبقة الشودرا كأنهم ليسوا من الإنسان، حيث جاء فيهم:

(١) لا حق للشودري في الطقوس والمراسيم (٣).

(٢) على المرء: ألا يقرأ القيادات في... حضرة غير الصلحاء؛ كالشودرا... (٤).

(١) المصدر السابق ص (٥٧٣-٥٧٥).

(٢) مُنْوَ سُمَرْتِي، ص (٥٥٩).

(٣) انظر مُنْوَ سُمَرْتِي (٢/٢٥).

(٤) مُنْوَ سُمَرْتِي (٤/١٠٨)، ص (٢٣١).

(٣) على البرهمي ألا يأكل طعامًا يقدمه إليه الشودرا، ولا حرج عليه أن يقبل منه^(١).

(٤) لا يسكن برهمي في دولة ملكه الشودرا^(٢).

فكان المتصوفة أخذوا تقسيم الناس إلى الخواص والعوام من هذا التقسيم الهندوسي للناس. والله تعالى أعلم.

(١) منو سُمترتي (٤/٢٢٣)، ص (٢٥٧).

(٢) المصدر السابق (٤/٦١).

المطلب السابع

العزلة والانقطاع

إن الشرع الحنيف جاء بصلاة الجماعة وبصلة الأرحام، وجاء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاء بالتعليم، وجاء بالدعوة والصبر في كل ذلك، ولم يأمر بالعزلة إلا في حالة الفتن، كما في قول الرسول ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»^(١).

وأما العزلة والانقطاع بدون هذا كما هو عليه أهل التصوف فهو مخالف للشرع الحنيف، ومصادم له، ومع ذلك ترى كتب المتصوفة مشحونة بأخبار مثل هذه العزلة والانقطاع والثناء عليها، والدفاع عنها، وفيما يلي إيراد لبعض نصوصهم في ذلك:

(١) يقول الشعراني: (...) وكان الشيخ عبد الرحمن الأنباري النحوي .. لا يوقد قط في بيته سراجاً... وكان تحته حصير قصب وعليه ثوب خلق وعمامته من غليظ القطن، فيصلّي فيها الجمعة، ما يفرق الناس بينه وبين الشحاتين في رثاءة الهيئة، وكان لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة^(٢).

(٢) ويقول الشعراني في ترجمة الشيخ أبي علي (هذا الشيخ .. من كمل العارفين... تدخل عليه فتجده سبغاً، وتدخل عليه فتجده فيلاً، ثم تدخل عليه فتجده صبيّاً، وهكذا مكث أربعين سنة في خلوةٍ مسدودٍ بابها ليس لها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٣٦٠٠)، و(٦٤٩٥)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/٣).

(٢) الشعراني: الطبقات الكبرى (١٨٩/٢).

غير طاقة يدخل منها الهواء^(١).

(٣) ويقول الشعراني أيضًا في ترجمة الشيخ شمس الدين الحنفي (ثم حبب إليه الخلوة ثم اختلى سبع سنين لم يخرج في خلوة تحت الأرض ودخلها وهو ابن أربع عشرة سنة)^(٢).

(٤) ويقول الشعراني: (كان الإمام الحسن بن سمعون ... إمامًا زاهدًا ورعًا، فلما يخرج من بيته إلا في أيام الجمع لأجل الصلاة، وطول نهاره في قعر بيته ...) ^(٣).

(٥) ويذكر الشعراني صوفيًا آخر أنه كان يخلي ولده على الخلوة أربعين يومًا فلا يفتح عليه^(٤).

(٦) ويذكر الشعراني أيضًا صوفيًا آخر، مكث في الخلوة تسعة أشهر منقطعًا عن الخلق تاركًا للجمعة والجماعات^(٥).

(٧) وينقل الشعراني أيضًا عن صوفي آخر أنه كان كثير المجاهدات ... كان ينزل في سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان فلا يخرج منها إلا بعد العيد بستة أيام، وذلك بوضوء واحد من غير أكل^(٦).

(٨) وينقل عن آخر: أنه اعتزل الناس وجلس في الخلوة تحت الأرض سبع سنين^(٧).

(١) الشعراني: الطبقات الكبرى (١/ ٨٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الشعراني: الطبقات (١/ ٦٨).

(٤) انظر ما ذكره الشعراني: تنبيه المغترين ص (٨).

(٥) الشعراني: الطبقات (٢/ ١٣٥).

(٦) الشعراني: الطبقات الكبرى (٢/ ١٣٠).

(٧) المصدر السابق (٢/ ٩٠).

(٩) ويقول السهروردي: (فإذا تمت الأربعون زالت الحجب، وانصبت إليه العلوم والمعارف انصباباً... فالعبد بانقطاعه إلى الله تعالى واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده، ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم)^(١).

(١٠) وذكر الجامي عن الصوفي المشهور شمس الدين التبريزي أنه كان يمكث في خلوته ثلاثة شهور، لا يخرج منها أصلاً، كما أنه لم يكن يسمح أحداً بالدخول فيها^(٢).

فالحاصل: أن الصوفية قد زين لهم الشيطان العبادات البدعية، وبغض إليهم السبل الشرعية، وحب إليهم الخلوة والاعتزال ليحرموا ثواب الجمعة والجماعات، ولم يعرف الصوفية أنه لم يبق طريق إلى الله إلا باتباع محمد ﷺ وأصحابه، وأن هذه العزلة والوحدة والاستغناء عن الأهل والولد وذوي الرحم وأصحاب القربى والأصدقاء والأخلاء، لمن الأعمال المخالفة للشرعية الإسلامية والموجبة للحرمان عن أجر السعي إلى ذكر الله وأداء الجمعة والاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم والإصغاء إلى أحاديث الرسول ﷺ، كما أنها من الأعمال المسببة للحرمان عن أجر المصافحة ومعاشرة المسلمين بالبر والصلة وحسن الخلق وتشجيع الجنازة وعيادة المرضى وزيارة القبور زيارة شرعية، وخدمة الوالدين وغيرها من الخلق الحسن وفي كل ذلك أجور مذكورة في أحاديث كثيرة صحيحة مشهورة^(٣).

كما أن المتصوفة اتبعوا في ذلك سنن الديانة الهندوسية؛ حيث إننا نجد في الديانة الهندوسية التدين بالعزلة والانقطاع، فقد جاء في كتابهم مَنُو سْمَرْتِي:

(٦/٣٣): إذا قضى العابد هذا الدور (الدور الثالث) من الحياة، ولم يمت؛ فعليه أن يعيش زاهداً، في الدور الرابع، وأن يترك علاقاته الدنيوية، وكل مستلزماتها.

(١) عوارف المعارف، ص (٢٠٩).

(٢) الجامي: نفحات الأنس ص (٤٦٦).

(٣) انظر ما ذكره الشيخ إحسان إلهي ظهير: دراسات في التصوف ص (٩٠-٩١).

(٣٨ / ٦) وعلى العابد، ... أن يترك داره ويختار حياة الدور الرابع.

(٣٩ / ٦): ... ويترك داره ويختار الدور الرابع.

(٤١ / ٦): ... عليه أن يسرح ساكتاً صامتاً، من غير أن يحمل شيئاً...

(٤٢ / ٦): وعليه أن يسرح وحده، دائماً، من غير رفيق... وليعلم: بأن الوحدة هي

سبيل النجاة.

(٤٤ / ٦): إن من أمارات حصول الإنسان على النجاة؛ هي... أن يجعل مسكنه؛

أصول الأشجار، وأن يلبس أسماً بالية، وأن يعيش وحيداً، وبعيداً عن كل شيء...

(٥٢ / ٦): وعليه أن... يشذب لحيته، ويحمل: كشكولاً، وعصاً، ووعاء للماء،

ويسرح في أرض الله...

(٥٩ / ٦): عليه... أن يعيش بعيداً عن الناس.

(٨٠ / ٦): إذا أصبح المرء، ولا رابطة تربطه بشيء من هذا العالم؛ فإنه ينال السرور

الأبدي، في هذه الحالة، وفي الحياة الثانية.

(٨١ / ٦): إن من يترك - رويداً رويداً - كل الروابط والصلات، ويتجرد عن الميل

إلى الأضداد؛ فإنه يصبح برهمن.

(٩٦ / ٦): من ترك كل الطقوس، واتجه إلى نفسه، وابتعد عن المني، وهدم كل

ذنوبه، بتركه الدنيا؛ ينال أعالي النعيم.

هذه بعض النصوص الدالة على العزلة والانقطاع والخلوة لدى الهندوسية،

وفضلها، هذا، وقد قال الشيخ إحسان إلهي ظهير رَحِمَهُ اللهُ: «وأما هجر الأهل والأولاد،

والخروج إلى الغارات والجبال، والجلوس في البراري والحفرات والسراديب،

والمكوث مع الحيات والثعابين فليست منقولة إلا من الديانات الهندية التي عرفت

واشتهرت بمثل هذه الأمور»^(١).

(١) الشيخ إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصدر ص (١٠٢).

وقصة إبراهيم بن أدهم نقلها المستشرقون واستدل بها على أن أصل القصة منسوجة على نسج الديانة البوذية في بوذا، وأنهم استفادوا هذه الأشياء من الديانات الهندية^(١).

(١) انظر المصدر السابق.

المطلب الثامن

تعذيب النفس وتحمل المشاق والتجويع وإماتة الشهوات

إن هذا الدين يسرٌ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، ولم يجعل الله طرق ولايته إلا بأداء ما افترض عليه، ثم بالنوافل المشروعة، ولكن المتصوفة أبوا أن يكونوا سمحين، فاتبعوا سبلاً عديدة للحصول على ولاية الله، زاعمين أنها توصلهم إلى الفناء والاتحاد، وأن الرياضات والمجاهدات هي التي تؤهلهم لما يزعمونه من ولاية الله، فعذبوا أنفسهم وتحملوا المشاق وأجاعوا أنفسهم، وأماتوا شهواتهم، وفيما يلي بيان مختصر لبعض أعمالهم:

(١) كان أبو بكر الشبلي (في يده قضيب يضرب به فخذَه وساقه حتى تبدد لحمه وتناثر)^(١).

(٢) وكان الشبلي (يكتحل بالملح ليعتاد السهر ولا يأخذ النوم، وأحياناً كان يحمي الميل فيكتحل به)^(٢).

(٣) وينقل عن آخر^(٣): (كان طول نهاره وليله شاخصاً ببصره إلى السماء وقد

(١) نقله فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء ص (٣٠٥)، وانظر أيضاً ما نقله الشعراني: الطبقات الكبرى (١/٨٨).

(٢) انظر ما ذكره الطوسي: اللمع ص (٢٧٥)، والقشيري في الرسالة ص (١٦٠)، والعطار: تذكرة الأولياء ص (٣٠٥)، والغزالي: مكاشفة القلوب ص (٣٠)، والشعراني: الطبقات الكبرى (١/١٠٣).

(٣) هو البدوي.

انقلب سواد عينيه بجمرة تتوقد كالجمر، وكان يمكث الأربعين يوماً وأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام^(١).

(٤) وينقل عن صوفي آخر: (أنه ردد الذكر ستة أشهر حتى أحرق الذكر جسمه، وأذهب لحمه ودمه حتى صار مجرد الجلد على العظم)^(٢).

(٥) وينقل عن صوفي آخر (أنه رمى بنفسه في بداية مجاهدته من حلقة داره إلى أسفل تسعين مرة)^(٣).

(٦) وينقل عن آخر (أنه علق نفسه معكوسة في بئر، ولم يزل على هذه الحالة أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب شيئاً)^(٤).

(٧) ونقل الشعراني عن آخر (كان يطوي الأيام والليالي، ومكث أربعين سنة يأكل كل يوم زبيبة واحدة حتى لصق بطنه على ظهره)^(٥).

(٨) وينقل أيضاً عن آخر (مكث في الخلوة بغيظ خارج باب البحر أربعين سنة لا يأكل ولا يشرب، وباب الخلوة مسدود، وليس له إلا طاق يدخل منه الهواء...) ^(٦).

هذه بعض النماذج لما يمارس الصوفية من تعذيب النفس وتحمل المشاق والتجويع وإماتة الشهوات، وكتب القوم مشحونة بمثل هذه القصص والهديانات^(٧).

(١) الشعراني: الطبقات الكبرى (١/ ١٨٣).

(٢) نقله عبد الحليم محمود، صاحب الأزهر: سيدي أحمد الدردير: ص (٧٦) نقلاً عما ذكره الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله: التصوف المنشأ والمصدر ص (١١١).

(٣) الدباغ: الإبريز ص (١٠٥).

(٤) انظر ما نقله الشيخ إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصدر ص (١١٢)، عن فريد الدين گنج شکر الصوفي الهندي.

(٥) الشعراني: الطبقات الكبرى (٢/ ١٤٨).

(٦) الشعراني: الطبقات الكبرى (٢/ ٨٧)، و النبهاني: جامع كرامات الأولياء (٢/ ٤٦).

(٧) انظر ما نقله الشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص (٥٢٢، ٥٢٣، ٥٣٠، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٧٣، ٥٧٦).

ولاشك أن هذه الأمور من تعذيب النفس وتحمل المشاق والتجوع وإماتة الشهوات من صميم الرهينة الهندوسية، وقد سبق معنا الاستدلال عليها، ولا بأس أن أنقل هنا بعض المقتطفات منها لكي يظهر مدى تأثير المتصوفة بها، فقد جاء في مَنُوتِ سَمُوتِي:

(٩٣ / ٢): إن جذوة الشهوات؛ لا تطفأ، بالتمتع بالشهوات، بل تزداد اضطراباً، كما تضطرم النيران؛ بصب السمن عليها.

(٩٤ / ٢): إن تارك التمتع خير ممن يتمتع بها.

(١٠٧ / ٢): على من يدخل في الحياة الجديدة (طالب العلم)؛ أن يثابر على القيام بعبادة هوم، يومياً، وأن يشحذ غذاءه، وينام على الأرض، ويسعى إلى ما فيه خير أستاذه، حتى يرجع إلى أهله.

أي ينام على الأرض المجردة، من غير فراش، وكثير من الهندوس المتزمطين؛ لا ينامون، ولا في دورٍ من أدوار حياتهم؛ إلا على ألواح من الخشب من غير فراش، وذلك لتعذيب النفس وتهذيبها، ومحاربة الملاذ.

(١٧٤ / ٢): على التلميذ، الذي يعيش في دار أستاذه؛ أن يراعي الأمور التالية:

التغلب على حواسه؛ ليكون أهلاً للحصول على المراتب الروحية.

(١٧٦ / ٢): اجتناب العسل واللحم والعطر والطوق ولذيذ الأطعمة، والنساء، والأطعمة التي تتحول إلى مادة حامضة، واجتناب إيذاء الحيوانات الحية.

(١٧٧ / ٢): اجتناب ذلك البدن، والاكتحال، ولبس النعل، واستعمال المظلة، والشهوة الجنسية، والغضب، والحرص،

(٥٠ / ٣) من اجتناب زوجته، في الأيام الستة الممنوعة، وفي ثمانية أيام آخر غيرها، يكون له من الثواب، ما للتلميذ، ولو كان في أي دور من أدوار حياته.

وكانت الديانة الهندوسية أباحت أن يقترب الرجل زوجته؛ عشرة أيام في الشهر، ولكنها في هذه الفقرة نصحته باجتنابها ثمانية أيام، من أصل هذه العشرة، بحيث لم تبق

له من الشهر إلا يومين^(١).

(١٢٨/٤): على العامل أن يجتنب الجماع، يوم أول الشهر، والثامن من نصفي الشهر، ويوم البدر، واليوم الأخير من الشهر؛ حتى ولو وقعت هذه الأيام؛ في الأيام، التي يجوز للرجل فيها؛ أن يقترب من زوجته.

(٧/٥): عليه أن يجتنب أكل الأرز المسلوق مع السمسم، ويجتنب القمح الممزوج: بالسمن، واللبن، والسكر، والأرز، والحليب، ويجتنب حلوى الطحين، التي تصنع للتقدمة، ويجتنب اللحم، الذي لم يرش بالماء، ساعة قراءة العزائم، والطعام الذي قدم للآلهة، وطعام التقدّمات.

(٨/٥): وعليه أن يجتنب شرب لبن البقرة، وغيرها من أنثى الماشية، حتى اليوم العاشر من ولادتها، ولبن الناقة، وذات الحافر، والغنم والبقرة الحارة، والبقرة التي لا عجل وراءها.

(١٢/٥): وعليه أن يجتنب لحم العصفور الدوري، ولحم الأوز، ولحم الجمل، ودجاج القرية، والقلق، ... وناقر الخشب، والبيغاء والزرزور.

(١٣/٥): وأن يجتنب الطيور التي تقتات بمناقيرها، والطيور ذات الأرجل الغشائية... ويجتنب اللحم الذي يؤخذ من دار القصاب، واللحم المجفف.

(١٤/٥): وعليه أن يجتنب... كل أنواع الأسماك.

(١٥/٥) يجب اجتناب أكل السمك.

(٥٣/٥): إن من يضحي سنويًا بفرس (أشفا ميد السابق الذكر)، مدة مئة سنة، ومن يجتنب أكل اللحم البتة، لهما ثواب واحد.

(٥٤/٥): أن ما يحصل للمرء من ثواب، لعدم أكله اللحم بتاتًا؛ هو أعظم من ثواب من يعيش حياته على الفواكه والجذور، وعلى طعام الزهاد في الغابات.

(١) انظر تعليق الدكتور إحسان حقي: مُنُو سُمُرْتِي ص (١٣٤).

(١/٦): على المولودين ثانية، بعد أن يقضي دور العمل؛ أن يترك الدار ويذهب إلى الفلوات، وهو مستولٍ على حواسه، ويعمل هناك ما يلي:

(٢/٦): على العامل، حينما يرى: أن بشرته؛ أخذت تتجدد، والشيب قد لاح في رأسه، ويرى أحفاده من حوله؛ أن يترك الدار، ويقصد الفلوات.

(٣/٦): وعليه أن يترك، بعد ذلك كل طعام ينبت بالزرع، (أي: يأكل ما تنبت على الطبيعة لا ما يُزرع)، وكل ما يتعلق به، وأن يذهب إلى الفلوات، بعد أن يعهد بزوجه إلى ابنه، أو يأخذها معه.

(٦/٦): وعليه أن يرتدي جلدًا، أو أسمالًا، ... وأن يترك شعر رأسه غدائر، وأن يعفي لحيته وشاربه، ولا يقلم أظفاره.

(١٤/٦) وعليه أن يجتنب: العسل واللحم، والفظور النابتة فوق الأرض، أو في أي مكان كان...

(١٦/٦): وعليه ألا يأكل شيئًا، تنب في حقل، ولو كان ملقى بعيدًا عنه، ولا يأكل الجذور، والفواكه، التي تنبت في القرى، ولو عضّه الجوع بنابه.

(١٩/٦): ولا حرج عليه ... أن يأكل نهارًا فقط، أو ليلاً فقط، أو أن يأكل مرة واحدة، بعد كل يومين، أو بعد كل ثلاثة أيام.

(٢٠/٦): ... أو أن يكتفي بأكلة واحدة بعد كل نصف شهر...

(٢٢/٦): وعليه أن يقضي يومه، راکضًا من مكان إلى آخر، أو أن يقف على أخمص قدميه، أو أن يقف تارة، ويجلس أخرى...

(٢٣/٦): أن يقف تحت السماء مباشرة، عند هطول الأمطار، وأن يلبس ثيابًا مبلولةً في الشتاء، وبالتالي؛ أن يعود نفسه احتمال الشدائد، بكل أنواعها.

(٢٤/٦) ... وعليه أن يعود نفسه على العبادات الشاقة، وأن يضمّر جسده.

هذه عقائد الهندوس، وما سبق معنا عقائد المتصوفة، ويدرك العاقل مدى تشابه بعضهم ببعض، والمعروف أن المتأخر يأخذ من المتقدم.

المطلب التاسع

ترك التكسب والاتكال على الناس

إن التسول وترك التكسب الشرعي والاتكال على الناس في المعيشة من أهم خصائص المتصوفة، وكتب المتصوفة مشحونة بذكر حكاياتهم المتعلقة في هذا، وفيما يلي نقل لبعضها:

- (١) يقول الطوسي: (الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى)^(١).
- (٢) وقال: (وكان بعض الصوفية ببغداد لا يكاد يأكل شيئاً إلا بذلّ السؤال)^(٢).
- (٣) ونقل السهروردي عن إبراهيم بن أدهم أنه (كان معتكفاً بجامع البصرة مدة، وكان يفطر في كل ثلاث ليال ليلاً، وليلة إفطاره يطلب من الأبواب)^(٣).
- (٤) وذكر عن النوري: أنه كان يمد يده ويسأل الناس^(٤).
- (٥) وكان أبي سعيد الخراز يمد يده ويقول: ثم شيء لله^(٥).
- (٦) وذكر الشعراني صوفياً ثم قال: (كان طريقته التجريد، وأن يخرج كل يوم من الزاوية فقيراً يسأل الناس إلى آخر النهار فمهما أتى به هو يكون قوت الفقراء ذلك النهار كائنًا ما كان)^(٦).

(١) الطوسي: اللمع ص (٢٥٥).

(٢) المصدر السابق ص (٢٥٣).

(٣) السهروردي: عوارف المعارف ص (١٥٠). والنفري الرندي: غيث المواهب العلية (٦٦/٢).

(٤) السهروردي: عوارف المعارف ص (١٥٧).

(٥) النفري الرندي: غيث المواهب (٦٥/٢).

(٦) الشعراني: طبقات الكبرى (٦٦/٢، ٦٧).

(٧) وذكر أيضًا صوفيًا آخر وقال: (وكان من عادته أنه يأمر مريديه بالشحاة على الأبواب دائمًا في بلده)^(١).

(٨) وقال أبو طالب المكي، والغزالي: (قد يفضل التارك للتكسب شغلًا بالعبادة، عن المتكسب، من حيث فضل المتقدمون الزاهدون في الدنيا على كاسب المال حلالًا ومنفقة في سبيل الله)^(٢).

(٩) وينقلان أيضًا: (حكى أن بعض العلماء صلى خلف رجل، فلما انفتل الإمام، نظر إليه في زي غير مكتسب، فقال: يا شيخ، من أين تأكل؟ فقال: اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك!)^(٣).

(١٠) وقال الغزالي: (من طعن على التكسب فقد طعن على السنة، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد)^(٤).

هذه بعض النماذج من أعمال وأقوال المتصوفة في التسول وترك الاكتساب والاتكال على الناس، ولاشك أن التسول والاستجداء والوقوف على أبواب الناس، وحمل المخلاة والكشكول من لوازم الرهبنة الهندوسية، وقد سبق معنا ذكر الأدلة على ذلك، وفيما يلي نقل مقتضب من هناك ليتضح مدى تأثير المتصوفة بالهندوسية:

جاء في مُنْوَ سُمَرْتِي، الباب الثاني:

٤٧- على التلميذ - بعد أن يأخذ عصاه - أن يعبد الشمس ثم ليطف بالنار، ثم ليخرج للسؤال، وفاقًا للطرق المشروعة.

٥٠- بعد أن يقدم التلميذ إلى أستاذه، كل ما جمعه في يومه، من غير أن يغلّ منه شيئًا؛ يطهر نفسه، ... ثم يأكل.

(١) الشعراني: الطبقات الكبرى (١٣٦/٢)، والنبهاني: جامع كرامات الأولياء (٢٩٦/١)، (٢٩٧).

(٢) قوت القلوب (٢/٢٩)، وإحياء علوم الدين (٤/٢٣٢).

(٣) قوت القلوب (٢/١٥)، وإحياء علوم الدين (٤/٢٣٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٤/٢٣٢).

١٨٢- على التلميذ: أن يسأل الصدقات، من الصلحاء....

١٨٣- ولا يسأل صدقة؛ من أسرة أستاذه...

١٨٥- وعليه متى رجع من سؤاله، صباحًا ومساءً أن يضع ما قد جمعه على الأرض أينما شاء،...

١٨٦- إن من يترك الشحاذة، سبعة أيام متواليات، من غير عذر، ... يعدم ثواب التلمذة...

١٨٧- على التلميذ أن يشحذ ويأكل، ولكن عليه ألا يشحذ من دار واحدة، دائمًا، إن ثواب الأكل من الشحاذة كثواب الصيام.

هذا كله للمتسول المبتدئ، المعروف بالتلميذ.

أما في حياة العبادة والزهد، فطريقة التسول تختلف نوعًا ما، كما جاء في كتاب مُنُو سُمَرْتِي، الباب السادس:

٥٥- وعليه أن يسأل: مرة واحدة، في اليوم. وألا يطمع في الحصول على مقدار كبير من الطعام؛...

٥٦- وعلى الزاهد أن يذهب للسؤال؛ حينما لا يرى دُخانًا، صاعدًا من المطبخ، ولا يسمع صوت جرن، ويعلم أن النار؛ قد أطفئت، وأن الناس؛ قد فرغوا من طعامهم، وأن فضلات الطعام؛ قد أزيلت عن المواعين.

٥٧- وعليه ألا يغضب؛ حينما لا ينال شيئًا، ولا يفرح؛ حينما يحصل على شيء، وعليه أن يقبل ما يقيم حياته، ويكون قوتًا له، ولا ينظر إلى نوع الطعام وكيفيته. ومن هنا يظهر لنا مدى تأثير المتصوفة بالديانة الهندوسية.

الفصل الثاني

الرافضة وتأثرهم بالهندوسية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول

التعريف بالرافضة ونشأتها

التعريف بالرافضة:

الرافضة من الرفض، لها معنيان:

الأول: الترك كما يقال: رفضني فرفضته وهو مرفوض^(١).

الثاني: التفرق، ومنه قول العرب: رَفَضْتُ الْإِبِلَ إِذَا تَفَرَّقَتْ^(٢).

فالكلمة دارت في اللغة بين معنيين: الترك، والتفرق، وكلاهما مذموم في الشرع.

وفي الاصطلاح: تطلق على طائفة من طوائف الشيعة^(٣)، وقد خصت بتلك الطائفة

ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن

(١) انظر ما ذكره الأزهر في تهذيب اللغة (١٢ / ١٥)، وابن فارس: معجم مقاييس اللغة (٢ / ٤٢٢)،

والفيروزآبادي: قاموس المحيط ص (٨٢٩)، والزيدي: تاج العروس (١٨ / ٣٤٩).

(٢) انظر ما ذكره الأزهر في تهذيب اللغة (١٢ / ١٧)، وابن منظور: لسان العرب (٥ / ٢٦٨)،

والزيدي: تاج العروس (١٨ / ٣٥٤).

(٣) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً ؑ وقدموه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ. انظر ما ذكره

الأشعري: مقالات الإسلاميين (١ / ٦٥).

الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ^(١). ويعرفون كذلك بالإمامية^(٢).

نشأة الرافضة:

نشأ مسمى الرافضة في زمان زيد بن علي^(٣)؛ لتركهم إياه لما لم يوافقهم على هواهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما لفظ (الرافضة) فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام، لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك^(٤)، واتبعه الشيعة، فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهاما وترحم عليهما، فرفضه قوم: فقال: رفضتموني رفضتموني، فسموا الرافضة... ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية^(٥) ورافضة إمامية^(٦)^(٧).

(١) منقول مما ذكره الدكتور غالب بن علي العواجي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، وبيان موقف الإسلام منها (١/١٦٣).

(٢) انظر ما ذكره الأشعري: مقالات الإسلاميين (١/٨٩).

(٣) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسين المدني، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك، فقتل بالكوفة سنة ١٢٢هـ، وهو الذي ينسب إليه الزيدية، قال الحافظ: «ثقة». انظر ما ذكره ابن حجر في تقريب التهذيب ص (٣٥٥).

(٤) هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد القرشي الأموي، بويح له بالخلافة بعد أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ، وكان ذكياً مدبراً، توفي سنة ١٢٥هـ. انظر ما ذكره ابن كثير: البداية والنهاية (١٣/١٥١-١٥٩).

(٥) الزيدية نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب t، وهم يرون أن الإمامة في أولاد فاطمة سواء من ولد الحسن أو الحسين، ويرون صحة إمامة الشيخين اعتقادهم صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وقد تتلمذ زيد على واصل بن عطاء المعتزلي، فلهذا صارت الزيدية معتزلة في الأصول. انظر ما ذكره الشهرستاني: الملل والنحل (١/١٥٣-١٥٦).

(٦) ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/٣٥-٣٦)، وانظر كل ما ذكره الأشعري: مقالات الإسلاميين (١/١٣٧)، والرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركون ص (٧٧)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/١٥٥)، وابن الجوزي: تليس إبليس ص (١١٩)، وابن تيمية: منهاج السنة (١/٣٤-٣٥)، و(٢/٩٦)، (٣/٤٧٢)، والمزي: تهذيب الكمال (١٠/٩٧)، والذهبي: سير أعلام النبلاء (٥/٣٩٠)، وابن كثير: البداية والنهاية (٩/٣٣٠).

(٧) وقد وجد هناك عدة أقوال في سبب تسميتهم بالرافضة غير ما ذكر، فقد قيل: إنهم سموا =

أما الرافضة الذين انحرفوا عن السنة فقد كان لهم وجود قبل الاتصال بزيد، وكانت عقيدتهم هي الرفض، ولهذا طلبوا من زيد أن يوافقهم على أهوائهم، ويتبرأ من الشيخين فخيّب آمالهم وانفصلوا عنه^(١).

والمقصود بالرافضة هنا: كل طوائف الشيعة الذين رأوا: أن عليًا وأبناءه لهم الأحقية في الخلافة، ولم يعترفوا بصحة خلافة الشيخين، وأول هذه الطائفة دخولًا: طائفة الإمامية الاثنى عشرية^(٢).



= بالرافضة؛ لرفضهم الحق، كما نقله القاضي عياض عن الإمام مالك في ترتيب المدارك (١/١٧٧)، وقيل: لرفضهم إمامة الشيخين. كما نقله الأشعري في مقالات الإسلاميين (١/٨٩)، وابن تيمية: مجموع الفتاوى (٤/٤٣٥)، وهذان القولان لا يخالفان القول الأول، وقيل: سميت بالرافضة؛ لرفضهم الدين. انظر السنة لابن أبي عاصم (٢/٦٧٢ - ٦٧٤)، فقد ذكر بأسانيد وهي ضعيفة كلها.

(١) انظر ما ذكره الدكتور غالب بن علي العواجي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (١/١٦٤).

(٢) فيدخل في ذلك كل طوائف الشيعة غير الزيدية.

المبحث الثاني

أسماء الرافضة وفرقها

من الملاحظ: أن طائفة الرافضة تجمع وتستوعب بصفة عامة جل الآراء والعقائد التي قالت بها الفرق الشيعية الأخرى.

فالفرق الغالية الأخرى التي يذكرها أصحاب كتب الملل والنحل لم تفن بل إن أكثرها باق لدى الرافضة. وهي أكبر الطوائف اليوم، كما كانت تمثل أكثرية الشيعة وجمهورها في بعض فترات التاريخ. فقد وصفهم طائفة من علماء الفرق بـ «جمهور الشيعة»^(١).

هؤلاء الرافضة تفرقت إلى أقسام كثيرة لم يتفق العلماء على عددها، ولا على اعتبار من هم الأصول ومن هم الفروع منهم، ولكن يجمعهم معتقد واحد على الأقل وهو الإمامة وأحقية علي بها وأولاده من بعده ورفض من عداهم، ولهذه الفرق أسماء عديدة منها:

□ الرافضة:

وقد سبق معنا بيان وجه تسميتها.

□ الإمامية:

وهم القائلون بوجوب الإمامة، والعصمة، ووجوب النص، وإنما حصل لهم هذا

(١) انظر ما ذكره الأشعري : مقالات الإسلاميين (٩٠/١)، والمسعودي : مروج الذهب

(٤/١٩٩)، وعبد الجبار الهمداني : المغني (٢/١٧٦)، وابن حزم: الفصل (٥/٣٨)،

٤/١٥٨)، ونشواني الحميري: الحور العين ص (١٦٦).

الاسم في الأصل لجمعها في المقالة هذه الأصول، فكل من جمعها فهو إمامي وإن ضم إليها حقاً في المذهب كان أم باطلاً.

□ الشيعة:

هذا اللقب لقبوا بها لأنهم يتشيعون لعلي عليه السلام وآل بيته دون بقية الصحابة، وهذا اللقب في الأصل يطلق على فرق الشيعة كلها، ولكن هذا المصطلح اليوم إذا أطلق لا ينصرف إلا إلى الطائفة الإمامية.

□ الاثنا عشرية^(١):

قال الرافضي المعاصر محمد جواد مغنية: الاثنا عشرية نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشر إماماً تعيينهم بأسمائهم.

□ القطعية:

ويسمون بالقطعية؛ لأنهم قطعوا على موت موسى بن جعفر الصادق^(٢)، وهذا ما تذهب إليه الاثنا عشرية.

□ أصحاب الانتظار:

يلقب الرازي الإمامية الاثني عشرية بأصحاب الانتظار، وذلك لأنهم يقولون بأن الإمام بعد الحسن العسكري ولده محمد بن الحسن العسكري وهو غائب وسيحضر..

(١) هذا المصطلح لا نجده في كتب الفرق والمقالات المتقدمة، فلم يذكره القمي (ت ٢٩٩هـ) أو (٣٠١هـ) في «المقالات والفرق»، ولا النوبختي (ت ٣١٠هـ) في «فرق الشيعة»، ولا الأشعري (ت ٣٣٠هـ) في «مقالات الإسلاميين». ولعل أول من ذكره المسعودي التنبيه والإشراف: ص ١٩٨. (ت ٣٤٩هـ) (من الشيعة).

أما من غير الشيعة فلعله عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) حيث ذكر أنهم سمو بالاثني عشرية لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام «الفرق بين الفرق: ص ٦٤».

(٢) انظر: القمي: المقالات والفرق: ص ٨٩، الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١/ ٩٠، عبد الجبار الهمداني: المغني ج ٢٠، القسم الثاني ص ١٧٦، المسعودي: مروج الذهب: ٣/ ٢٢١.

ويقول: وهذا المذهب هو الذي عليه إمامية زماننا^(١).

□ الجعفرية:

وتسمى الإمامية الاثنا عشرية بالجعفرية نسبة إلى جعفر الصادق إمامهم السادس.

□ الخاصة:

وهو لقب يطلقه شيوخ الشيعة على طائفتهم، ويلقبون أهل السنة والجماعة بالعامية.

□ فرق الاثني عشرية:

انبتق من الاثني عشرية فرق كثيرة، يقول الأستاذ محمود الملاح وهو من المعنيين

بتتبع هذه الفرقة: «وفي عصرنا هذا نجد الاثني عشرية منقسمة إلى عدة فرق منها:

(١) الأخباريون:

وهم يمنعون الاجتهاد، ويعملون بأخبارهم، ويرون أن ما في كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة^(٢) كلها صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة، ويقتصرون على الكتاب والخبر، ولذلك عرفوا بالأخبارية نسبة إلى الأخبار وينكرون الإجماع (ودليل العقل)^(٣)، ولا يرون حاجة إلى تعلم أصول الفقه، ولا يرون صحته.

والصحيح: أن الأخباريين لا يعتمدون في الأدلة الشرعية إلا على أخبار الشيعة فقط، ويقبلونها على علاتها بلا تفريق بين صحيحها وسقيمها.

٢- الأصوليون أو المجتهدون:

وهم القائلون بالاجتهاد، وبأن أدلة الأحكام: الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل، ولا يحكمون بصحة كل ما في الكتب الأربعة. ويمثلون الأكثرية^(٤).

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين: ص ٨٤-٨٥.

(٢) وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه.

(٣) انظر: العقل عند الشيعة الإمامية: رشدي عليان.

(٤) انظر: حسن الأمين: دائرة المعارف: ص ١٠٧، عز الدين: بحر العلوم: التقليد في الشريعة: ص

٩٢، فرج العمران: الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة: ص ١٩.

أما بداية افتراق الاثني عشرية إلى: أصولية، وأخبارية فقد قيل: إن شيخهم «محمد أمين الاسترابادي» (المتوفى سنة ١٠٣٣هـ) «هو أول من فتح باب الطعن على المجتهدين، وتقسيم الفرقة.. إلى أخباري ومجتهد»^(١).

وقد جرى بين هاتين الفرقتين ردود ومنازعات وتكفير وتشنيع حتى إن بعضهم يفتي بتحريم الصلاة خلف البعض الآخر.

(٣) شيخية:

وقد يقال لها: الأحمدية، وهم أتباع الشيخ أحمد الإحسائي (المولود سنة ١١٦٦هـ، والمتوفى سنة ١٢٤١هـ). وهو من شيوخ الاثني عشرية.

(٤) كشفية:

هم أصحاب كاظم بن قاسم الرشتي (المتوفى سنة ١٢٥٩هـ) تلميذ الإحسائي (مؤسس الشيخية) والقائم مقامه من بعده، والآخذ بنهجه مع زيادة في الغلو والتطرف، وسيمت بالكشفية لما ينسب إلى زعيمها من الكشف والإلهام.

(٥) ركنية:

وهم أتباع مرزا محمد كريم بن إبراهيم خان الكرمانلي، من تلامذه الرشتي وعلى مذهبه، سميت بذلك؛ لقولها بالركن والشيعي الكامل، واعتباره من أصول الدين والمتمثل في شخص زعيمهم، ومنهم من يعتبر الركنية والكشفية من ألقاب الشيخية والجميع فرقة واحدة^(٢).



(١) لؤلؤة البحرين: ص ١١٧، ومنهم من يذكر أنه أقدم من ذلك وأن الاسترابادي هو الذي جده

انظر: الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة: ص ٤.

(٢) انظر ما ذكره الدكتور ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية الإمامية، ص

..(١١٢).

المبحث الثالث

نماذج من انحرافات الرافضة

المستمدة من الهندوسية

وفيه مقدمة وخمسة مطالب

مقدمة : استمداد الرافضة بعض مبادئها من الوثنيات القديمة

اختلف أنظار العلماء والباحثين في مرجع الأصول العقدية للشيعة؛ فمن قائل بأنها ترجع لأصل يهودي، ومن قائل بأنها ترجع لأصل فارسي، ومن قائل بأن المذهب الشيعي كان مباءة للعقائد الآسيوية القديمة كالهندوسية والبوذية وغيرها: القول بالأصل اليهودي:

من الباحثين من يرى أن أصل التشيع ذو صبغة يهودية وذلك باعتبارين:

الأول: أن ابن سبأ^(١) كان أول من قال بالنص والوصية، والرجعة، وابن سبأ يهودي^(٢).

- (١) عبد الله بن سبأ، أصله من اليمن وكان يهوديًا يتظاهر بالإسلام، رحل لنشر فتنه إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته. قال ابن حجر: «عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل، أحسب أن عليًا حرقه بالنار» اهـ. وقد تكاثر ذكر أخبار فتنته وشذوذه وسعيه في التآمر هو وطائفته في كتب الفرق والرجال والتاريخ وغيرها من مصادر السنة والشيعة جميعًا. انظر في ذلك: الملطي / التنبيه والرد ص: ١٨، الأشعري / مقالات الإسلاميين: ١/ ٨٦، البغدادي / الفرق بين الفرق ص: ٢٣٣، الشهرستاني / الملل والنحل: ١/ ١٧٤، الإسفراييني / التبصير في الدين ص: ٧١-٧٢.
- (٢) انظر ما ذكره القمي: المقالات والفرق ص: (٢٠) والنوبختي: فرق الشيعة ص (٢٢).

الثاني: وجود تشابه في الأصول الفكرية بين اليهود والشيعة^(١).

القول بالأصل الفارسي (فارسية التشيع):

يقرر بعض الباحثين أن التشيع نزعة فارسية، وذلك لعدة اعتبارات:

الأول: أن الفرس كانت من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسهم بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً، تعاضمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى^(٢).

الثاني: اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته^(٣). وكثير من الفرس دخلوا في الإسلام ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالاً، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة إلى علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين.

الثالث: حينما فتح المسلمون بلاد الفرس تزوج الحسين بن علي عليه السلام ابنة يزيدجرد أحد ملوك إيران، بعدما جاءت مع الأسرى فولدت له علي بن الحسين، وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، ورأوا أن الدم الذي يجري في عرق علي بن الحسين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه ابنة يزيدجرد والذي من هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم^(٤).

(١) من هؤلاء الأستاذ أحمد أمين، انظر: فجر الإسلام ص: ٢٧٦، وجولد تسيهر، انظر: العقيدة والشريعة ص (٢١٥).

(٢) انظر ما ذكره ابن حزم: الفصل (٢/٢٧٣)، والمقريزي: الخطط (٢/٣٦٢).

(٣) انظر: محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية: ١/٣٧، أحمد أمين: فجر الإسلام: ص ٢٧٧، عرفان عبد الحميد: دراسات في الفرق: ٢٣.

(٤) انظر في أن أم علي بن الحسين هي ابنة يزيدجرد: عبد الله الغريب: وجاء دور المحبوس: ص ٧٧، النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١١/٢).

الرابع: تلمح الأصل الفارسي أيضًا في روايات عديدة عند الاثني عشرية، تفرد سلمان الفارسي عليه السلام بخصائص وصفات فوق مرتبة البشر.

بل نلاحظ أن هناك اتجاهًا داخل الدوائر الشيعية لتعظيم بعض العناصر الفارسية التي شاركت في التآمر والكيد ضد دولة الخلافة الراشدة وهو أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي قاتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب عليه السلام، فقد أطلق عليه عندهم «بابا شجاع الدين»، واعتبروا يوم مقتل عمر عليه السلام بيد هذا المجوسي عيدًا من أعيادهم^(١)، كما يعظمون يوم النيروز، كفعل المجوس^(٢)، وقد اعترفت أخبارهم بأن يوم النيروز من أعياد الفرس^(٣).

القول بأن المذهب الشيعي مباءة للعقائد الآسيوية القديمة:

ويضيف البعض أن المذهب الشيعي كان مباءة ومستقرًا للعقائد الآسيوية القديمة كالهندوسية والبوذية وغيرها^(٤).

يقول الأستاذ أحمد أمين: «وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح، وتجسيم الله^(٥)، والحلول ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة

(١) انظر: الأنوار النعمانية (١/١٠٨).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار، باب عمل يوم النيروز: ٤١٩/٩٨، وانظر: وسائل الشيعية، باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب: ٣٤٦/٧.

(٣) انظر بحار الأنوار (٤٨/١٠٨).

(٤) انظر ما ذكره أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية (١/٣٧). فأبو زهرة وإن لم يذكر الهندوسية إلا أنه لما ذكر البوذية دخلت الهندوسية أمها بالأولى.

(٥) المقصود وصف الله جل شأنه بصفات المخلوقين، وقد وجد هذا عند طوائف من الشيعة كالهشامية أتباع هشام بن الحكم وغيرها - كما سيأتي - أما لفظ الجسم فإن للناس فيه أقوالاً متعددة اصطلاحاً غير معناه اللغوي.

انظر في ذلك: ابن تيمية: التدمرية: ص ٣٢-٣٣ (ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام - ج ٣) منهاج السنة: ٩٧/٢ وما بعدها، ١٤٥/٢ وما بعدها، درء تعارض العقل والنقل: ١١٨/١-١١٩.

والمجوس^(١) قبل الإسلام^(٢).

ويشير بعض المستشرقين إلى تسرب الكثير من العقائد غير الإسلامية إلى الشيعة ويقول: «إن تلك العقائد انتقلت إليها من المجوسية، والمانوية^(٣)، والبوذية وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في آسيا قبل ظهور الإسلام»^(٤).

عرفنا من هذا البيان: أن تأثير الرافضة بالمذاهب الهندوسية ليس ببعيد، وذلك؛ لما يأتي:

١) اتحاد العرق بين الإيرانيين والهنود البراهمة:

وذلك أن كلاّ منهما أمتان آريتان، فالرافضة مهدها إيران، ومنه انتشر إلى جميع بلدان العالم، وهم آرية، كما أن البراهمة آرية، فلهم ثقافات وعادات وتقاليد وعقائد مشتركة، تختلف من زمان إلى زمان في بعض مكوناتها، ولكنها تبقى موحدة في أصلها، فقد كانت الجنس الآري وعقائدها متغلغلة على كثير من الفرس حتى بعد إسلامهم، فلم يتركوا ما كانوا عليه من العقائد والأحكام والتقاليد، كما صرح بذلك كثير من المحققين.

(١) المجوس: هم عبدة النار، ويقولون بأصلين؛ أحدهما: النور، والآخر: الظلمة. والنور أزلي، والظلمة محدثة. ومساائل المجوس كلها تدور على قاعدتين، إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً. انظر ما ذكره الشهرستاني: الملل والنحل (١/٢٣٢)، وما بعدها، والرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (١٣٤).

(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام: ص (٢٧٧).

(٣) المانوية: أصحاب ماني بن فاتك، كان في الأصل مجوسياً، ثم أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وقد خالفته المجوس وسعت في قتله، حتى قتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى - ﷺ - وبقي مذهبه في أتباعه. والمانوية يقولون بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما، وأن النور خير من الظلمة وهو الإله المحمود.

انظر: الملل والنحل: ١/٢٤٤ وما بعدها، المنية والأمل: ص ٦٠، شرح الطحاوية: ص ١٨، الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص (١٣٨).

(٤) فلوتن: السيادة العربية: ص ٨٣-٨٤.

يقول أحد أئمتهم: «إن الصدمات التي واجهها كل من شعبي إيران والروم الكبيرين نتيجة لحملات المسلمين و المعاملة التي تلقوها من الأعراب، البدائيين الذين لا علم لهم بروح الإسلام العظيمة، أورثت في نفوسهم نزعة صدود عن العرب، وشرية العرب، فطبيعة سكان البادية الأوباش الخشنة، وذلك الخراب و الدمار اللذين ألحقوهما بالمدن الجميلة، و الأراضي العامرة، في الشرق و الغرب، و غارات عباد الشهوات العطاشى إلى عفة و ناموس الدولتين الملكية و الإمبراطورية... الخ»^(١).

وإذا ثبت أن من أصول الرفض والتشيع هو الانتساب إلى الفرس والاعتزاز بالقومية الآرية، فهؤلاء والبراهمة في الهند عقيدتهم كانت موحدة إلى حد كبير قبل الإسلام، فدخول عقيدة البراهمة على الرفض أمر لا يحتاج إلى كثرة بيان.

(٢) ثم إن المتكلمين - الجهمية والمعتزلة - كانت لهم حوارات وجولات وصولات مع البراهمة والبوذية^(٢)، وقد سبق معنا تأثر أهل الكلام بالسمنية، والذي يسميه شيخ الإسلام بالبراهمة السمنية^(٣) وتأثرهم البالغ بالبراهمة السمنية غير هؤلاء المتكلمون كثيراً من العقائد المتعلقة بالرب والربوبية والإله والألوهية، والبعث واليوم الآخر، حيث دخل فيهم كثير من الفلسفات الوثنية، ومعلوم أن أساتذة الرفض الأوائل هم المتكلمون، فقد كان يعقد معهم مناظرات في البداية، ثم نبئت من الرفض أساتذة متكلمة، تأثروا بهم في كثير من القضايا العقدية^(٤)، ومن هنا انتقلت عقائد البراهمة إلى الرفض.

(١) انظر ما ذكره ميزرا حسن الإحقاقي: رسالة الإيمان ص (٣٢٣).

(٢) انظر نقض التأسيس - المطبوع (١/٣٢٤، ٣٢٥).

(٣) انظر نقض تأسيس الجهمية - مطبوع (١/٣١٨).

(٤) وخير ما كتب في هذا الموضوع رسالة الدكتور عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي: تأثر

المعتزلة في الخوارج والشيعة، رسالة ماجستير، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وقد طبع الكتاب من دار الأندلس الخضراء الطبعة الاولى،

(٣) إن الهندوسية مَرَّت إلى المتصوفة عن طريق إيران برًّا وعن طريق البصرة بحرًا، وهما من مناطق الشيعة.

(٤) إن الرافضة يوجد لديها جميع أنواع العقائد الفاسدة التي تجمع عقائد اليهود، وعقائد الهندوس، وعقائد الفارسية القديمة.

ويذكر صاحب مختصر التحفة: «أن مذهب الشيعة له مشابهة تامة مع فرق اليهود والنصارى والمشركين والمجوس»، ثم يذكر وجه شبه المذهب الشيعي بكل طائفة من هذه الطوائف^(١)، ويذكر البعض أنه تتبع مذاهب الشيعة فوجد عندها كل المذاهب والأديان التي جاء الإسلام لمحاربتها^{(٢) (٣)}.

هذه بعض ما يظهر لدي من أسباب تأثر الرافضة بالهندوسية، وسيوضح ذلك أكثر عند مقارنة بعض عقائد الرافضة مع عقائد الهندوس، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

(١) انظر: مختصر التحفة ص ٢٩٨ وما بعدها.

(٢) انظر: بركات عبد الفتاح: الوحدانية: ص ١٢٥.

(٣) انظر ما ذكره الدكتور ناصر القفاري: أصول المذهب الشيعة الاثني عشرية ص (٨٢-٨٩).

المطلب الأول

عقيدة الحلول والاتحاد لدى الرافضة

ومقارنتها بما لدى الهندوس

الحلول والاتحاد عقيدتان مشهورتان عن غلاة الرافضة، حيث ضلوا في باب الربوبية، واعتقدوا الحلول والاتحاد في أئمتهم، فمن ذلك ما جاء في بعض رواياتهم على لسان بعض هؤلاء الأئمة: «ولكن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته»^(١).

يقول البغدادي^(٢): «وأول من قال بهذه الضلالة السبائية»^(٣) من الرافضة لدعواهم أن عليًا صار إلهاً حين حلّ روح الإله فيه»^(٤). وقال أيضًا: «الحلولية في الجملة عشرة فرق كلها كانت في دولة الإسلام وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع، وتفصيل فرقها في الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض»^(٥).

(١) الكليني: أصول الكافي (٤٣/١).

(٢) هو عبد القاهر بن طاهر التميمي، البغدادي، الشافعي - أبو منصور - فقيه أصولي، متكلم أديب، مشارك في أنواع من العلوم، درّس في سبعة عشر علمًا. توفي سنة ٤٢٩ هـ. انظر ما ذكره عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين (٣٠٩/٥).

(٣) السبائية: من غلاة الروافض، قال الرازي في اعتقادات الفرق ص (٨٦): أتباع عبد الله بن سبأ، وكان يزعم أن عليًا هو الله تعالى، وقد أحرق علي t منهم جماعة، قلت: ويعرفون أيضًا بالسبئية. انظر ما ذكره النوبختي: فرق الشيعة ص (٢٢)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/١٧٧)، وأما الأشعري فجعل السبائية فرقة أخرى مستقلة - كما في المقالات (١/١١١)، وزعم أنهم أتباع رجل يدعى «عبد الرحمن بن سبابة» والله أعلم.

(٤) البغدادي: الفرق بين الفرق ص (٢٥٤).

(٥) الفرق بين الفرق ص (٢٤١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «... وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الأمة، كغالية الرافضة الذين يقولون: إنه حلّ بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته»^(١).

ويقول الرازي^(٢): «... الحلولية، وهم طائفة من هؤلاء القوم الذين ذكرناهم يرون في أنفسهم أحوالاً عجيبةً وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول والاتحاد فيدعون دعاوى عظيمة. وأول من أظهر هذه المقالة في الإسلام: الروافض؛ فإنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم»^(٣).

ومن مظاهر ذلك لدى الرافضة الاثني عشرية الإمامية: ادعاءهم أن هناك جزءاً إلهياً حل في الأئمة: حيث ترد عندهم روايات تدعي بأن جزءاً من النور الإلهي حل بعلي. قال أبو عبد الله: «ثم مسحنا بيمينه فأضحى نوره فينا»^(٤).. ولكن الله خلطنا بنفسه..»^(٥) كانوا قبل خلق الخلق أنواراً.

وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة - كما يزعمون - أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة - وتبلغ مئات الروايات - يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين - تعالى الله وتقدس عما يقولون - في الإحياء والإماتة والخلق والرزق^(٦).

(١) ابن تيمية: مجموع فتاوى (١٧١/٢).

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر، عالم زمانه في المعقول وعلوم الأوائل، قرشي النسب، أصله من طبرستان، يقال له: ابن خطيب الري، كان أشعرياً منافحاً عنها، مع جمعه للفلسفة والعقلانية، قدم العقل على النقل وقعد لذلك، توفي سنة ٦٠٦ هـ. من آثار الكثيرة تفسيره الكبير، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين. انظر ما ذكره الزركلي في الأعلام (٣١٣/٦).

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين ص (١١٦).

(٤) أصول الكافي: (٤٤٠/١)، وبحار الأنوار: ١/٤٤١-٤٤٢..

(٥) أصول الكافي: (٤٣٥/١)..

(٦) انظر: بحار الأنوار، باب جوامع معجزاته (يعنون علياً): ٤٢/١٧-٥٠، وفيه ١٧ رواية، وباب =

ويذكرون أن عليًّا يُحيي الموتى. جاء في الكافي عن أبي عبد الله قال: «إن أمير المؤمنين له خؤولة في بني مخزوم وإن شابًا منهم أتاه فقال: يا خالي إن أخي مات وقد حزننا عليه حزنًا شديدًا، قال: فقال: تشتهي أن تراه؟ قال: بلى، قال: فأرني قبره، قال: فخرج ومعه بردة رسول الله متّزًا بها، فلما انتهى إلى القبر تلمّمت شفتاه ثم ركضه برجله فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلى، ولكننا متنا على سنة فلان وفلان (أي أبو بكر وعمر) فانقلبت ألسنتنا»^(١).

ويَدْعُونَ أن عليًّا أحيّا موتى مقبرة الجبّانة بأجمعهم^(٢)، وضرب الحجر فخرجت منه مائة ناقة^(٣).

وينقلون عن سلمان رضي الله عنه - زورًا - أنه قال: «لو أقسم أبو الحسن على الله أن يحيي الأولين والآخرين لأحياهم»^(٤).

وهذه المقالة التي عرضت لبعض شواهدا عندهم والتي تزعم حلول جزء إلهي بالأئمة، قد تطورت عند بعض شيوخهم واتسع نطاقها إلى القول «بوحدة الوجود»^(٥) وعدوا ذلك أعلى مقامات التوحيد، فهو الغاية في التوحيد عند شيخهم النراقي^(٦)،

= ما ورد من غرائب معجزاته: ٤٢/٥٠-٥٦، وحتى قبره جعلوا له معجزات لا يقدر عليها إلا رب العباد، وعقد لهذا صاحب البحار بابًا بعنوان باب «ما ظهر عند الضريح المقدس من المعجزات والكرامات»: ٤٢/٣١١-٣٣٩..

(١) أصول الكافي: (٤٥٧/١)، وانظر: بحار الأنوار: (١٩٢/٤١).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار: (١٩٤/٤١).

(٣) المجلسي: بحار الأنوار: (١٩٨/٤١).

(٤) المجلسي: بحار الأنوار: (٢٠١/٤١).

(٥) وحقيقتها أن وجود الكائنات هو عين وجود الله. (انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (١٤٠/١).

(٦) مهدي بن أبي ذر الكاشاني النراقي، المتوفى سنة ١٢٠٩هـ (انظر: الذريعة: (٥٨/٥)، وانظر نص النراقي في ذلك في كتابه: جامع السعادات ص (١٣٢-١٣٣).

كما أن شيخهم الكاشاني - صاحب الوافي أحد أصولهم الأربعة المتأخرة - كان يقول بعقيدة وحدة الوجود، وله رسالة في ذلك، جرى فيها مجرى ابن عربي وعبر عنه ببعض العارفين^(١).

والاتجاه الصوفي المتطرف قد تغلغل في كيان المذهب الاثني عشري، وعشعش في عقول أساطين المذهب من المتأخرين، وبين الأفكار الصوفية الغالية والعقائد الشيعية المتطرفة تشابه وتلاق^(٢).

فهذه العقيدة عقيدة الحلول هي عقيدة هندوسية خالصة، وقد سبق معنا الاستدلال على كونها من عقيدتهم، وهنا أنقل بعض المقتطفات ليدل مدى تشابه الرفضة لإخوانهم الآريين في هذه العقيدة:

تري الهندوسية أن فِشْنُو تقسم نفسها وتنزل بصورة أشخاص والذي يسمونها بأفْتَار، فهذا رام وإخوته الثلاثة الآخرون كلهم من جزء فِشْنُو إلههم، حيث يقولون: إن الملك دشرته، ملك مملكة أيودهايا، كان لا يولد له أولاد، فقدم قرباناً فخرج من قرابين النار شخص حاملاً معه نور من الأطعمة، وطلب منه أن يطعمه زوجاته، فولد فِشْنُو مقسماً قوته على أولاد الملك الأربعة^(٣).

جاء في كتب الأوبانيشادات بعض النصوص الدالة على أن الحلول من عقائد الهندوس، منها:

(١) جاء في تائيطريا أَرْتَنَك: «إن پر جاپتي خلق روحه بنفسه، ثم دخل فيه»^(٤).

(١) لؤلؤة البحرين: ص (١٢١).

(٢) راجع في ذلك ما ذكره الدكتور كامل مصطفى الشبيبي: الصلة بين التصوف والتشيع وعبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي ص (٣٨٩)، وقد غاظت هذه الحقيقة بعض متعصبي الشيعة الاثني عشرية وهو هاشم معروف الحسيني فرد على الشبيبي بكتاب سماه: «بين التصوف والتشيع».

(٣) انظر رامايين: بال كاند، شارغا (٣-١).

(٤) تائيطريا أَرْتَنَك (١/٢٣).

(٢) كما جاء «فكر پرماتما أني واحد أريد أن أتكثر، فجاهد فيه أي: فكر فيه، وبمجرد التفكير خلق الكون، بعد ما خلق الكون دخل فيه»^{(١)(٢)}.

(٣) وجاء مثله في بُرِيَهْدَارَنَّاك أوبانيشادة: «إن «إيشفر»^(٣) يكمن في داخل كل كيان، ويديره من داخله»^(٤).

(٤) كما جاء فيه مصرحاً بأنه: داخل كل أنواع الآلهة»^(٥).

(٥) وجاء في مُنْدَك: «هو في جهة السفلى، وفي جهة العلوى، وهو في الخلف وهو في الأمام، وهو في اليمين وهو في الشمال، وهو كل هذه الأشياء، رأسه السماء، القمر والشمس عيناه، الجهات أذنه، الكلام هو الفيدات، الهواء روحه، وقلبه هذا العالم الكبير، ولد الأرضين من قدميه، وهو نفس نفوس كل دقيق وغليظ»^(٦). فهذه النصوص تدل أن من الآراء الهندوسية الحلول.

ومن الأدلة على ذلك ادعاؤهم الألوهية لكريشنا، وأن هذا الإنسان حل فيه الرب، وفعل ما فعل، وتكلم وادعى بنفسه بأنه إله، فمن ذلك قوله في «غيتا»:

(١) (٢/٦/١).

(٢) هذا، ولما كان الفيداتيون أصحاب وحدة الوجود، ورأوا أن الحلول يخالف وحدة الوجود، حيث إن فيه إثبات شيئين، قالوا: إن هذه النصوص حصل للناس فيها سوء تفاهم، يقول أحد هؤلاء (شنكر أجاريا) في توجيه هذه النصوص: إن المقصود بدخول برهمان في مخلوقاته: أنه خيّل إلى المتكلم أنه دخل فيه، وإلا هو لم يخلُ من مكان، ومثّل ببيت مظلم فيه كأس، ولكنه لا يرى من شدة الظلمة، فلما جاء النور رآه الناس، فظن أن الكأس دخل في الغرفة؛ إذ الكأس موجود من قبل وإنما لم يره الناس لأجل جهلهم وظلمتهم. انظر شرح تائيطريا أوبانيشادة، لسوامي لوكيشرانند ص (٥١٤-٥١٥).

(٣) الفاء في هذه الكلمة لا تنطق وإنما تعطي قوة للحرف السابق.

(٤) بُرِيَهْدَارَنَّاك (٣/٧/١٥).

(٥) انظر بُرِيَهْدَارَنَّاك (٣/٧/١٦-٢٢).

(٦) مُنْدَك أوبانيشادة (٢/١/٤).

(٦/٤): «رغم الثبات في الطبيعة وعدم الولادة، رغم أنني إله الموجودات، فإني أقيم ذاتي في الطبيعة (التي لي) وأجيء إلى الوجود بقوتي غير المرئية»
 (٧/٤): «حيثما يكون هناك انحسارٌ للحق يا بهارتا! وسطوة للباطل، فإني أخلق نفسي بقوتي».

(٨/٤): «من أجل تسليم الخير (إنقاذ الأبرار)، وتدمير الشر ومن أجل إقامة الحق فإني آتي للوجود عصرًا بعد عصر».
 ومن هذا المنطلق كان في الهندوسية مدعي الألوهية كثيرون، وهم يدعون أنه برهمان متجسد، لإكمال مهمة ما.

وانظر إلى قول كريشنا في دعواه الألوهية في غيتا:

(٢٢/٣): إذا توقفت عن العمل، ستتهار هذه العوالم، وأكون أنا سبب الإرباك والدمار للبشر.

(٢٩/٣): سلم كل أعمالك لي، وحافظ على وعيك في الذات الكلية، متحرراً من التشوق والشعور بالتملك...

(٣١/٣): لكن أولئك الذين يرتكبون الخطايا ولا يتبعون تعاليمي، سيكونون مضللين في كل معرفة، أنهم هالكون وتافهون.

(٥/٤): لقد مررتُ أنا في عدة ولادات، كما أنت مررت أيضاً، يا أرجونا، أنا أعرف ولاداتي كلها، ولكنك أنت لا تعرف ولاداتك.

(٩/٤): إن ولادتي هي ولادة إلهية، وعملي هو عملٌ إلهي، ومن يدرك ذلك بعمق، لن يولد مرة أخرى بعد ترك جسده، إنه يأتي إلي يا أرجونا.

(١٠/٤): متحررون من التعلق والخوف والغضب، ممتلئون بي، يتخذوني ملجأ، أنقياء بتقشف الحكمة، كثيرون أتوا إلى كياني.

(١١/٤): كما يتقارب مني الناس، أتقارب أنا منهم، وبطرقهم المتعددة سوف يتبعوني في الطريق.

(١٣ / ٤): أنا خلقت النظام الرباعي طبقاً لأقسام الغونات (الصفات) والعمل، ومع أنني أنا مؤلفها إلا أنني لستُ بالفاعل، أنا ثابت لا أغير.

(١٤ / ٤): أنا المتحرر من قيود العمل، ولا أتشوق إلى ثمار العمل، إن من يعرف صفاتي هذه هو أيضاً غير مقيد برابط العمل.

(٢٩ / ٥): إن من يعرف أنني المتمتع باليغيا (القرايين) والتكشف، وأنني الرب العظيم لكل العالم، وصديق كل الكائنات، يصل إلى السلام.

(١٥ / ٦): مجمع ذاته دوماً، وسيد لعقله، يصل إلى سلام النرفانا، التحرر الأبدي، السلام الأسمى المقيم فيّ.

(٣١ / ٦): إن من هو في أحادية الحب، يحبني في كل ما يرى، كيفما يعيش وأينما يعيش، فهو يعيش حقاً فيّ.

(٤٧ / ٦): ومن بين كل اليوغيين، إن أكثرهم توحداً بي من يبجلني بإيمان، ومن تكون ذاته الكلية مستغرقة فيّ.

(١ / ٧): بتثبيت عقلك عليّ، ... وبتخاذك لي كملجئك لي كملجئك الأسمى، وبممارستك لليوغا، هكذا ستعرفني بالكامل ودون أدنى شك، هذا ما عليك أن تسمعه.

(٢ / ٧): من بين آلاف الناس ربما هناك واحد يجاهد من أجل الاكتمال، ومن بين آلاف المجاهدين ربما هناك واحدٌ يعرفني حقاً.

(٣ / ٧): إن طبيعتي الظاهرة لها ثمانية أشكال: الأرض، والماء، والنار، والهواء، والأثير، والعقل، والمنطق، والأنا.

(٤ / ٧): هذه طبيعتي الدنيوية، ولكن خلفها، ... تكمن طبيعتي العلوية، الذات الكلية، إنها نبع الحياة التي بها وجد هذا الكون.

(٥ / ٧): اعلم أن هاتين الطبيعتين هما رحم كل الكائنات؛ وأنا البداية والنهاية للكون كله.

(٦/٧): لا يوجد ما هو أعلى مني في هذا الكون المترامي الأطراف، كل العوالم تستقر فيّ، كما تنعقد حبات اللؤلؤ حول الخيط.

(٧/٧): أنا الذوق في مياه الحياة... أنا النور في الشمس والقمر، أنا المقطع أوم في الفيدات كلها، أنا الصوت في الأثير، والمقدرة في الإنسان.

(٨/٧): أنا العبير الصافي العابق من الأرض ولمعان النار هو أنا. أنا الحياة في كل الكائنات، والتكشف في المتكشفين.

(٩/٧): اعرفني يا ابن بارتا، أنني منذ الأزل بذرة الحياة الأبدية لكل الكائنات. أنا ذكاء الأذكياء. أنا بطولة الأبطال.

(١٠/٧): أنا قوة الأقوياء، عندما تكون هذه القوة خالية من الغضب والرغبات الأنانية. أنا الرغبة عندما تكون صافية ومنسجمة مع الدهزما.

(١٢/٧): واعلم أن الغونات (الصفات) الثلاث، ستُ، رُجُ تَم تأتي مني؛ النور السامي والحياة النابضة والظلمة بلا حياة. أنا لست فيها؛ لكن هي فيّ.

(١٣/٧): مضللّ بهذه الحالات، حالات الغونات الثلاث، هذا العالم كله لا يعرف أنني خلفها، ولا يعرف أنني كائن أبداً!

(١٤/٧): من الصعوبة حقاً، تجاوز مايا (الوهم) التي تخصني، والمكوّن من الغونات. ولكن من يكرّس ذاته لي وحدي، يتجاوز هذا الوهم.

(١٥/٧): إنما فاعلوا الشر لا يبحثون عني، لقد أظلمت روحهم بالضلال. وحُجب نظرهم بالوهم، واتخذت قلوبهم طريق الشر.

(١٧/٧): إن أعظم هؤلاء الرجال هو الحكيم المثبت بالذات، إنه هو واحداً أبداً، مثبتٌ بالأحد. أنا مثبتٌ فيه وهو مثبتٌ فيّ.

(١٨/٧): نبلاء هم الأنواع الأربعة من الناس؛ ولكنني أنا واليوغي الحكيم المثبت بالذات واحد، إن ذاته هي فيّ، وأنا طريقه السامية.

(١٩ / ٧): وبعد عدة ولادات يأتي إليّ هذا اليوغي العظيم المثبت بالذات، قائلاً: «الذات هي في الكل»، إنه حقاً يصعب وجود مثل هؤلاء الرجال.

(٢١ / ٧): إنما إذا شاء الإنسان بالإيمان أن يكرّم هذا الإله أو ذاك، أمده الإيمان، الإيمان الثابت الذي لا يتزعزع.

(٢٢ / ٧): وعندما يكرّم هذا الإنسان ذلك الإله وهو ممتلئ بالإيمان، يحقق منه رغبته، أما في الحقيقة فكل هذا يأتي مني وحدي.

(٢٣ / ٧): ولكن ثمار ما يرغب هؤلاء الناس أصحاب المعرفة الضئيلة، قليلة ومحدودة. من يكرّم الآلهة يذهب إلى الآلهة، ومن يكرّمني يأتي إليّ.

(٢٤ / ٧): يعتقد الجهلة أنني ذلك الشكل من طبيعتي المتدنية التي تُرى بالعيون الفانية. إنهم لا يعرفون طبيعتي الأسمى الخالدة والتجاوزية.

(٢٥ / ٧): لأن مجدي محجوب عن الكل، أنا المخيّ بحجابي الخفي. والعالم في ضلاله لا يعرف أنني لم أولد وأني كائنٌ للأزل.

(٢٨ / ٧): ولكن هناك أناس يفعلون ما هو الصواب، وقد انتهت آثامهم. إنهم متحرّرون من ضلال الانقسام ومثبتون بي في ذاتهم.

(٣ / ٩): ولكن مَنْ ليس لهم إيمان في هذه الحقيقة، لن يأتوا إليّ، بل يعودوا إلى دورات الحياة والموت.

(٤ / ٩): إن هذا الكون الظاهر يأتي من كياني غير الظاهر. والكائنات جميعها تسكن فيّ، ولكني لا أسكن فيهم.

(٥ / ٩): وفي الحقيقة إنهم لا يسكنوا فيّ، بسبب سري التوحيدي المقدس. أنا نبع كل الكائنات وأنا أدمعها ولكني لا أسكن فيها.

(٦ / ٩): مثلما تستقر الرياح العظيمة في الفضاء الأثيري الفسيح، هكذا تستقر فيّ كل الكائنات. اعلم هذه الحقيقة، يا أرجونا.

(٧/٩): هكذا بتفاعل طبيعي أولد كل الخليقة مرارًا وتكرارًا، ودون أي مساعدة، بل نتيجة التفاعل الذاتي لطبيعتي.

(٢٤/٩): لأنني أقبل كل تضحية، وأنا ربهم الأسمى، ولكنهم لا يعرفون كياني الصافي، وبسبب ذلك سيعودون إلى عالم الممات.

(٣٣/٩): أهب لي عقلك وأهب لي قلبك، أهب لي مقدماتك، وإخلاصك، وبذلك وبثبات ذاتك، وبجعلك لي هدفك السامي، ستأتي حقًا إليّ.

(٣/١٠): من يدرك أن لا بداية لي، وأني غير مولود وأني سيد العوالم، يكون هذا الإنسان الفاني، متحررًا من الضلال، وبعيدًا عن كل شر.

(٨/١٠): أنا الأحد نبع الكل، وتطور الكل يأتي مني، الحكماء يعرفوني ويكرمونني بإخلاص ومحبة.

(١٢/١٠): قال أرجونا: أنت برهمان السامي، النور السامي، والظهور السامي، الذات الإلهية الأبدية، الله غير المولود الموجود منذ البدء، رب الكل الدائم الوجود.

(٣٨/١١): قال أرجونا: أنت الله منذ البدء، أنت الله في الإنسان منذ أن وجد الإنسان، أنت الكنز الأسمى لهذا العالم الفسيح، أنت الأحد المعروف، وأنت العارف، أنت مرقد الراحة النهائي، أنت الحضور اللامتناهي، الذي فيه يكون كل شيء.

هذه بعض النصوص التي يظهر فيها التشابه بين عقيدة الهندوس في الحلول والاتحاد وبين ما يدعيه الرافضة في أئمتهم.

المطلب الثاني

عقيدة الرجعة لدى الرافضة والهندوس

معنى الرجعة:

الرجعة: بفتح الراء المشددة، من رجع، يقال رجع فلانٌ من سفره: أي عاد منه^(١). وفي الاصطلاح: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت^(٢)، وتعني عند الرافضة: أن أئمتهم كلهم سيرجعون إلى هذه الدنيا في صورهم التي كانوا عليها عند قيام مهديهم المنتظر، وأن كل واحدٍ منهم سيحكم الأرض فترةً من الزمن ثم يتوفى مرة أخرى ليخلفه ابنه في الحكم، وذلك تعويضاً لهم عن حقهم الشرعي في الخلافة - كما يزعمون - وأن أعداءهم من الصحابة - عليهم السلام - حسب زعمهم الذين منعوهم من الوصول إلى حقهم في الأصل لتشملهم هذه الرجعة أيضاً وذلك ليتسنى للأئمة الانتقام منهم^(٣).

وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة، ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته.

(١) انظر المعجم الوسيط (١/ ٣٣١) مادة رجع.

(٢) القاموس المحيط (٣/ ٢٨).

(٣) انظر ما ذكره القمي في تفسير (٢/ ١٧٤)، ومحمد بن النعمان المفيد: الفصول المختارة من العيون والمحاسن ص (١١٥-١١٦)، وأوائل المقالات في المذاهب المختارات ص (٨٨)، والحر العاملي: الإيقاظ من الهجة بالبرهان على الرجعة ص (٥٨)، والمجلسي: بحار الأنوار (٥٣/ ٩٢، و١٢٣)، والموسوي: الشيعة والتصحيح ص (١٤٢)، وانظر ما ذكره الدكتور ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة ص (٩١١-٩١٢).

وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، والكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الرافضة عامة للإمام وكثير من الناس. ويشير الألوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث^(١).

وفي هذا ينسبون إلى أبي عبد الله الصادق أنه قال: «إذا قام قائمنا رد الله كل مؤذي للمؤمنين في زمانه في الصورة التي كانوا عليها وفيها بين أظهرهم ليتتصف منهم المؤمنون»^(٢).

وقد اشتهرت بعض الفرق الشيعية باسم «الرجعية» لقولهم بالرجعة^(٣) واهتمامهم بها.

مكانة عقيدة الرجعة عند الرافضة - (الإمامية):

عقيدة الرجعة من أصول مذهب الرافضة، ومن العقائد المتفقة عليها لديهم فلم يختلف المتأخرون عن عقيدة متقدميهم.

فقد نُقل اتفاق الرافضة على ذلك من متقدميهم:

- ١ - نقلوا عن بعض أئمتهم قوله: «ليس منا من لم يؤمن بكرتنا»^(٤).
- ٢ - وقال ابن بابويه في الاعتقادات: «واعتقادنا في الرجعة أنها حق»^(٥).
- ٣ - وقال المفيد: «واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات»^(٦).

(١) انظر ما ذكره أبو الثناء: روح المعاني (٢٧/٢٠)، وأحمد أمين: ضحى الإسلام: (٢٣٧/٣)، وانظر أيضاً ما ذكره الدكتور ناصر القفاري في المصدر السابق.

(٢) محمد بن جرير بن رستم الطبري: دلائل الإمامة ص (٢٤٤).

(٣) انظر ما ذكره ابن الجوزي: تلبس إبليس ص (٢٢).

(٤) ابن بابويه: من لا يحضره الفقيه: (٣/ ٢٩١)، الحر العاملي: وسائل الشيعة ٧/ ٤٣٨، والكاشاني:

تفسير الصافي (٣٤٧/١)، والمجلسي: بحار الأنوار (٩٢/٥٣).

(٥) الاعتقادات ص (٩٠).

(٦) أوائل المقالات ص (٥١).

٤- وقال الطبرسي والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضوع «إجماع الشيعة الإمامية»^(١) وذكر المجلسي أنهم أجمعوا على القول بها في جميع الأعصار، واتفقوا على أنها من ضروريات مذهبهم^(٢)، وأنهم «مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة»^(٣)، كما ألفوا لإثبات هذه العقيدة كتبًا كثيرة^(٤).

الغرض من الرجعة:

الغرض من الرجعة عند الرافضة: هو انتقام الأئمة والشيعة من أعدائهم^(٥)، وهم سائر المسلمين من غير الشيعة ما عدا المستضعفين، ولذلك فإن سيوف الشيعة تقطر دمًا من كثرة القتل للمسلمين.

يقول خاتمة محدثي الشيعة: «ويرجع للدنيا يوم ظهور حضرة القائم عليه السلام من مَحَضِ الإيمان مَحَضًا أو محض الكفر مَحَضًا، فيرجع أعداؤه ليتقم منهم في هذا العالم ويشاهدون من ظهور كلمة الحق وعلو كلمة أهل البيت ما أنكروه عليهم، فتكون رجعة الكفار لينالهم عقاب شديد»^(٦).

(١) الحر العاملي: الإيقاظ من الهجعة: ص (٣٣)، المجلسي: بحار الأنوار (١٢٣/٥٣).

(٢) الإيقاظ من الهجعة ص (٦٠)، وانظر كذلك: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة لعبد الله فياض ص ١٧٠، ط بيروت.

(٣) المصدر السابق ص (٦٦)، وانظر لمعرفة التفاصيل ما ذكره الدكتور ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية الإمامية من ص (٩٠٩-٩٢٥)، فقد تمت الاستفادة منه.

(٤) انظر لمعرفة التفاصيل عن هذه المؤلفات ما ذكره الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله: بين السنة والشيعة ص (١٥٢).

(٥) انظر: الإيقاظ من الهجعة ص (٥٨).

(٦) نقلًا عما ذكره الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله: بين السنة والشيعة ص (٨١).

مصدر عقيدة الرجعة عند الرافضة:

يختلف الباحثون في مصدر عقيدة الرجعة لدى الرافضة، حيث ينسب الشيخ إحصان إلهي ظهير رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ هذه العقيدة إلى اليهود، فيقول: من الأفكار اليهودية المدسوسة بين المسلمين والتي تولى كبر إثمها ابن اليهودية. البار بها عبد الله بن سبأ.. فكرة الرجعة، أي رجوع الأموات قبل البعث والنشور عند ظهور القائم الشيوعي المعدوم المزعوم، من أئمتهم وأتباعهم، مع أعدائهم ومخالفهم لينتقموا منهم ويشفوا صدورهم^(١).

والذي يظهر لي أن هذه العقيدة مأخوذة من عقائد الهندوس، وذلك لأمر:

الأول: إن أهل إيران هم فرع من فروع الآرية؛ نرى فرعهم الهندي - الهندوس - يعتقد عقيدة التناسخ، ولا يرى العقاب أو النعيم في اليوم الآخر وهكذا فرعهم الفارسي يؤمن بعقيدة الرجعة ولا يرى عذاب اليوم الآخر كافيًا، وعلى هذا تكون عقيدة الرجعة شبيهة بعقيدة التناسخ القائلين به؛ حيث يرون أنه لابد من إذاقة العذاب في الدنيا، وهي نفس النظرية لدى الهندوس.

الثاني: من جهة توافق الأغراض لدى الرافضة والهندوس، فالرافضة ترى الغرض من الرجعة هو الانتقام من الأعداء، وهكذا نرى الهندوس يرون رجوع بعض أئمتهم للانتقام من أعدائهم، وكتبهم مليئة بهذه القصص والخرافات، بأن الشخص الفلاني كان مظلومًا، ثم ولد مرة أخرى لينتقم من أعدائه، وهم يرون ذلك لزائمًا ليدوق عذاب أعماله، فهذا بهيشما الشخصية النزيهة - كما يقولون - في مهابهارت، جاء بثلاث بناتٍ من بنات الملك «كاشي»، ليجعلن من زوجات أخيه «بيسير بيرزا» فأخبرت البنت الأولى بأنها أعطت نفسها لابن ملك آخر، فتركها بهيشما، ولما رجعت البنت إلى صاحبها فإذا هو لا يرغب فيها، فرجعت البنت تريد من بهيشما أن يزوج بها، ولكن بهيشما رفض الزواج؛ لأنه آلى على نفسه ألا يتزوج، ومن هنا غضبت البنت وأحرقت نفسها، ثم رجعت مرة أخرى في حرب مهابهارت، وقتلت بهيشما.

(١) إحصان إلهي ظهير: بين السنة والشيعة ص (٨٢).

هذه قصة واحدة من مئات القصص الموجودة لدى الهندوس من هذا النمط، وهي كلها تنبئ مدى تأثير العرق الآري بأجمعه بعقيدة الرجعة، والانتقام من الأعداء.

ثالثاً: إن الرفض لا تعتقد بالرجعة فحسب، بل تتجاوز إلى التناسخ الصريح حيث أوردوا روايات كثيرة عن أئمتهم المعصومين حسب زعمهم في ذلك المعنى، منها ما روي أن أبا جعفر الملقب بمؤمن الطاق عند الشيعة، وشيطان الطاق عند الآخرين لقي يوماً من الأيام أبا حنيفة نعمان بن ثابت الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسأله أبو حنيفة: إنكم تقولون بالرجعة؟

قال: نعم.

قال أبو حنيفة: فأعطني الآن ألف درهم حتى أعطيك ألف دينار إذا رجعنا.
قال الطاق لأبي حنيفة: فأعطني كفيلاً بأنك ترجع إنساناً ولا ترجع خنزيراً^(١).
وروي آخر عنه أنه قال له:

أريد ضميناً يضمن لي أنك تعود إنساناً، فإني أخاف أن تعود قرداً فلا أتمكن من استرجاع ما أخذت مني^(٢). ومثل هذا كثير.

ولأجل هذه الوجوه كلها أرى أن الرفضة تأثرت بالهندوسية في عقيدة الرجعة، وهذا لا يمنع تأثرها بعقيدة اليهود في الرجعة؛ إذ الهندوس واليهود تتفقان في كثير من المبادئ والعقائد، كما أن عقائد بعض الفرق اليهودية مأخوذة برمتها من الهندوسية، فلا يستبعد أن تكون هذه منها.

(١) الطبرسي: الاحتجاج (٢/١٤٨)، وانظر أيضاً ما ذكره الحر العاملي: الإيقاظ من الهجعة، ص (٦٦).

(٢) انظر ما ذكره العاملي: الإيقاظ من الهجعة ص (٦٧).

المطلب الثالث

التشبيه لدى بعض الرافضة ومقارنتها بقول الهندوس

معنى التشبيه:

التشبيه لغة: مصدر من كلمة (شَبَّهَ يُشَبِّهُ تشبيهاً)، قال ابن فارس: الشين والباء والهاء أصل يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً^(١).

وتصارييف كلمة (شبه) جميعها تدل على مشابهة الشيء للشيء من بعض الوجوه، يقال في اللغة: فلان فيه شبه من فلان^(٢)، أي بينهما تشابه في بعض الصفات.

يقصد بالتشبيه هنا: شيئان^(٣):

١ - وصف الله بشيء من خصائص المخلوقين، وذلك بأن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته وأفعاله من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من الصفات^(٤).

٢ - أن يعطي لمخلوق من خصائص الرب تعالى التي لا يماثله فيها شيء من المخلوقات من الذات والصفات والأفعال والحقوق^(٥).

(١) انظر معجم مقاييس اللغة (٣/٢٤٣)، مادة (شبه).

(٢) انظر ما ذكره الأزهرى: تهذيب اللغة (٦/٩٠)، وابن منظور: لسان العرب (١٣/٥٠٤).

(٣) انظر ما ذكره ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٦/٣٤-٣٥)، وابن أبي العز الحنفى: شرح العقيدة الطحاوية ص (١٢١-١٢٢)، و(٢٣٧)، وابن عثيمين: فتح رب البرية ص (٥٥-٥٦).

(٤) انظر في المقصود بالتشبيه عند السلف ما ذكره ابن البنا الحنبلي: المختار في أصول السنة ص (٨١)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦/٣٥-٣٦)، ودرء تعارض العقل والنقل (٤/١٤٦)، و(٧/٧٢٣)، ومنهاج السنة (٢/٥٩٤-٥٩٦)، والشيخ محمد بن صالح العثيمين: فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة ص (٥٥-٥٦).

(٥) انظر في ذلك ما ذكره شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٢/٥٢)، ومنهاج السنة النبوية =

أنواع التشبيه، والمشبهين من الرافضة:

فالتشبيه على نوعين: تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق.

والقائلون بالتشبيه من الرافضة فرق عديدة منها:

□ السبئية^(١) (٢):

وهم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، وهو رأس الطائفة السبئية وكانت تقول بألوهية علي^t، كما تقول برجعته وتطعن في الصحابة، وكانت تدعي حلول الله في أمير المؤمنين علي^t (٣)، فهذه أول طائفة ادعت التشبيه، وعلى إثرهم سارت الرافضة في القول بالحلول والتشبيه.

□ المختارية^(٤):

وهم أتباع^(٥)، دعا بأخذ الثأر لدم الحسين، فالتفت حوله الرافضة، وذاع صيته،

= (٢/ ٥٩٦)، وابن القيم: بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٦-٢٢٧)، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص (٢٠٢-٢٠٤)، والمقريري: تجريد التوحيد المفيد ص (٢٧-٢٨) وغيرهم.

(١) انظر لإثبات هذا القول عندهم ما ذكره الأشعري: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٦)، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (١/ ٤٢٥)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/ ١٧٤)، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص (٢١٣)، والملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص (٢٩) وغيرها كثير.

(٢) انظر عنهم: الفرق بين الفرق ص (٢١٣)، ومقالات الإسلاميين (١/ ٨٦)، والملل والنحل (١/ ١٧٤).

(٣) ذكره ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ص (١/ ٢٦٩-٢٩٦)، ومعلوم أنه لا يقول أحد بالحلول إلا وقد شبه الإله بالمخلوقات.

(٤) انظر لمعرفة المزيد عن أعمالها ما جاء عند الأشعري: مقالات الإسلاميين (١/ ٩١)، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص (٤٦)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/ ١٤٧)، والمقريري: الخطط (٣/ ١٩٤)، والدكتور كامل مصطفى الشبيبي: الصلة بين التصوف والتشيع ص (١١٦).

(٥) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، عاهد عبد الله بن الزبير، وشهد معه بداية حربه مع الحصين بن نمير، ثم ذهب إلى الكوفة وتبع قتلة الحسين، فقتل منهم الكثير، فجذب أنظار =

واشتهر أمره فعلا حتى ادعى النبوة^(١)، وقد اشتهر هو وأتباعه بالقول بالبداء على الله، ولا شك أنه وصف بالله بالجهل، فإن البداء معناه الظهور بعد الخفاء، ونشء رأي جديد لم يكن من قبل^(٢)، وهذان المعنيان لا يجوز إطلاقهما على الله، فهذا من صفات النقص، وقد أطلقوها على الله، وبهذا شبهوا الله بالمخلوقات.

□ البيانية^(٣):

وهم أتباع بيان بن سمعان التميمي، وقيل: النهدي^(٤)، كان من الرافضة الغلاة، وقد شبه بيان وطائفته الله تعالى بصورة إنسان، وذكروا أن له أعضاء كأعضاء الإنسان، وأن جميع أعضائه تفنى إلا وجهه، وادعى الألوهية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشبهه بالخالق عز وجل زاعماً أنه حلّ فيه جزء إلهي، واتحد بجسده فيه على ادعائه، فكان كما زعم يعلم الغيب، ووصفه بأنه هو الذي يأتي يوم القيامة كما زعم في ظلل من الغمام، وقد غلا أتباعه فيه حتى زعموا أن فيه الألوهية على طريق الحلول والتناسخ، وذكروا أن بيان قال لهم: «إن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت في أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثم انتقلت منه إليه» يعني نفسه، فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية^(٥).

وكانوا يصفون بيان بن سمعان بصفات الله تعالى حيث زعموا أنه يعلم الغيب، وأنه

= الناس إليه، لاسيما الرافضة الذين يدعون مناصرة آل البيت، وكان متلوّاً كذاباً، دخل في معارك مع مصعب بن الزبير، فحاصره في قصر الكوفة حتى قتل سنة ٦٧ هـ. انظر ما ذكره الشهرستاني: الملل والنحل (١/١٤٧-١٤٨).

- (١) البغدادي: الفرق بين الفرق ص (٥٣، ٥٦).
- (٢) انظر ما ذكره ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (١/٢١٢)، والجوهري: الصحاح (١/٧٧).
- (٣) انظر لمعرفة المزيد عن هذه الفرق ما ذكره كل من الأشعري: مقالات الإسلاميين (١/٦٦)، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص (٢١٦)، والإسفرائيني: التبصير في الدين ص (١٩)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/١٥٢)، والسكسكي: البرهان في عقائد أهل الأديان ص (٧٥-٧٦)، وابن تيمية: منهاج السنة (٢/٥٠٢-٥٠٣)، والمقريري: الخطط (٣/٥٩٦).
- (٤) هكذا يقوله الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (٨٧).
- (٥) انظر ما ذكره البغدادي: الفرق بين الفرق ص (٢١٦)، والمقريري: الخطط (٣/٢٩٦).

يعلم ما في غدٍ، وما يشتمل عليه الأرحام وما يغيب في بيوتهم، وأن الأئمة يعلمون ذلك كما علمه علي^(١).

□ المغيرية^(٢):

وهم أتباع المغيرة بن سعيد البجلي، وقيل: العجلي^(٣)، كان من الرافضة المشبهة، تقول: أن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج، وله من الأعضاء مثل ما للرجل، وله جوف وقلب ينبع بالحكمة، وزعم المغيرة أن معبوده جسم على حروف الهجاء وأن الألف منه مثال قدميه، والعين صورة عينيه، وشبه الهاء فقال: لو رأيتم موضعها منه لرأيتم أمراً عظيماً، يُعْرَضُ بالعورة^(٤)، وغلوه أكثر من هذا بكثير^(٥).

□ الهشامية^(٦):

وهم أتباع هشام بن الحكم الرافضي، يقول أبو الحسين الملطي^(٧): إن هشام بن

(١) انظر الفرق بين الفرق ص (٢١٦)، والخطط (٣/٢٩٦).

(٢) انظر لمعرفة المزيد عنها ما ذكره كل من الأشعري: المقالات (١/٦٩)، وابن حزم: الفصل (٥/٤٣)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/١٧٦)، والإسفرائيني: التبصير في الدين ص (١١٩-١٢٠)، وابن الأثير: الكامل (٤/٢٣٠)، وابن تيمية: منهاج السنة (١/٢٦٠)، و٢/٥٠٣)، والمقرئزي: الخطط (٣/٢٩٦)، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص (١١٨)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركون ص (٨٨).

(٣) كما يذكره البغدادي: الفرق بين الفرق ص (١١٨).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١/٦٩-٧٣)، والفرق بين الفرق ص (٢١٨)، والفصل (٥/٤٣)، والملل والنحل (١/١٧٧)، والتبصير في الدين ص (١١٩-١٢٠)، ومنهاج السنة (٢/٥٠٣-٥٠٤)، ولسان الميزان (٧/٢٥)، والبدء والتاريخ للمقدسي (٥/١٤٠)، ولوامع الأنوار ص (٨١)، والفكر الشيعي والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشبيبي الإمامي ص (٢٦).

(٥) انظر ما ذكره ابن الأثير في الكامل (٤/٢٣٠-٢٣١).

(٦) نسبة إلى هشام بن الحكم الرافضي، انظر لمعرفة المزيد عنه ما ذكره الأشعري: المقالات (١/١٠٦)، والملطي: التنبيه والرد ص (٣٦)، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص (٧١)، والإسفرائيني: التبصير في الدين (٧١)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/١٨٤)، وابن تيمية: منهاج السنة (١/٧١)، وابن حجر لسان الميزان (٧/٢٦٥).

(٧) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، العلامة الفقيه المقرئ، =

الحكم كان ملحداً دهرياً^(١)، ثم انتقل إلى الثنوية^(٢) والمانوية^(٣)، ثم غلبه الإسلام فدخل فيه كارهاً، ولكنه دخل في الرفض، فكان قوله في الإسلام خليط بالتشبيه والرفض، وكان دخوله في الرفض مثل الآخرين طلباً لهدّ أركان الإسلام، فانتحل التشبيه^(٤).

ومن مقالاته في التشبيه قوله: إن الله جسم^(٥)، له نهاية وحدّ، طويل عريض عميق طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، وكان يقول: أن له قدرًا من الأقدار كالسيكة الصافية، تتلأأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها، ذو لون وطعم ورائحة ومجسة، لونه هو طعمه، وطعمه هو رائحته، ورائحته هي مجسته^(٦).

= من تصانيفه: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، توفي سنة ٣٧٧هـ. انظر ما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٤٩/١٥)، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب (٣٦٥/٢)، والزركلي: الأعلام (٣١١/٥).

(١) الدهرية المقصود بها الملاحدة الذين ينفون أن يكون هناك رب للمخلوقات، وينسبون كل شيء إلى الدهر، وقد حكى الله قولهم في كتابه بقوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْدِيكُمُ إِلَّا آلَظَّهَرِ وَمَا لَكُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجنّة: ٢٤]

(٢) هم القائلون بأصلين قديمين: النور والظلمة، انظر ما ذكره الشهرستاني: الملل والنحل (٢٤٤/١).

(٣) هم أصحاب ماني بن فاتك، الذي ظهر في أيام سابور بن أردشير، الذي ظهر بعد عيسى عليه السلام، فأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وهم يقولون بمقالات الثنوية مع تعديل دقيق لها، انظر ما ذكره الشهرستاني: الملل والنحل (٢٤٤/١)، والإسفرائيني: التبصير في الدين ص (١١١-١١٢)، والنشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١٩٤-١٩٦).

(٤) انظر ما ذكره الملطي: التنبيه والرد ص (٣٦).

(٥) هذه من الألفاظ المجعولة التي يجب تجنبها في الإطلاق على الله.

(٦) انظر ما ذكره الأشعري: مقالات الإسلاميين (١٠٦/١)، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (٢٩٤/١)، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص (٧١-٧٢)، والجيلاني: الغنية (٩٣/١)، والسكسكي: البرهان في عقائد أهل الأديان ص (٧٢)، وابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٢١٨-٢١٩)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣٣١-٣٣٢)، والمقدسي: البدء والتاريخ (١٣٩-١٨٦) والسفاريني: لوامع الأنوار البهية (٨٢/١).

كان لهشام أقوال عديدة في ربه، ففي بعض الأحيان يقول: هو سبعة أشبار بشبر نفسه^(١)، كأنه يقيسه على الإنسان؛ لأن الإنسان غالبًا سبعة أشبار بشبر نفسه.

□ الهشامية الجوالقية^(٢):

وهم أتباع هشام بن سالم الجوالقي من كبار أئمة الإمامية الاثني عشرية^(٣)، وكان مفرطًا في التشبيه^(٤)، أقواله مثل أقوال هشام بن الحكم السابق الذكر في الغلو والتجسيم والتبعيض^(٥). من مقالاته في التشبيه: أن الله على صورة إنسانٍ أعلاه مجوف وأسفله مصمت، ويذكر أنه نور ساطع يتلألأ بياضًا، وأنه ذو حواس خمسة كحواس الإنسان، وله يد ورجل وأذن وعين وأنف وفم، وأن له وفرة سوداء، وأنه نور أسود، وقلب ينبع منه الحكمة ينبع الماء من العيون^(٦).

(١) انظر ما ذكره البغدادي: الفرق بين الفرق ص (٧٢)، والإسفرائيني: التبصير في الدين ص (١١٩-١٢٠)، وابن حزم: الفصل (٣٠/٥).

(٢) نسبة إلى هشام بن سالم الجوالقي، انظر لمعرفة المزيد عنه ما ذكره كل من الأشعري:

مقالات الإسلاميين (١٠٩/١)، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص (٧٥)، والشهرستاني: الملل والنحل (١٧٥/١)، وابن تيمية: منهاج السنة النبوية (٢١٨/٢)، والمقرئزي: الخطط (٢٩٣/٣).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) انظر الفرق بين الفرق ص (٧٥).

(٥) انظر ما ذكره ابن تيمية: منهاج السنة (١/٧١-٧٢)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/٣٣١-٣٣٢).

(٦) انظر ما نقله الأشعري: مقالات الإسلاميين (١٠٨/١-١٠٩)، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص (٧٤)، وأصول الدين ص (٧٣-٧٤)، والإسفرائيني: التبصير في الدين ص (١١٠)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/١٨٥)، والرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (٩٥)، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (١/١٩٤)، وشيخ الإسلام ابن تيمية: منهاج السنة (٢/٢١٨-٢١٩).

□ الجواربية^(١):

وهم أتباع داود الجواربي، الذي كان من رؤساء الرفض والتجسيم، رأس في الرفض والتجسيم من مرامي جهنم^(٢)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: إن داود الجواربي قد عرف عنه القول المنكر من التشبيه والتجسيم وقد أنكر عليه أهل السنة^(٣).

ومن مقالاته في التشبيه: أن الله جسم وأنه جثة على صورة إنسان لحم ودم وشعر وعظم وأعضاء^(٤).

وكان يقول: إن ربه أجوف من فيه إلى صدره، مصمت ما سوى ذلك، وأن له وفرة سوداء، وشعر ققط^(٥)، وكان يزعم أن معبوده له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية، ويقول: اعفوني عن السؤال عنهما، واسألوني ما وراء ذلك^(٦).

(١) نسبة إلى هو داود الجواربي، انظر لمعرفة المزيد عنه وعن فرقته، ما ذكره كل من الأشعري: مقالات الإسلاميين (١/١٨٣)، وعبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص (٢٠٨)، والشهرستاني في الملل والنحل (١/١٠٥)، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (١/٢٩٤)، والذهبي: ميزان الاعتدال (٢/٢٣)، وابن حجر: لسان الميزان (٣/٣٤).

(٢) لسان الميزان (٢/٤٢٧).

(٣) انظر منهاج السنة (٢/٦١٨، ٦٢١).

(٤) انظر ما ذكره الأشعري: مقالات الإسلاميين (١/١٨٣)، وعبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ص (٢٠٨)، والشهرستاني في الملل والنحل (١/١٠٥)، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (١/٢٩٤).

(٥) انظر ما ذكره الأشعري في المقالات (١/١٨٣)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/١٠٥)، وانظر أيضاً ما ذكره المقدسي: البدء والتاريخ (٥/١٤٠-١٤١).

(٦) انظر ما ذكره عنه البغدادي: الفرق بين الفرق ص (٢٠٨)، والإسفرائيني: التبصير في الدين ص (١١٩-١٢٠)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/١٠٥)، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (١/٢٤٩).

□ الشيطانية^(١):

وهم أتباع محمد النعمان الملقب بشيطان الطاق، من مشبهة الصفات، حيث زعموا أن الله لا يعلم الشيء قبل أن يكون حتى يكون، وأن علمه محدث كعلوم العباد^(٢)، ويقال: إنه كان يقول: إن الله نور على صورة الإنسان^(٣).

□ الإمامية الاثني عشرية:

يشبهون الله ﷻ بالمعدومات بالتعطيل، ويقولون بالبداء على الله والذي هو تنقيص لله جل وعلا، وهو تشبيه له بالمخلوقات، كما أنهم يدافعون عن جميع الفرق الأخرى القائلة بالتشبيه، ومنهم من يقول بالحلول الذي يستلزم منه التشبيه لا محالة، وأكثرهم يشركون بالله في حقوقه سواء كان بصرفه إلى الأئمة أو إلى قبورهم، وهو تشبيه المخلوقات بالله ﷻ، وقد سبق معنا بيان ذلك.

وبهذا عرفنا أنه قد وجد لدى الرافضة جميع أنواع التشبيه، فهم يشبهون الخالق بالمخلوق، ويشبهون المخلوق بالخالق.

تأثر الروافض بالهندوس في التشبيه:

يظهر من كلام العلماء أنهم ينسبون مصدر التشبيه في الرافضة إلى اليهود، يقول الدكتور ناصر القفاري: اشتهرت ضلالة التجسيم بين اليهود، أوّل من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الرّوافض، ولهذا قال الرّازي: «اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الرّوافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي،

(١) نسبةً إلى محمد بن النعمان الرافضي، الملقب بشيطان الطاق، وتلقبه الشيعة بمؤمن الطاق، انظر لمعرفة المزيد عنه ما ذكره الأشعري: مقالات الإسلاميين (١/ ١١١)، والبغدادي: الفرق بين الفرق ص (٧٧)، والشهرستاني: الملل والنحل (١/ ١٨٦)، واعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين ص (٩٩)، وابن تيمية: منهاج السنة (٢/ ٢٢٦).

(٢) انظر ما ذكره الإسفراييني: التبصير في الدين ص (١٢١).

(٣) انظر ما ذكره ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة (١/ ٢٩٤)، وانظر مثله عند الشهرستاني: الملل والنحل (١/ ١٨٦-١٨٧).

ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول»^(١).

وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعدهم الاثنا عشرية في الطليعة من شيوخها، والثقات من نقلة مذهبها^(٢).

إذا تشبیه الله سبحانه بخلقه كان في اليهود، وتسرب إلى التشيع، لأن التشيع كان مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم^(٣).

ولكن الذي يظهر أن الرافضة تأثروا بالديانة الهندوسية في التشبيه أيضاً، ويتضح ذلك من وجوه:

(١) إننا نرى أكثر من يشبه الله ﷻ بالخلق هم الهندوس، فالعوام من الهندوس يظن أن ربه مثل المخلوقات، ولهذا يصنع الأصنام على صور المخلوقات، وكمثال على ذلك:

- ❖ جعلوا إلههم براهما بأربعة رؤوس^(٤).
- ❖ جعلوا لِقْشُئُ أربعة أيدي^(٥).
- ❖ جعلوا لإلههم شِئْثًا ثلاث أعين^(٦)، وخمسة وجوه^(٧).

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين: ص ٩٧.

(٢) انظر ما ذكره محسن الأمين: أعيان الشيعة: (١/١٠٦)، وهؤلاء في كتب الفرق أصحاب طوائف منسوبة لأسمائهم. انظر مقالات الإسلاميين: (١/١٠٦، ١١٠، ١٠٩)، والجميع ينتظمهم سلك الرفض.

(٣) انظر ما ذكره الدكتور ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية عرض ونقد ص (٢٠٤-٢٠٥).

(٤) انظر لِقْشُئُ بُرْأَن (١/٧).

(٥) انظر ما ذكره شُوْدِهِيْزُ سَنْدَرُ سَرْكَازُ: بورانيك أبهيدان ص (٣٥٨).

(٦) مهابهارت (١٤٠/٢٨-٢٩، ٣٤)، وانظر بامن بُرْأَن (٤٧/٦٤)، وبدم بُرْأَن (١٢/١٢٤-١٢٥).

(٧) انظر براه بُرْأَن (٣١٣/٤٩)، و هنجش نارايين بتراسارزا: هندودير ديو ديوي، أدوبيب أو كرمويكاش (٢/٥٣).

❖ وجعلوا بعض آلهتهم إله الحفظ والحب والجمال، يتم تصويره على شكل شاب جميل لونه أزرق غامق وملابسه مثل الملوك القدامى، يحمل في يديه الأربعة صدف وقرصًا وهراوة وزهرة لوتس^(١).

(٢) جعلوا هناك آلهة غير الإله الخالق، وأسندوا إليهم الأمور مثل ما هو عند الرافضة، ومن الأدلة على ذلك من كتب الهندوس، ما جاء في مَنُو سَمَرْتِي:

❖ ٣٤- فلما أردت أن أخلق العالم؛ ارتضت رياضات شديدة، وخلقت عشرة أحبار؛ جعلتهم آلهة لهذا العالم.

❖ ٣٥- ... ومن هؤلاء الأشخاص العشرة المعروفين بـ«برجابتى» خلقت الخلائق كلها.

فالصفات التي ذكرتها الرافضة في الله ﷻ، هي برمتها صفات الهندوس في آلهتها، فلا يمكن أن تكون هناك مصدر آخر لمثل هذه التشبيهات غير الديانة الهندوسية.

(٣) ثم إن الديانة الهندوسية أصل ديانة الفرس وأهل الهند قبل دخول الزرادشتية في الفرس، فبقاء العقائد الهندوسية بينهم أمر وارء، ولا يمنع أن تكون اليهودية من مصادرهم في هذا الباب، والتحالف اليهودي والمجوسي ضد الإسلام معروف من قديم الزمان.

(٤) إن الديانة اليهودية نفسها تأثرت بالديانة الهندوسية في باب التشبيه، والدليل على ذلك أمور:

❖ أن إلههم يهوه يقال إن مصدره الأصلي الديانة الهندوسية؛ لأن يهوه تعني الحياة، أو الروح، وعبادة الله سبحانه باسم الروح لم تعرف في أي أمة غير الهندوس^(٢).

❖ وجود التشابه بين عقائد بعض الفرق اليهودية والهندوسية، ومن ذلك فرقة

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) معلومات مأخوذة من انترنت من عدة مواقع تعتنى بالدراسات المقارنة بين الأديان.

القبالة اليهودية؛ حيث يوجد لديهم نفس عقيدة الهندوس، وهذا التشابه العميق يجعلنا نجزم بتأثر الديانة اليهودية بالديانة الهندوسية، وعلى هذا يكون تأثر الرافضة باليهود تأثراً بالهندوسية بالواسطة.

وبهذا يظهر لنا جلياً: أن الهندوسية هي من مصادر التشبيه الرئيسة لدى الرافضة^(١) والله تعالى أعلم.

(١) انظر ما ذكره عبد اللطيف بن عبد القادر الحفطي: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ص (١٧١).

المطلب الرابع

اتخاذ الإمام بمثابة اتخاذ الشيخ عند الهندوس

سبق معنا: إن الهندوسية تعتبر الشيخ الذي يأخذ منه العلوم والعبادات والمجاهدات كالرب في كل تصرفاته، ولا ينبغي أن يعترض التلميذ في أي شيء من تصرفات الشيخ، بل يمثل أمره، ويكون مثل عبده، نرى مثل هذه العبودية لدى الرافضة في أئمتهم، منها:

إثبات مكانة عظيمة لا تليق إلا بالله سبحانه: وفيما يلي نماذج منها:

(١) يعتبرون الإمام ربًّا، فقد جاء في أخبارهم أن عليًّا قال لهم: أنا رب الأرض الذي يسكن الأرض به^(١).

(٢) قولهم أن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء، وقد عقد صاحب الكافي لهذا بابًا بعنوان: «باب أن الأرض كلها للإمام»^(٢)، وجاء فيه بروايات من أئمتهم كذبًا وزورًا تثبت ذلك.

(٣) يسندون الحوادث الكونية إلى الأئمة، تقول روايتهم: «عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام»^(٣).

(١) مرآة الأنوار ص (٥٩)، نقلًا عما ذكره الدكتور ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة ... ص (٥١٠).

(٢) انظر: أصول الكافي: ١/٤٠٧-٤١٠.

(٣) المفيد/ الاختصاص ص (٣٢٧)، بحار الأنوار: (٣٣/٢٧).

فهذه بعض ما يذكرون من المقامات للإمام، ولم يزالوا على هذه العقيدة، فهذا إمامهم في الضلال يقول: «وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل»^(١). ويقول: «فإن للإمام مقامًا محمودًا ودرجةً ساميةً وخلافةً تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون»^(٢).

ولاشك أن من اعتقد مثل الاعتقاد فقد كفر، يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «ومن اعتقد في غير الأنبياء كونه أفضل منهم، أو مساوٍ لهم، فقد كفر، وقد نقل على ذلك الإجماع غير واحد من العلماء»^(٣).

إذن إنهم يعتقدون في الإمام كونه ربًّا، ومعلوم لدينا أن تأليه الأشخاص الكبار والأبطال من عادات الهندوس، وقد ثبت معنا أنهم يعبدون أبطالهم الأسطوريين والتاريخيين^(٤)، مثل رام وكريشنا وغاندي وغيرهم.

فهؤلاء الروافض إما أنهم تأثروا بالهندوسية في هذه العقيدة أو أنهم بقوا على عقيدتهم العرقية الآرية في تأليه الأبطال، وهو عامل مشترك بين الفروع الآرية كلها من الهندية والفارسية واليونانية.

إيجابهم طاعة الإمام عمياء مثل إيجاب طاعة الشيخ لدى الهندوس:

إن أمر الإمامة عند الرافضة أصل الدين، فلا يقبل فيها الخلاف، فالإمامة عندهم «استمرار للنبوّة»^(٥)، فمفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفي الله سبحانه من خلقه أنبياء، يختار سبحانه أئمة، وينصّ عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجّة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتاب، ويوحى إليهم، ولا يقولون أو يفعلون إلا

(١) الخميني: الحكومة الإسلامية ص (٥٢)، وانظر ما ذكره عبد الله محمد الغريب: وجاء دور المجوس ص (١٩١).

(٢) المصدرين السابقين.

(٣) الرد على الرافضة ص (٢٣).

(٤) انظر ما سبق في المبحث الثالث من الفصل الأول، من الباب الثاني.

(٥) كما يقول محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية ص (١٦٦).

بأمر الله ووحيه.. أي إن الإمامة هي النبوة، والإمام هو النبي، والتغيير في الاسم فقط^(١). فالأئمة كالرسل «قولهم قول الله وأمرهم أمر الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله وإنهم لم ينطقوا إلا عن الله تعالى وعن وحيه»^(٢)، وقد صرح بعضهم بأن الإمامة «منصب إلهي كالنبوة»^(٣)، واعتقاد الإمامة هو مناط عفو الله ومغفرته، وإنكارها هو سبب سخط الله وعقابه^(٤)، وأن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه^(٥) ويعتقدون عصمتهم من الخطايا والذنوب والسهو والغفلة، يقول إمامهم في الضلالات في القرن المنصرم: «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها واتباعها»^(٦).

وجوب اتخاذ الإمام شبيهه بوجوب اتخاذ الشيخ في الهندوسية:

إن اتخاذ الشيخ والمبالغة في حبه مطلب هندوسي، فالشيخ يعتبر تلميذه عبداً له، فإن على الطالب أن يخدمه بجميع ما أعطي له من إمكانيات، وهو ما يطلبه الرافضة من أتباعها تجاه الإمام، ويوجد في الهندوسية مثل هذه الأفكار، فمما جاء فيها: «لا تتوان في أداء الواجبات تجاه الآلهة والآباء، احترم الوالدة مثل الإلهة، واحترم الوالد والشيخ والضيف مثل الآلهة»^(٧).

وجاء في الباب الثاني من كتاب مُنُو سُمَرْتِي تفصيلاً كثيراً عنها، ولا بأس أن أنقل هنا بعض المقتطفات:

(١٩٢) وعلى التلميذ أن يبقى يده اليمنى؛ مكشوفة دائماً، وأن يستر باقي جسمه،

(١) انظر ما ذكره الدكتور ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة .. ص (٧٤٩)، وانظر إلى بحار الأنوار (٨٢/٢٦).

(٢) ابن بابويه: الاعتقادات ص (١٠٦).

(٣) آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة ص (٥٨).

(٤) انظر بحار الأنوار (٢٧/٢٠١).

(٥) انظر المصدر السابق (٢٣/٩٧).

(٦) الخميني: الحكومة الإسلامية ص (١١٣).

(٧) (١/١١-٢-٤).

وأن يجلس؛ إذا أمره أستاذه بالجلوس، قبالة وجهه.

(١٩٥) بل يكلمه قائماً؛ إن كان الأستاذ جالساً، ويتقدم إليه ويقترب منه؛ إن كان قائماً، ويسرع نحوه؛ إن كان قادمًا، ويركض خلفه؛ إن كان سائرًا.

(١٩٨) على التلميذ: ألا يذكر أستاذه، وهو غائب، باسمه المجرد، ولا يقلده في مشيته وكلامه، ولا في حركاته وسكناته.

(١٩٩) على التلميذ: أن يسدّ أذنيه، أو يدع المجلس، الذي يُغتَابُ فيه أستاذه، أو يحتقر، حقًا على ذلك؛ أو بهتانًا.

(٢٠١) يجب على التلميذ: ألا يخدم أستاذه بالواسطة، ولا يسلم عليه إذا كان غاضبًا، أو قريبًا من زوجته، وعليه أن ينزل من المركبة؛ إن كان راكبًا، ويتنحى عن المقعد؛ إن كان جالسًا، ثم يسلم عليه.

(٢٠٢) على التلميذ: ألا يجلس أمام أستاذه، والهواء آتٍ من قبله إليه، أو بالعكس، ولا يتكلم بكلام؛ لا يستطيع الأستاذ أن يسمعه.

(٢٠٨) على التلميذ أن يدلّك رجل أستاذه فقط.

(٢٢٤) على التلميذ أن يعامل الأستاذ، والأب، والأخ الأكبر؛ بكل تعظيم، حتى ولو آذوه.

(٢٢٥) الأستاذ؛ تمثال پرمتا (الإله الأعلى)، والأب؛ تمثال براهما، والأم تمثال الأرض، والأخ الأكبر؛ كالإنسان نفسه.

(٢٣٣) إن من يقوم بواجباته، تحو هؤلاء الثلاثة؛ ثمر أعماله، ومن لم يفعل؛ لا يثمر له عمل.

(٢٤٢) على التلميذ، الذي يرغب: أن يقضي حياته، عند أستاذه؛ أن يقوم بخدمته، بكل أمانة وإخلاص، حتى الموت.

(٢٤٣) كل تلميذ، يخدم أستاذه حتى الموت، ينال النعيم الأعلى.

هذه بعض النصوص من الكتب الهندوسية الدالة على أهمية الأستاذ لديهم في الفلاح في الحياة، وهذه النظرة هي نفسها نظرة الرافضة تجاه الإمام، بل نظرتهم إلى الإمام أكثر من هذا، كأن نظرتهم إلى الإمام كنظرة الهندوس إلى الآلهة.

المطلب الخامس

المتعة لدى الرافضة ومقارنتها بما في الهندوسية

معنى المتعة:

المتعة لغةً: من المتاع، والمتاع في الأصل كل شيء ينتفع به ويتبلغ به ويُتزوج والفناء يأتي عليه في الدنيا^(١).

وتعني نكاح المتعة: نكاح المرأة لمدة مؤقتة على مهر معين، كأن يقول الرجل لامرأة: «خذي هذا الألف وأتمتع بك مدة معلومة» فتقبل هي ذلك، وسميت بذلك لانتماعها بما يعطيها، وانتفاعه بها لقضاء شهوته، وهو باطل في قول عامة أهل العلم^(٢).

المتعة عند الرافضة ، أنواعها وأشكالها:

والرافضة تجيز نكاح المتعة، وتتوسع فيها توسعاً عجيباً، لا فرق بينها وبين الزنا الصريح سوى في الاسم ووضعوا لها روايات ملفقة على ألسنة الأئمة - وهم عنها مطهرون - حتى يسهلوا على المغفلين أمر فعلها ويخففوا عن نفوسهم وقع نكيرها. فلو سألت هذا السؤال: هل يجوز لأي رجل أن يدخل أية أنثى أي مكان ليفعل بها ما يشاء متى شاء ثم يدعها لينصرف إلى غيرها بمجرد أن يتبادلا التلفظ ببضع كلمات عن

(١) انظر ما ذكره ابن منظور: لسان العرب (١٣/١٥) مادة: متع.

(٢) انظر ما ذكره ابن عبد البر: الكافي (١/٤٣٦)، وابن قدامة: المغني (١٠/٤٦) بتحقيق التركي، والنووي: تحرير ألفاظ التنبيه ص (٢٥٤)، والجزجاني: التعريفات ص (٢٤٦)، ومعجم لغة الفقهاء ص (٤٠٣).

الثلث والمدة أو عدد المرات ومتعتك نفسي، وبلا حاجة إلى ولي أو شهود؟ ولا داعي للسؤال عما إذا كانت المرأة ذات زوج أو أنها تمتن البغاء؟

لجاء الجواب ومن أوثق المصادر: (بسمه تعالى يجوز ذلك)!!^(١).

وفيما يلي أشكال من هذه الفاحشة باسم المتعة:

أ - نكاح المتعة:

لقد استغلت المتعة عند الشيعة أبشع استغلال، وأهينت المرأة شر إهانة، وصار الكثيرون يشبعون رغباتهم الجنسية تحت ستار المتعة وباسم الدين، وتفصيل ما يقول الشيعة عن المتعة ما يلي:

كيف تنعقد المتعة؟

يبينها القوم متهمًا جعفر الصادق أنه سئل: «كيف أقول لها إذا خلوت بها؟ قال: تقول: أتزوجك متعة على كتاب الله وسنة نبيه، لا وارثة ولا موروثة، كذا وكذا يومًا وإن شئت كذا وكذا سنةً، بكذا وكذا درهمًا، وتسمي من الأجر ما تراضيتما عليه قليلًا كان أم كثيرًا»^(٢).

هل هناك عدد محدد من النساء للمتعة؟

قالوا: إن أبا جعفر قال: المتعة ليست من الأربع، لأنها لا تطلق ولا تورث ولا ترث^(٣)، وإنما هي مستأجرة^(٤).

وابنه أبو عبد الله ذكر له المتعة وقيل له: أي من الأربع؟ قال: تزوج منهن ألفًا،

(١) انظر مثلاً فروع الكافي (٥/ ٥٤٠). وانظر أيضًا ما ذكره محب الدين عباس الكاظمي (الشيوعي) : سياحة في عالم التشيع (الحوزة العلمية أسرار وخفايا) ص (٧٨-٧٩).

(٢) الكليني: الفروع من الكافي (٥/ ٤٥٥)، وانظر ما ذكره الشيخ إحسان إلهي ظهير: الشيعة وأهل البيت ص (٢٢١).

(٣) تهذيب الأحكام (٧/ ٢٦٣).

(٤) الاستبصار (٣/ ١٤٧).

فإنهن مستأجرات^(١).

ولما كانت المرأة مستأجرة، فإنهم يقولون: إن للمتمتع أن يحاسبها على أجرته التي أعطاه إياها، ويخصم منها حسب العمل^(٢).

بمن تكون المتعة؟

يجوز التمتع مع أي امرأة:

وذلك لأن نكاح المتعة عندهم: تعني الاتفاق السري على فعل الفاحشة مع أي امرأة تتفق لهم وعلى هذا يجوز نكاح المتعة عندهم مع كل امرأة^(٣).

وهل يجوز بالهاشمية؟ سئل عنه جعفر بن الباقر مرة مطلقاً، فقال: تمتع بالهاشمية^(٤).

يجوز التمتع بأي مدة:

ويجوز عندهم التمتع بالمرأة يوماً أو يومين، أو المرة والمرتين من الجماع^(٥).

رووا عن أبي الحسن - الإمام العاشر عندهم - أنه سئل:

كم أدنى أجل المتعة؟ هل يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة؟ قال: نعم، وعن جده أبي عبد الله على عرد^(٦) واحد، فقال: لا بأس، ولكن إذا فرغ فليحول وجهه ولا ينظر^(٧).

(١) الاستبصار (٣/١٤٧)، تهذيب الأحكام (٧/٢٥٩).

(٢) الكليني: الفروع من الكافي (٥/٤٦١).

(٣) قال الطوسي: يجوز أن يتمتع بها من غير إذن أبيها وبلا شهود، ولا إعلان.

(٤) الطوسي: تهذيب الأحكام (٧/٢٧٢).

(٥) انظر ما ذكره الكليني: فروع الكافي (٥/٤٥٤ - ٤٥٦، و ٤٥٩ - ٤٦٠).

(٦) أي مجامعة لمرة واحدة، كما يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله الشيعية وأهل البيت ص (٢٢٥).

(٧) الكليني: الفروع من الكافي (٥/٤٦٠)، والطوسي: الاستبصار (٣/١٥١).

وله أن يتمتع بها مرات كثيرة كما رووا أنه سئل جعفر الصادق في الرجل يتمتع بالمرأة مرات، قال: لا بأس، يتمتع بها ما شاء، وأبوه محمد الباقر صرح كما رووا عنه «نعم كم شاء، لأن هذه مستأجرة»^(١).

هذا، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»^(٢).

يجوز التمتع ولو بالمومسات:

قال الطوسي: لا بأس أن يتمتع الرجل بالفاجرة^(٣).

وقال الخميني: يجوز التمتع بالزانية^(٤).

وجاء في أخبارهم «عن إسحاق بن جرير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عندنا بالكوفة امرأة معروفة بالفجور أيحل أن أتزوجها متعة؟ قال: فقال: رفعت راية؟ قلت: لا لو رفعت راية أخذها السلطان، قال: نعم تزوجها متعة، قال: ثم أصغى إلى بعض مواليه فأسر إليه شيئاً، فلقيت مولاه فقلت له: ما قال لك؟ فقال: إنما قال لي: ولو رفعت راية ما كان عليه في تزويجها شيء إنما يخرجها من حرام إلى حلال»^(٥).

هذا، وقد قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

يجوز التمتع من ذوات الأزواج:

جاء في أخبارهم: عن محمد بن عبد الله الأشعري قال: قلت للرضا: الرجل يتزوج بالمرأة فيقع في قلبه لها زوجاً، فقال: وما عليه^(٦).

(١) الكليني: الفروع من الكافي (٥/ ٤٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٨٣)، كتاب أحاديث الأنبياء.

(٣) النهاية ص (٤٩٠).

(٤) تحرير الوسيلة: (٢/ ٢٩٢).

(٥) وسائل الشيعة (١٤/ ٤٥٥)، تهذيب الأحكام: (٢/ ٢٤٩).

(٦) (وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٥٧ عن تهذيب الأحكام: ٢/ ١٨٧).

وقيل له: (أي جعفر كما يزعمون) إن فلاناً تزوج امرأة متعة، فقيل له إن لها زوجاً، فسألها، فقال أبو عبد الله (ع): ولم سألها؟^(١)، ولذا قال شيخهم الطوسي: «وليس على الرجل أن يسألها هل لها زوج أم لا»^(٢)، ولذلك قالوا: ممكن أن يتفق معها على يوم أو مرة أو مرتين^(٣).

وجاء في أخبارهم عن خلف بن حماد، قال: أرسلت إلى أبي الحسن (ع) كم أدنى أجل المتعة؟ هل يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة؟ فقال: نعم^(٤)، وقد صرح بعضهم للشيخ محمد نصيف بأنه يجري عندهم استعمال المتعة الدورية بحيلة وضعها شيوخهم^(٥).

ولذا قال الألوسي: «من نظر إلى أحوال الرافضة في المتعة في هذا الزمان لا يحتاج في حكمه عليهم بالزنا إلى برهان، فإن المرأة الواحدة تزني بعشرين رجلاً في يوم وليلة، وتقول إنها متمتعة، وقد هيئت عندهم أسواق عديدة للمتعة توقف فيها النساء ولهن قوادون يأتون بالرجال إلى النساء وبالنساء إلى الرجال فيختارون ما يرضون ويعينون

(١) المصدر السابق.

(٢) النهاية ص (٤٩٠).

(٣) النهاية للطوسي ص ٤٩١، الخميني/ تحرير الوسيلة: ٢/ ٢٩٠.

(٤) فروع الكافي: ٢/ ٤٦، وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٧٩.

(٥) المتعة الدورية أن يستمتع جماعة بامرأة واحدة ويقرروا الدورة والنوبة لكل منهم (انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٢٧) وانظر ما ذكره الشيخ العاني عن شيوع استعمالها في بعض مدارس النجف (الذريعة لإزالة شبه كتاب الشيعة ص ٤٥-٤٦) وقد استطاع الشيخ محمد نصيف رحمه الله أن يكتشف إقرار شيوخ الشيعة بأمر المتعة الدورية في حوار له مع شيخهم أحمد سرحان، حيث قال نصيف للشيعة: إن أهل السنة ثبت عندهم نسخ المتعة، ولم يثبت عند الشيعة ذلك، لكنني لم أعرف دليلكم على جواز المتعة الدورية، فأجاب الشيعي بأن المتمتع بالمرأة يعقد عليها بعد نهاية متعته منها عقد زواج دائم ثم يطلقها قبل الدخول فتصبح لا عدة عليها، فيتمتع بها آخر ويفعل كالأول.. فتدور المرأة على مجموعة من الرجال بهذه الطريقة بلا عدة. (انظر: مجلة الفتح العدد ٨٤٥، الصادر في رجب سنة ١٣٦٦ هـ).

أجرة الزنا ويأخذون بأيديهن إلى لعنة الله تعالى وغضبه..»^(١). ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ بعض تفاصيل وحكايات ما يجري هنالك^(٢).

ب - استعارة الفرج عند الشيعة.

من أنواع الزنا الذي يستحله الشيعة هو ما يسمى باستعارة فروج النساء بين بعضهم البعض. وهذا مختلف عن زواج المتعة؛ إذ ليس هناك أي شكل من أشكال الزواج كالعقد أو ما شابه وإنما هو «استعارة» بالمعنى الحرفي!

وصورتها: أن يعطي الرجل امرأته أو أمته إلى رجل آخر فيحل له أن يتمتع بها أو أن يصنع بها ما يريد، فإذا ما أراد رجل ما أن يسافر أودع امرأته عند جاره أو صديقه أو أي شخص كان يختاره، فيبيح له أن يصنع بها ما يشاء طيلة مدة سفره.

والسبب معلوم حتى يطمئن الزوج على امرأته لئلا تزني في غيابه!!
وهناك طريقة ثانية لإعارة الفرج، إذا نزل أحدٌ ضيفاً عند قوم وأرادوا إكرامه فإن صاحب الدار يعير امرأته للضيف طيلة مدة إقامته عندهم فيحل له منها كل شيء^(٣).
وهم ينقلون هذه الفواحش ويروونها عن أئمتهم، فمن ذلك:

نقل الطوسي: (عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: الرجل يحل لأخيه فرج جاريته؟ قال: نعم لا بأس به له ما أحل له منها)^(٤).

ونقل الطوسي في الاستبصار أيضاً: (عن محمد بن مضارب قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا محمد خذ هذه الجارية تخدمك و تصيب منها فإذا خرجت فاردها إلينا)^(٥).

(١) نقله الدكتور ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ص (١٢٣٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) السيد حسين الموسوي: كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ص (٤٧).

(٤) الطوسي: الاستبصار (٣/١٣٦).

(٥) الاستبصار (٣/١٣٦) والكليني: فروع الكافي (٢/٢٠٠).

جاء في كتبهم: «عن الحسن العطار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عارية الفرج قال: لا بأس^(١)».

مصدر المتعة لدى الرافضة:

إن كون متعة الرافضة مستمدة من الهندوسية واضح جداً من وجوه:

- (١) من خلال توافق المقصود، فكل من الهندوسية والرافضة قصدها الوحيد من المتعة إشباع الغريزة، ففي الهند أكثر من يزاولها البراهمة، أصحاب الطبقات العليا، ومن الروافض أكثر من يزاولها علماء الرافضة الملقب بالآيات والحجج.
- (٢) من خلال امتهان كرامة النساء، حيث إن النساء لا كرامة لهن في الهندوسية وهكذا الأمر في الرافضة.
- (٣) إن التمتع بالنساء في الهندوسية لا حدود لها، وهكذا الأمر عند الروافض.
- (٤) إن الهندوسية تجيز التمتع بكل امرأة إذا رضيت، وهكذا الأمر عند الروافض.
- (٥) إن الهندوسية تجيز التمتع بالعاشرات، وهكذا الروافض تجيز ذلك، وأما كون الهندوسية تجيز المتعة بالعاشرات، فالزانيات وبيوت الدعارة مسموحة في الديانة الهندوسية، بل يعتبر النظر إليهن مما يتفاعل به.
- (٦) إن الهندوسية تجيز التمتع من ذوات الأزواج، وهكذا الروافض، أما كون الهندوسية تجيز ذلك، فهذا واضح من القصة التي مرّت معنا من الملك پاندو والد الأبناء الخمسة المعروفين بـ«پنچ پاندب»، حيث إنهم ولدوا من غير أبيهم برضاه.

(١) وسائل الشيعة: (٥٣٦-٥٣٧)، والطوسي: تهذيب الأحكام: (١٨٥/٢)، والاستبصار (١٤١/٣).

(٧) إن الهندوسية تبيح عملية الاستبضاع، وهي نفس ما لدى الرافضة من استعارة الفروج، وأما كون الهندوسية تبيح الاستبضاع، فقد سبق معنا نصوص في كتابهم منو سُمِرتي، وهم يسمّونه الزنا الشرعي أو (نيوگ).

هذه بعض نقاط الالتقاء بين متعة الرافضة ومتعة الهندوس، وهي كلها تدل على أن الرافضة استمدوا هذه الأعمال الخبيثة من الهندوسية، ولا يمنع ذلك استمداد الرافضة من الديانة المزدكية القديمة الفارسية أيضًا.

الفصل الثالث

تأثر عموم المسلمين في شبه القارة الهندية

ببعض عادات وتقاليد الهندوس

إن الفضل في ارتفاع كلمة الإسلام في شبه القارة الهندية يرجع بعد الله ﷻ إلى العلماء والمشايخ الذين هجروا أوطانهم في بلدان الإسلام، ودخلوا الهند دعاءً ومرشدين، وخالطوا أهلها ولقنوهم مبادئ الدين الحق وعلموهم آداب الإسلام، فتأثر سكان البلاد بأخلاقهم الزكية، وسجاياهم العالية واختاروا الإسلام ديناً لهم عن طيب نفسٍ وانشرح صدر، حتى أصبح عدد المسلمين اليوم في شبه القارة الهندية وحدها تبلغ إلى أكثر من ٣٥٠ مليون نسمة.

تأثر المسلمين في الهند بالديانة الهندوسية وأسبابه:

إن التأثير والتأثير في الهند عميق وواسع جداً، أما تأثر الهندوسية بالإسلام فلا ينكره أحدٌ من المنصفين شرقاً وغرباً^(١)، وأما تأثر المسلمين بالهندوسية فقد وجد لدى بعض المسلمين في شبه القارة الهندية كثير من الرواسب الهندوسية وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم، وتتمثل أهم أسباب التأثير في الأمور الآتية:

أولاً: التخلف الثقافي لدى المسلمين:

ويتمثل ذلك في الأمور الآتية:

(١) انظر على سبيل المثال ما نقله الدكتور عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند ص (٣١٥-٣٣١)، والدكتور عدنان علي رضا النحوي: ملحمة الإسلام في الهند ص (١٣٧-١٣٨)، وأبو الحسن الندوي: المسلمون في الهند ص (١٢-٦٣).

- ❖ عدم تمكن العلماء الأولين في شبه القارة الهندية من تثقيف المسلمين.
- ❖ إهمال الحكومات تثقيف المسلمين^(١).
- ❖ قصور المناهج التعليمية^(٢).

الثاني: الخلفية الدينية لدى بعض الذين أسلموا من الهندوس:
ويتمثل ذلك في الأمور الآتية:

- (١) بقاء الرواسب الهندوسية وعقائدها وتقاليدها، لأن بعضاً من هؤلاء الدعاة الذين وفدوا إلى الهند كان لديهم بعض العقائد والأفكار المنحرفة.
- (٢) إن من بين الداخلين في الإسلام كان هناك جماعة من علماء الديانة الهندوسية، فلما استقروا على الإسلام، بدأوا يستعيدون أفكارهم ومعتقداتهم الأولى ويتذكرونها، فألبسوها لباس الإسلام^(٣).

ثالثاً: طبيعة أهل الهند:

وتتمثل ذلك في الأمور الآتية:

- ❖ سهولة انتحال الهندي لدين جديد، دون تركه للأول^(٤).
- ❖ العاطفة الحرة غير المقيدة لدى الهندي.

رابعاً: احتكاك المسلمين بالهندوس

خامساً: نزوح بعض أصحاب النحل الباطلة إلى الهند، وتطابق عقيدتها مع الهندوس^(٥).

-
- (١) انظر ما ذكره مسعود عالم الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص (٥، ٦، ٨، ١٥).
 - (٢) انظر ما ذكره أبو الحسن الندوي: الإمام السرهندي ص (٣٧)، ومسعود عالم الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص (١٠، ٢١).
 - (٣) انظر ما ذكره أحمد أمين: ضحى الإسلام ص (٧).
 - (٤) انظر ما ذكره غوستاف لوبون: حضارات الهند ص (٦٢٥-٦٢٨).
 - (٥) كالبهرة الإسماعيلية الباطنية مثلاً.

سادساً: قلة وجود الشخصية الدينية القوية ^(١).

سابعاً: انتشار زوايا المتصوفة ^(٢)، واعتقاد كثير من المتصوفة بوحدة الأديان.

ثامناً: استبداد الحكام وظلمهم ^(٣).

تاسعاً: بُعد الهند عن المراكز الإسلامية ^(٤).

هذه بعض الأسباب لتأثر عموم المسلمين في شبه القارة الهندية ببعض العقائد والعادات الهندوسية.

وفيما يلي بيان لأهم العادات والتقاليد التي تأثر بها بعض مسلمي الهند ببعض مبادئ الديانة الهندوسية:

الأعياد والموالد:

المسلمون في الهند، الملوك والرعية، كانوا لا يعترفون ولا يقرون إلا بعيدين، عيد الفطر وعيد الأضحى، ولكن بعد مدة من الزمن تأثروا بأعياد الهندوس وبعض عاداتهم فيها، فقد كان بعض الملوك أحدثوا أعياداً وعادات مستحدثة فيها ^(٥).

إلا أن من أعظم البدع الشنيعة التي ظهرت بين صفوف بعض المسلمين ما يسمى بعيد «المولد النبوي»، يقصدون بذلك مولد الرسول ﷺ، ويظهر كونهم أخذوها من الهندوس، أن الهندوس لهم أعياد وحفلات خاصة بمناسبة أيام ولادة آلهتهم وعظمائهم، وكهنتهم، وقد سبق معنا قريباً أن للهندوس أعياداً في يوم ولادة سري كريشنا، ويوم ولادة رام بن دشرته، وهناك أعياد أخرى سبقت معنا في مناسبة ولادات بعض الكهنة وكبار

(١) انظر ما ذكره أبو الحسن علي الندوي: الإمام السرهندي ص (٥٢).

(٢) انظر المصدر السابق ص (٤٦).

(٣) انظر ما ذكره أبو الحسن الندوي: الإمام السرهندي ص (١١، ١٢، ١٥).

(٤) انظر ما ذكره أبو الحسن الندوي: الإمام السرهندي ص (٣٧).

(٥) انظر ما ذكره مسعود عالم الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص (٧٢)، وعبد الحي

الحسني: الهند في العهد الإسلامي ص (٣٦٦)،

الشخصيات في الديانة الهندوسية، فلا يستبعد أن يكون الاحتفال بعيد ميلاد النبي ﷺ أخذه المسلمون في الهند - مع المشارب الأخرى - من الأعياد الهندوسية.

والمسلمون في الهند يحتفلون كثيرًا بمناسبة حوادث التاريخ، من ولادة أو انتصار ونحو ذلك، كاحتفال بمناسبة ليلة السابع والعشرين من رجب، إحياءً لذكرى معراج النبي ﷺ^(١)، والاحتفال بمناسبة يوم بدر، والاحتفال بمناسبة الأربعاء الأخير من حياة الرسول ﷺ ويسمونه «آخري چهار شنبه»^(٢).

وهكذا الاحتفال بيوم وفاة عبد القادر الجيلاني، الذي يسمونه بـ«غيارهي»^(٣)، أي اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الثاني. (فاتحة ياز دهم).

والاحتفال باليوم الأول من الشهر الهندي، والتي تسمى «بيساكه»، وهو من الأعياد الهندوسية كما سبق أن مرّ معنا.

كما بدأت في الآونة الأخيرة الاحتفالات بيوم الولادة للرؤساء وكبار الشخصيات، ثم انتشرت هذه العادة حتى شملت الأسرة، فالأسرة تحتفل بيوم الولادة لأولادهم، ويوم الزواج، ويوم موت بعضهم، وما إلى ذلك.

فهذه الاحتفالات والأعياد إما أنها متأثرة بالهندوسية؛ وإما مأخوذة منها رأسًا؛ لأن الهندوس أيضًا يحتفلون بمناسبة ذكرى أي حادثة مرت عليهم، من ولادة، أو انتصار، ونحو ذلك من الاحتفالات المختلفة التي يحيون الليالي ويتعبدون فيها بعبادات متنوعة.

التحيات:

لقد شرع الله للمسلمين تحية، وهي: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، وهي

(١) انظر ما ذكره عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي ص (٣٦٨-٣٦٩).

(٢) وهو يوم عطلة رسمية حتى من الدوائر الحكومية، في بعض البلدان الإسلامية كباكستان وبنغلاديش.

(٣) حيث يعطلون فيه الدوائر الحكومية في بعض الدول، مثل باكستان وبنغلاديش.

تحية واضحة، خيرة من كل جانب، يظهر فضلها بجلاء لكل من أنعم النظر في تحيات الأمم والديانات، وهي تحية أبينا آدم عليه السلام، وتحية الأنبياء والملائكة، إن هذه التحية تعتبر فخراً واعتزازاً للمسلمين، يتعارفون فيما بينهم مهما تباعدت الأوطان، ومهما اختلفت اللغات، فما أروعها من تحية!

وقد سار على هذا جميع المسلمين منذ أن شرعه لهم نبيهم، فكان الناس يدخلون على الخلفاء ويسلمون عليهم بهذه التحية، فيردون عليهم بمثلها، أو بأحسن منها، طاعة لله ولرسوله، دون اشمئزاز أو مضايقة.

ولكن لما ضعف الإيمان في القلوب، وتداولت السلطة بأيدي حكام في الهند ممن ينتسب للإسلام، لم يقنعوا بذلك، ووضعوا للتحية ما سموه آداباً، ورسومًا غير ما وضعه الشارع الحكيم، وسابق في ذلك بعضهم بعضاً، حتى جاء الملك المغولي أكبر، فوضع للتحية قواعد وآداباً^(١) فجعلها على ثلاثة أصناف:

الأول: «كورنش»، وهو أن يضع يمينه على جبينه ويطأ طئ رأسه إلى الصدر.

الثاني: «التسليم»، وهو أن يضع ظاهر الكف من يمينه على الأرض ويقوم، ويضع باطنه على الرأس.

الثالث: «السجدة» كما يسجد للصلاة.

وله لهذه الأعمال تفصيلات؛ حيث إن «كورنش» مخصص لحين خروج السلطان لجلوسه للناس، أو إذا حضر أحدٌ بين يديه، فيلزمه أن يفعله، ثم يقوم مقامه، وأما التسليم فإنه إذا سعد أحدُ الأمراء بزيارة السلطان أول مرة، أو قدم من سفر، أو قدّم له العطايا أو المنصب أو إذا أرسله السلطان إلى إحدى الجهات، فيلزم عليه أن يفعل ذلك ثلاث مرات، وفي بعض العطايا الخفيفة تسليم واحد، وأما السجدة فإذا كان السلطان في ديوانه

(١) كما أنه وضع للقيام والقعود في مجالس الملوك أيضاً أنظمة وقواعد محددة، وهي كلها مأخوذة من الهندوسية، انظر ما نقله الشيخ عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي: ص (٣٧٣-٣٧٤)، ولزوال هذه الأنظمة الآن لم أستفصل فيها.

الخاص، وأذن لواحدٍ من الأمراء بالقعود، فعليه أن يسجد بين يديه ثم يقعد مكانه، وقد سار على هذا النهج بعض السلاطين بعده وتأثر به كثير من المسلمين^(١).

ولاشك أن هذه الأعمال التي يسميها آداب بعضها مع بدعيته محرم تحريمًا شديدًا، وقد خالفها كثير من علماء ذلك الزمان^(٢)، وذاقوا في سبيل إزالتها الأسر والحبس والنكال من الملك أكبر وابنه جهانكير.

أما مصدرهم في هذه الأعمال، فلاشك أن كثيرًا من هذه الأعمال وبالأخص منها السجدة مأخوذة من الهندوس رأسًا؛ إذ السجدة للملوك ولكبار الشخصيات عادة هندوسية من قديم الزمان حتى الآن^(٣).

ومن بدع التحيات أيضًا ما يسمّى بـ«قدم بوسي» أو تقبيل القدمين، أو تقبيل ما بين القدمين للكبار، وذلك أن من عادات كثير من أهل الهند في السلام على من هو أكبر منهم سواء كان من الوالدين، أو من هو أكبر منه من الإخوة أو الأساتذة: أنهم يجلسون أمامهم وينخفضون رؤوسهم ويأخذون تراب أقدامهم، وهي ما زالت منتشرة بصفة كبيرة في مقاطعات عديدة من الهند، خصوصًا في البنغال.

ولاشك أن هذه عادة هندوسية، ذكرتها كتب الهندوس في كيفية السلام، فقد جاء في مُنُو سَمَرْتِي:

(٢ / ٧٠): وعليه (أي التلميذ) أن يلمس بيديه؛ كل يوم، رجلي الأستاذ، عند الابتداء بالقراءة، وبعد الانتهاء منها، وأن يقرأ؛ وهو مكتوف اليدين...

(١) انظر ما ذكره الشيخ عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي ص (٣٧٣، ٣٧٤)، وانظر ما ذكره مسعود عالم الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص (٧٥).

(٢) منهم الإمام السرهندي.

(٣) يمكن يراجع لإثبات هذا المدعى من الكتب العربية، ترجمة كليلة ودمنة، حيث يلاحظ ذلك من صنيع الفيلسوف بيدبا للملك، حيث كان يحييه بالسجدة، وقد تكرر هذا في كل مناسبة. انظر ترجمته لابن المقفع.

(٧١ / ٢): وأن يأتي من أمام أستاذه، ويلمس بيده اليمنى؛ رجل أستاذه اليمنى، ويده اليسرى؛ رجل أستاذه اليسرى.

(١٣١ / ٢): سلم على زوجة الأخ؛ بلمس رجلها، وأما زوجات الأقرباء، من جهة الأم أو الأب، فسلم عليهن، من غير لمس أرجلهن، إلا عند الرجوع من السفر. فلمس الأرجل؛ للسلام، عند الهندوس؛ دليل على زيادة الاحترام، والتعظيم.

الأطعمة:

نلاحظ تأثر كثير من المسلمين في الهند بالديانة الهندوسية في تحريم بعض أنواع الأطعمة، مثل أكل لحم البقر، والتعبد بترك الطيبات، وهذه العادات شائعة في مجتمعات عديدة في الهند.

الزواج:

نلاحظ تأثر كثير من المسلمين في الهند في الزواج من جهات مختلفة، منها:

١) في حفلة الزواج:

إن حفل الزواج في الإسلام بسيط للغاية، ليس فيه أي تعقيد، بل عقد الزواج يذكرنا بالله، ولهذا يتلى في بداية القرآن آيات من كتاب الله ﷻ تتضمن معاني سامية، تذكرنا بالتقوى، يعلمنا القول السديد والعمل الرشيد في حياتنا عامةً، وتذكرنا بأصل الإنسان، وأنهم جميعاً من أب واحد وأم واحدة، وهذا بدورنا يعلمنا التواضع، وعدم التعالي والكبر، فما أروع هذا الحفل! وما أشمله من معاني عظيمة!

ولكن حفلات الزواج في الديانة الهندوسية تشتمل على المنكرات بكل أنواعها، فهم يختلفون من منطقة إلى منطقة في مراسيم الزواج وتقاليده وعاداته، أغلبها مليئة بالفحشاء والبذاءة.

وقد تأثر كثير من المسلمين في شبه القارة الهندية في حفلات زواجهم ببعض عادات الهندوس وتقاليدهم، من أهمها:

- ❖ إحصار الآلات الموسيقية في حفلة الزواج.
- ❖ إقامة حفلة مزج الصفار (نوع من التقليد الهندوسي) في الجسد لكل من العروس والعريس.
- ❖ أخذ الماء من البئر بكيفية معينة.
- ❖ ذهاب الحمو مع العريس.
- ❖ عقد ثوب العريس والعروس.
- ❖ جلوس العريس والعروس على منصة أمام الحضور.
- ❖ المزاح في بيت ليلة الزفاف من قبل البنات.

هذه بعض ما وجد في المجتمعات الإسلامية في شبه القارة الهندية من تقاليد الهندوس وعاداتهم، وهي كلها بقيت عندهم موروثة وهم يزاولونها تقليدًا للآخرين^(١).

(٢) في المهور:

إن من أهم المشكلات الاجتماعية والأسرية التي يواجهها المسلمون في شبه القارة الهندية مشكلة المهور؛ فإن أهل الشاب هناك يخطبون لابنهم فتيات من أغنى الأسر ويتفننون في كثرة المطالب المادية، ويرهقون كواهل أولياء أمور البنات، ويزيدون في هذا على ما هو مألوف في المجتمعات العربية، من أهل الفتاة زيادة الطلبات وإرهاق كاهل الخاطب، ولكن الأمر في المجتمعات العربية ينتهي بعد الزواج، وتصبح سلطة أهل الفتاة بعد ذلك محدودة، أما في شبه القارة الهندية فإن المرارة لا تنتهي، فلا تكاد تمر مناسبة بعد سنوات من الزواج حتى يطالب أهل الشاب زوجة ابنهم بأن تحضر من أبيها شيئاً آخر ذا قيمة، ويستمر ذلك حتى بعد إنجاب الأطفال؛ فإن لم تفعل ذلك فإن سيف الطلاق يظل معلقاً فوق رقبتها، ناهيك عن ضرب الأزواج لزوجاتهم للحصول عليها، وأقل ما في الأمر أن أهل زوجها يظلون يعيرونها بأن زوجة ابنهم الآخر أحضرت

(١) انظر ما ذكره العالم الهندوسي: أتول شور: بهارتير بيباهير إتيهااس ص (١١٧).

كذا وكذا، وغيرت مثلاً أثاث المنزل، أو اشترت مجوهرات ذهبية لحلماتها أو قطعة أرض لحميمها إذا كان أهل الزوجة قادرين على ذلك.

وهذه التقاليد أو العادات هي مما يفسر لنا القصص التي نقرأ عنها من انتحار الفتيات في شبه القارة الهندية، كما أن لهذه التقاليد أثراً في الظلم الذي تتعرض له النساء وانتشار النصرانية والأفكار المنحرفة عن تحرير المرأة، وهذه التقاليد الظالمة هي في الواقع ما شجع كاتبة لا تتقن شيئاً من فنون الكتابة مثل «تسليمة نسرين»^(١)، على أن تتحدث عن حقوق المرأة وظلم الإسلام لها كما تزعم.

وهذه التقاليد الغربية في الواقع مشكلة كبيرة ومثيرة، وهي في الوقت نفسه سبب لعدد من المشكلات الاجتماعية الأخرى التي تسببت، وسوف تسبب، في مجتمعات شبه القارة الهندية، وتضعف من العلاقات بين أفرادها، وكما هو متوقع فإن أول مشكلة نشأت بسبب هذه العادات هو انتشار كراهية الآباء للبنات، فيتضايق الكثيرون إذا علموا بأنهم رزقوا بمواليد إناث، لعلمهم بأن عليهم جمع المزيد من المال حتى يتمكنوا من تزويجهن، كما أن كثيراً من الرجال يقومون بإذلال نسائهم^(٢).

ولكن من أين جاءت هذه العادة السيئة في المجتمعات الإسلامية في شبه القارة الهندية؟

يعترف المنصفون أن هذه العادات ما جاءت إلا من الديانة الهندوسية؛ وليس لها أي علاقة بالإسلام لا من قريب ولا من بعيد؛ والدليل عليه أمور:

أولاً: إن الدول الإسلامية الأخرى لا تعاني من هذه المشكلة، بل نلاحظ عكس ذلك في المجتمعات الإسلامية الأخرى.

(١) المرأة الملحدة التي اشتهرت في أوساط الناس لكتابها «العار» بإيعاز من الدولة الهندوسية الهندية.

(٢) وقد سبق معنا إشارة إلى بعض التقارير الدالة على كراهية النساء في كثير من مجتمعات شبه القارة الهندية.

ثانيًا: إن هذه العادات موجودة بصفة عامة في الديانة الهندوسية، وهي متأصلة فيهم حتى اليوم؛ فإن الهندوس يدفعون المال للخاطب، ولا يترددون في القول بأنهم «يشترون» الشاب لابنتهم، بل يتفاخرون بأنهم يشترون لابنتهم شابًا ذا شهادات علمية عالية أو تجارة واسعة، أو غير ذلك من المؤهلات.

ثالثًا: إن هذه العادات والتقاليد تتفق تمامًا مع طبيعة المجتمع الهندوسي الذي يتمسك كثيرًا بالطبقية والعنصرية، وكثيرًا ما حفلت المجلات والجرائد بأخبار هذه الطبقة المفرطة التي تكاد تزعر على البناء الاقتصادي لهذه الدول^(١).

رابعًا: إن هذه العادة سببها المباشر مسألة الإرث؛ فإن الهندوسية لا تورث البنات من الآباء شيئًا^(٢)، ولهذا كانوا يدفعون ما يريدون مرة واحدة عند الزواج، وقد تأصلت هذه العادة عند مسلمي الهند، فإنهم لا يحبون أن يعطوا البنات شيئًا ولهذا ترى الوالد في كثير من الأحيان يجعل المال لأولاده الذكور جورًا وظلمًا، كما يعتقدون أن البنات يرثن فقط من العقارات العامة، ولا يرثن في البناء والبيوت والأماكن الخاصة، وما إلى ذلك من الأموال الثمينة.

كما أن كثيرًا من الأولاد الذكور يحاولون أن يحرموا أخواتهم من الميراث بشتى الوسائل، فهذه الأسباب وغيرها تجعل الأزواج يريدون أن يأخذوا ما يريدون عند الزواج؛ لأنهم يعرفون أن البنات لا يحصلن على شيء في المستقبل.

فهذه العادة سرت إلى المسلمين من الهندوسية، ولا مخرج لمسلمي شبه القارة الهندية من هذه المشكلة ومن هذا المأزق الخطير، إلا بالرجوع إلى دينهم، وإعطاء البنات حقوقهم المشروعة المسلوبة.

(١) انظر مقالة حسن بن حسين المهنّا: مشكلة المهور في شبه القارة الهندية، في مجلة الفيصل، العدد (٢٣٧)، ص (٩٨-٩٩).

(٢) كما سبق معنا في المطلب الرابع من الفصل الرابع، من الباب الثاني.

٣) في زواج الأرمال:

يكره كثير من المسلمين زواج الأرمال؛ وترى كثيرًا منهم يتشاءمون بمجرد رؤيتهن، ولا شك أن هذا يرجع إلى الديانة الهندوسية؛ فإن الهندوس لا يزوجون المرأة المتوفى زوجها، وليس لها أي مكانة، بل يتشاءمون بها طيلة حياتها.

يقول أحد المستشرقين: «وتعدّ المرأة العزباء، والمرأة الأيم على الخصوص، منبوذتين من المجتمع الهندوسي، ومن الأيامى الفتاة التي تفقد عروسها في أوائل عمرها، وفقّ مثل هذا لا يمكن رتقه، فتَهْطُ المرأة المنبوذة إلى ما دون سِفلة القوم... فالمرأة الهندوسية إذا آمت، ظلت حادًا ما دامت حية، وعادت لا تعامل كإنسان، وعُدّ نظرها مصدر لكل شؤم، وعُدّت مدنسة لكل ما تمسه...»^(١).

فهذه النظرة انتقلت إلى مسلمي شبه القارة الهندية على العموم، وتأصلت فيهم، فقلّ ما تجد الزواج في الأرمال، وقلّ من يرغب فيهن، فتبقى المسكينة تعيشة أو فريسة لشهواتها ورغباتها. نسال الله السلامة والعافية.

النساء:

١) التأثر بالتبرج وعدم الاحتجاب:

إن الهندوسية لا ترى الحجاب، بل ترى الاحتجاب من الأشياء التي جاء بها المسلمون إلى الهند، وهم يعيرون بذلك المسلمين، والمسلمات يحافظن على البرقع غالبًا عند خروجهن من البيت، ولكن الآونة الأخيرة شهدت التبرج بصفة غريبة، بسبب الإعلام الفاسد الذي يدعو إلى التبرج وينادي بالسفور.

٢) وضع النقاط على الجبين (ما بين الحاجبين):

إن هذه عادة هندوسية خالصة، وهن يضعن هذه العلامة، للتمييز بين ذات بعل وعدمها، ولكن المسلمات أخذن بهذه العلامة فترى هذه العلامة في كثير من مجتمعات

(١) غوستاف لوبون: حضارات الهند ص (٦٤٦).

شبه القارة الهندية^(١).

هذه بعض عادات الهندوس والتقاليد الموجودة في المجتمعات الإسلامية في شبه القارة الهندية، أسأل الله العظيم بوجهه الكريم وسلطانه القديم أن يرجع المسلمين إلى دينهم.

(١) انظر ما ذكره أبو الحسين باتراسازرا: أَمِي كَيْتُو إِسْلَام غُرْهَان كِرْلَام، (لماذا أسلمت) ص (١٧٠-١٧١) (البنغالية)، وانظر أيضًا ما كتبه محمد عمر: هندوستاني تهذيب كا مسلمانون بر أثر.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على محمد ﷺ نبي الرحمات وعلى آله وصحبه، وبعد!

فإنه لما من الله عليّ بإكمال هذه الرحلة الطويلة الشاقة من الديانة الهندوسية والكلام على المتأثرين بها، أرى من المناسب أن أذيل الرسالة بذكر خاتمة أورد فيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها، فأقول وبالله التوفيق:

شبه القارة الهندية:

١- إن شبه القارة الهندية توجه إليه الناس قديماً من كل صوب، وإن الدراويد هم سكان الهند الأصليين، ثم دخلها الطورانينون، وامتزجوا مع السكان الأصليين.

٢- ثم دخلها الآريون على فترات متتالية وحاربوا السكان الأصليين، وبعد ما تم لهم ما أرادوا من الاستيلاء على مساكن السكان الأصليين، فرضوا عليهم أنظمتهم وجعلوا السكان الأصليين عبيداً لهم وخدماء، واعتبروهم أنجاساً، فلم يختلطوا معهم، بل حاولوا أن يحافظوا على نقاوة عرقهم.

أصل الديانة:

٣- إن الهندوسية ديانة معقدة تكونت من العادات والتقاليد المتنوعة من شعوب مختلفة وأمم عديدة.

٤- إن الهندوسية في بدايتها كانت تسمى فيدك دهرم، أو الديانة المنسوبة إلى الفيدات، أو سناتن دهرم، أو الديانة القديمة ثم مرت على مراحل وأدوار، حتى عرفت فيما بعد بالديانة الهندوسية، وليس لها مؤسس معين.

انتشار الديانة:

٥- إن الديانة الهندوسية منتشرة في جميع العالم، وهي في المرتبة الثالثة من حيث عدد معتنقيها.

مصادر الهندوسية:

٦- مصادر الهندوسية الأصلية هي الفيدات ولكنها في ظلام التاريخ من حيث تحديد تاريخ تدوينها، ومدونها، ومن حيث شرحها وما طرأ عليها من التأويلات مما جعلتها ألغازاً وأحاجي.

٧- إن من المصادر الهندوسية الأصلية كتب الأوبانيشادات، وهي تشتمل على فلسفات معقدة للغاية، ولكنها تنتهي إلى القول بوحدة الوجود.

٨- إن من المصادر الهندوسية المتأخرة، بعض كتب الفلسفات، وراماين ويوغا فاشستها، وبُران، وكتب دهارما شاسترا، ومهابهارت وغيتا، ولكن هذه الكتب كلها تفتقد الأسانيد، حيث إنهم لا يعرفون بالتحديد متى دوت هذه الكتب، وكثير منها لا يعرف الهندوس عن مدونها شيئاً.

٩- إن الأساطير والخرافات هي السمة البارزة في هذه المصادر.

عقائد الديانة الهندوسية:

١٠- عقيدة الهندوس اختلفت من مرحلة إلى مرحلة، حيث نلاحظ في كتب الفيدات بعض علامات التوحيد في الربوبية، وأما في زمن الأوبانيشادات فكانت السيطرة لعقيدة وحدة الوجود.

١١- أما عقيدة الهندوس في الألوهية فقد اختلفت عقيدتهم اختلافاً كثيراً، إلا أن عبادة آلهة متعددة هي الصفة العامة لديهم، واختلفت معبوداتهم من مرحلة إلى مرحلة، فقد كانوا في زمن الفيدات يعبدون المظاهر الطبيعية، ولم يوجد في الفيدات ما يدل على عبادتهم للأصنام، أما المرحلة الهندوسية الأخيرة فقد عبدوا كل شيء من الأصنام والأوثان، والمظاهر الطبيعية

- ١٢- من أهم معبودات الهندوس في العصر الحالي:
- ❖ فِشْنُو، وتجسداته (أَقْتَارَه) من رام وكريشنا وغيرهما.
 - ❖ شِيفَا، وولده: غانيش وكارتيك، وزوجاته، منها:
 - ❖ كالي، دُرْغا.
- ١٣- إن الهندوسية أثرت في الديانات العالمية الأخرى من اليهودية والنصرانية تأثيراً بالغاً، في عقائدها وعاداتها وتقاليدها.
- ١٤- إن الهندوسية ليس لديها تصور صحيح ولا سليم عن الخلق والكون، حيث إن ما تقدمها من العقائد في هذا الصدد كلها مضطربة ومتعارضة ومتضادة، كما أن نظرتها إلى الحياة نظرة تشاؤمية وغير واقعية.
- ١٥- إن الهندوسية تقر بالطبقية الجائرة الظالمة، وتطبقها في مجتمعاتها، حيث تقسم الناس أقساماً تجعل بعضهم في منزلة الآلهة، وبعضهم أحط من الحيوانات.
- ١٦- إن الهندوسية كانت في مراحلها الأولى تعتقد باليوم الآخر، إلا أنه سرعان ما تغيرت هذه العقيدة في العصور المتأخرة.
- ١٧- من أهم عقيدة الهندوس عقيدة تجسد الإله، ونزوله بصورة بعض الخلائق.
- ١٨- إن الهندوسية لا ترى نزول الوحي، ولا إرسال الرسل، وإن كان منهم من يتوقف في مسألة إرسال الرسل.
- ١٩- من أهم عقائد الهندوس عقيدة قانون الجزاء التي تشمل الآلهة والناس أجمعين، فالآلهة والناس كلهم تحت هذا القانون.
- ٢٠- ومن شعار الديانة الهندوسية عقيدة التناسخ، (عقيدة تكرار المولد).
- ٢١- إن من صميم عقيدة الهندوس عقيدة «موكشا» أو نرفانا.

٢٢- إن الهندوسية تعتقد بالحياة الدورية، بمعنى أن الدنيا تنتهي ثم تأتي دنيا أخرى، ولا نهاية لهذه العملية أبدًا.

٢٣- تعتقد الهندوسية الحالية بالجنة والنار المؤقتتين، فلا خلود فيهما.

عبادات وشرائع الديانة الهندوسية:

٢٤- شعائر العبادات في الديانة الهندوسية مضطربة، كلها تصب في مصلحة فئة معينة من الناس، وهم البراهمة.

٢٥- العبادات اليومية مخصصة لطبقة البراهمة، وأما بقية الطبقات فليس لهم عبادة معينة.

٢٦- إن التشريعات الهندوسية المتعلقة بنظام الزواج والطلاق تشريعات ظالمة وغير عادلة، لها مفاسدها في مجتمعاتها.

٢٧- كما أن المراسيم والطقوس المتعلقة بالأطفال وطقوس التلمذة، مليئة بالأمور البدائية.

٢٨- وأما التشريعات المتعلقة بالميت فهي قاسية؛ حيث يحرقون موتاهم ويتفلسفون في بيان محاسنه، كما يحسنون للأرامل إحراق أنفسهن مع الزوج الميت.

٢٩- من أهم مقاصد الزواج عندهم؛ أن يقدم الأولاد القرايين لروح الآباء والأجداد، وإلا تبقى أرواح الآباء والأجداد في ظلام النار عندهم.

٣٠- إن كتب الهندوس تصرح بجواز الزنا لبعض أفراد المجتمع، كما أنها تسمح بالاستبضاع لأجل الأولاد.

عادات وتقاليد الهندوس:

٣١- من أهم ما تتميز بها الديانة الهندوسية كثرة الأعياد، حيث لم تجعل للطبقات السافلة عبادة مخصصة فشغلتها بالأعياد والأفراح والمناسبات.

٣٢- إن الهندوس يقسم الحياة إلى أربعة أدوار: يخصص الدور الأول لطلب العلم عند شيخ معين، والثاني، للحياة العائلية، والثالث للعبادة، والرابع للرهبنة والخروج من البيت وحياة التعاسة والشقاء.

٣٣- ترى الهندوسية التسول وتعذيب الجسم ومحاربة الملاذ من القربات، وقد حدّدت لهذه الأمور أنظمة وأصولاً.

فرق الهندوسية:

٣٤- في الهندوسية خمس فرق رئيسة، أشهرها الفرق الفِشْنُوِيَّة، والفرق الشِيفَاثِيَّة، وقد تفرقت هذه الفرق إلى طوائف لا تعد ولا تحصى.

٣٥- من أهم ما تميزت بها الهندوسية المتأخرة، الفلسفة الفيدانتية (فلسفة وحدة الوجود)، والفلسفة البهاكتية (فلسفة عبادة الإله بالحب وحده).

٣٦- إن الهندوسية المتأخرة من سماتها البارزة الإرهاب والعنف والعداوة.

٣٧- يحاول الهندوس وضع العراقيل أمام انتشار الإسلام في الهند بكل الوسائل.

تأثير الهندوسية على بعض الفرق:

٣٨- لقد أثرت الهندوسية في كثير من الفرق المنتسبة إلى الإسلام، حتى خرجت بهذه العقائد من عقيدة فرق الثلاث والسبعين.

٣٩- إن المتصوفة تأثرت في كثير من مبادئها وعاداتها ببعض عقائد وعادات الهندوسية، أهمها عقيدة وحدة الوجود، وعقيدة الحلول والاتحاد والفناء، وإيجاب ملازمة الشيخ، والسياسة، والمجاهدة، وانتظار الكشف، وغيرها.

٤٠- كما يظهر تشابه الرفضية والهندوسية في كثير من العقائد والعادات، مما يجعل تأثر الرفضية بهم احتمالاً راجحاً وقوياً.

٤١- تأثر كثير من مسلمي شبه القارة الهندية ببعض عادات وتقاليد الهندوسية.

وفي الختام أسأل الله ﷻ بأسماء الحسنی وصفاته العلی أن يتقبل مني هذا العمل،
ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويهدي به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً، وآخر دعوانا أن الحمد
لله رب العالمين.

وصلی الله وسلم علی سیدنا محمد وعلی آله وصحبه وسلم

أبو بكر محمد زكريا مجموعة دار

تحريراً في: ١٩/٧/١٤٢٥ هـ

المدينة النبوية

ومراجعة وتصحيحاً في: ٢٨/٤/١٤٢٦ هـ

الفهارس

وتشتمل على:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام والأشخاص

فهرس البلدان والأماكن

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
﴿يَاكَ نَعْبُدُ﴾	٥	٦٦١
البقرة		
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٠	٥٥١
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ..﴾	٢١	٥٥٣
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ آمُونَ﴾	٢٨	١١٣٠
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	٨٩٦
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾	٣١	٨٩٣
﴿فَإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبِعْ هَذَا لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ..﴾	٣٨	٨٨٩
﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَاهُ الْوَعْدَ ..﴾	٥١	٨٥٦
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ...﴾	٦٥	١١٣٠
﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾	٧٣	١٤٨٢
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾	١١٦	٨٢٧
﴿بَرِئِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ ..﴾	١١٧	٥٥١
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنَزِّلُنا آيَةً ..﴾	١١٨	٦٣٤
﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾	١٢٩	١٣٩٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا﴾	١٥١	١٣٩٥
﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	١٦٩	٨٠٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ...﴾	١٧٠	٨٣٧، ٨٠٧
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ ..﴾	١٧١	٨٣٢
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾	١٨٦	٧٣٨
﴿فَمَنْ الْكَاسِرِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا ..﴾	٢٠٠	٨٨٩
﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٢١٣	١١٣٤
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ..﴾	٢٥٥	٨٠٦
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ..﴾	٢٦٨	٨٠٧

الْغَيْرِ لِيَاكْبِرَ

﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَآبِ﴾	١٤	٨٩٠
﴿بِيَدِكَ الْخَبِيرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٦	٥٥٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ..﴾	١٠٢	٧
﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾	١٣٥	١٣٦٣
﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ..﴾	١٤٥	٩٠٨
﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ ..﴾	١٥٩	١٤١٦
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ..﴾	١٦٤	١٣٩٦
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ ..﴾	١٦٩	١١٣٠
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾	١٨٥	٨٩٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَيَسْمَوْنَ وَقُودًا عَلَىٰ جُوبِهِمْ...﴾	١٩١	٨٨٥
النَّبَا		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾	١	٥٥١، ٥ ١٥٢٤، ٨٩٢
﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٨٩٤
﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾	٥٦	١١٣٠
﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾	٧٧	٨٩١
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾	٨٢	٨٠٣، ٨٠٠، ٦١٢
﴿فَقَالُوا آرَأَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾	١٥٣	٨٥٦
﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ...﴾	١٦٥	١٠٤٦
﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى:		
﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾	١٧١	٨٢٨، ٨٢٥
النَّبَا		
﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾	١٧	٥٥٠
﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ...﴾	٦٠	١١٣٠
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾	٧٢	١٥١١، ٨٧٢
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾	٧٣	٨٧٦
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾	٨٢	١٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ...﴾	١٠٤	٨٠٨، ٨٣٧
﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ...﴾	١١٤	١٢٧٢
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوْنِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	١١٦ - ١١٧	٨٧٣

الْأَنْعَمَاءُ

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ...﴾	٢	٨٩٢
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾	٦	٨١٨
﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَلَبُ يُبْجَاهِهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾	٣٨	١١٣٠
﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾	٣٨	٥٥٣، ٨٩١
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾	٥٩	٥٥٣
﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾	٧٦	٨٢١
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ...﴾	٩١	٥٥٣، ١٣٦٣
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ...﴾	١٠٠ - ١٠١	٨٢٨
﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	١٠٢	٨٨٣
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٠٣	٦٥٦
﴿أَوْمِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ...﴾	١٢٢	٨٠١
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...﴾	١٥٣	١٤٦٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ الْأَرْضِ﴾	١٦٥	٨٩٦
الْإِسْرَافُ		
﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾	١٣	١١٣٠، ١١٣١
﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ..﴾	٢٨	٨٠٧، ٨٠٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي يَتَّبِعُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ ..﴾	٣٥	٨٨٩
﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٥٤	٥٥١، ٥٦٠
﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَيْتُمْ أَوْحَانِي فِي أَسمَاءِ سَمِيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾	٧١	٨١٥، ٨٣٧
﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾	٨٥	٥٣
﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾	١٢٦	٨٥٥
﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن جُلُودِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ..﴾	١٤٨	٨٣٠
﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	١٠
﴿فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً﴾	١٦٦	١١٣٠
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ..﴾	١٧٢	١١٣٠، ١١٣١
﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	١٧٦	١٤١٨
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ ..﴾	١٨٠	٥٥٢، ٨١٠
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ..﴾	١٨٩	٨٩٢
﴿أَشْكُرُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١١٩﴾﴾	١٩١	٨٠٤، ٨٣١
﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْتَمِعُواكُمْ ..﴾	١٩٣	٨٣١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ .. ﴾	١٩٤	٨٠٣
﴿ ابْتَشِرُوا مَا لَا خَلَاقَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (١٣١) إلى قوله: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾	١٩١ - ١٩٨	٨٣١

الْأَنْبِيَاءُ

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾	٣٥	١١٩١
--	----	------

الْبُورِجِ

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا تَرْفُتُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ ﴾	٨	١٣
﴿ لَا تَرْفُتُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾	١٠	١٣
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾	١٠٤	١٣٦٣

يُونُسَ

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ .. ﴾	٣	٥٥١
﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ .. ﴾	١٢	٨٩٤
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ .. ﴾	١٤	٨٩٦
﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾	٢١	٥٥١
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	٢٣	٨٩٠
﴿ كَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾	٢٤	١٤٠٥
﴿ وَمَنْ يُدْرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾	٣١	٥٥١
﴿ الظَّنُّ لَا يَغْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾	٣٦	٦٧٠
﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ .. ﴾	٦٨	٨٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا عَمَّا وَعَدَنَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا ..﴾	٧٨	٨٠٨
﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامَنُم بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ..﴾	٨٤	٨٥٥
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً ..﴾	٩٢	٨٢٤
﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ ..﴾	١٠١	٨٨٧

هُودِ

﴿وَلَٰكِن أَدْنٰا الْإِنسٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنٰهَا مِنْهُ إِنَّهُ ..﴾	٩	٩١١
﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّكٰسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾	٨٥	٥٣
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ..﴾	١٠٦	٨٩١

يُونُسَ

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ..﴾	٣	١٤١٨
﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهٰنَ رَبِّيَّ كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾	٢٤	٨٠٧
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا ..﴾	٤٠	٨١٦
﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾	٦٧	٥٥٢

الرَّعْدِ

﴿اللّٰهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾	٢	٥٥١
﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهٰرًا ..﴾	٣	٨١٨
﴿لَهُمْ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ ..﴾	١٤	٨٣٣
﴿قُلِ اللّٰهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُم مِّن دُونِهِ ءَوْلِيَاءَ﴾	١٦	٨٨٣، ٨٠٤، ٥٥١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾	٣٨	٥٥٢

إِبْرَاهِيمَ

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ..﴾	١٠	١٤١٣
﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ..﴾	٣٢	٨١٨
﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ..﴾	٣٣	٨٨٨
﴿وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ..﴾	٣٤	٨٩٢
﴿رَبِّ إِنْهُمْ أَصْلَلْنَ كَيْبَرًا مِنَ النَّارِ﴾	٣٦	١١٩٢
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ..﴾	٤٨	٨٨٨

الْحِجْرَةِ

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٨٩٢، ٥٤٧
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾	١٠	٥٥٢
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾	٢٩	٩١٠

الْبَقَرَةِ

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	٤	٨٩٢، ٨٩٣
﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ...﴾	١٢	٨٨٨
﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَدًى أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَثُبُلًا ..﴾	١٥	٨١٨
﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ..﴾	١٧	٨٠٣
﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا ...﴾	٢٠	٨٢٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾	٣٦	٨٧٢
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ...﴾	٣٨	٧٩٤
﴿وَلَمَّا قَوْلَنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٤٠	٨٨٣
﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٦٠	٥٥٢
﴿ثُمَّ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾	٦٣	٥٥٢
﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ...﴾	٧١	٨٠٣
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ...﴾	٧٥	٨٠٨
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ...﴾	٧٦	٨٠٨
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...﴾	٧٨	٨٩٥، ٩١٣
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً...﴾	٨٩	١٤٣٦
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً...﴾	٩٠	٨٠٧
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ...﴾	٩٧	١٠١٩
﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾	١٢٥	١٠٠، ١٠٦، ١٤٠٠

الْإِسْرَاءُ

﴿وَبَدِيعُ الْإِنْسَانِ بِالشَّرِّ دُعَاهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا...﴾	١١	٨٩٤
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْفَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	٨٣٨، ١٠٦٤
﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ...﴾	١٩	٨٩٠
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾	٢٣	١٥٥٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَيَلُوكُم بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾	٣٥	٨٩٠
﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ...﴾	٥٦	٨٣٢
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾	٧٠	٨٩٣
﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾	٧٢	٨٨٩
﴿وَإِذَا آمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ نَغَرَضَ وَنَأْبَحَانِيَّةً...﴾	٨٣	٨٩٤
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...﴾	٨٥	٨٩٣، ٩٥٤، ١١٢٧
﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا أَمْسَكُمْ...﴾	١٠٠	٨٩٤
﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ...﴾	١١١	٨٣٩
الْكَهْفُ		
﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾	٢٢	١١٣٠، ١١٣٢
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ...﴾	٥٤	٩١١
﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾	٨٤	١٤٨١
﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾	٩	٩٧٦
﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣﴾﴾	٣٠	٨٧٣
﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا...﴾	٨١	٨٣٦
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ءَاتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا ﴿١٢﴾﴾	٨٨	٦٥٩، ٨٢٨
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا...﴾	٩٣	٨٨٤

الآية	رقمها	الصفحة
ط		
﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ ..﴾	٨٨	٨٣٠، ٨٤٠
﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ ..﴾	١٢٣	٨٨٩
﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلُكُمْ لَكُنْتُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ ..﴾	١٣٤	١٠٤٦
الأنبياء		
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾﴾	١٦	٨٨٥
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ ..﴾	٢٢	٨٠٦، ٩٥٥
﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا ..﴾	٣٠	٥٦٠، ٩١٣
﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾	٣٥	٨٩٠
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُوهَ﴾	٣٧	٨٩٤
﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِن دُونِنَا ..﴾	٤٣	٨٣٥
﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَٰؤُلَاءِ عِبَادِكُ﴾	٥٣	٨٠٨
﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَتَقُولُوهُمْ ..﴾	٦٣	٨٢٩
﴿فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِكُمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٦٤	٨٣٠
﴿لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾	٦٥	٨٣٠
﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا ..﴾	٦٦	٨٢٨
﴿أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٦٧	٨٢٩

الآية	رقمها	الصفحة
-------	-------	--------

الْحَجَج

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ﴾	٥	٨٩٥
﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾	٧	٥٥٣
﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ...﴾	١٢	٨٣٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى...﴾	١٧	٨
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مِثْلِ فَاسْتَجِيعُوا لَهُ...﴾	٧٣	٨٣٤

الْمَوْثُوقَاتُ

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾	١٢	٨٩٢
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾	٤٤	٥٥٢
﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنَ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ...﴾	٩١	٩٥٥، ٨٠٦، ٧٢٨

النُّجُومُ

﴿الزَّانِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ...﴾	٣	١٦٤٨
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ...﴾	٢١	٨٠٧
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٣٥	٥٥٧
﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ...﴾	٤٠	٨٠١

الْفُرْقَانُ

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذَ وَكَذَا...﴾	٢	٨٨٣
﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ...﴾	٣	٨٠٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ..﴾	٢٣	٨٣٩
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ..﴾	٤٤	١٤١٥، ١٤٠٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ..﴾	٤٥	٨٨٧
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ..﴾	٥٨	٨٢٦، ٨٢١

الشُّعْرَاءُ

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ..﴾	٧٢	٨٣١
﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾	٧٤	٨٣٦، ٨٣١، ٨٠٨
﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ..﴾	١٠٩	١٠٠٥
﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ..﴾	١٨٢	٥٣

النُّمَلُ

﴿وَجَدْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ..﴾	٢٤	٦٨١
﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾	٤٠	٥٣
﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا ..﴾	٦١	٨١٨
﴿هَاسَاتُوا بِرُءُوسِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾	٦٤	٩٧٨
﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَعَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ لِّمَا تَفْعَلُونَ﴾	٨٨	٩٦٠، ٨٨٦، ٨٨٥

الْقَصَصُ

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكِيحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ..﴾	٢٧	٨٨٥
﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾	٣٨	٨٢٥
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ ..﴾	٤١	٣٣٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ..﴾	٤٧	١٠٤٦
﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ..﴾	٥٠	٨٠٨
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُتَهَلِّكَ الْفَرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا ..﴾	٥٩	١٣٩٦
﴿وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ ..﴾	٧٧	٨٨٩، ٤٣٢

الْجَنُّ كِبُوتِ

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ ذُوبِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ..﴾	٤١	٨٣٥
﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ..﴾	٦٤	٨٩٠

الشُّوْهِ

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَسِينُكُمْ ..﴾	٢٢	٨١٧
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ..﴾	٢٤	٨١٧
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾	٢٧	٥٥١
﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ..﴾	٢٨	٨٠٤
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِّقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ..﴾	٤٦	٨١٧
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾	٤٧	٥٥٢
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ..﴾	٥٤	٨٩٤

الْقُبَّانِ

﴿وَإِذَا نُنْتَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا ..﴾	٧	١٤١٥
﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ﴾	١١	٨٠٤
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَبِّعُ ..﴾	٢١	٨٠٨، ٨٣٧

الآية	رقمها	الصفحة
-------	-------	--------

السَّجْدَاتُ

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ ۚ ۞﴾ ٩ ٨٩٢

الْاٰحْزَابُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ	٧٠	٧
﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ	٧١	١٤٣٦، ٧
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ۚ	٧٢	٩١١، ٨٩٣
﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ۚ	٢٢	٨٣٩، ٨٠٤
﴿قُلِ ارْءَوْفِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ۚ	٢٧	٨٠٥
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ۚ	٢٨	١٠
﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْوَلَاءِ إِنَّا كُنَّا ۚ	٤٠	٨٢٦

قَطْلُ

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۚ	٢	٥٥١
﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ	٣	٥٥١
﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ	١٣	٨٠٥
﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۚ	٢٤	١٠٥٠
﴿وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ	٢٨	١٥٨١
﴿قُلِ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ	٤٠	٨١٢، ٨٠٥
﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِيسُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۚ	٤١	٩١٣، ٨٨٤، ٥٥٩

الآية	رقمها	الصفحة
-------	-------	--------

يسين

﴿وَعَايَةً لَهُمْ آيَاتُ سَلَخٍ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ..﴾	٣٧	٨٨٧
﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	٧٧	٨٩٣
﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾	٧٩	٨٩٥
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢)	٨٢	٦٠٢
﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣)	٨٣	٥٥٠

الصافات

﴿ثُمَّ إِنْ مَرَّجَهُمْ لَا إِلَى الْجَحِيمِ﴾	٦٨	٨٣٧
﴿وَأَنَّهُمْ الْفَوَاءُ أَبَاءُ هُمْضَالَيْنِ﴾	٦٩	٨٠٨
﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هَرَبًا وَفَيْنِ﴾	٧٧	٨١
﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾	٩٥	٨٢٩
﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي﴾	١٠٢	١٥٢٤
﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ أَفْكَهْمَ لَيَقُولُونَ﴾	١٥١	٨٢٨

صافات

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَتَيْنِ ..﴾	٢٧	٨٨٥
---	----	-----

الزمر

﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾	٣	٨٣٨، ٧١٩
		١٥١٧
﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ..﴾	٨	٨٩٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	١٧	٦٥٩
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشٰكِسُونَ ..﴾	٢٩	٨٠٦
﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ ..﴾	٣٨	٨٣٥
﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَاسَرُفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾	٥٣	٨٣١
﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	٦٢	٨٨٣
جَعَلُوا		
﴿ذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ..﴾	٦٢	٨٨٣
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾	٧٨	٥٥٣
فُضِّلَتْ		
﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾	١٢	٥٥٣
﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْبَلَدُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ..﴾	٣٧	٨٢١، ٨١٧، ٦٨٢
﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ..﴾	٣٩	٨١٧
﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٨١١
﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ ..﴾	٤٩	٨٩٤
﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آعْرَضَ وَنَأٰ جَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ ..﴾	٥١	٨٩٤
﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ ..﴾	٥٣	٨٨٧
الشُّبُورَى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٥٥٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾	٢٥	١٣٦٣
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَأْبٍ...﴾	٢٩	٨١٦
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾	٣٢	٨١٧
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾	٥٢	٥٤٦

الْخُرُوفُ

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾	٦	٥٥٣
﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ...﴾	٢٢	٨٠٨
﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ حُتُّكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾	٢٣- ٢٤	٨٣٧، ٨٠٨
﴿يَتَّبِعُوا وَلَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾﴾	٦٨	٦٥٩

الْبُحْبُوحَاتُ

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ...﴾	٨	٥٥١
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ...﴾	٣٨	٩٠٣، ٨٨٥

الْبَنَائِيَّةُ

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ...﴾	١٣	٨٨٨
--	----	-----

الْأَحْقَاقُ

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ...﴾	٤	٨١٢، ٨٠٥
---	---	----------

الآية	رقمها	الصفحة
الفَتَى		
﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾	١١	٥٥١
المُحَرَّرَات		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	١٣	١٠١٩، ٨٩٦، ١٥٨١
قَبِيل		
﴿وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَةٍ مَيْتًا﴾	١١	١١٣٢
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	١٦	١٥٢٣
الذَّائِبَات		
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢١	٨٩٥
﴿وَمَا خَلَقْتُ الذَّانِقَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٩٦٧، ٨٨٩
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	٥٨	٥٥١
الْطُّلُوق		
﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾	٣٥	٥٩٥
﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾	٣٥	٩٠٤
الْبَحْثُ		
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ...﴾	٢٣	٨١٦، ٨٠٥
﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾	٤٥	٨٩٧

الآية	رقمها	الصفحة
-------	-------	--------

الْقِسْمُ

﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾	٢-١	١٣٩١
﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	٨٨٣، ٥٥٣
﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْنَا فَاِنَّ (٦) وَيَعْنِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٢٦	٨٨٨

الْوَاقِعَةُ

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (١٠) عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (١١)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (١٧)﴾	٦٠ - ٧٠	٨٨٧
---	---------	-----

الْحَشْرِ

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٣	٩٤٨
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾	٢٠	٩٠٨
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾	٢٥	٥٥٣

الْحَشْرِ

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾	٢٣	٥٥٠
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾	٢٤	٥٥٠

الْجُمُعَةُ

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾	٢	١٣٩٦
--	---	------

الْقُلُوبُ

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾	١١	١٣٩٦
--	----	------

الآية	رقمها	الصفحة
-------	-------	--------

الْمَلَكُ

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٨٩٠، ٥٥١
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ..﴾	٣	٨٨٦

الْقَبَلِ

﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	١٣٩١
------------------------------------	---	------

الْمَجْلَدِ

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾	١٩- ٢١	٨٩٣
--	-----------	-----

نُوحٍ

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾	١٠- ١٢	١٤١٣
﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾﴾	١٢	٨١٨

الْحَقِّ

﴿وَأَنَّهُ، تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٢﴾﴾	٣	٨٢٧
---	---	-----

الْمُنْكَ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾	١٥- ١٧	١٤١٤
--	-----------	------

الْقِيَامَةِ

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	١٧	٨١١
--	----	-----

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾	١٩	٨١١
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾	٣٦	١٠٤٥
﴿يُحْمَلُهُ مِنَ الذُّكُرِ وَالْأُنثَى﴾	٣٩	٨٩٧

الْإِنْسَانُ

﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾	١	٩٥٨
﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾	٢٨	١١٣١

النَّبِيَّاءُ

﴿أَنْتَ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْتَ الْفَأَقَا ﴿٦﴾﴾	١٦-٦	٨٨٦
﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾	١٨	١١٣١، ١١٣٠
﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٢٠﴾﴾	٢١	١٤١٤
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٠﴾﴾	٣١	١٤١٣
	٣٦-	

النَّازِعَاتُ

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾	٢٤	٨٢٤
﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾	٢٥	٨٢٤

الْإِنْفِطَارُ

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾	٨-٦	٨٩٣
--	-----	-----

الآية	رقمها	الصفحة
-------	-------	--------

الْاِطَارِقُ

﴿فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسَانُ سِمَ خُلُقٍ...﴾ ٥ ٨٩٥

الْاَعْلَى

﴿قَدْ اَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤ ٨٩٣

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَّابَقَى﴾ ١٧ ٨٩١

الشَّفِيسُ

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) إلى قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ٧-١٠ ٨٩٣

التَّيْنِ

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِي اَحْسَنِ تَقْوِيمٍ...﴾ ٤ ٨٩٣

الْبَيِّنَةُ

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللّٰهِ يَتْلُوْا حُفًّا مِّطْهَرَةً﴾ (٢) ٢ ١٣٩٦

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث / الأثر
١٣٩١	أتى النبي ﷺ بإناء
٩	الأديان ستة واحد للرحمن (ابن عباس)
١١٣٣	إذا لم تستحي فاصنع ما شئت
١٣٩٣	إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ...
١١٧٥	اغزوا باسم الله في سبيل الله ..
١١٣٣	إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه...
٧	إن الحمد لله نحمده ونستعينه.....
١٤١٦	إن الرفق لا يكون في شيء ...
١٣٧٤	إن الله ﷻ يقول: أنا مع عبدي...
١٠١٩	إن الله أوحى إلي أن تواضعوا ...
١٤١٦	إن الله رفيق يحب الرفق...
٨٩٦	إن الله لا ينظر إلى صوركم ...
١٣٩٤	إن رجلين خرجا من عند رسول الله ﷺ
١٣٩١	انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ..
١٣٩٤	إنك لو أقسمت على الله ..
٨	إني خلقت عبادي حنفاء
١٣٩٢	إني لأعرف حجراً بمكة...
١٣٩٣	دعا النبي ﷺ فاطمة

الصفحة	الحديث / الأثر
١٤١٣	صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ...
١٤٣٠	عصابتان من أمتي ...
١٣٩٢	عطش الناس يوم الحديبية ...
١٤٣٠	عليكم بالعود الهندي ...
١٣٩٣	فأبشروا أملوا ما يسركم ...
١٣٩٢	كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع ...
١٠١٩	لا فضل لعربي على عجمي ...
٥٣	لا يشكر الله من لا يشكر الناس
١٣٨٤	لغدوة في سبيل الله ...
١٣٨١	من حسن إسلام المرء
١٤٣٠	وعد رسول الله ﷺ غزو الهند
١٣٨٤	ولا يجتمع على عبدٍ في سبيل الله
١٣٩٢	ولقد كنا نسمع تسييح الطعام ...
١٥٨٧	يوشك أن يكون خير مال المسلم ...

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
إبراهيم بن أدهم	١٤٦٧
ابن رجب	٦٥٨
ابن سبأ	١٦٠٩
ابن سبعين	١٤٧٦
ابن عربي	١٤٨٥
ابن عطاء السكندري	١٥٣٠
ابن الفارض	١٥٥٤
ابن القيم	٥٥٢
ابن المقفع	١٤٤٦
أبو الحسين الملطى	١٦٣٣
أبو الحسين النوري	١٤٦٥
أبو بكر الشبلى	١٤٧٢
أبو تراب النخشى	١٤٧٠
أبو زهرة محمد بن أحمد	٣٢
أبو سليمان الدارانى	١٤٦٩
أبو طالب المكى	١٤٩٣
أبو عبد الرحمن السلمى	١٤٧٣
أبو على السندى	١٤٨٨

العلم	الصفحة
أبو منصور البغدادي	١٦١٥
أبو هاشم الكوفي	١٤٦٧
أبو يزيد البسطامي	١٤٧٢
إحسان إلهي ظهير	١٤٨٣
أحمد الرفاعي	١٤٨٤
أحمد شلبي	٣٣
أحمد عبد الغفور عطار	٢٢٦
أرسطو	٣٢٥
إسكندر المقدوني	٣٢٨
أفلاطون	٣٢٦
أفلوطين	٣٢٧
أكاديون	١٤٥
اكزينوفان	٦٣٣
أناكسجوراس	٣٣٢
انباذوقليس	٣٢٩
إنكسمانس	٣٢٩
إنكسمندر	٣٢٩
أوروبندو	٢٨٩
أوريغانوس	٣٣١
برمنيدس	٢٦٩
البريلوي	١٥٠٢
بشر بن الحارث الحافي	١٤٧٠

العلم	الصفحة
بلا ب	٢٠١
تسليمه نسرین	١٦٦٣
ثناء الله الأمر تسري	٤٧
الجُنید	١٤٦٤
جوبندا	٢٨٢
جوهر لال نهرو	١٢٥
الحارث المحاسبي	١٤٧٠
الحاكم بأمر الله	١٤٥٥
الحثيون	١٤٥
الحلاج	١٤٧٠، ١٤٩٠
دابندراناته طاغور	٢٤٤
الدسوقي	١٥٧٤
ديموقريطس	٣٣٠
ذو النون المصري	١٤٧٠
رابعة العدوية	١٤٦٨
رادها كرشنان	١٣١
الرازي	١٤٨٧
رام كريشنا	١٣٢٥
رامانند	١٣٢٨
رامانوج	١٣٢٨
زيد بن علي	١٦٠٢
السرهندي	١٥٧٤

العلم	الصفحة
سري السقطي الفارسي	١٤٧١
السهروردي	١٤٧٤
السهروردي عمر بن محمد	١٤٧٥
سوامي رام تيرتها	٤٢١
سيرجون مارشل	٦٣٢
الشعراني	١٥٧٢
شقيق بن إبراهيم	١٤٨٧
شنكر أجاريا	١٥٠
الشيخ حسين أحمد مدني	١٣٤٨
الصدر القونوي	١٥٢٩
طاليس الملطي	٣٢٨
الطوسي	١٤٩٣
عبد الكريم الجيلي	١٤٧٦
عبيد الله الفائلي	٤٦
علي بن الحسين المسعودي	١٢٩
الغزالي	١٤٧٤
غودا بادا	٣٤٢
غورو نانك	١١٧
فاسكودي غاما	١٤٢٨
فروريوس	٣٣١
فريد الدين العطار	١٥١٩
الفوتي	١٥٧٢

العلم	الصفحة
فيدون	٩٥٠
فيشكانند	٦٤٣
القاشاني	١٥١٢
القشيري	١٤٧٤
كايبلا	٣٧٤
الكرخي	١٤٦٨
مادهقا چاريا	٢٤٦
محمد بن أحمد البيروني	٩٣
محمد بن إسحاق	٣١
المختار بن أبي عبيد الثقفي	١٦٣١
المطهر بن طاهر المقدسي	٤٤
الملك جلال الدين أكبر المغولي	٤١٦
مهابير سوامي	١١٦
المهلب بن أبي صفرة	١٤٣٣
موسى بن ميمون	٨٦٤
مولنا أبو الكلام آزاد	٣٣٢
النبلسي	١٥١١
نارندرا	٣٨٩
نمبارك	٢٤٦
هانومان	٣٩٧
الهجويري	١٤٧١
هرقليطس	٣٣٢

العلم	الصفحة
هشام بن عبد الملك	١٦٠٢
يحيى البرمكي	٣١
يحيى بن معاذ الرازي	١٤٨٧

فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة	المكان/ البلد
٣٩٧، ٣٩١	أيودھيا
٦٧	بنارس وأغرا
٦٦	بنجاب
٦٦	بنغال
٩٩	بھار
٦٨	بومباي
٦٨	بونا
٦٩	حيدر آباد
٦٧	الدكن
٦٧	دلهي
١٤٣٣	الديبل
١٣٩١	الزوراء
٦٠	السند
٦٨	غوا
٦٧	غيا
١٤٣٢	قيقان
٦٢	كشمير
٦٧	كيرالا

الصفحة	المكان/ البلد
٣٩٧	كيلاس
٥١٦	متهورا
٦٩	مدراس
٦١	الملتان
٨٢	موهينجو دارو
٦٩	ميسور
١٠٢٤	ميناكش پورام
٧١	نهر برهماپوترا
١٧٠	نهر جامونا
٧١	نهر غنغا
٧٩	هارابا
٧٩	الهند

فهرس المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - أ.ف توملين: فلاسفة الشرق، ترجمة عبد الحميد سليم، مراجعة علي أدهم، دار المعارف، الطبعة الثانية.
- ٣ - الأب لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط ٣٦، ١٩٩٧م.
- ٤ - إبراهيم شريف: الديناميكا الحرارية، مصر، ١٩٧٠، د.ن.
- ٥ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، المطبعة الحيدرية، طهران، ١٣٧٨هـ.
- ٦ - ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ.
- ٧ - ابن أبي عاصم: السنة، تحقيق الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
- ٨ - ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم: الكامل في التاريخ، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٩ - ابن بابويه القمي: الاعتقادات، إيران، ١٣٢٠هـ.
- ١٠ - ابن بابويه: من لا يحضره الفقيه، دار صعب، دار التعارف، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ١١ - ابن بطوطة، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (رحلة ابن بطوطة)، تحقيق الشيخ محمد عبد المنعم وغيره، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

- ١٢- ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.
- ١٣- ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مكتب التحقيق بدار العاصمة، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ١٤- ابن تيمية: الصفدية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، طبعة مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ١٥- ابن تيمية: الفتاوى الحموية الكبرى، تقديم عبد الرزاق حمزة، طبعة مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ١٤٠٣هـ.
- ١٦- ابن تيمية: الفتاوى المصرية، تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١٧- ابن تيمية: النبوات، تحقيق عبد العزيز الطويان، من مطبوعات عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٨- ابن تيمية: بغية المرئاد، تحقيق الدكتور موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.
- ١٩- ابن تيمية: جامع الرسائل، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٢٠- ابن تيمية: حقيقة مذهب الاتحاديين، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، ضياء السنة، إدارة الترجمة والتأليف، فيصل آباد، باكستان.
- ٢١- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، من مطبوعات جامعة الإمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٢٢- ابن تيمية: مجموع فتاوى، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.

٢٣- ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق، الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٤- ابن تيمية: نقض تأسيس الجهمية، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

٢٥- ابن الجوزي: صفة الصفوة، دار الشعب، القاهرة، سنة ١٣٩٣هـ.

٢٦- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: تلبيس إبليس، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٢٧- ابن حبان: الصحيح، (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) لابن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٨- ابن حجر: الإصابة، دار الفكر، د.ت، د.ط.

٢٩- ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت.

٣٠- ابن حجر: تقريب التهذيب، تحقيق محمد غوامة، مطبعة دار الرشيد، حلب، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٣١- ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى.

٣٢- ابن حزم، أبو محمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر، والدكتور عبد الرحمن عميرة، شركة مكنتات عكاظ للنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٠٢هـ.

٣٣- ابن خزيمة، محمد بن إسحاق: صحيح ابن خزيمة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

٣٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

- ٣٥- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أحمد : وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- ٣٦- ابن خليفة: سبعون برهاناً علمياً على وجود الذات الإلهية، دار الإيمان، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- ٣٧- ابن رجب الحنبلي: تحقيق كلمة الإخلاص، تحقيق وتخریج عماد طه فره، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الصحابة للنشر والتوزيع، مصر.
- ٣٨- ابن رشد، محمد بن أحمد، أبو الوليد: الكشف عن مناهج الأدلة، في عقائد الملة وبيان ما وقع فيها بسبب التأويل من الشبه المزيفة والبد المضلة، ضمن فلسفة ابن رشد.
- ٣٩- ابن سبعين: رسائل ابن سبعين، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوي، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٤٠- ابن سعد، محمد : الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.
- ٤١- ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة.
- ٤٢- ابن عثيمين: فتح رب البرية،
- ٤٣- ابن عجيبة الحسيني: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ٤٤- ابن عربي: الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحيى، تصدير ومراجعة د. إبراهيم مذكور، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٢م.
- ٤٥- ابن عربي: فصوص الحكم، تحقيق وتعليق، أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
- ٤٦- ابن عربي، الحاتمي الطائي: فصوص الحكم، تحقيق أبي العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت.

- ٤٧- ابن عساكر: تاريخ دمشق، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمرو، دار الفكر ١٤١٥هـ.
- ٤٨- ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن، تحقيق عبد الحليم محمود، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٦هـ.
- ٤٩- ابن العماد: شذرات الذهب، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٥٠- ابن فارس: مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٥١- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ.
- ٥٢- ابن الفارض: ديوان ابن الفارض، المكتبة الثقافية، بيروت.
- ٥٣- ابن قتيبة: المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٤- ابن قدامة: ابن قدامة، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر.
- ٥٥- ابن القيم: إعلام الموقعين، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت.
- ٥٦- ابن القيم: إغاثة اللهفان، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الرياض.
- ٥٧- ابن القيم: الأمثال في القرآن.
- ٥٨- ابن القيم: الجواب الكافي، مكتبة السوادى، بجدة، ١٤١٤هـ.
- ٥٩- ابن القيم: الوابل الصيب من الكلم الطيب، نشر قصي محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٠١هـ.
- ٦٠- ابن القيم: بدائع الفوائد، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.
- ٦١- ابن القيم: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق الدكتور السيد الجميلي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

- ٦٢- ابن القيم: زاد المعاد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٠٧هـ.
- ٦٣- ابن القيم: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، مكتبة دار التراث، شارع الجمهورية، القاهرة.
- ٦٤- ابن القيم: طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، مكتبة المؤيد، الرياض.
- ٦٥- ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بتحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأخيرة، ١٤٠٨هـ.
- ٦٦- ابن القيم: مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، بتحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الأثري، مراجعة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٦٧- ابن القيم: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ٦٨- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.
- ٦٩- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٦هـ. والطبعة المحققة من قبل الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٧٠- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد القزويني: السنن، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٧١- ابن منظور: لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، ١٤١٢هـ.

- ٧٢- ابن الوزير: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٧٣- أبو أسامة طالب الرحمن: جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية، عقائدها تعريفها، دار البيان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٧٤- أبو الحسن الندوي: القادياني والقاديانية، دراسة وتحليل، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ.
- ٧٥- أبو الحسن الندوي: المسلمون في الهند،
- ٧٦- أبو الحسن الندوي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار ابن كثير، الطبعة الأولى الخاصة بدار ابن كثير، دمشق، وبيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٧٧- أبو الحسن علي الندوي: الأركان الأربعة، دار القلم، الكويت.
- ٧٨- أبو الحسن علي الندوي: ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٢هـ.
- ٧٩- أبو العتاهية: ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ٨٠- أبو الليل محمد مرسي: الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، مؤسسة سجل العرب، بإشراف الأستاذ إبراهيم عبده، ١٩٦٥م.
- ٨١- أبو بكر الجزائري: إلى التصوف يا عباد الله، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.
- ٨٢- أبو بكر محمد زكريا: الشرك في القديم والحديث، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- ٨٣- أبو حيان: البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ٨٤- أبو داود، سليمان بن أشعث السجستاني: السنن، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.

- ٨٥- أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٨٦- أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م.
- ٨٧- أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، بيروت، ١٣٥٧هـ.
- ٨٨- إحسان إلهي ظهير: البريلوية عقائد وتاريخ، إدارة ترجمان السنة، ١٩٨٣، ١٤٠٣هـ.
- ٨٩- إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصدر، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.
- ٩٠- إحسان إلهي ظهير: بين السنة والشيعة، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.
- ٩١- إحسان إلهي ظهير: دراسات في التصوف، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.
- ٩٢- إحسان حقي: تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
- ٩٣- إحسان حقي: مأساة كشمير المسلمة، مؤسسة الرسالة.
- ٩٤- أحمد البشبيشي: الهند خلال العصور، د.ت.
- ٩٥- أحمد أمين: ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٦١م.
- ٩٦- أحمد أمين: ظهر الإسلام، مكتبة النهضة، الطبعة الخامسة، ١٩٧٨م.
- ٩٧- أحمد أمين: فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٦١م.
- ٩٨- أحمد بن حنبل: المسند، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٨م.
- ٩٩- أحمد بن يحيى المرتضي: المنية والأمل في شرح الملل والنحل، تحقيق محمد جواد مشكور، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

- ١٠٠- أحمد عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- ١٠١- أحمد محمد بناني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من التصوف والصوفية، من مطبوعات جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٩٨٦م (رسالة ماجستير)
- ١٠٢- أخبار الحلاج، ومعه الطواسين ومجموعة من شعره، بعناية الناشر، وتقديم وتعليق وتصحيح عبد الحفيظ بن محمد مدني هاشم، الطبعة الثانية، رمل الإسكندرية، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.
- ١٠٣- إدريس، محمود إدريس: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- ١٠٤- آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، ترجمة سهى الطريحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- ١٠٥- أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، نقله إلى العربية، الدكتور نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨م.
- ١٠٦- أرنولد توينبي: مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، راجعه أحمد عزت عبد الكريم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، المطبوع في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
- ١٠٧- الأزهرى: تهذيب اللغة، تحقيق عدة من المحققين، طبع مطابع سجل العرب القاهرة.
- ١٠٨- الأستاذ أنور الجندي: الإسلام والدعوات الهدامة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- ١٠٩- الأستاذ أنور الجندي: الإسلام والعالم المعاصر، دار الاعتصام، د.ت.
- ١١٠- الأستاذ أنور الجندي: الإسلام والفلسفات القديمة، دار الاعتصام، د.ت.

- ١١١- الأستاذ روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ١١٢- الأستاذ عبد الرحمن دمشقية: أبو حامد الغزالي والتصوف، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ١١٣- الأستاذ عبد الرحمن دمشقية: الرفاعية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ١١٤- الإسفراييني، أبو المظفر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، الطبعة الأولى، ١٣٥٩هـ.
- ١١٥- إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: طبعة ١٩٥١، مكتبة المثنى، بغداد.
- ١١٦- الأشعري، أبو الحسن علي: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.
- ١١٧- آل الشيخ، سليمان بن عبد الله: تيسير العزيز الحميد، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ.
- ١١٨- الألباني: إرواء الغليل، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ.
- ١١٩- الألباني: السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الجديدة، ١٤١٥هـ.
- ١٢٠- الألباني: تحقيق مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥، بيروت، دمشق.
- ١٢١- الألباني: صحيح ابن ماجه، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ١٢٢- الألباني: صحيح سنن أبي داود، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ١٢٣- الألباني، محمد ناصر الدين: خطبة الحاجة، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت.
- ١٢٤- ألبيير شويتزر: فكر الهند، ترجمة يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

- ١٢٥ - الألوسي أبو الشاء: روح المعاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- ١٢٦ - الألوسي: غاية الأمان في الرد على النبهاني، مكتبة العلم، بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- ١٢٧ - الألوسي، نعمان خير الدين: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ١٤٠١هـ، د.ن.
- ١٢٨ - الإمام أحمد بن حنبل: الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار اللواء، الرياض، د.ت.
- ١٢٩ - الإمام مالك: الموطأ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ١٣٠ - الإمام محمد أبو زهرة: مقارنة الأديان، الديانات القديمة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ١٣١ - أمين طليح: التقمص، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- ١٣٢ - أندريه أيار، جانين أوبوايه: تاريخ الحضارات العام، طبعة الأولى، ١٩٦٤م.
- ١٣٣ - باسمه كيال: أصل الإنسان وسر الوجود، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ١٣٤ - الباقلائي: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، طبعة عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ١٣٥ - الباقلائي: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ١٣٦ - البخاري: الجامع الصحيح، دار الريان، القاهرة، المطبوع مع فتح الباري.
- ١٣٧ - برنابا: إنجيل، ترجمة خليل سعادة، نشر محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، ١٩٥٨م.
- ١٣٨ - بطرس البستاني: دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ١٣٩ - البغدادى: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.

- ١٤٠- البغدادي، الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي: أصول الدين، دار الفنون التركية بإستانبول، الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ.
- ١٤١- البقاعي: تحذير العباد من أهل الاحاد، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- ١٤٢- البقاعي: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مطبعة النسبة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- ١٤٣- البلاذري: فتوح البلدان، راجعه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- ١٤٤- بول ماسون أورسيل: الفلسفة في الشرق، ترجمة محمد يوسف موسى، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ١٤٥- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ١٤٦- البيهقي: السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ.
- ١٤٧- ت.ج. دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.
- ١٤٨- الترمذي: الجامع الصحيح، تحقيق وترقيم: الشيخ أحمد شاكر، دار الكتب العلمية. د.ت.
- ١٤٩- التفنازاني، سعد الدين: شرح المقاصد، طبعة مطبعة محرم أفندي، البنوي، تركيا، ١٣٠٥هـ.
- ١٥٠- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق المحامي فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م.

- ١٥١ - جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤م.
- ١٥٢ - الجامي: نفحات الأنس، دار التراث العربي، مصر.
- ١٥٣ - جان فيليوزات: فلسفات الهند، ترجمة علي مقلد، المنشورات العربية.
- ١٥٤ - الجرجاني، علي بن محمد الحسيني: التعريفات، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٥٥ - جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام، ومراجعة د/ عبد الغفار مكاوي، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٩٣.
- ١٥٦ - جوزيف كاير: حكمة الأديان الحية، ترجمة المحامي حسين الكيلاني، مراجعة الأستاذ محمود الملاح، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- ١٥٧ - جولدتسيهر: العقيدة والشرعة، دار الكتب الحديثة بمصر، مكتبة المثنى ببغداد، الطبعة الثانية.
- ١٥٨ - جون كولر: الفكر الشرقي القديم، سلسلة عالم المعرفة (١٩٩)، الكويت، صفر ١٤١٦هـ، يوليو ١٩٩٥م.
- ١٥٩ - الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبعة دار العلم للملايين، بيروت.
- ١٦٠ - الجيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف والآداب، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٦م.
- ١٦١ - الجيلي: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ.
- ١٦٢ - جيوايد نغرين: ماني والمأنوية، ترجمة الدكتور سهيل زكار، دار حسان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٦٣- الحاكم: المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٦٤- حامد القادر: بوذا الأكبر،

١٦٥- الحر العاملي: وسائل الشيعة، تحقيق عبد الرحيم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ.

١٦٦- الحر العاملي، محمد بن الحسين: الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، المطبعة العلمية، قم، إيران.

١٦٧- حسن الأمين: دائرة المعارف الشيعية، دار التعارف، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

١٦٨- حسن نعمة، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤م.

١٦٩- الحفظي، عبد اللطيف عبد القادر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٧٠- الحفني: معجم مصطلحات الصوفية، طبعة دار المسيرة، بيروت، لبنان، د.ت.

١٧١- الحلاج: ديوان الحلاج، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

١٧٢- الحيني، محمد بن جابر عبد العال: في العقائد والأديان، الديانات الكبرى المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

١٧٣- الخطابي: معالم السنن، بهامش سنن أبي داود، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، بيروت، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٣٩١هـ.

١٧٤- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٥- الخميني: الحكومة الإسلامية، وزارة الإرشاد، بجمهورية إيران.

١٧٦- الخميني: تحرير الوسيلة، مكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

- ١٧٧- الدارمي: السنن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ١٧٨- دانييل أ. باسوك: المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم، ترجمة: سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٢م.
- ١٧٩- الدباغ، عبد العزيز: الإبريز، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر.
- ١٨٠- الدكتور إبراهيم بن خلف التركي: التصوف وتأثره بالديانات والفلسفات القديمة، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بقسم العقيدة، ١٤١٢هـ.
- ١٨١- الدكتور إبراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، سميركو للطباعة والنشر.
- ١٨٢- الدكتور إبراهيم مذكور، يوسف كرم: دروس في تاريخ الفلسفة،
- ١٨٣- الدكتور أبو العلا عفيفي: التصوف والثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب، بيروت
- ١٨٤- الدكتور أبو الوفاء التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- ١٨٥- الدكتور أحمد بن عبد العزيز القصير، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية.
- ١٨٦- الدكتور أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٩٧م.
- ١٨٧- الدكتور أحمد شلبي: مقارنة الأديان والاستشراق، مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية.

- ١٨٨- الدكتور أحمد محمد الخطيب: تناسخ الأرواح أصوله وآثاره وحكم الإسلام فيه، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ١٨٩- الدكتور الغريب، عبد الله محمد: وجاء دور المجوس، ١٤٠٢هـ.
- ١٩٠- الدكتور المرباط بن محمد يسلم المجتبى: الوساطة بين الله وخلقه، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ١٩١- الدكتور إمام عبد الفتاح إمام: معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م.
- ١٩٢- الدكتور أورانج كاي رحمت: التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، ترجمة رؤوف شلبي، دار الثقافة، الدوحة.
- ١٩٣- الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار: الوجدانية مع دراسة في الأديان والفرق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- ١٩٤- الدكتور جمعة الخولي: الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ١٩٥- الدكتور حسن إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ١٩٦- الدكتور حسن هويدي: الوجود الحق، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- ١٩٧- الدكتور حمود الرحيلي: منهج القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام، طبعة الجامعة الإسلامية، عمادة البحث العلمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ١٩٨- الدكتور رؤوف شلبي: آلهة في الأسواق، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

- ١٩٩- الدكتور زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم.
- ٢٠٠- الدكتور زكي مبارك: التصوف الإسلامي بين الأدب والأخلاق، د. ط. بيروت، دار الجيل، د. ت.
- ٢٠١- الدكتور س. بينيس: مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٥هـ.
- ٢٠٢- الدكتور سامي أبو شقرا: موسوعة الأديان، دار الاختصاص، ش. ل. م، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- ٢٠٣- الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ٢٠٤- الدكتور سليمان بن سالم السحيمي: الأعياد وأثرها على المسلمين، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٢٠٥- الدكتور سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم، الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٢٠٦- الدكتور شافع محمود توفيق: صور من عقائد أهل الأرض.
- ٢٠٧- الدكتور طاهر بادجنكي: قاموس الخرافات والأساطير، جروس پرس، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- ٢٠٨- الدكتور عبد الحليم محمود: أبحاث في التصوف، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- ٢٠٩- الدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن، مشكلة التأليه في الفكر الهند الديني، دار الفیصل الثقافية، الرياض، ١٤٢٢هـ.

- ٢١٠- الدكتور عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
- ٢١١- الدكتور عبد القادر خليل ملكاوي: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٢١٢- الدكتور عبد الكريم الخطيب: قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، الله ذاتاً وموضوعاً، دار المعرفة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٥هـ.
- ٢١٣- الدكتور عبد الله مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب، تقديم أبو الحسن الندوي، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ٢١٤- الدكتور عبد المجيد المشعبي: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- ٢١٥- الدكتور عبد المنعم الحفني: الموسوعة الفلسفية، دار ابن زيدون، الطبعة الأولى.
- ٢١٦- الدكتور عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.
- ٢١٧- الدكتور عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- ٢١٨- الدكتور عبد المعطي محمد بيومي: الماركسية في مواجهة الدين - حقائق ووثائق - دار الأنصار، بمصر.
- ٢١٩- الدكتور عدنان علي رضا النحوي: ملحمة الإسلام في الهند، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، دار النحوي للنشر والتوزيع.
- ٢٢٠- الدكتور عرفان عبد الحميد: الفلسفة الإسلامية، دراسة ونقد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

- ٢٢١- الدكتور عفيف طيارة: روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٦٦م.
- ٢٢٢- الدكتور علي زيعور: الفلسفة في الهند، قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والمعاصرة، مع مقدمات عن الفلسفة الشرقية وفي الصين، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ. ونسخة أخرى بعنوان: الفلسفات الهندية، دار الأندلس، للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٢٢٣- الدكتور علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة، ١٩٧٧م.
- ٢٢٤- الدكتور عمارة نجيب: الإنسان في ظل الأديان، المعتقدات والأديان القديمة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ.
- ٢٢٥- الدكتور عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- ٢٢٦- الدكتور عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م.
- ٢٢٧- الدكتور فارس علوان: اليوغا في ميزان النقد العلمي، مكتبة الضياء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٢٢٨- الدكتور فيصل عباس: موسوعة الفلاسفة، دار الفكر الغربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ٢٢٩- الدكتور قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، قاسم غني، ترجمة صادق نشأت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ٢٣٠- الدكتور كامل سعفان: معتقدات آسيوية، دار الندي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٢٣١- الدكتور ماجد فخري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة د. كمال اليازجي، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٩م.

- ٢٣٢- الدكتور مانع حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ.
- ٢٣٣- الدكتور محمد أحمد لوح: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، دار الهجرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ٢٣٤- الدكتور محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، دار الشعب.
- ٢٣٥- الدكتور محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٧ م.
- ٢٣٦- الدكتور محمد الزحيلي، والدكتور يوسف العش: تاريخ الأديان، جامعة
- ٢٣٧- الدكتور محمد العريبي، الديانات الوضعية الحية، في الشرقين الأدنى والأقصى، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م.
- ٢٣٨- الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٢٣٩- الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي: فصول في تاريخ الهند، طبعة دار البخاري بالمدينة المنورة، طبعة ١٤١٩ هـ.
- ٢٤٠- الدكتور محمد عثمان الخشت: مقارنة الأديان، الفيدية البراهمانية الهندوسية، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٩٦ م.
- ٢٤١- الدكتور محمد علي أبو ريان: حركة الصوفية في الإسلام،
- ٢٤٢- الدكتور محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، القاهرة، ١٩٣٨ م.
- ٢٤٣- الدكتور محمد غلاب: مشكلة الألوهية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٩٥١ م.
- ٢٤٤- الدكتور محمد مصطفى حلمي: الإسلام والمذاهب الفلسفية.
- ٢٤٥- الدكتور محمود عبد الرحمن قدح: علم دراسة الأديان عند المسلمين، (بحث غير منشور).

- ٢٤٦- الدكتور محيي الدين الألوائي: تاريخ الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٢٤٧- الدكتور مصطفى غالب: أفلاطون، دار مكتبة هلال، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٢٤٨- الدكتور ناجي التكريتي: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.
- ٢٤٩- الدكتور هادي حسين محمود: منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، دولت أحمد صادق، محمد سيد غلاب، جمال الدين الدناصوري: جغرافية العالم، مكتبة إنجلو المصرية، ١٩٦٦م.
- ٢٥١- الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد زغلول، دار الكتاب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- ٢٥٢- الذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٢٥٣- الذهبي: ميزان الاعتدال، تحقيق علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.
- ٢٥٤- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان قايمآز التركماني: سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ.
- ٢٥٥- رؤوف شلبي: الأديان القديمة في الشرق، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٢٥٦- رادها كريشنان وآخرون: الفكر الفلسفي الهندي، ترجمة ندره اليازجي، دار اليقظة العربية، ١٩٦٧م.
- ٢٥٧- الرازي، فخر الدين: اعتقادات فرق المسلمين والمشركن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

- ٢٥٨- الراغب: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨١هـ.
- ٢٥٩- رشدي عليان: العقل عند الشيعة الإمامية، مطبعة دار السلام، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.
- ٢٦٠- روعي البعلبكي: المورد، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٩٢م.
- ٢٦١- الزبيدي: تاج العروس بشرح القاموس، دار ليبيا، بنغازي، ليبيا، د.ت.
- ٢٦٢- الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، حققه لجنة من علماء الأزهر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، دار الكتبي.
- ٢٦٣- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الحادية عشرة، أيار/ مايو ١٩٩٥م.
- ٢٦٤- الزمخشري: أساس البلاغة، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ.
- ٢٦٥- الزمخشري: الكشاف عن حقيقة التنزيل وغوامض التأويل، مكتبة المعارف، الرياض، د.ت.
- ٢٦٦- زيدان، عبد الكريم: أصول الدعوة، مؤسسة قرطبة، مصر ١٩٨٧م.
- ٢٦٧- سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي، آل سعود: نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢٦٨- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
- ٢٦٩- سعيد حوى: تريتنا الروحية، بيروت، دار الكتب العربية، ١٩٧٩م.
- ٢٧٠- السفاريني: لوامع الأنوار البهية، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٢٧١- السكسكي، أبو الفضل الحنبلي: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، تحقيق د. بسام علي العموش.
- ٢٧٢- السلمي، أبو عبد الرحمن: طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريعة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.

- ٢٧٣- سليمان مظهر: قصة الديانات، دار الوطن العربي للطباعة والنشر.
- ٢٧٤- سميح عاطف الزين: الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م
- ٢٧٥- السهروردي، عبد القاهر بن عبد الله: عوارف المعارف، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- ٢٧٦- السهلبي: النور من كلمات طيفور، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ضمن الشطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- ٢٧٧- السيد أبو النصر أحمد الحسيني: كنك نهر الهند المقدس، الطبعة الأولى، د.ت.
- ٢٧٨- السيد حسين الموسوي: كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، دار الأمل، القاهرة.
- ٢٧٩- السيد محمد عاشور: التفرقة العنصرية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
- ٢٨٠- سير توماس، أو أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمه إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.
- ٢٨١- سيرغي أ. توكاريف: الأديان في تاريخ شعوب العالم، ترجمة د. أحمد م. فاضل، الأهالي، للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٢٨٢- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، من توزيع دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت.
- ٢٨٣- السيوطي: صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، تعليق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ٢٨٤- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبي الفضل، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- ٢٨٥- شريف الدين پير زاده: نشأة باكستان، نقله إلى العربية عادل صلاحى، الطبعة الأولى، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩هـ.
- ٢٨٦- شريف المجاهد: علمانية الهند، ترجمة الدكتور إحسان حقي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.
- ٢٨٧- الشعراى: الطبقات الكبرى، دار الجيل، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ.
- ٢٨٨- الشعراى: تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر، ١٣٩٠هـ.
- ٢٨٩- الشهرستانى، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، صححه وعلق عليه، الأستاذ أحمد فهمى محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٢٩٠- الشيخ مناع القطان: مباحث فى علوم القرآن،
- ٢٩١- صديق حسن خان: تفسير فتح البيان فى مقاصد القرآن، مطبعة العاصمة، القاهرة.
- ٢٩٢- الصفدى، خليل بن أيبك: الوافى بالوفيات، باعثناء س.د. يدرينغ، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ.
- ٢٩٣- صلاح الدين مجيد: نظرات فى النبوة، مكتبة القدس، بغداد.
- ٢٩٤- الطبرسى، أحمد بن علي بن أبي طالب: الاحتجاج، تعليق محمد باقر الخرسان، مؤسسة الأعلمى، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ٢٩٥- الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر.
- ٢٩٦- الطبرى: جامع البيان فى تفسير القرآن، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
- ٢٩٧- الطهرانى، آقا برزك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

- ٢٩٨- الطوسي: نهاية الدراية، طهران، إيران، ١٣٨٨هـ.
- ٢٩٩- الطوسي، أبو نصر السراج: اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٠م.
- ٣٠٠- الطوسي، محمد بن الحسن: الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تحقيق حسن الخرسان، دار صعب، دار التعارف، بيروت، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠هـ.
- ٣٠١- الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠هـ.
- ٣٠٢- الطوفي، سليمان بن عبد القوي: شرح مختصر الروضة، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- ٣٠٣- الطيالسي، المسند، مكتبة المعارف، الرياض، عن دار المعروفة، بيروت.
- ٣٠٤- عادل حسن غنيم، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ الهند الحديث، مكتبة الخانجي، بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- ٣٠٥- العاملي، محسن الأمين: أعيان الشيعة، مطبعة ابن زيدون، دمشق.
- ٣٠٦- عبد الجبار الهمداني: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق عبد الحليم محمود، وسليمان دنيا، الدار المصرية للتأليف والنشر.
- ٣٠٧- عبد الحي الحسني: الهند في العهد الإسلامي، نشر دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٩٢هـ.
- ٣٠٨- عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، المسمى بالإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٣٠٩- عبد الرحمن الوكيل: هذه هي الصوفية، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.

- ٣١٠- عبد الرحمن الوكيل: هذه هي الصوفية، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.
- ٣١١- عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- ٣١٢- عبد الرحمن بدوي: شطحات الصوفية، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- ٣١٣- عبد الرحمن حمدي: الهند عقائدها وأساطيرها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.
- ٣١٤- عبد الرحمن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.
- ٣١٥- عبد العزيز الثعالبي: مسألة المنبوذين في الهند، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤، ١٩٨٤م.
- ٣١٦- عبد القادر شيبه الحمد: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ٣١٧- عبد اللطيف شيخ بن عبد الرشيد شيخ الكشميري: الشيخ أبو الوفاء الأمرتري وجهوده في مقاومة الأديان والفرق الضالة، رسالة ماجستير في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، غير منشورة حتى الآن.
- ٣١٨- عبد الله فياض: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، الطبعة الأولى، بيروت. د.ت.
- ٣١٩- عبد الله نومسوك: البوذية تاريخها، عقائدها، وعلاقة الصوفية بها، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٣٢٠- عبد المنعم الحفني: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية.
- ٣٢١- عثمان جمعة ضميرية: التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، نشر وتوزيع دار الأرقم، الكويت.

- ٣٢٢- عز الدين بحر العلوم: التقليد في الشريعة الإسلامية، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- ٣٢٣- العقاد، عباس محمود: الله، جل جلاله، المكتبة العصرية.
- ٣٢٤- علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان قبل الإسلام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.
- ٣٢٥- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣٢٦- عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- ٣٢٧- عمر وفيق الداعوق: الأسس العقدية لظاهرة الرهينة وموقف الإسلام منها، رسالة الدكتوراه بجامعة أم القرى، تحت إشراف: الأستاذ الدكتور محمود أحمد خفاجي، ١٤٠٨هـ.
- ٣٢٨- العميد عبد الرزاق محمد أسود: موسوعة الأديان والمذاهب، الدار العربية للموسوعات، د.ت.
- ٣٢٩- غالب العواجي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها، مكتبة لينه، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣٣٠- الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ، وبهامشه، المغني للعراقي.
- ٣٣١- الغزالي: مشكاة الأنوار، تعليق رياض مصطفى العبد الله، دار الحكمة، دمشق، ١٤٠٧هـ.
- ٣٣٢- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: مكاشفة القلوب، حققه وهذبه عبد الله أحمد أبو زينة، طبع دار الشعب، القاهرة.
- ٣٣٣- غوستاف لوبون، المؤرخ الفرنسي: حضارات الهند، ترجمة عربية: عادل زعير، مصر، ١٣٦٧هـ.

- ٣٣٤- غيتا، الترجمة العربية، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، اللاذقية، سورية، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
- ٣٣٥- غيتا، الترجمة العربية، ترجمة سليم الحداد، منشورة في الإنترنت من موقع ماهيش يوجي (مهاريشي).
- ٣٣٦- فاروق الدملوجي: تاريخ الآلهة، الجزء الأول، مطبعة الشباب، بغداد، ١٩٥٤م.
- ٣٣٧- فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، ترجمه عن الفرنسية، حسن إبراهيم حسن، محمد زكي إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٥م.
- ٣٣٨- فرج العمران، الأصوليون والإخباريون فرقة واحدة، المطبعة الحيدرية، النجف.
- ٣٣٩- فريد الدين عطار: منطق الطير، ترجمة بديع محمد جمعة، دار الأندلس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.
- ٣٤٠- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ٣٤١- الفيض الكاشاني: تفسير الصافي، تصحيح حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- ٣٤٢- فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ترجمة حافظ الجمالي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- ٣٤٣- الفيومي المقرئ: المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.
- ٣٤٤- القادياني: إعجاز المسيح في تفسير أم الكتاب
- ٣٤٥- القادياني: الاستفتاء
- ٣٤٦- القادياني: توضيح المرام

- ٣٤٧- القادياني: حماسة البشرى
- ٣٤٨- القاشاني، عبد الرزاق: شرح الفصوص، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.
- ٣٤٩- القاضي أطهر المباركفوري: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، نشره أبناء مولوي محمد بن غلام السورتي، تجار الكتب بيومباي، ١٣٨٨هـ.
- ٣٥٠- القاضي أطهر المباركفوري: الهند والعرب في عهد الرسالة، ترجمة عبد العزيز عبد الجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
- ٣٥١- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
- ٣٥٢- القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٩هـ.
- ٣٥٣- قلعجي، محمد رؤاس: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- ٣٥٤- القمي، سعد بن عبد الله: المقالات والفرق، تصحيح وتعليق: محمود جواد مشكور، مطبعة حيدري، طهران، ١٩٦٣م.
- ٣٥٥- القمي، علي بن إبراهيم: تفسير القمي، تصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٧هـ.
- ٣٥٦- كامل مصطفى الشيبني: الصلة بين التصوف والتشيع، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.
- ٣٥٧- كامل مصطفى الشيبني: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، مكتبة النهضة، بغداد، مطابع دار التضامن، ١٣٨٦هـ.

- ٣٥٨- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- ٣٥٩- الكتبي، محمد بن شاکر: فوات الوفيات، والذیل علیه، تحقیق: إحسان عباس، دار صادر، بیروت.
- ٣٦٠- الكردي، محمد ضياء الدين: الألوهية وصلتها بالعالم في الديانة الهندية القديمة، مطبعة السعادة، بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٠٤ هـ.
- ٣٦١- الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق أرثر أبري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.
- ٣٦٢- الكليني، محمد بن يعقوب: أصول الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ.
- ٣٦٣- الكليني، محمد بن يعقوب: الفروع من الكافي، تصحيح علي أكبر الغفاري، دار صعب، دار التعارف، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١ هـ.
- ٣٦٤- لوثرروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويض، عليها تعليقات الأمير شبيب أرسلان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣ م.
- ٣٦٥- مؤلف مجهول: رسالة في مباحث التناسخ، مخطوطة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، برقم (٣٧٩٩).
- ٣٦٦- مارتين مان: الذرة ومنافعها السلمية، ترجمة الدكتور عبد الحميد أمين.
- ٣٦٧- مانوراما موداك: الهند، شعبها وأرضها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، يونيو سنة ١٩٦٤ م.
- ٣٦٨- المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.
- ٣٦٩- مجموعة من العلماء الأمريكيان: الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدمرداش سرحان، مؤسسة الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨ م.

- ٣٧٠- مجموعة من العلماء: المعجم الوسيط، الطبعة الثانية.
- ٣٧١- مجموعة من العلماء: الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- ٣٧٢- مجموعة من العلماء: الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٣٧٣- محب الدين عباس الكاظمي: سياحة في عالم التشيع (الحوزة العلمية أسرار وخفايا)، دار الأمل، القاهرة.
- ٣٧٤- محمد أحمد لوح: جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٣٧٥- محمد العبدية وطارق عبد الحليم: الصوفية نشأتها وتطورها، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.
- ٣٧٦- محمد بن أبو بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ١٩٩٩م.
- ٣٧٧- محمد بن أحمد الجوير: الإسماعيلية المعاصرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ. د.ن.
- ٣٧٨- محمد بن جرير بن رستم الطبري: دلائل الإمامة، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٩هـ.
- ٣٧٩- محمد بن صالح العثيمين: المجموع الثمين في فتاوى الشيخ عثيمين، جمع وترتيب، فهد بن ناصر السليمان، مطبعة سفير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٣٨٠- محمد بن صالح العثيمين: تقريب التدمرية، مطبعة سفير، الرياض، الطبعة الأولى، شعبان، ١٤١٢هـ.
- ٣٨١- محمد بن ناصر بن صالح السحيباني: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٣٨٢- محمد بن يوسف الخوارزمي: مفاتيح العلوم،

- ٣٨٣- محمد جنيد عبد المجيد: جماعة التبليغ في الهند، دراسة وتقويم، رسالة ماجستير، المقدمة في جامعة أم القرى، في قسم العقيدة، ١٤٢٠هـ.
- ٣٨٤- محمد خير رمضان يوسف: تكملة معجم المؤلفين، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٣٨٥- محمد رضا مظفر: عقائد الإمامية، دار الغدير، بيروت ١٣٩٣هـ.
- ٣٨٦- محمد سيد كيلاني، ذيل الملل والنحل، المطبوع في آخر الملل والنحل للشهرستاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ٣٨٧- محمد طاهر التنير البيروتي: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، نشر محمد الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٣٨٨- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن،
- ٣٨٩- محمد عبد الفتاح فهمي: اليوغا والتنفس، دار المعارف، د. ت.
- ٣٩٠- محمد عبد الله دراز: الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٩٦٩م.
- ٣٩١- محمد فؤاد الهاشمي: الأديان في كفة الميزان، مطابع دار الكتاب العربي، بمصر.
- ٣٩٢- محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت.
- ٣٩٣- محمد فخر شقفه: التصوف بين الحق والخلق، الدار السلفية، الصفاء، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
- ٣٩٤- محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.
- ٣٩٥- محمد كبير أحمد شودري: فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة، دراسة ونقداً، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- ٣٩٦- محمد لطفي جمعة: تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، المكتبة العلمية.
- ٣٩٧- محمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، الجزء الأول، مكتبة الآداب، القاهرة.
- ٣٩٨- محمد مهدي النراقي: جامع السعادات، تحقيق محمد كلانتر، دار النعمان، الطبعة الرابعة.
- ٣٩٩- محمد يوسف النجرامي: العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ٤٠٠- محمود عبد الرؤوف القاسم: حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ، توزيع دار الصحابة، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٤٠١- محمود علي حمادة: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- ٤٠٢- مريم عبد الرحمن عبد الله زامل: موقف ابن تيمية من النصرانية، من مطبوعات جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ.
- ٤٠٣- المزي، جمال الدين يوسف: تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٤٠٤- مسعود عالم الندوي: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، نشر وتوزيع: دار العربية.
- ٤٠٥- المسعودي: أخبار الزمان، (الجزء المطبوع منه).
- ٤٠٦- المسعودي: التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت. ١٩٨١م.
- ٤٠٧- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- ٤٠٨- مسلم، أبو عبد الله مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري: الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٤٠٩ - مصطفى الكيك: تناسخ الأرواح، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧١ م.
- ٤١٠ - المطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- ٤١١ - المفريزي: تجريد التوحيد المفيد، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ٤١٢ - المفيد، محمد بن النعمان: الاختصاص، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٢ هـ.
- ٤١٣ - المفيد، محمد بن محمد العكبري: أوائل المقالات في المذاهب المختارات، مكتبة الداوري، قم إيران.
- ٤١٤ - المقبلي، صالح بن مهدي: العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشايخ، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- ٤١٥ - المقرئزي: الخطط، (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر بيروت.
- ٤١٦ - الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تعليق محمد زاهد الكوثري، مكتبة المثنى، بغداد، ومكتبة المعارف، بيروت، ١٣٨٨ هـ.
- ٤١٧ - مَنُؤْ سَمَرْقِي، ترجمه الدكتور إحسان حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.
- ٤١٨ - المنوفي: جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ.
- ٤١٩ - منيف العتيبي: بين ابن تيمية وابن رشد في الإلهيات، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، ١٤١١ هـ.
- ٤٢٠ - مهاجرات (مختصر). ترجمة وزارة التربية والتعليم المصرية.
- ٤٢١ - مهاجرات، (مسرحة).
- ٤٢٢ - الموسوي موسى: الشيعة والتصحيح.
- ٤٢٣ - الميداني: كواشف زيوف، دار القلم، بيروت، لبنان، ودمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

- ٤٢٤- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، بيروت، ١٣٨٥هـ.
- ٤٢٥- ميرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، دار دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- ٤٢٦- ميزرا حسن الإحقافي: رسالة الإيمان، مكتبة الصادق - الكويت ط ٢ / ١٤١٢هـ.
- ٤٢٧- ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية الإمامية عرض ونقد، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- ٤٢٨- النبهاني، يوسف بن إسماعيل: جامع كرامات الأولياء، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.
- ٤٢٩- النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٤٣٠- النسائي، أبو عبد الرحمن: السنن، شرح السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى، ١٣٤٨هـ.
- ٤٣١- نشواني الحميري، أبو سعيد: الحور العين، تحقيق كمال مصطفى، مطبعة السعادة، ١٩٤٨م.
- ٤٣٢- نظلة أحمد نائل الجبوري: فلسفة وحدة الوجود، مكتبة ابن تيمية، المحرق، البحرين، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٤٣٣- نعمة الله الجزائري: الأنوار النعمانية، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- ٤٣٤- النفري الرندي: غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، (شرح فصوص الحكم)، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ.
- ٤٣٥- نوال الصايغ: المرجع في الفكر الفلسفي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٣م.

- ٤٣٦ - النوبختي، الحسن بن موسى: فرق الشيعة، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- ٤٣٧ - النيسابوري: تفسير رغائب الفرقان وغرائب القرآن، بهامش تفسير الطبري، دار الريان للتراث، ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ط الثانية، ١٣٨٨هـ.
- ٤٣٨ - نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه، تحقيق أبي العلا عفيفي، دار جوامع الكلم، القاهرة.
- ٤٣٩ - هـ. ج. ويلز: موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة مأمون نجا، مكتبة النهضة المصرية، مصر.
- ٤٤٠ - الهجويري: كشف المحجوب، دراسة وترجمة: إسعاد قنديل، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٤هـ.
- ٤٤١ - هنري أرفون: البوذية، ترجمة هنري زغيب، المنشورات العربية.
- ٤٤٢ - الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ٤٤٣ - ول ديورانت: قصة الحضارة، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م.
- ٤٤٤ - ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار الفكر، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان.
- ٤٤٥ - ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، بيروت، ١٣٧٦هـ.
- ٤٤٦ - يحيى العلمي: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٤٤٧ - يوسف بن أحمد البحراني: التقليد في الشريعة، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة العلوم العامة، البحرين.

بالأردية:

- ۱- عبید اللہ السلفی الفائلی: تحفة الهند، مكتبة حنفية، اردو بازار، گوجرانوالہ.
- ۲- الشیخ ریاض موسی، ہندو دھرم مذہبی داستانیں اور تاریخی حقائق (غیر منشور).
- ۳- سیر مورتیمور وھیلر: وادی سندھ اور اس کی بعد کی تہذیبیں، قومی کونسل برائے فروغ اردو زبان، نئی دھلی، حکومت ہند.
- ۴- محمد فاروق خان: ہندو دھرم کی جدید شخصیتیں،
- ۵- وید پرکاش اوبادای: کلکی اوتار اور محمد صاحب،
- ۶- الشیخ ثناء اللہ الأمرتسری: حق پرکاش،
- ۷- الشیخ ثناء اللہ الأمرتسری: بحث تناسخ،
- ۸- الشیخ ثناء اللہ الأمرتسری: أصول آریہ،
- ۹- الشیخ أبو محمد إمام الدین الرام نگری: اوتار اور عقیدہ رسالت،
- ۱۰- الشیخ ثناء اللہ الأمرتسری: کتاب الرحمن،
- ۱۱- ایس عبد اللہ طارق، شمس نوید عثمانی: اگر اب بھی نہ جاگی تو،
- ۱۲- لالہ بالکشن تبرہ ابر: ہندوون کی تیوہار،
- ۱۳- لالہ لاجبت رای: آریہ سماج کی تاریخ،
- ۱۴- مفتی محمد مشتاق تجاروی: ہندوؤں کی تحقیقی مطالعہ،
- ۱۵- ارواح ثلاثہ.
- ۱۶- فرید الدین عطار، تذکرۃ الأولیاء، طبعة پاکستان.

In English:

- 1- Murtahin billah Fazli, Hinduism & Islam.
- 2- Weech: The people & Religions of India.
- 3- G.F.Allen: The Buddah's Philosophy.
- 4- Medieval India p. 509 , Havell P
- 5- Arnold , Th. The Preaching of Islam.
- 6- Jawahar lal Nehru : The Discovery of India.
- 7- John Dowson , A Classical Dictionary of Hindu Mythology & Religion.
- 8- H.G. Rawlinson , Intercourse Between India and Western World. Cambridge. 1996
- 9- Encyclopedia of Religion of Ethics, New York 1967 , .
- 10- Max Muller , Selected Essay's , vol. 2.
- 11- Deussen , philosophy of Upanishads.
- 12- Max, Muller , Sacred book of the East.
- 13- Sir Charles Eliot. Hinduism & Buddhism.
- 14- Radhakrishnan , The Indian Philosophy.
- 15- Macdonell. India's Past.
- 16- Max Muller , India What can it teach us , London 1919.
- 17- Max Muller , Six Systems of Hindu Philosophy.
- 18- The Agama Shastra of GOUDAPADA , 1994 , Calcutta.
- 19- Romesh Chandra Datta , The Ramayan and Mahapharata ,
- 20- Ghandi. Hindu Dharma ,
- 21- Dr. Baba Saheb Ambedkar , writings and speeches ,

Education Department, Government of Maharashtra, vol. 3, 1987.

- 22– Academic American Encyclopedia vol. 13.
- 23– Sri Orbindo, On the veda.
- 24– Max Muller, Ancient Sanskrit Literature.
- 25– Winternitz, A History of Indian literature vol. 1.
- 26– Macdonall, Vedic Mythology.
- 27– Max Muller, Origin and Growth of Religion, 1882.
- 28– Ram Chand, Philosophy of Bhagavad-Gita.
- 29– Murtahin Billah Fazli, Hindu Chauvinism & Muslims in India.
- 30– R.C.Zaehner, Hindu & Muslim Mysticism.

باللغة البنغالية:

- 1- ড. রাধা কমল চট্টোপাধ্যায়, জাগো হিন্দু জাগো (د/ رادها كومول ستروباداي), (استيقظوا يا هندوس)
- 2- আবুল হোসেনে ভট্টাচার্য্য, আমকিনে ইসলাম গ্রহণ করলাম, (أبو الحسين), (باتراسارزا, لما ذا أسلمتُ)
- 3- হিন্দু শাস্ত্র, (অখন্ড) রমশেচন্দ্র দত্ত সম্পাদিত, (روميش شاندرادوتو:), (الكتب الهندوسية/ مجموعة)
- 4- মহাভারত, (মেহাভারতা)
- 5- অমল কুমার বন্দোপাধ্যায়, পট্টোরাণকি, (أمول كومار بندوباداي, بورانিকা)
- 6- শুধাংশু কুমার চক্রবর্তী, ধর্মতত্ত্ব সারসংগ্রহ, (شودانغشو كومار سكروبارتي:), (دهارماتاتها شار شنكره)
- 7- সুধীর চন্দ্র সরকার, পট্টোরাণকি অভিধান, (شودهير شاندراسركار: بورانك), (أبيدان)
- 8- ভাগবত পুরাণ (بهاغافاد بران)
- 9- দ্বৈপী পুরাণ (ديفي بران)
- 10- পদ্ম পুরাণ (فادما بران)
- 11- শ্রী সুবোধ কুমার চক্রবর্তী, ধর্ম শাস্ত্র পরচয়, (سري سوبود كومار), (سكروبارتي: دهارما ساشترا بوريسوي)
- 12- মনুস্মৃতি (منوسمрти)
- 13- জালালুদ্দিন বশ্বাস, ভারত তত্ত্ব, (جلال الدين بسواس: بهارت تتو)
- 14- কঙ্কর সঙ্ঘ, মনু সংহতি ও শুদ্র (كنكر سنكه: منو شنهتا وشودرا)
- 15- জয়ন্তানুজ বন্দোপাধ্যায়, ধর্মের ভবিস্যত। (جايانتانوج بندوبداي: دهارمير), (بهويشوت)

- 16- জয়ন্তানুজ বন্দোপাধ্যায়, মহাকাব্য ও মৌলবাদ। (জায়ন্তানুজ বন্দোবাদاي:)
(মহাকাব্য ও মৌলবাদ)
- 17- সুকুমারী ভট্টাচার্য, রামায়ণ মহাভারত আনুপাতকি জনপ্রিয়তা। (সুকুমারি)
(ব্রাসারসা: রামিন, মহাভারত, আনুপাতকি জনপ্রিয়তা)
- 18- শ্রী জগদীশ চন্দ্র ঘোষ, শ্রীগীতা। (সরি জগদীশ জন্দরা গহুশ: সরি)
(গিতা)
- 19- জয়ন্তানুজ বন্দোপাধ্যায়, সমাজ বজ্জিঞানরে দৃষ্টিভেগবদগীতা (জায়ন্তানুজ)
(বন্দোবাদاي: সমাজ বিজ্ঞানরে দৃষ্টিভেগবদগীতা)
- 20- অতুল চন্দ্র সেন, শ্রীমদভগবদগীতা (অতুল সন্দর শিন: সরি মود ভাগবাদ)
(গিতা)
- 21- বালগঙ্গাধর তলিক, গীতা রহস্য (বাল গঙ্গাধর তলিক: গিতা রহস্য)
- 22- রাহুল সাংকৃত্যায়ন, দর্শন দগিদর্শন, (রাহুল সনস্করিতান: দর্শন),
(দিকদর্শন)
- 23- গলাম মস্টফা, বশিবনবীর বশৈষ্টিয় (গলাম মস্টফা: বশিবনবীর বশৈষ্টিয়)
- 24- দুর্গাদাস বসু স্বরস্বতী, হিন্দু ধর্মের সারতত্ত্ব, (দুর্গাদাস বসু সরস্বতী:),
(হিন্দু ধর্মের সারতত্ত্ব)
- 25- ঋগ্বেদে সংহতি, (রিক বীদ),
- 26- যজুর্বেদে সংহতি, (যাজুর বীদ),
- 27- সামবেদে সংহতি, (সাম বীদ),
- 28- অথর্ববেদে সংহতি, (অথার্বা বীদ),
- 29- উপনিষদ সমগ্র (অউবানিশাদ সমগ্র)
- 30- উপনিষদ (অখন্ড) (অউবানিশাদ মজমুং)
- 31- ড. পরশে মন্ডল, হিন্দু ধর্ম শিক্ষা, (ড/ বরিশ মন্ডল: হিন্দু ধর্ম শিক্ষা)

- 32- برومود بندهو شين غوبتا: بهاراتيا) भारतीय दर्शन, प्रमोद बन्धु सने गुप्त, (दर्शन)
- 33- हंग्स नारायण भट्टाचार्य, हिन्दुदरे देवेदेवी, उद्भव ओ क्रमवर्काश, (हंगशा) नारायण ब्रसारजा: हन्दुदर द्यो द्यो, ओदहोब ओक्रमोवकाश
- 34- शतपथ ब्रह्मण, दुलाल चन्द्र भट्टाचार्य अनुदति, (शत) دولال چندرا بهوميك: شات, (فات براهمان)
- 35- कौषीतकी ब्रह्मण, (कौषीतकी ब्रह्मान)
- 36- तान्द महा ब्रह्मण, (तान्दा महा ब्रह्मान)
- 37- अतरेये ब्रह्मण, (ओतुरयो ब्रह्मान)
- 38- तैत्तरीय ब्रह्मण, (तैत्तुरयो ब्रह्मान)
- 39- तबलकार ब्रह्मण, (तबलकार ब्रह्मान)
- 40- यास्क, नरुक्त (यास्क नरुक्त)
- 41- बषिणु पुराण (बषिणु ब्रान)
- 42- सौर पुराण (सुरो ब्रान)
- 43- बराह पुराण (बराह ब्रान)
- 44- ब्रह्मान्द पुराण (ब्रह्मान्द ब्रान)
- 45- बामन पुराण (बामन ब्रान)
- 46- योगेशे चन्द्र आचार्य, वदेरे देवेता ओ कृष्णकाल, (योगेशे चन्द्रा आसारया:) یوغیش چندرا آساریا, (बिदर द्योता ओकुरिस्ति काल)
- 47- अक्षय कुमार दत्त, भारतवर्षीय उपसक सम्प्रदाय, (अकेशुयो कुमार) अक्षय कुमार दत्त, भारतवर्षीय उपसक सम्प्रदाय, (दुतो)
- 48- कालिका पुराण (कालिका ब्रान)
- 49- गरुड पुराण (गरुड ब्रान)
- 50- कूर्म पुराण (कूर्मा ब्रान)

- 51- পদ্ম পুরাণ। (বাদমা ব্রান)
- 52- মৎস পুরাণ। (মাতশা ব্রান)
- 53- বৌদ্ধায়ন গৃহ্য সূত্র। (যেহুদহাযান গ্রহে সূত্রা)
- 54- শব্দ পুরাণ। (শব্দ ব্রান)
- 55- স্কন্দ পুরাণ। (সকান্দা ব্রান)
- 56- কালবিলাস তন্ত্র। (কালি বিলাস তন্ত্রা)
- 57- হরচিরণ বন্দোপাধ্যায়, বঙ্গীয় শব্দকোষ, (হরিসুরোন বন্দোবাদা: বংগী), (শাব্দোকুশ)
- 58- ভবশিষ্য পুরাণ। (যেহুবিষ্যো ব্রান)
- 59- দ্বৈতী ভাগবত পুরাণ। (দ্বৈতী য়েহাগাফাদ ব্রান)
- 60- কুমার সম্ভব। (কুমার শুমযেহাব)
- 61- মার্কণ্ডেয়ে পুরাণ। (মারকিন্দ্যো ব্রান)
- 62- বশিষ্ঠ ধর্মোত্তর পুরাণ। (বিশ্বনো দেহারমোতুর ব্রান)
- 63- লঙ্কিণ পুরাণ। (লিংগা ব্রান)
- 64- জতিনেদ্রনাথ বন্দোপাধ্যায়, পঞ্চকোপসনা, (জতিনেদ্রা নাথে বন্দোবাদা:), (বংগোয়াসনা)
- 65- বৃহদধর্ম পুরাণ। (ব্রহ্মেদেহারমা ব্রান)
- 66- বদে মীমাংসা। (বিদে মিম্যাংগসা)
- 67- অমলশে ভট্টাচার্য্য, বদে মন্ত্র মঞ্জরী, (অমলশে বত্রাসারজা: বিদে মন্ত্রা), (মংগুরী)
- 68- আবু তাহরে বরধমানী, উল্টা বুঝলি রাম (আবু তাহর বরদেহমানী: আলা বুঝিল রাম)
- 69- গোপেন্দ্র কৃষ্ণ বসু, বাংলার লৌকিক দবেতা। (গোবন্দরো কৃষ্ণো বসু)
- 70- সাধন দাস গুপ্ত, হিন্দুয়ানা, (সাদেহন দাস গুপ্ত: হেদুয়ানা)

- 71 – স্বামী দয়ানন্দ স্বরস্বতী, সত্যার্থ প্রকাশ, (সতারে) সোমি দিয়ান্দ সরস্ফাতি: সতারে)
(ব্রকাশ
- 72 – জগদীশ চন্দ্র, শ্রীগীতা, (জগদীশ চন্দ্র: সরি গীতা)
- 73 – হরিনময় বন্দোপাধ্যায়, ঋগ্বেদে ভূমিকা, (হিরোনময় বন্দোবাদাই: রিগ্‌ বীডির)
(হোমিকা)
- 74 – শেখ আব্দুলমতীন জালালাবাদী, জীবন মৃত্যু পরকাল, (الشیخ عبد المتین جلال)
(আবাদি: জীবন, মরিতো, ব্রোকাল
- 75 – শ্রী রামকৃষ্ণের উপদশে। (সরি রাম ক্রিশনা ওবাদিশ)
- 76 – এডভোকেট আলতাফ হোসেন, হিন্দু আইন (ألطاف حسین: هندو آئین)
- 77 – কল্যাণী বন্দোপাধ্যায়, ধর্ম ও নারী সকাল একাল। (کلانی بندوقبادای: دهارما)
(ওনারি, শিকাল, ইকাল
- 78 – আবুল হোসেন ভট্টাচার্য, শেষে নব্বিদিন। (أبو الحسین بتراسارزا: شیش)
(নিবিদোন)
- 79 – অর্থ শাস্ত্র (أرتها شاسترا)
- 80 – মুন্সী মহেন্দ্রলাহ, হিন্দু ধর্ম রহস্য ও দবেলীলা (منشی مهر الله: هندو دهارমা)
(রোহোশু ও দিবো লিলা
- 81 – নরেন্দ্রনাথ ভট্টাচার্য, ভারতীয় ধর্মের ইতিহাস। (نوریندراناته بتراسارزا: إتیهاস)
(বহারোতিও দেহারমির ইতিহাস
- 82 – মোহাম্মাদ হেলালুদ্দীন, স্বাধীনতার পঞ্চাশ বছর। (محمد هلال الدين:)
(শেহাদিনোতার বনজাস বস
- 83 – মুহাম্মাদ রইস, হিন্দুতব। (محمد رئیس: هندوتো)

الجراند والمجلات:

- ١ - مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (أعداد عديدة).
- ٢ - مجلة ثقافة الهند (أعداد عديدة).
- ٣ - مجلة جامعة أم القرى، عدة أعداد.
- ٤ - جريدة انقلاب، (٣١ / ١٠ / ٢٠٠١ م). (البنغالية).
- ٥ - جريدة أغراپاتهيك، العدد الخاص بالسيرة النبوية، سنة ١٤١٧ هـ. (البنغالية).
- ٦ - مجلة أهلحديث أمرتسر (أعداد عديدة). (الأردية).
- ٧ - مجلة مسلمان، (الأردية).
- ٨ - مجلة كشمير المسلمة (أعداد عديدة).
- ٩ - مجلة الدعوة الباكستانية، عدد مايو / ٢٠٠٢ م، (مقالة نويد قمر).
- ١٠ - مجلة الفيصل (العربية) العدد ٢٣٧.
- ١١ - مجلة أغراپاتهيك، عدد ربيع الأول، ١٤١٧ هـ (البنغالية).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
المقدمة	٧
شكر وتقدير	٥٣
تمهيد: في بيان نبذة عن شبه القارة الهندية تاريخيًا، وجغرافيًا، واجتماعيًا، ودينياً.	٥٧
المطلب الأول: تاريخ شبه القارة الهندية وجغرافيتها	٥٩
الفرع الأول: نبذة عن شبه القارة الهندية	٥٩
الفرع الثاني: لمحة عن جغرافية الهند وتاريخها	٦٥
الفرع الثالث: سكان الهند الأصليون	٧٧
الفرع الرابع: وفود الآريين إلى بلاد الهند	٨٦
الفرع الخامس: امتزاج أهل الهند بالآريين	٩٤
المطلب الثاني: بيان أحوال أهل شبه القارة الهندية	٩٧
الفرع الثاني: الحالة الاجتماعية	١٠٩
الفرع الثالث: الحالة الدينية	١١٥

الباب الأول

التعريف بالديانة الهندوسية ومصادرها	١١٩
-------------------------------------	-----

الفصل الأول

التعريف بالديانة الهندوسية	١٢١
المبحث الأول: التعريف بالهندوسية ومؤسستها	١٢١
المطلب الثاني: مؤسس الهندوسية	١٣١

الصفحة

الموضوع

- المبحث الثاني: بيان الأدوار والمراحل التي مرّت بها الهندوسية وأماكن انتشارها ١٣٣
- المطلب الثاني: أماكن انتشار الهندوسية ١٤٢

الفصل الثاني

مصادر الهندوسية

- ١٤٥
- المبحث الأول: الفيدات الأربعة وما يتعلق بها ١٤٩
- المطلب الأول: الدراسات المتعلقة بالفيدات ١٤٩
- المطلب الثاني: دراسة الفيدات الأربعة ١٧٤
- الفرع الأول: ريگفيد (RIG VEDA) ١٧٤
- الفرع الثاني: سام فيد (SAM VEDA) ١٩٦
- الفرع الثالث: ياجور فيد (YAJUR VEDA) ١٩٩
- الفرع الرابع: أثربا فيد (ATHARVAN VEDA) ٢٠٤
- المطلب الثالث: الكلام حول تفسير الفيدات الأربعة والعلوم المتعلقة بها ٢١٤
- الفرع الأول: الاتجاهات التفسيرية للفيدات ٢١٤
- الفرع الثاني: العلوم المتعلقة بالفيدات ٢١٦
- المبحث الثاني: ذبول الفيدات ٢٢٣
- المطلب الأول: برهمانا ٢٢٣
- المطلب الثاني: أرَنك ٢٣١
- المطلب الثالث: الأوبانيشاد ٢٣٤
- الفرع الأول: دراسة الأوبانيشادات عمومًا ٢٣٤
- الفرع الثاني: دراسة بعض الأوبانيشادات المهمة ٢٨٣
- المبحث الثالث: مصادر الهندوسية الأخرى ٣٢٥
- المطلب الأول: كتب الفلسفات المقدسة لدى الهندوس ٣٢٥

الموضوع	الصفحة
---------	--------

الفرع الأول: فيدات	٣٣٧
الفرع الثاني: فلسفة ميانسا	٣٥٨
الفرع الثالث: فلسفة فايشيشكا	٣٦٤
الفرع الرابع: نيايا	٣٦٩
الفرع الخامس: فلسفة سانكهيا (أو فلسفة التعداد)	٣٧٤
الفرع السادس: يوغا	٣٧٩
المطلب الثاني: رامايين (RAMAYAN)	٣٩١
المطلب الثالث: يوغا فاشستها (YOGA VASISTHA)	٤١٨
المطلب الرابع: بُران (PURAN)	٤٣٣
المطلب الخامس: دهرم شاسترا (DHARMA SHASTRA)	٤٦٨
المطلب السادس: مُنُو سُمَرِي (مُنُو دهرم شاسترا)	٤٧٥
المطلب السابع: مهابهارت	٤٩٣
المطلب الثامن: غيتا (بهاغافاد غيتا)	٥١٣

الباب الثاني

عقائد وشرائع الديانة الهندوسية

ودعوة الهندوس إلى الإسلام	٥٣٩
تمهيد: أهمية العقيدة في حياة الإنسان	٥٤١

الفصل الأول

الربوبية والألوهية لدى الهندوس	٥٤٩
المبحث الأول: عقيدة الهندوس في الربوبية، ومناقشتها	٥٤٩
تمهيد: بيان المقصود بالربوبية	٥٤٩
المطلب الأول: عقيدة الربوبية لدى الهندوس في المرحلة الفيديّة	٥٥٥

الصفحة

الموضوع

- المطلب الثاني: الربوبية في المرحلة البراهمانية ٥٨٣
- المطلب الثالث: الربوبية في المرحلة الأخيرة ٥٨٥
- المطلب الرابع: الرد على عقيدة الهندوس في الربوبية ٥٩٢
- المبحث الثاني: عقيدة وحدة الوجود لدى الهندوس ومناقشتها ٦٠٥
- المطلب الأول: معنى وحدة الوجود ٦٠٦
- المطلب الثاني: وحدة الوجود كما تصوره كتب الهندوس والاتجاهات في تفسيرها ٦٠٩
- المطلب الثالث: وحدة الوجود هل هي عقيدة الهندوس القدامى؟ ٦٣٢
- الفرع الأول: هل وحدة الوجود من العقائد اليونانية التي تأثرت بها الهندوس؟ .. ٦٣٢
- الفرع الثاني: نشأة هذه العقيدة في الهندوسية وعواملها الرئيسة ٦٣٥
- المطلب الرابع: الرد على عقيدة وحدة الوجود ٦٤٤
- الفرع الثاني: الرد على بعض الفلسفات الهندوسية في وحدة الوجود: ٦٥١
- المبحث الثالث: عقيدة الهندوس في الألوهية ومناقشتها ٦٥٥
- تمهيد: بيان المقصود بالألوهية في الإسلام والهندوسية: ٦٥٥
- المطلب الأول: عقيدة الألوهية لدى الهندوس في المرحلة الفيديّة ٦٦٩
- المطلب الثاني: عقيدة الألوهية لدى الهندوس في المرحلة البراهمانية ٧٠٥
- المطلب الثالث: عقيدة الألوهية لدى الهندوس في المرحلة الأخيرة ٧٠٨
- الفرع الأول: بداية عبادة الأصنام لدى الهندوس وتطورها ٧١١
- الفرع الثاني: أسباب عبادة الأصنام في الهندوسية ٧١٣
- الفرع الثالث: أسماء المعبودات التي يعبدوها الهندوس في المرحلة الأخيرة ٧١٥
- المطلب الرابع: أهم أسباب تعدد الآلهة لدى الهندوس ٧٩٤
- المطلب الخامس: بيان بطلان عقيدة الألوهية لدى الهندوس ٨٠٢
- المقارنة بين أفكار الهندوس وبين أفكار الديانات الأخرى في التوحيد ٨٥٠
- المقارنة بين الهندوسية والبوذية في التوحيد ٨٥١

الصفحة

الموضوع

٨٥٥ المقارنة بين الهندوسية واليهودية في التوحيد

٨٧٢ المقارنة بين الهندوسية والنصرانية في التوحيد

الفصل الثاني

٨٨١ نظرة الهندوس إلى الكون والحياة والإنسان

٨٨٣ تمهيد: نظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان

٨٩٩ المبحث الأول: نظرة الهندوس إلى نشأة الكون وخلق العالم، ومناقشتها

٩٠٠ المطلب الأول: نظرة الهندوس إلى نشأة الكون وخلق العالم

٩٠٠ الفرع الأول: أقوال الهندوس في معنى الخلق والخالق

٩٠٦ الفرع الثاني: أقوال الهندوس في مصدر الخلق

٩١٢ الفرع الثالث: كيف تمت عملية الخلق؟

٩٣٧ المطلب الثاني: نظرة الهندوس إلى الكون والكائنات

٩٤٩ المطلب الثالث: الرد على عقيدة الهندوس في الخلق والكون

٩٦٩ المبحث الثاني: نظرة الهندوس إلى الحياة ومناقشتها

٩٦٩ المطلب الأول: نظرة الهندوس إلى الحياة

٩٧٧ المطلب الثاني: الردود على نظرة الهندوس إلى الحياة

٩٨٣ المبحث الثالث: نظرة الهندوس إلى الإنسان، ونظام الطبقات

٩٨٣ المطلب الأول: قول الهندوس في حقيقة الإنسان

٩٨٦ المطلب الثاني: الطبقات في المجتمع الهندوسي

٩٨٦ الفرع الثاني: أساس الطبقة في الديانة الهندوسية وزمان نشأتها

٩٩٩ الفرع الثالث: تفاصيل وظائف كل طبقة من الطبقات الهندوسية

١٠١٤ الفرع الرابع: نقد النظام الطبقي

١٠١٩ الفرع الخامس: الجهود المبذولة في إزالة الفوارق الطبقة ونتيجتها

الفرع السادس : واجب المسلمين تجاه هذا النظام الطبقي ١٠٢١

الفصل الثالث

أهم عقائد الهندوس الأخرى ١٠٢٩

المبحث الأول: عقيدة «أفتار» (التجسد / AVATAR) ١٠٢٩

المطلب الأول: التعريف بـ «أفتار»، وبيان أسبابه لدى الهندوس ١٠٢٩

المطلب الثاني: أقسام أفتار في الهندوسية ١٠٣٢

المطلب الثالث: مصدر عقيدة أفتار ١٠٣٦

المطلب الرابع: مناقشة عقيدة الأفتار ١٠٤٢

المطلب الخامس: موقف الهندوس من إرسال الرسل ١٠٤٥

المبحث الثاني: عقيدة كَارْمَا (قانون الجزاء) ١٠٥٧

المطلب الأول: معنى كلمة «كارما» ١٠٥٧

المطلب الثاني: تفصيل عقيدة كارما ١٠٥٨

المطلب الثالث: مصدر عقيدة كارما ١٠٦٢

المطلب الرابع: مناقشة عقيدة كارما، وبيان ما ترتب عليه عند الهندوس ١٠٦٨

المبحث الثالث: عقيدة تناسخ الأرواح أو جولان الروح (فُونُوزْجَنَم - أو فَرُوجَنَم) ١٠٧٣

المطلب الأول: معنى تناسخ الأرواح ١٠٧٣

المطلب الثاني: مصدر عقيدة تناسخ الأرواح ١٠٧٦

المطلب الثالث: أسباب القول بالتناسخ في الديانة الهندوسية ١٠٩٥

المطلب الرابع: مناقشة عقيدة تناسخ الأرواح ، جولان الروح ١٠٩٩

المبحث الرابع: عقيدة «نِرْفَانَا» أو «موكشا» والرد عليها ١١٣٥

المطلب الأول: معنى نِرْفَانَا ١١٣٥

المطلب الثاني: مصدر القول بـ «نِرْفَانَا» لدى الهندوس ١١٣٩

الصفحة

الموضوع

- المطلب الثالث: سبب القول بـ«نرفانا»..... ١١٤٣
- المطلب الرابع: طرق الحصول على نرفانا..... ١١٤٥
- المطلب الخامس: مناقشة عقيدة نرفانا..... ١١٦١
- المطلب السادس: عقيدة اليوم الآخر والجنة والنار لدى الهندوس ما بين ١١٦٦
- متقدميهم ومتأخريهم ١١٦٦

الفصل الرابع

عبادات وتشريعات في الهندوسية

- ١١٧٩
- تمهيد: في بيان أصول الشرع الهندوسي ١١٧٩
- المبحث الأول: أهم عبادات الهندوس ١١٨٣
- المطلب الأول: أهم العبادات حسب الكتب الهندوسية ١١٨٣
- المطلب الثاني: المعابد الهندوسية ١١٩٣
- المطلب الثالث: أهم العبادات في الهندوسية في الوقت الحاضر ١١٩٥
- الفرع الثالث: الصدقات أو العطاء ١٢٠٥
- الفرع الرابع: الصوم وما في معناه ١٢٠٧
- الفرع الخامس: الحج وما في معناه ١٢١٠
- الفرع السادس: النذور ١٢١٤
- المبحث الثاني: أهم تشريعات الهندوس ١٢١٧
- مقدمة ١٢١٧
- المطلب الأول: التشريعات المتعلقة بالزواج والطلاق ١٢١٩
- الفرع الأول: نظام الزواج في المجتمع الهندوسي ١٢١٩
- الفرع الثاني: نظام الطلاق في المجتمع الهندوسي ١٢٣١
- المطلب الثاني: مراسيم تعميم الأولاد وبعض الطقوس المتعلقة بهم ١٢٣٣

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: التشريعات المتعلقة بالميت	١٢٣٨.....
الفرع الأول: حرق الميت	١٢٣٨.....
الفرع الثاني: إحراق الزوجة مع الزوج الميت	١٢٤٢.....
الفرع الثالث: تقديم القرابين لروح الميت	١٢٤٤.....
المطلب الرابع: المرأة في المجتمع الهندوسي	١٢٤٨.....
الفرع الأول: حقوق المرأة في الهندوسية	١٢٤٨.....
الفرع الثاني: وضع الأرامل في الهندوسية	١٢٥٧.....
الفرع الثالث: اعتقاد الزوجة أن الزوج إله	١٦٢١.....
الفرع الرابع: نظرة الهندوس إلى الزنا	١٢٦٢.....

الفصل الخامس

صور من عادات وتقاليد الهندوسية

المبحث الأول: الأعياد الهندوسية	١٢٧٣.....
مكانة الأعياد في الديانة الهندوسية	١٢٧٤.....
المبحث الثاني: أدوار الحياة في الهندوسية	١٢٨٨.....
المبحث الثالث: عادات وتقاليد تتعلق بالرهبة الهندوسية	١٣٠٣.....
المطلب الأول: يوغا	١٣٠٤.....
المطلب الثاني: الرياضات	١٣٠٨.....
المطلب الثالث: تعذيب الجسم	١٣١٣.....
المطلب الرابع: التسول، وترك الاكتساب	١٣١٦.....
المطلب الخامس: محاربة الملاذ	١٣١٩.....
المطلب السادس: نقد الرهبة الهندوسية	١٣٢١.....

الفصل السادس

فرق الهندوس وجماعاتها

- ١٣٢٥ المبحث الأول: فرق الهندوسية الكبرى
- ١٣٢٦ المطلب الأول: فرقة فُشنُو
- ١٣٣٣ المطلب الثاني: فرقة شِيفَا
- ١٣٣٩ المطلب الثالث: فرقة شاكتي
- ١٣٤٢ المطلب الرابع: فرقة غانيش
- ١٣٤٣ المطلب الخامس: فرقة سُوُورُو
- ١٣٤٥ المطلب السادس: جماعة تدعو إلى وحدة الأديان
- ١٣٤٧ المبحث الثاني: عقيدة برهمن سماج وآريا سماج، والرد على دعاويها
- ١٣٤٨ المطلب الأول: التعريف بهاتين الجمعيتين ومؤسسيهما
- ١٣٤٨ الفرع الأول: جمعية برهمن سماج
- ١٣٤٩ الفرع الثاني: جمعية آريا سماج
- ١٣٥٧ المطلب الثاني: أهداف هذه الجمعية
- ١٣٥٩ المطلب الثالث: الأصول العامة للآرية
- ١٦٣١ المطلب الرابع: افتراءات الآرية على الإسلام والردود عليها
- ١٣٦٩ المبحث الثالث: الهندوسية الحديثة ونشاطها الدعوي
- ١٣٧٠ المطلب الأول: بعثة رام كريشنا (رام كريشنا ميشن)
- ١٣٧٤ المطلب الثاني: جماعة أوروبندو غهوس
- ١٣٧٦ المطلب الثالث: جماعة مهاريشية

الموضوع

الصفحة

الفصل السابع

- دعوة الهندوس إلى الإسلام (الوسائل والأساليب) ١٣٨٥
- المبحث الأول: أهم وسائل الدعوة التي يمكن توجيهها للهندوس ١٣٨٧.....
- المطلب الأول: وسيلة التعريف بالإسلام وبنبيه وبكتابه ١٣٨٧.....
- المطلب الثاني: وسيلة تأليف الكتب ١٣٩٧.....
- المطلب الثالث: وسيلة الحوار ١٤٠٠.....
- المطلب الرابع: الرسائل ١٠٤١.....
- المبحث الثاني: أساليب دعوة الهندوس إلى الإسلام ١٤٠٣.....
- المطلب الأول: الأساليب العقلية ١٤٠٥.....
- المطلب الثاني: الأساليب العاطفية ١٤١٢.....
- المطلب الثالث: الأساليب الفنية ١٤١٧.....

الباب الثالث

- تأثير بعض الفرق الإسلامية بالهندوسية ١٤٢٣
- تمهيد ١٤٢٣.....
- المطلب الأول: الصلة بين العرب والهند قبل الإسلام وبعده ١٤٢٣.....
- المطلب الثاني: أسباب تأثير الفرق بأفكار الديانة الهندوسية ١٤٣٦.....
- المطلب الثالث: تأثير كثير من الفرق التي تنتسب إلى الإسلام بالهندوسية ١٤٤٩.....

الفصل الأول

- تأثير المتصوفة بالهندوسية ١٤٦٣
- المبحث الأول: التعريف بالتصوف والمتصوفة ونشأته ١٤٦٣.....
- المبحث الثاني: استمداد التصوف أصوله من الفكر الهندوسي والأدلة على ذلك ١٤٧٩.....
- المبحث الثالث: ذكر بعض عقائد وعادات وتقاليد المتصوفة المستمدة من الهندوسية ١٤٩٧.....

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: عقيدة الحلول.....	١٤٩٨
المطلب الثاني: عقيدة وحدة الوجود.....	١٥١٠
المطلب الثالث: عقيدة الاتحاد.....	١٥٥٢
المطلب الرابع: عقيدة الفناء وإسقاط التكاليف (رفع التكاليف) عن الشيخ الكامل ..	١٥٦٠
الفرع الأول : عقيدة الفناء واستمدادها من الهندوسية	١٥٦٠
الفرع الثاني: سقوط التكاليف عن الشيخ الكامل	١٥٦٦
المطلب الخامس: عقيدة اتخاذ الشيخ والغلو في تعظيمه.....	١٥٧١
المطلب السادس: تقسيم الناس إلى الخواص والعوام	١٥٧٩
المطلب السابع: العزلة والانقطاع	١٥٨٧
المطلب الثامن: تعذيب النفس وتحمل المشاق والتجوع وإماتة الشهوات	١٥٩٢
المطلب التاسع: ترك التكسب والانتكال على الناس.....	١٥٩٧

الفصل الثاني

الرافضة وتأثيرهم بالهندوسية	١٦٠١
المبحث الأول: التعريف بالرافضة ونشأتها	١٦٠١
المبحث الثاني: أسماء الرافضة وفرقها	١٦٠٥
المبحث الثالث: نماذج من انحرافات الرافضة المستمدة من الهندوسية	١٦٠٩
المطلب الأول: عقيدة الحلول والاتحاد لدى الرافضة ومقارنتها بما لدى الهندوس...	١٦١٥
المطلب الثاني: عقيدة الرجعة لدى الرافضة والهندوس.....	١٦٢٥
المطلب الثالث: التشبيه لدى بعض الرافضة ومقارنتها بقول الهندوس	١٦٣٠
المطلب الرابع: اتخاذ الإمام بمثابة اتخاذ الشيخ عند الهندوس	١٦٤١
المطلب الخامس: المتعة لدى الرافضة ومقارنتها بما في الهندوسية	١٦٤٦

الفصل الثالث

تأثير عموم المسلمين في شبه القارة الهندية

١٦٥٥	ببعض عادات وتقاليد الهندوس
١٦٦٧.....	الخاتمة
١٦٧٣.....	الفهارس
١٦٧٥.....	فهرس الآيات القرآنية
١٦٩٩.....	فهرس الأحاديث والآثار
١٧٠١.....	فهرس الأعلام
١٧٠٧.....	فهرس الأماكن والبلدان
١٧٠٩.....	فهرس المصادر والمراجع
